

ناتج سوريّات ولبنان وفلسطين

تأليف
الدكتور فيليب حتى

المجلد الثاني

أُشرِفَ على مراجعته وتحريره
الدكتور جبرائيل جبور

ترجمة
الدكتور كمال الساجي

دار الثقافة - بيروت



This is an authorized translation of
HISTORY OF SYRIA
BY

PHILIP K. HITTI

By permission of the author. Copyright in all countries
which are signatories to the Berne Convention
Published in 1951 by the Macmillan Company, New York.

المسهمون في إخراج هذا الكتاب

المؤلف : الدكتور فيليب حتي

ولد الدكتور فيليب حتي في شملان (لبنان) سنة ١٨٨٦ ، ودرس في الجامعة الأميركية في بيروت ،
فنال شهادة بكالوريوس في العلوم منها سنة ١٩٠٨ . ثم سافر إلى أميركة والتحق بجامعة كولومبية ونال
الدكتوراه منها في اللغات الشرقية وآدابها سنة ١٩١٥ . وعين بعد تخرجه أستاذاً فيها .

وعندما انتهت الحرب العظمى الأولى عاد إلى وطنه بطلب من الجامعة الأميركية ، وعين استاذاً
لتاريخ العرب واستمر في هذا المنصب حتى سنة ١٩٢٦ ، ثم التحق بجامعة برنستون استاذاً لتاريخ
العرب أولاً ، ثم رئيساً لقسم الدراسات الشرقية فيها . وظل في هذا المنصب حتى سنة ١٩٥٤ ، حين
أحيل على التقاعد .

ولم ينقطع عن العمل بعد ذلك ، بل عين استاذاً زائراً في جامعة هارفرد . وهو الآن عضو في
مجلس أمناء جامعة بيروت الأميركية في الولايات المتحدة ، ورئيس لجنة التربية في هذا المجلس .

له عدة مؤلفات منها تاريخ العرب (الطول) وهو مترجم إلى العربية ومثل تاريخ العرب الموجز ،
وتاريخ لبنان (المطول) وتاريخ لبنان (الموجز) وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، وتاريخ
الشرق الأدنى .

المترجم : الدكتور كمال اليانجي

كان استاذاً مشاركاً للأدب العربي في الجامعة الأميركية حين ترجم هذا الجزء وهو الآن استاذ
فخري ، له عدة كتب منها معالم الفكر العربي، ورواقد الادب العربي، والشيخ ابراهيم الحوراني .

المراجع : الدكتور جبرائيل جبور

رئيس دائرة اللغة العربية في الجامعة الأميركية في بيروت سابقاً وهو الآن استاذ فخري . له
عدة مؤلفات في الادب العربي منها عمر ابن ابي ربيعة (في ٣ اجزاء) عصره ، وحياته ، ووجه
وشعره ، وابن عبد ربه وعقده . وقد شارك في تأليف النسخة العربية من كتاب تاريخ العرب
للمؤلف وترجمتها .

الفهرس

القسم الرابع

العصر العربي

الصفحة

٣ الفصل الثلاثون : سورية في العهد الاسلامي .

عشية ظهور الاسلام - الفارات الاولى - طلائع الفتح -
مناصرة خالد عبر البادية - سقوط دمشق - سقوط القدس
وقياسية - فتح يسير - الرجل الاداري محل القائد الحربي -
خطورة الفتح الاسلامي - تعطيل الفتح الاسلامي .

١٩ الفصل الحادي والثلاثون : الادارة العربية .

عهد عمر - المناطق العسكرية - طاعون عمواس - معاوية
في عهد ولايته - بناء اول اسطول - الاسطول البيزنطي
يشرف على التلف .

٢٧ الفصل الثاني والثلاثون : خلافة الراشدين .

الخلفاء الراشدون - عهد الراشدين عهد المشيخة - قضية علي -
خلافة علي - معاوية في الميدان - الحرب الاهلية الثانية -
التحكيم .

٣٥ الفصل الثالث والثلاثون : معاوية مؤسس الخلافة الاموية .

ازاحة المطالبين بالخلافة من الطريق - هدوء موقف في
المراق - موجة الفتوحات الثانية - مآثر اخرى لمعاوية -
تميين ولي العهد - معاوية الملك النموذجي .

٤٤ الفصل الرابع والثلاثون : الصلات العدائية بين العرب والروم .

الحدود السورية - بلوغ القسطنطينية - الحصار الثاني لمدينة
القسطنطينية - الهجوم الاموي الاخير على القسطنطينية -
المردة في لبنان .

٥٥ الفصل الخامس والثلاثون : الفتن الاهلية : الشيعة ، اهل المدينة ، الفرس

مأساة الحسين - طامع آخر بالخلافة - حزم الحجاج في عهد ولايته .

٦٤ الفصل السادس والثلاثون : دمشق في أوج عزّها

دمشق في اوج عزها - اخضاع ما وراء النهر - استلحاق ما وراء النهر - فتح العرب في الهند - الحملات الحربية على البيزنطيين - حملة شمالي افريقيا - فتح الاندلس - طارق يعبر المضيق - نصر حلسم - موسى في اثر طارق - موكب النصر - تحليل سهولة الفتح - عبور جبال البرنيه - معركة تور - دمشق العاصمة - تعريب الدولة - مصلحة البريد - اصلاحات في المالية وفي سواها .

٨٧ الفصل السابع والثلاثون : الاحوال السياسية والاجتماعية في عهد الامويين

الحكومة الاقليمية - ديوان الخاتم - تنظيم الجيش - الحياة في البلاط - اللهو البريء - نساء الخلفاء - العاصمة - طبقات المجتمع - طبقة الموالي - اهل الذمة - قيود عمر - طبقة الرقيق - الوضع الاقتصادي العام .

١٠٤ الفصل الثامن والثلاثون : مناحي الحياة الفكرية في العهد الاموي .

النحو والمعاجم - الحديث والشرع - تدوين التاريخ - الخطابة - كتابة الرسائل - الشعر - التربية والتعليم - العلوم : علم الطب - علم الكيمياء القديم - المجازي الفكرية - القديس يوحنا النمشقي - المرجئة - الخوارج - التصوير - قصور البادية - قصر الحير - المساجد : المسجد الاقصي - المسجد الاموي .

١٣٥ الفصل التاسع والثلاثون : الكنيسة المسيحية السريانية

الكنيسة السريانية الشرقية - الموارد - الملاكانيون - التفاعل مع الاسلام - الالفاظ المستعارة - ضبط الكتابة .

١٤٨ الفصل الاربعون : سقوط الدولة الاموية

خليفة متعبد - آخر اموي مقتدر - اربعة خلفاء عاجزين - العلويون والعباسيون - اندلاع الثورة - الضربة الحاسمة - فرار مدهش .

الفصل الحادي والاربعون : سورية تغدو اقليماً عباسياً . . . ١٥٧

المهد الجديد - القلاقل في سورية ولبنان وفلسطين - المآثر
المقتنح - دمشق عاصمة مؤقتة - التشريع ضد النصارى -
الدخول في الاسلام - فتح اللغة العربية .

الفصل الثاني والاربعون : فضل السريان في نهضة العرب الفكرية . . ١٧٤

الترجمة عن اليونانية - حنين بن اسحاق - الصابئة - المآثر
السريانية الاصلية - المآثر الاسلامية : ابو قلم - ابو عبيدة
البحثري - ديك الجن الحمصي - الامام الاوزاعي .

الفصل الثالث والاربعون : سورية اقليم تابع لبعض الدويلات . . ١٨٥

الطولونيون - بخاريه - القرامطة - الاخشيدون - الحاكم
الزنجي - نهاية الاخشيديين - الحمدانيون : سيف الدولة -
الحلقة الزاهية في بلاط سيف الدولة - ابو الطيب المتني -
ابو فراس الحمداني - من علماء البلاط الاصمهاني - الفيلسوف
الموسمي الفارابي - العالم الجغرافي : المقنسي - طلائع المصور
المظلة .

الفصل الرابع والاربعون : ما بين السلاجقة والفاطميين . . . ٢٠٤

مفرل بك في بغداد - سلاجقة سورية - الاتابكة - قيام
الفاطميين - اتساع ممتلكاتهم - وضع سورية الفلق - الامراء
المرداسيون - المعري : الشاعر الفيلسوف الفرير - الفروز -
النصيرية - اضطهاد النصارى .

الفصل الخامس والاربعون : تلاقي الشرق والغرب - الصليبيون . . ٢٢٣

تعدد البواش وتشابكها - الحملة الصليبية الاولى - الولاية
اللاتينية الاولى : الرها - الولاية اللاتينية الثانية : انطاكية -
الزحف على الساحل - احتلال القدس - بلدوين اول ملوك
الصليبيين - التوسع في الشمال - الردة الاسلامية على يد
زنكي - نور الدين زنكي - ظهور صلاح الدين - معركة
حطين الفاصلة - عكا مركز النشاط الحربي - بعد وفاة صلاح
الدين - القديس لويس - بيبرس قائد المقاومة ضد الصليبيين -
الحشاشون - آخر المستعمرات الصليبية .

٢٥٠ الفصل السادس والاربعون : التفاعل الحضاري

تأثير في الغرب : العلم والادب - الفنون الحربية - هندسة
البناء - الزراعة والصناعة - التجارة العالمية - الصلات
الاجتماعية - شهادة اسامة - عواقب الحملات الصليبية على
سورية - النظم الاتصالي - نشاط الارشادات .

٢٦٤ الفصل السابع والاربعون : الايوبيون والمماليك

المماليك يخلفون الايوبيين - المماليك البحرية - الغزو المغولي -
المماليك البرجية - الادارة في سورية - الجوع والطاعون -
التجارة والصناعة - في لبنان - النشاط الثقافي : العناية الطبية -
الطبية - المدارس - الهندسة المعمارية وفن الزخرفة في عهد
المماليك - المجهود الفكري - التصوف الاشرافي - ابن عربي -
كتابة السير - التاريخ والجغرافيا - تيمورلنك - العثمانيون
يناضلون المماليك والصفوية - النصر الحاسم في مرج دابق -
خاتمة حكم المماليك .

القسم الخامس

تحت الحكم العثماني

٣٠٣ الفصل الثامن والاربعون : سورية اقليم تركي

الدولة العثمانية - الفواثر الادارية في سورية - وضع لبنان
الخامس - الفزالي - الجهاز الاداري - سوء الادارة ومخالفات
الاصلاح - تدابير دستورية عميقة - الظواهر الاجتماعية
والاقتصادية - الظواهر الثقافية - الآلة الطابعة .

٣٢٥ الفصل التاسع والاربعون : امراء لبنان المعنويون والشهابيون

عهد من الفوضى - الشهابيون يخلفون المعنويين - الشيخ ظاهر
المر - احمد باشا الجزار - الامير بشير الثاني - استقلال
لبنان بصفته دولية .

٣٤٧ الفصل الخمسون : المشهد في العصر الحاضر

التفكك السيلبي - العهد الحميدي - جمعية الاتحاد والترقي -
انقراض الثقافي - القومية والتضال من اجل الاستقلال .

فهرس الخرائط

الصفحة

٨	فتح سورية - الاجناد وقصور الامويين
٦٧	الفتوح الاسلامية لبلاد ما وراء النهر والهند
٧٥	شبه جزيرة الاندلس في القرن التاسع - الاحتلال الاسلامي
٨٢	دولة الخلفاء حوالي ٧٥٠
١٦٣	الخلافة العباسية « القرن التاسع »
٢٣٣	الدول الصليبية في سورية حوالي ١١٤٠
٢٧٥	دولة المماليك - منتصف القرن الرابع عشر
٣٠٨	الامبراطورية العثمانية في اوجها حوالي ١٥٥٠
٣٥٦	سورية ولبنان قبيل الحرب العالمية الثانية مع الدول المتاخمة

القسم الرابع العصر العبري

الفصل الثلاثون

سُورِيَّةٌ فِي الْعَهْدِ الْإِسْلَامِيِّ

عشية ظهور الاسلام

يبرز في الحقبة الاخيرة من العصور القديمة حدثان هامان: الاول هجرة القبائل الجرمانية التي انتهت بسقوط الامبراطورية الرومانية في الغرب ، والثاني انطلاق القبائل العربية الاسلامية الذي ازال الامبراطورية الفارسية ، وسلخ عن الامبراطورية البيزنطية افضل اقاليمها . وكان الحدث الثاني اروع الحدثين مظهراً . فقد كانت ، لدى وقوعه ، فارس وبيزنطة ، الدولتين الوحيدتين اللتين تتمتعان بقوة عالمية ، في حين لم يكن العرب شيئاً مذكوراً . فمن من معاصري تلك الفترة كان باستطاعته ان يتكهن ان مثل هذا الحدث لمن الامور المحتملة الوقوع ؟

وبعد ست سنوات من حرب تخللتها عدة انتكاسات ، ظفر هرقل سنة ٦٢٨ باسترجاع سورية - ومدينة الرها في شمالها موطن ابائه - بعد ان كانت قد وقعت في ايدي الفرس ، وبعد ان كان خسرو الثاني قد اجتاحتها (٦١١ - ٦١٤) واعمل فيها النهب والدمار اينما توجه . فقد غزا دمشق ، وروّع اهلها بالقتل والاسر ، وترك كنيسة القيامة خراباً يباباً ، وذلك بعد ان انتهب ما فيها من كنوز وتحف ومنها الصليب الحقيقي . وفي ١٤ ايلول سنة ٦٢٩ اعاد امبراطور بيزنطة الظافر هذا الصليب الى القدس^١ . فتادوا به محرراً للمسيحية ومعيداً لوحدة الامبراطورية الشرقية .

(١) لا يزال المواطنون من النصارى حتى اليوم يحيون ذكرى هذا العيد بإيقاد المشاعل . وقد ذهبوا في منشأ هذا التقليد الى ان هيلانة والدة قسطنطين الثاني عندما اكتشفت عود الصليب دفناً في الارض سنة ٣٢٦ ، اعلنت النبأ لابنها وهو في القسطنطينية ، عن طريق ايقاد المشاعل من قبة الى اخرى حتى القسطنطينية .

الغارات الاولى

في هذه الاثناء كانت فرقة من ٣٠٠٠ رجل عربي تشن غارة على بلدة تدعى « مؤتة »^١ واقعة الى الشرق من ساحل البحر الميت الجنوبي، يقودها زيد بن حارث ربيب محمد . وكان الغرض من هذه الغارة ، على ما يبدو ، الانتقام لرسول ، قتله احد النساسنة ، وكان النبي قد بعث به الى بصرى من اجل ان يعود منها ، الى الذين اعتنقوا الاسلام مجدداً ، بغنائم ذات بال بينها السيوف المشرفة المفضلة التي كانت تصنع في تلك النواحي^٢ وقد اعتبرت هذه الحطة التي اختطها محمد بمهاجمة البلدان المتاخمة بما يزيد في قدر الدين الجديد وشهرته بين المؤمنين . اما زيد فقد سقط في ساحة القتال ، واما بقية جيشه فعاد بهم الى المدينة القائد الغني خالد بن الوليد^٣، الذي لم يلبث ان غدا بطل الاسلام الحربي . ولم تكن هذه الغزوة ، في نظر سكان مؤتة ، سوى واحدة من غزوات البدو المتكررة التي اعتادوها من امد بعيد ، لكنها كانت ، بواقع الامر ، السهم الاول في نزاع لم يهدأ حتى استسلمت بيزنطة ، وحل اسم النبي العربي في معابدها محل اسم المسيح .

وفي السنة التالية (٦٣٠) قاد محمد بنفسه حملة على واحة تبوك في شمالي الحجاز . ومنها شرع في مفاوضات مع المواطن المجاورة انتهت بخضوع سكانها . فقد أمن الاقوام على ارواحهم ، ومنحوا حق الاحتفاظ بملكهم والبقاء على عقائدهم ،

(١) هي في شرقي الاردن ، على مسيرة ساعتين من الكرك جنوباً ؛ وقد زارها Alois Musil انظر كتابه : *Arabia Petraea*, vol. i (Vienna, 1907), p. 152

(٢) راجع ياقوت المجلد الرابع ص ٥٣٦ ؛ و M. J. de Goeje, *Mémoire sur la conquête de la Syrie* (Leyden, 1900), p. 5.

(٣) الطبري المجلد الاول ص ١٦١٠ ؛ قابل : J. Wellhausen, *Skizzen und Vorarbeiten*, vol. vi (Berlin, 1899), p. 52.

(٤) على طريق الحج ، وهي الآن على طريق القطار الحديدي بين دمشق والمدينة . الواقدي : المغازي ، نشر ا. فون كريبير ، (كلكتوتا ١٨٥٥ - ٥٦) ص ٤٢٥ - ٢٦ ؛ ياقوت ، المجلد الاول ، ص ٨٢٤ - ٢٥ ؛ البلاذري ، ص ٥٩ ؛ Gaetani ii pp. 238, seq. انظر وصف القرية الحدينية في Jaussen and Savignac pp. 57-64 ; Alois Musil, *The Northern Hegaz* (New York, 1926) pp. 234-5, 318-19.

شريطة ان يدفعوا جزية سنوية. وكان اول هذه المواطن قاعدة أيلة الواقعة في رأس خليج العقبة^١. وسكنها من النصارى. تليها مقنا^٢ الواقعة الى الجنوب من أيلة على ساحل الخليج، وسكنها من اليهود الذين كانوا يمارسون في الغالب صناعة الحياة وصيد الاسماك. ثم اذرح الواقعة بين البتراء ومعان، وعدد سكنها نحو مئة امرة. ثم الجرباء على مسيرة ساعة من اذرح شمالاً، على الطريق الروماني القديم بين بصرى والبحر الاحمر، وسكنها نصارى ايضاً. وقد قدر لهذا الموقع ان يلعب فيما بعد دوراً ذا بال في الحملات الصليبية. ان هذه الاماكن كانت المواطن الوحيدة في سورية التي اتصل بها الاسلام في غضون حياة النبي. ولقد كانت الشروط التي استسلمت بموجبها^٣ موعزة بما سيحيى. فان حملات محمد على هذه المواطن في سورية الجنوبية لم تكن الا بمثابة محاولات تجريبية لما قدّر ان يتم فيها بعد على يد خلفائه.

وفي السنة التي تلت وفاة محمد، أعدت العدة لفتح البلدان المجاورة. وكانت الجزيرة العربية قد خرجت من حروب الردة^٤. واخذت توثق روابطها وتتحد تحت قيادة رجل واحد وهو الخليفة الاول ابو بكر (٦٣٢ - ٣٤). فالزخم الذي تجمع في تلك الحروب الداخلية كان لا بد من ان يلتبس بخارج جديدة، لا سيما والمفترض ان العقيدة الجديدة قد اقامت بين اتباعها اخوة جامعة. وهذه الروح الحربية في القبائل التي كانت، من اقدم العهود، تعتبر الفوز ضرباً من الرياضة القومية، لم يكن لها بد من ان تحقق ذاتها بصورة من الصور بعد الاسلام. وكان من المتوقع، فوق هذا، حصول مساندة من القبائل العربية المقيمة في جنوبي

(١) انظر الجزء الاول ص ٢٠٦؛ Caetani, vol. ii, pp. 253-5.

(٢) يعقوبي المجلد الرابع ص ٦١٠؛ انظر وصف حديث لهذه الواحة في Musil, Northern He-gaz, pp. 114-16, 312.

(٣) البلاذري ص ٥٩ - ٦٠.

(٤) انظر: Hitti, History of the Arabs, pp. 140-42; C. H. Becker in The Cambridge Medieval History (New York, 1913) vol. ii, pp. 334-6.

(٥) ومنها في الانكليزية كلمة « razzia »

سورية. ذلك ان هذه القبائل، نظير جذام وقضاة^١، كانت في هذه الاثناء قد تنصرت، لكنها لم تكن في حالة من الرضى. لان المساعدة المالية السنوية التي كانت تتناولها لسنوات خلت في مقابل حراسة الحدود كان هرقل قد اوقفها كتدبير اقتصادي^٢ وقد اهمل، فوق ذلك، امر الحصون التي قامت على الحدود الجنوبية، وانتزعت منها حامياتها لتعزيز الحشد في الشمال في وجه الخطر الفارسي. وهكذا فقد كانت سورية، اقرب الميادين.

طلائع الفتح

وفي سنة ٦٣٣ وجهت الى سورية ثلاث سرايا، قاد الاولى عمرو بن العاص، وتولى الثانية يزيد ابن ابي سفيان، ورأس الثالثة شرحبيل بن حسنة^٣. وذلك على ان يكون عمرو، قائد حملة مصر العتيد، هو القائد الاعلى اذا اقتضت الخطة توحيد العمليات الحربية. وكان حامل اللواء في سرية يزيد اخوه معاوية، المؤسس العتيد للدولة الاموية في دمشق. ولقد سلك كل من يزيد وشرحبيل الطريق الذي طالما سلك بين تبوك ومعان. اما عمرو فقد سلك طريق ايلة الساحلي. ثم انضمت الى هذه السرايا، فيما بعد، امدادات رفعت العدد في كل منها من نحو ٣٠٠٠ الى زهاء ٧٥٠٠ مقاتل. والراجح ان ابا عبيدة بن الجراح، الذي غدا فيما بعد امير الجيش، انما جاء على رأس احد هذه الامدادات.

وقع الصدام الاول في وادي العربة^٤، وهو غور عظيم جنوبي البحر الميت، وكان النصر فيه ليزيد على سرجيوس بطريق فلسطين. وكان مقر قيادة سرجيوس في قيسارية، فلاحق العرب بجيشه المرتد، وادركوه عند دائن قرب غزة وكادوا

(١) بنو سليح (الجزء الاول ص ٤٤٦) قوم من قضاة. وكان بنو عاملة في هذه الاثناء يقيمون الى الشمال القريب، ومن هنا تسربوا فيما بعد الى جنوبي لبنان، حيث لا يزال المكان يعرف بجبل عامل. انظر عاملة في ابي الفداء؛ التلويح ص ٢٢٨.

(٢) انظر: Theophanes, p. 335.

(٣) البلاذري ص ١٠٧ - ٨؛ De Goeje, pp. 24-4.

(٤) راجع الخريطة الجزء الاول ص ٣٤.

يجهزون عليه (٤ شباط ٦٣٤)^١. ولقد قُتل سرجيوس في هذه المعركة وُحلت السبيل، ولو الى حين، امام الفاتحين. فاجتاح يزيد وعمرو القسم الجنوبي من فلسطين بمرته، واصبحت قيسارية نفسها مهددة، وعزلت القدس تماماً عن البحر^٢.

مغامرة خالد عبر البادية

وعندما انتهى هذا الخبر الى هرقل، وكان لا يزال في حمص، حيث قيل انه كان تلقى كتاباً من النسي يدعوه فيه الى الاسلام، سارع الى تنظيم حملة جديدة بقيادة اخيه ثيودوروس. وتلقى خالد بن الوليد، في الوقت نفسه من ابي بكر، امراً بالسير فوراً من العراق لتعزيز الجيش المرابط على الجبهة الشامية. وكانت الهجوم على العراق قد بدأ قبل الحملة على الشام بقليل، لكن لما كانت سورية اقرب الى الحجاز كان جل اهتمام العرب موجهاً اليها.

ويغلب على الظن ان خالد بدأ سيره المحفوف بالمخاطر عبر البادية من الحيرة، التي كانت هي وبعض المواقع الاخرى قد ألفت السلاح واستسلمت له. اما الطريق الذي سلكه فالمظنون انه الطريق الجنوبي الغربي المؤدي الى دومة^٣ الجندل (الجوف حديثاً) في منتصف الطريق بين البلدين. واذ بلغ دومة كان باستطاعته ان يواصل منها السير مختزلاً بطن السر (وادي سرحان حديثاً) الى بصرى، وهي مدخل سورية الجنوبي، لكن كانت هنالك حصون تعترض سبيله. لذلك سلك الطريق الشمالي الغربي الى قراقر (قلبان قراقر حديثاً) على تخوم البطن الشرقية. ومن هنا

(١) ياقوت: المجلد الثاني ص ٥١٤ - ١٥؛ البلاذري ص ١٠٩؛ Gae-De Goeje, pp. 31-4; tani, vol. ii, pp. 1141-54.

(٢) ان الحوادث المثبتة في الموثقات العربية التي جمعت في غضون قرنين او ثلاثة قرون بسد وقوعها مضطربة في سياقها التاريخي ومموجة من حيث الضبط والتفسير. والتحري المتمد هنا مبني على تمحيص كائتاني ودي غويه وولوزن وبككر، وسوام من اعلام النقد الحديث.

(٣) ورد ذكرها في سفر التكوين ٢٥: ١٤ وفي سفر اشعيا ٢١: ١١.



توجه شمالاً الى سوى^١، مسيرة خمسة ايام في قفر يكاد لا يكون للماء أثر فيه. ولقد نقلت حاجة الجنود من الماء - وعدددم يتراوح بين الخمس مئة والثمان مئة - في القرب، اما الحمول فقد اتخذها من اكراش الرواحل احواضاً. على ان مياه اكراش الجبال هذه كانت بما يجوز الانتفاع به في الطوارئ. وكانت الحيل تقاد جنسية وقد استجلبت لتمدن لى الاشتباك فقط. وكان دليلهم من طي اسمه رافع ابن عمير، ولقد بهره شعاع الشمس في بعض مراحل السفر، فاختطأ المعالم التي يعرف بها وجود الماء في باطن الارض، فالتمس من الجيش ان يرقبوا. عوسجة ماء، واذا وجدوها حفروا قربها فاصابوا تراباً رطباً وماء. وهكذا نجح الجيش من الهلاك، وتحقق حدث فريد من البطولة في اختراق القفار^٢.

وكان ظهور خالد، بعد ميسر ثمانية عشر يوماً فقط شمالي شرقي دمشق، في مؤخرة الجيش البيزنطي «المرتجل»، مباغته مسرحية (٢٤ نيسان ٦٣٤). وكانت جولته الاولى - وقد تم له فيها النصر - مع الجيش القسافي المسيحي يوم عيد الفصح في مكان قرب عذراء في مرج راهط^٣. واقتضى دهاؤه الحربي ان يوجه هجومه جنوباً مجتازاً شرقي الاردن، وذلك من اجل ان يقيم اتصالاً فعالاً بجيوش زملائه القواد، اذ كانت تقاسي ضنكاً شديداً. ولم تكن الرغبة في احراز المجد لنفسه. او الحرص على الظفر بالغنائم، ليثنيه عن هذا الهدف.

سقوط دمشق

هذه الجيوش التي اجتمعت تحت قيادة موحدة، لعلها قيادة خالد كسبت

(١) هي بالقرب من سبع ييار الحديثة، الى الشمال الشرقي من دمشق.

(٢) ان روايات المصادر العربية عن الطريق التي سلكها خالد في حملته هذه قد ادّت الى مشاكل تاريخية وجغرافية عديدة؛ قابل البلاذري ص ١١٠ - ١١٢؛ الطبري ج ١ ص ٢١١ - ١٣؛ ٢١٢ - ٤؛ ابن الاثير ج ٢ ص ٣١٢ - ٣١٣، البقوي - تاريخ - نشر م. ت. هوتسا (ليون ١٨٨٣) ج ٢، ص ١٥٠ - ٥١؛ ابن عساكر - التاريخ الكبير - (دمشق) ج ١، ص ١٣٠؛ المصري، فتوح الشام، نشر و. ن. ليس (كلكتا ١٨٥٤) ص ٦٣ - ٦٥. ان الحطة الموضوعه اعلاه قد اعتمدنا فيها على: Musil, Arabia Deserta, pp. 553-73; Caetani, vol. ii, pp. 1220-36.

(٣) هو سهل على ١٥ ميلاً الى الجنوب من دمشق. انظر البلاذري ص ١١٢، وياقوت ج ٤

معركة دامية في اجنادين^١ (٣٠ تموز ٦٣٤) فعدت ابواب فلسطين مفتوحة على مصاريعها في وجه الفاتحين. وشنت من ثم غزوات شتى في كل اتجاه لمدة ستة اشهر. وقد سقطت بصرى بعد مقاومة ضعيفة ، وتلتها فجل^٢ التي كانت تسيطر على معبر الاردن الشرقي ، ثم بيسان على عدوة النهر . ولم يكن القائد البيزنطي الجديد بانس Baanes ، باوفر حظاً من زميله السابق ؛ اذ لم ينقض شهر من الزمان حتى انهزم جيش الروم على اثر معركة مع الفاتحين في مرج الصفر^٣، وطلب النجاة بالاعتصام خلف اسوار دمشق . فجد خالد في اثره ، والقى الحصار حول العاصمة العتيدة للامبراطورية الاسلامية . على ان الحصار لم يكن اكثر من محاولة لعزل المدينة لان العرب لم يكونوا قد حذقوا اساليب الحصار ولا عرفوا ادواته. وبعد ستة اشهر سلمت المدينة (ايلول ٦٣٥) على اثر خيانة ، وكان المفاوضون اسقف المدينة ، ومنصور بن سرجون جد القديس يوحنا الدمشقي ، واحد كبار الموظفين في دائرة المال في الدولة . اما الرواية التقليدية التي تنهب الى ان المدينة سقطت نصفها غنوة ونصفها صلحاً ، فالقارئ متوفرة على انها رواية متأخرة ، قصد منها تبرير اقدام الامويين على قسمة الكاتدرائية ، والاستيلاء على شطرها^٤ . وقد اشتملت شروط الصلح على المبادئ نفسها التي فرضها النبي^٥ ، فعدت نموذجاً لما عولمت بموجبه سائر المدن السورية .

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اعطى خالد بن الوليد اهل دمشق ، اذا دخلها اعطاهم اماناً على انفسهم واموالهم وكنائسهم ، وسور مدينتهم لا يهدم .

(١) لا يزال موقعها مجهولاً ؛ اما القول بانها هي جانبتي الواقعة بين الرملة وبيت جبرين — على الطريق بين غزة والقدس — فامر مشكوك في صحته . Gaetani, vol. iii, pp. 176-87; Wellhausen, *Skizzen*, vol. vi, pp. 57-8 Dussaud, *Topographie*, p. 318.

(٢) او هي فجل بالفتح. انظر : Gr. Pella, Bi-hi-lim عن لوحات تل الهارثة (الجزء الاول من ٧٥) وهي المروفة اليوم بخربة فجل . انظر أيضاً : Gaetani, vol iii, pp. 187-211 ; Abel, vol. ii, pp. 34, 405.

(٣) هو سهل على ٢٠ ميلاً الى الجنوب من دمشق .

(٤) Gaetani, vol. iii, pp. 359-92 انظر ايضاً ادناه الفصل ٣٨ الفقرة عن الجامع الاموي.

(٥) انظر اعلاه ص ٥ من هذا الجزء .

ولا يسكن شيئاً من دورهم، لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله (صلعم) والخلفاء والمؤمنين. لا يعرض لهم الا بالخير اذا اعطوا الجزية^١.

وبسقوط القاعدة السورية غدا النصر التام محققاً. وقبل انصرام العام تمّ لابي عبيدة احتلال مدينة حصص. فقد سارعت جميع المدن المجاورة - بعلبك وحمص وحماه - الى فتح ابوابها، وخرج الرعايا في حالات عدا «لاستقباله، يصحبهم الناقرون على الدفوف والمنشدون، وانحنوا امامه احتراماً». وذلك على نحو ما جرى في شيزر^٢. ولم تصمد سوى القدس وقيسارية وبعض مدن الساحل، في انتظار وصول نجدة من هرقل.

ولم يرد هرقل ان يخذلهم، ولذلك حشد من منطقة انطاكية وحلب جيشاً من نحو خمسين ألفاً، جله من الارمن والعرب المرتزة، ضمهم الى قيادة اخيه ثيودوروس ومساعدته بالنس^٣. واذا تيقنت القيادة العربية من تفوق جيش العدو بالعدد، عمدت الى الجلاء سريعاً عن حصص بل وعن دمشق وسواها من المدن ذوات الموقع الحربي الخطير، وحشدت زهاء ٢٥٠٠ مقاتل في وادي اليرموك^٤. اذ يستطاع من هنا الانسحاب الى الصحراء اذا اقتضى الامر. وقد سلك جيش هرقل الطريق من البقاع (سورية المنخفضة) الى شرقي الاردن وبعد فترة من المناوشات، نادى الجيش خلالها ببانس امبراطوراً، نشبت المعركة. وكان ذلك عند ملتقى اليرموك برافده الرقاد، قرب الواقصة (الباقوصة حديثاً). وبلغ القتال اشده في يوم شديد الحر (٢٠ آب ٦٣٦) انعقدت فيه العبار سحباً، فكانت ولا شك عوناً للعرب على اعدائهم. وانساق الجيش البيزنطي منكفئاً الى موضع ضيق بين الجدولين. فكان

(١) البلاذري ص ١٢١.

(٢) هي لاريساً، سيجر حديثاً، على نهر العاصي، وتبعد ١٥ ميلاً الى الشمال الغربي من مدينة حماه. انظر ادناه الفصل ٤٦ الفقرة عن شهادة أسامة.

(٣) الطبري ج ١، ص ٢١٢٥؛ Theophanes, p. 337

(٤) هيروماكس، شريعة الناذرة حديثاً (نسبة الى اسم قبيلة بدوية (Abel, vol. i, p. 171) وهو احد روافد نهر الاردن؛ وينبغي علم الخلط بينه وبين يرموث المذكور في سفر يوشع ١٠: ٣، وهو خربة يرموك الحديثة، في جوار اجنادين.

جسر الرُقَّاد الى الغرب بيد العرب ، وكان خط المواصلات من الشرق قد قطع ايضاً ، فخاب كل أمل بالانسحاب ، ولم يجد لهم شيئاً تراثيل القس وصلواتهم ، ولا استعانتهم بالصلبان^١. ولم تتمكن فرق الارمن ولا المرتزة من العرب السوريين ان يصدوا في وجه الهجوم الكاسح الذي قام به ابناء الصحراء ، فسقط بعضهم قتيلاً هنا وهناك ، ودفع بعضهم الى النهر بعنف ، وانهمز البعض الآخر ، لكنه لاقى حتفه على الضفة الاخرى . وقد كان ثيودوروس احد الضحايا ، فتقرر بذلك مصير سورية . وقد اقر هرقل نفسه بذلك ، فكانت كلماته الاخيرة : « عليك يا سورية السلام ونعم البلد هذا للعدو^٢ ! » .

وفي فصل الحريف من العام نفسه قامت فرقة ، يقودها فيما ترجع ابو عبيدة ، باحتلال دمشق مجدداً . وعمدت على الاثر جميع المدن التي سبق للعرب ان احتلوها الى استقبال الفاتحين بصدور رحبة . وخاطبهم سكان حمص قائلين «لولايتكم وعدلكم احب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم^٣ » . ثم ان حلب وانطاكية الى الشمال لم تلبث ان اقلت السلاح ، لكن قنشرين وحدها قاومت بعض المقاومة . واستطاعت اخيراً جبال طوروس ، وهي الحد الطبيعي للبلاد السورية ، ان توقف هذا الزحف المتواصل الذي حققه السلاح العربي .

سقوط القدس وقيسارية

وكانت قوَّاد آخرون يديرون عمليات حربية بنجاح مماثل في الداخل وعلى امتداد الساحل . فقد احتل شريحيل عكا وصور^٤ ، وظفر يزيد واخوه معاوية بصيدا وبيروت وجبيل وطرابلس^٥ . لكن القدس وقيسارية في الجنوب ، وقد

(١) ابن عسكرك ج ١ ، ص ٢٦٣ ؛ البصري ، ص ١٩٧ .

(٢) البلاذري ص ١٣٧ ؛ قابل الطبري ج ١ ، ص ٢٣٩٥ - ٩٦ .

(٣) البلاذري ص ١٣٧ . وقد نسب الى سكان فعل ما هو شيء جداً بهذه المواطف ؛ البصري ص ٩٧ .

(٤) البلاذري ص ١١٦ ؛ De Goeje, p. 133 .

(٥) البلاذري ص ١٢٦ ؛ Caetani, vol. iii, p. 801 .

اصطبغت بالصبغة الهلينية ، استمرت في المقاومة . فصدت القدس في وجه عمرو حتى سنة ٦٣٨ ، عندما اشترط سكانها ان يكون تسليم المدينة لعمرو بن الخطاب بالذات ، وهو آتئذ يقوم بزيارة الى الجابية^١ . اما قيسارية فقد كان وضعها اشدّ تعقيداً ، اذ كانت على اتصال بالامداد البحرية . لكنها عنت اخيراً سنة ٦٤٠ بعد هجمات متواصلة دامت سبع سنوات ، وبلغت ذروة حدتها بالحصار الذي ضربه معاوية عليها^٢ . وكان مما ساعد على سقوطها نهائياً خيانة يهودي من المقيمين داخل اسوارها . ففي خلال هذه السنوات السبع (٦٣٣ - ٦٤٠) تم اخضاع سورية كلها من الجنوب الى الشمال .

فتح يسير

وليس من العسير ان نعلل « الفتح اليسير » الذي تم للعرب باكتساح هذا الاقليم ، من الامبراطورية البيزنطية ، ذي الموقع الحربي الخطير . فالغارات التي شنّها الفرس ، في اوائل القرن السابع ، كانت قد فعلت في تقويض دعائم الجيش فعل الانشقاق المونوفيزي في منتصف القرن الخامس في تصديع وحدة المجتمع الروحية . اما المساعي التي بذلها هرقل في الآونة الاخيرة (٦٣٨) لارتق الحرق الديني ، باقتراحه بعض التسوية فكانت نظير ما سبقها من المحاولات عقماً . ولقد عمد سرجيوس بطريرك القسطنطينية ، وهو سوري يتحدّر من اسرة يعقوبية المذهب ، الى استنباط تسوية جديدة ، فجهد في تحويل الانظار عن الخلاف الاصلي في طبيعة المسيح الى فكرة « المشيئة الواحدة » . لكن هذه البدعة لم تكن لترضي الاوثودكس البيزنطيين ولا السوريين المنشقين ، بل ادت الى نشوء شعبة جديدة هي المونوثيلية ، يقول اتباعها بانه كان للمسيح مشيئة واحدة هي المشيئة الالهية . اما جمهور السوريين

(١) الطبري ج ١ ص ٢٤٠٢ وما يليها ؛ البلاذري ص ١٣٨-٣٩ ؛ يعقوبي ج ١ ص ١٦٧-١٦٨
De Goeje, pp. 152 seq.

(٢) البلاذري ص ١٤٠ - ٤٢ ؛ De Goeje, pp. 166-9; Caetani, vol. iv, pp. 156-63

(٣) البلاذري ص ١٦ ؛ L. 18, p. 126, II. 13, 19

فقد تشبثوا بكنيستهم ، لان الكنيسة لم تكن في نظرهم مؤسسة دينية فحسب ، بل كانت ، الى ذلك ، تعبيراً مكبوتاً عن عاطفة قومية دفينية .

وكما عرفنا سابقاً^١، لم يعرف من السوريين منذ فتح الاسكندر انهم فقدوا طابعهم القومي او اضاعوا لغتهم الاهلية او اهملوا دينهم السامي ، او سلكوا مخلصين المنهج اليوناني الروماني في الحياة . فالحضارة الهلينية لم تكن يوماً اكثر من طلاء خارجي ، ولم تؤثر في غير النخبة من اهل المدن . اما سواد السكان فقد كانوا ولا بد يعتبرون الحكم غريباً عنهم ، وهذه المجافاة ما بين الحاكمين والمحكومين قد استفحلت ولا شك بداعي سوء الحكم وفداحة الضرائب . وغالب الظن ان السوريين من ابناء القرن السابع قد اعتبروا العرب المسلمين اقرب اليهم عنصراً ، ولغة ، وربما ديناً ايضاً ، من اسيادهم البيزنطيين الممقوتين .

الرجل الاداري على القائد الحربي

اما وقد تم فتح سورية ، فلم يعد بد من ان يحل رجل الادارة محل رجل القيادة . وعلى ذلك عزل خالد ذلك البطل الذي اهلّه تاريخه الحربي الباهر في جزيرة العرب ، وفي العراق وسورية ، الى ان يلقب بـ « سيف الاسلام » — بامر من الخليفة عمر ، وولي مكانه ابو عبيدة . وابو عبيدة هذا صحابي بارز ، وهو احد اعضاء المثلث الذي استأثر بالسلطة الاسلامية^٢ وكان العضوان الاولان ابا بكر وعمر . ولقد تلا عمر ابا بكر في الخلافة ، بعيد معركة اجنادين سنة ٦٣٤ . وكان على ما يبدو يضمن لخالد السوء ، لكنه لم يعهد الى صديقه ابي عبيدة بالقيادة العليا الا بعد معركة اليرموك . وعندها انكفأ خالد من الحياة العامة وانزوى في حمص ، وفيها مات سهلاً (٦٤٢) ليعيش في الاخبار حياة مجترحي المعجزات . ولقد بني مدفته ومسجده على الطراز التركي سنة ١٩٠٨ وكانت زوجته فضاء قد دفنت هناك الى جانبه .

(١) انظر الجزء الاول ص ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٨٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٦ — ٣١٨ .

(٢) H. Lammens, « Le Triumvirat Abu Bakr, 'Omar et Aboû 'Obaidah » *Mélanges de la faculté orientale*, vol. iv, (Beirut, 1910), pp. 113 seq.

ولما زاد عمر المعسكر الاسلامي في الجابية سنة ٦٣٨ للاحتفال بالفتح وتقرير حالة المغلوبين، لم يكتفِ بان ثبت ابا عبيدة في قيادة الجيش بل عينه حاكماً عسكرياً، ونائباً للخليفة. على ان دخول الخليفة المسن الى القدس راكباً جلاً، لابساً رث الثياب، لم يترك في الناس اثراً محموداً^١. وكان في استقباله البطريق صفرونيوس «حامي الكنيسة المعسول اللسان». قيل انه التفت الى احد مرافقيه، وكله باليونانية قائلاً^٢ «حقاً هذا رجس الحراب الذي تكلم عنه النبي دانيال، وراه قائماً في المكان المقدس»^٣.

خطوة الفتح الاسلامي

ولقد تخطى فتح سورية الاعتبارات الزمنية والمحلية، وجلّس دولة الاسلام الناشئة بالمهابة والمجد في نظر العالم، واكسبها الثقة بالنفس.

والآن وقد غدت سورية قاعدة عسكرية، فان جيشاً عربياً توجه منها بقيادة عياض بن غنم نحو الشمال الشرقي، وقام باعمال حربية تم له بها، بين ٦٣٩ و٦٤٦، اخضاع بلاد ما بين النهرين جملة^٤. ففتح من ثم الطريق الى شمالي غربي فارس وما وراءها من بلاد، واستغل هذا الكسب استغلالاً تاماً. ثم زحف جيش آخر بقيادة عمرو ابن العاص وسواه ممن اشتركوا في فتح سورية، في اتجاه جنوبي غربي، تم له به، بين ٦٤٠ و٦٤٦، اخضاع مصر^٥. ومن مصر استؤنفت بسهولة الاعمال الحربية في

(١) الطبري ج ١، ص ٢٤٠٧؛ cf. De Goeje, p. 157.

(٢) Theophanes, p. 339; Constantine Porphyrogenitus, « De administrando imperio » in J.-P. Migne, *Patrologia Graeca*, vol. cxiii (Paris, 1864), col. 109. يرجح ان صفرونيوس كان ماروني الاصل.

(٣) سفر دانيال، ٩ : ٢٧ ؛ ١١ : ٣١ ؛ ١٢ : ١ ؛ ومقتبس في انجيل متى ٢٤ : ١٥ ؛ وفي انجيل مرقس ١٣ : ١٤ . والاشارة في سفر دانيال الى افطيوخس ايفانوس، انظر اعلاه الجزء الاول ص ٢٦٧.

(٤) البلاذري ص ١٧٢ وما بعد ؛ الطبري ج ١، ص ٢٥٩٥ - ٨.

(٥) ان لفظة « غزو » كانت تطلق على الغارات الصغيرة ما بين القبائل، فاصبحت تطلق بعد الفتح على الحروب القومية الاسلامية، انظر : Hitti, *History of the Arabs*, p. 160 seq.

شمالى افريقيا، واخيراً فى الاندلس، وذلك بالتعاون الوثيق مع المحاربين السوريين. اما فى شمالى سورية فقد غدت آسيا الصغرى معرضة للغارات التى استمرت بلا انقطاع ما يقرب من قرن .

تعليل الفتح الاسلامي

هذا، وقد كانت هذه الفتوح اشبه بالحروب المنظمة منها بالغارات الطارئة التى جرت على غطها الفتوحات الاولى^١. فالحملات الاولى على العراق وسورية لم تكن نتيجة لحطة مرسومة وتدبير سابق، اذ لم يكن ابو بكر ولا عمر، وقد احرزت فى عهد ولايتهما جل هذه الانتصارات، ليعقدا المجالس الحربية، ويضعوا خطط القتال. بل لم يحلما اصلاً - فى الادوار البدائية على الاقل - باقامة قاعدة دائمة فى المناطق المحتلة. لكن الذى قادم الى هذه النتيجة انما هو مجرى الحوادث وسير الامور. وبناء على ذلك لم يسمح للجيوش، فى اول الامر، بالاقامة فى المدن، بل اقيم لها معسكر يجوار الجابية ليكون بمثابة قاعدة بدائية. وهناك ما يحمل على الاعتقاد بان بعض الحملات الاولى، نظير حملة خالد على العراق، جرت دون امر من الخليفة، بل لعلها جرت خلافاً لاوامره.

وليس ينبغي ان ينظر الى الفتح الاسلامي من ناحية انه كان، بالدرجة الاولى، جهاداً دينياً. فان التعليل التقليدي الذى اعتمدته المؤرخون المسلمون، يجرى مجرى التعليل اللاهوتي الذى اعتمدته اليهود فى تاريخهم القومي، ونصارى القرون الوسطى فى توسع الكنيسة. فهو يغلب على هذه الحركة الطابع الديني، ويعتبر انها جاءت تبعاً لارادة الهية مقررّة. والواقع ان التوسع العربي الاسلامي انما دعت اليه عوامل اقتصادية بعيدة الغور^٢، لم يخف امرها على المحققين من مؤرخي العرب نظير البلاذري^٣. فقد ذكر ان ابا بكر، اذ اخذ فى اعداد الحملة على سورية،

(١) Hitti, *History of the Arabs*, 160, 167-8.

(٢) استخرجها كيتاني: Gaetani, vol. ii, pp. 831-61، وجرى على ذلك بعده بكر ولائس وغيرهما من النقاد المحققين فى العصر الحديث.

(٣) فتوح البلدان، ص ١٠٧.

«كتب الى اهل مكة والطائف واليمن، وجميع العرب بنجد والحجاز، يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم».

فاذا نحن نحربنا التوسع الاسلامي، محيطين بملابسائه الراهنة، بان لنا انه كان حلقة من سلسلة من الهجرات، او من «موجات النزوح»، حملت الفائض من سكان البادية القاحلة الى ما يتاخم الهلال الحبيب، من مناطق هي احفل باسباب الحياة. وقد كان، بواقع الامر، الشوط الاخير من اشواط النزوح المتواصلة ابداً، والتي بدأت بالهجرة البابلية، قبل ذلك بنحو اربعة الاف سنة^١. على ان هذه الموجة الاسلامية كانت ذات طابع مميز هو الدافع الديني. وقد كان من اجتماع العامل الديني بالدافع الاقتصادي ما جعل الحركة امراً لا يدفع. تخطى بها حدود الهجرات السابقة الى مدى بعيد. على انه لا بد من الاعتراف بان الاسلام كانت بمثابة «صيحة الحرب»، او نداء هو من قبيل صيحة «الديمقراطية» في الحرب العالمية الاولى والثانية. بل لقد كان فوق ذلك، ان عمل على توثيق الصلة بين القبائل وجمع الاشتات المتنافرة التي لم يسبق لها ان اتحدت من قبل. ولئن كانت الرغبة في نشر العقيدة الجديدة وفي الفوز بجنة النعيم هي العامل المحرك في حياة البعض من المحاربين البداة، فان الحرص على الظفر باسباب الراحة والرغد، التي كانت تحفل بها الحياة المدنية في الهلال الحبيب، كان المحرك الدافع في ما يتعلق بالكثيرين منهم.

ومن هذا القبيل افتراض آخر مشابه لهذا في الشطط، هو صورة رسمها بعض كتّاب النصارى للمسلمين العرب، يحتاجون البلدان وهم يعرضون القرآن باليد الواحدة والسيف بالآخرى. انما كان هنالك مجال ثالث للاختيار في ما يتعلق باهل الكتاب^٢ هو دفع الجزية. «قاتلوا... من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»^٣. ومن الخير ان نتذكر ان دفع الجزية كان في نظر الفاتحين اولى واشهر. فانه اذا اعتنق الذي الاسلام سقطت عنه الجزية.

(١) راجع الجزء الاول ص ٦٧، ٦٩.

(٢) انظر ما سيأتي في اول الفصل ٣١ الهامش.

(٣) سورة البراءة: ٢٩.

ان الفتوحات الاسلامية التي تمت في القرن الاول تعتبر، من حيث الخطورة التاريخية، في منزلة فتوحات الاسكندر. وهذان هما الحدثان البارزان في تاريخ الشرق الادنى السياسي والحضاري قديماً. ففي غضون الالف سنة التي تلت فتوحات الاسكندر، كانت الحياة الحضرية في سورية والبلدان المجاورة تتحول نحو الغرب عبر البحر، وتنتم بطابعه. اما الآن، فقد اتجه هذا التحول شرقاً عبر الصحراء، ولم تلبث آخر الصلات بروما وبيزنطية ان انقصمت، وانشئت مكانها صلات جديدة بمكة والمدينة. وكان هذا التحول بالمعنى الضيق ردة الى القديم، ذلك لان الحضارة العربية الاسلامية لم تبدع الكثير من العناصر الاصلية، بل كانت بالاولى انعاماً للحضارة السامية القديمة^١ فالحضارة الهلينية من هذه الناحية، انما هي ظاهرة دخيلة بين حضارتين متجانستين.

وفي مدى عقد من الزمان بدل الفتح الاسلامي وجه الشرق الادنى، وفي مدى قرن بدل وجه العالم المتمدن. وذلك فوق ما يستطيع فتح الاسكندر ان يدعيه. والفتوحات الاسلامية بعيدة عن ان تعتبر من قبيل الاحداث العارضة، فقد قام الدليل على انها كانت عاملاً حاسماً في تطوير مجتمع العصور الوسطى، وتحويل البحر المتوسط الى بحيرة اسلامية، قاطعة بذلك الصلة البحرية بين الشرق والغرب. هذا فضلاً عن ان احتلال شواطئ المتوسط، الشرقية والغربية والجنوبية، كوّنت عالماً جديداً هو العالم الذي عاش فيه شارلمان (٧٦٨ - ٨١٤) ومعاصروه. وبذلك انتهى العصر القديم وبدأت العصور الوسطى^٢.

(١) Hitti, *History of the Arabs*, p. 174-75

(٢) هذا ما ذهب اليه هنري بيرين في بحثه: (Brus- *Mahomet et Charlemagne*, 7th. ed. (Paris, 1936), pp. 18-24. ; do., *Histoire de l'Europe* (Paris, 1935).

الفصل الحادي والعشرون

الإدارة العيسرية

كانت المعضلة التالية التي واجهها العرب : كيف يتيسر لهم ان يديروا هذه الممتلكات الجديدة ؟ فقد افاق العرب من نشوة النصر العظيم ليجدوا انفسهم تجاه معضلة ، لم يكونوا مهئين لمعالجتها كما ينبغي ، اذ لم يتهيأ لهم في ماضيهم من الخبرة ما يمكن ان يعولوا في ذلك عليه . وبين ان سنن المجتمع البدائي في المدينة لم تكن تني بالعرض ، وكذلك شرائع المجتمع الاسلامي الجديد ، فانها لم تكن قابلة للتطبيق ، ذلك لان الامم المغلوبة لم تكن بعد قد اعتنقت الاسلام .

عهد عمر

وكان عمر اول من واجه هذا المشكل . ففي اليوم المعروف بـ «يوم الجابية» عقد مؤتمراً دام ثلاثة اسابيع ، بحث فيه مع قواده المشكل الراهن . الا انه لم يُعرف بالضبط ما الذي اسفر عنه هذا المؤتمر ، ولا وقف احد تماماً على بنود الاتفاق الذي اشتهر بـ «عهد عمر»^١ . ولئن كان هذا العهد قد تحدر البنا بروايات متعددة^٢ ، فان هذه الروايات ، على اختلافها ، قد اشتملت على احكام تابعة لصور متأخرة . وبديهي ان عمر لم يكن ليضع احكاماً لحالات لم تكن بعد قد برزت الى حيز الوجود .

A. S. Tritton, *The Caliphs and their Non-Muslim Subjects* (Oxford, (١ 1930), p. 12.

(٢) راجع ابن عساکر ، ج ١ ، ص ١٧٨ - ٨٠ ، ١٥٠ - ٥١ ؛ الابشهي ، السطرف ، (القاهرة ١٣١٤ هـ) ج ١ ، ص ٩٩ .

لكن من المحتمل ان تكون بعض المبادئ الواردة في العهد المذكور بما تجلت فيه سياسة عمر . وفي طبيعة ذلك ان يكون المسلمون العرب في البلاد المحتلة بمثابة طبقة ارسقراطية دينية عسكرية، فيحافظون على نقاوة دهم ، ويمتنعون عن مخالطة المواطنين ، فلا يقتنون المزارع ، ولا يعملون في الارض . اما الشعوب المغلوبة فقد جعلوا في وضع خاص عرفوا فيه بـ « اهل الذمة » . وقد ترتب عليهم بحكم هذا الوضع ، ان يؤدوا ائاة تشتمل على ضريبة الارض (الحراج في ما بعد) وعلى ضريبة الدخل (الجزية في ما بعد) ، لكنهم دخلوا في حماية الاسلام واعفوا من التجنيد ، اذ كان من حق المسلم وحده ان يمتشق الحسام مدافعاً عن حياض الاسلام . هكذا نشأ مبدأ المباينة بين الغالب والمغلوب ، وغدا اصلاً ثابتاً من اصول السياسة .

ومبدأ آخر ينسب فضل سنه الى عمر ، هو ان ما سقط في ايدي المحاربين من اموال منقولة واسرى حرب انما هو داخل في الغنيمة ، وهو من نصيب المقاتلين ، كما كان الى حينه . وليست الارض كذلك ، اذ هي من حق جمهور المسلمين ، يتألف منها ومن سائر الاموال التي تجبي من الرعايا ما يعرف بـ « النية » . على ان الذين تعهدوا اراضي النية بقوا يدفعون ضريبة الحراج مع اعتناقهم الاسلام .

ومن الجلي ان نظام الضرائب الذي جعلته الاخبار المنقولة من محدثات عمر انما جاء في اعقاب سنين كثيرة من التجربة والاختبار . فالخلفاء الاولون وولاة الامصار لا يحتمل ان يكونوا قد استنبطوا وفرضوا نظاماً من الضرائب وجهازاً من الادارة المالية . فقد كان يسر عليهم ان يواصلوا باسم الله ، نظام الحكم البيزنطي القائم في الاقاليم ، والذي كان مرعياً في سورية ومصر . فكان نظام الضرائب في الامبراطورية الاسلامية لذلك يختلف بين مكان وآخر بحسب طبيعة التربة وتبعاً للنظام المحلي السابق (بيزنطياً كان او فارسياً) لا بمقتضى الحالة التي تم فيها فتح

(١) قصد به اصلاً « اهل الكتاب » اي اليهود والصاري وصائبة العراق . ووسع في ما بعد حق نمل الزردشتيين وسوام .

البلاد : صلحاً او غنوة^١. اما التعليل الذي جرت عليه المصادر العربية^٢ لاختلاف الضرائب باختلاف نوع الفتح فواضح انه رواية شرعية متأخرة . بل حتى التفريق ما بين الجزية كضريبة على الشخص ، والحراج (من خوريجيا اليونانية) او من الارامية) كضريبة على الارض ، لا يمكن ان يكون قد نشأ في عهد باكر كعهد عمر . ولا شبهة في ان التعبيرين قد تعاقبا على معنى واحد هو الضريبة بالمدلول العام . فقد وردت لفظة «جزية» في القرآن مرة واحدة (التوبة : ٢٩) وفي غير قرينة شرعية . وكذلك لفظة «خراج» فانها وردت مرة واحدة كذلك (المؤمنون ٧٤) وبمعنى يختلف دلالة عن ضريبة الارض . فالتفرقة بين الجزية والحراج ، والحالة هذه ، لم تتضح حتى العهد الاموي المتأخر .

وضريبة الجزية دلالة على انحطاط المنزلة ، وكانت تؤدي دفعة واحدة . اما مقدارها فكان في الغالب اربعة دنانير^٣ لمن عُدَّ من طبقة الاغنياء ، ودينارين لمن اعتبر من متوسطي الحال ، وديناراً واحداً لمن كان من الفقراء . وقد اعني منها النساء والاطفال والمستعطفون والمسنون والمرضى ، الامن كان منهم ذا دخل شخصي مستقل . لكن الحراج كان يدفع مقسطاً وبالنوع . يؤخذ من الماشية ومحصول الارض ، ولا يقبل من الخنازير ولا الميته من الدواب ولا الحجر ، بما نص القرآن على تحريمه . وربما ترتب على الشعوب المغلوبة ان تدفع ، فضلاً عما تقدم ، ضرائب اخرى لاعالة جند المسلمين .

المناطق العسكرية

ولقد تم في مؤتمر الجابية تقسيم سورية الى اربعة اجناد ، تبعاً للاقاليم البيزنطية الاربعة التي كانت زمن الفتح ، هي : جند دمشق ، وجند حمص ، وجند الاردن ،

(١) الماوردي : الاحكام السلطانية ، نشر م . انجر (بون ، ١٨٥٣) ص ٢٥٣ - ٥٦ ؛ ابو يوسف كتاب الحراج (القاهرة ، ١٣٤٦ هـ) ص ٤٦ ؛ البلاذري : ص ١٢٠ - ٢١ .

(٢) لفظة دينار العربية من اليونانية : دينار يوس ؛ وقد كان الوحدة للتقود الذهبية في الخلافة وكان وزن نحو اربعة غرامات . وكان الدينار في عهد عمر يساوي عشرة دراهم ، وغداً معادلاً لاثني عشر درهماً بعد ذلك .

وجند فلسطين؛ فاشتمل جند الاردن على الجليل وامتد شرقاً حتى الصحراء، وشمل جند فلسطين المنطقة الواقعة الى الجنوب من سهل مرج ابن عامر. وقد اضاف الخليفة يزيد بن معاوية، في ما بعد، جنداً خامساً هو جند قنسرين، سلخه عن حصص، وضم اليه انطاكية ومنبج والجزيرة^١. ثم ان الخليفة عبد الملك بن مروان فصل منطقة الجزيرة وجعلها جنداً مستقلاً اما معسكر الجابية فقد بقي، الى حين، بمثابة العاصمة. ثم نشأت معسكرات اخرى في جوار حصص وعمواس^٢ وطبرية^٣ (الجند الاردن) واللد (الجند فلسطين). وقد حل، في ما بعد، معسكر الرملة محل معسكر اللد.

وما ان استوطن الجنود العرب هذه المناطق المحتلة، حتى استحضروا اسرهم الى هذه المعسكرات. وكانت الكثيرات من زوجاتهم او جوارهم، ولا ريب، من سبايا البلاد المحتلة. ولما كان هؤلاء الجنود من المحاربين والمقاتلين، فقد كانت لهم من الحقوق والافضليات ما لم يكن للوافدين المتأخرين من الجزيرة العربية. وكان على رأس الجند القائد الاعلى والحاكم العام، الذي جمع في شخصه جميع السلطات التنفيذية والقضائية والعسكرية. الا انه ابقى على هيكل الجهاز الحكومي البيزنطي، واحتفظ بالموظفين الاهليين، الذين لم يغادروا البلاد ابان الفتح، في مناصبهم. ذلك لانه لم يكن لدى العرب رجال مدربون يحلون محل هؤلاء الموظفين. فضلاً عن ذلك، فقد كانت عنايتهم موجهة بالدرجة الاولى نحو توثيق سيطرتهم على البلدان المحتلة، وجباية الضرائب المرتبة على اهلها؛ وعليه فقد كانت الحكومة العربية الاقليمية، في دورها البدائي، سواء في سورية او مصر او العراق، حكومة عسكرية محضة، ذات هدف مالي واضح.

(١) ياقوت، ج ١، ص ١٣٦؛ البلاذري ص ١٣١ - ٣٢؛ قابل اليعقوبي ج ٢، ص ١٧٦؛ راجع الخارطة ص ٩ من هذا الجزء.

(٢) او هي عمواس؛ انجيل لوقا ٢٤ : ١٣.

(٣) هي طبرية الحديثة.

J. Wellhausen, *Das arabische Reich und sein Sturz* (Berlin, 1902), pp. 18, (٤)
20-21; tr. Margaret G. Weir, *the Arab Kingdom and its Fall*, (Calcutta, 1927),
pp. 28, 32.

طاعون عمواس

وقبل انصرام العام الذي عقد فيه مؤتمر الجابية (٦٣٩)، ظهر في عمواس وبأ مخيف، فتك في الجنود فتكاً ذريعاً وقضى، في ما روي، على زهاء ٢٠,٠٠٠ منهم، بينهم القائد الاعلى ابو عبيدة^١ وخلفه يزيد^٢ وعلى الاثرعين عمر معاوية في مكان اخيه الاكبر يزيد، وكان ذلك سنة ٦٤٠. وبقي معاوية لمدة عشرين سنة حاكماً على سورية وسيد الموقف فيها، واستمر لمدة عشرين سنة اخرى خليفة للمسلمين، نافذ السلطان في العالم الاسلامي. وحينما غدت سورية، في ابان حكمه قاعدة للخلافة، استهلت عهداً من القيادة والسيادة استمر ما يقرب من قرن.

معاوية في عهد ولايته

ان السياسة التي استنها معاوية الوالي هي السياسة التي اتبعها معاوية الخليفة، فتحقق له بذلك المقام البارز الثابت في عالم الشهرة بين العرب. فقد جعل نقطة الانطلاق في سياسته تعهد رعيته السورية الجديدة الذين كانوا الى حينه على النصرانية، وكذلك القبائل العربية التي سبق ان استوطنت البلاد منذ العهد الجاهلي واعتنقت النصرانية، نظير الفساسة. ولقد كان الكثير من هذه القبائل ترتقي بنسبها الى عرب الجنوب، خلافاً للنازحين المتأخرين الذين كانوا من عرب الشمال. وقد اختار معاوية، زوجة له، امرأة مسيحية يعقوبية هي ميسون ابنة مجدل، من بني كلب من عرب الجنوب، احتفظت بدينها وغدت ام يزيد. وكان طبيب معاوية الخاص، وشاعر بلاطه مسيحيين ايضاً^٣. واحتفظ معاوية بمنصور بن سرجون^٤ مديراً للمالية

(١) لا تزال ذكراه، نظير ذكرى سواه من محاري المسلمين الاولين، تحيا كذكرى الاولياء.

(٢) اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٢؛ الطبري، ج ١، ص ٢٥١٦-٢٥٢٠؛ ابن عساکر، ج ١، ص ١٧٥-١٧٧.

(٣) انظر ماسياني في الفصل ٣٣ تحت مآثر اخرى والفصل ٣٨ تحت مواضيع الشعر والتربية والعلوم.

(٤) ورد ذكره في ص ٨ من هذا الجزء.

الدولة. هذا وان المدونات العربية لتشهد على الاخلاص الذي كان السوريون يكتفون
لحاكمهم الجديد، بداعي سياسته المستنيرة السمة^١.

وشرع معاوية بعد ذلك في تنظيم الولاية على اسس ثابتة، فعمد الى العناصر
الحام التي تألف منها الجيش وصهرها، ثم سبك منها جيشاً مدرباً من الطبقة الاولى،
هو الاول من نوعه في الاسلام. وبذلك ابطل النظام القبلي القديم الذي كان من
بقايا عهد الزعامات السلالية. ولم يعترضه اي تدخل من قبل المدينة، لان الخليفة
الجديد عثمان (٦٤٤ - ٥٦)، الذي تولى بعد عمر، كان نسبياً له، اذ كان كلاهما من
امية، وهي فرع ارستقراطي من فروع قريش. اما محمد فكان ينتسب الى عشيرة
اخرى من تلك القبيلة. وقد ابقى معاوية الجيش على قدم الاستعداد، بموالاته
الغارات الفصليّة على بلاد الروم.

بناء اول اسطول

ولقد ثبت لمعاوية ان جيشاً مخلصاً جيد التدريب لا يفي وحده بحماية منطقة
ساحلية. وكان قد ظفر في عكا باحواض بيزنطية لبناء السفن وافية التجهيز^٢، فعمد
الى تشغيلها بحيث غدت الاولى من نوعها، بعد دار الصناعة في الاسكندرية.
وكانت احراج لبنان آتت غضة، فكانت عند هذه الصناعة بالحشب اللازم. وقد
نقل الامويون هذه الاحواض، في ما بعد، الى مدينة صور^٣. وكان الاسطول
الاسلامي مجهزاً، ولا شك، بملاحين من الروم السوريين ذوي الخبرة الطويلة في
ريادة البحار.

قامت الحملة البحرية الاولى من عكا سنة ٦٤٩ مستهدفة جزيرة قبرس وقد

(١) الطبري، ج ١، ص ٣٤٠٩ - ١٠؛ المسعودي، ج ٥، ص ٨٠، ١٠٤؛ قابل العقد،
ج ١، ص ٢٠٧.

(٢) البلاذري، ص ١١٧.

(٣) البلاذري ص ١١٧ - ١٨؛ Guy le Strange, *Palestine under the Moslems* (Boston, 1890), p. 342.

اشبهت مدينة مسددة نحو قلب سورية. وكتب معاوية الى الخليفة عثمان يصف قرب الجزيرة من سورية فذكر «ان قرية من قرى حمص لسمع اهلها نباح كلابهم [اي كلاب الروم] وصياح دجاجهم حتى كاد ذلك يأخذ بقلب عمر» على ان عثمان لم يوافق على مشروع الحملة موافقة تامة بل اشترط على معاوية ان يصطحب زوجته ، للتدليل على قرب الجزيرة ، وعلى صحة تقديره لسهولة اخضاعها^٢. وقد جعلت هذه الحملة البحرية من معاوية الاميرال الاول في تاريخ العرب^٣. اما عمر ، الخليفة الذي سبق عثمان ، فقد رفض قطعاً ان يسمح بهذه الحملة البحرية ، كما سبق له ان فعل في ما اتصل بافريقيا . والتوصيات التي ارسل بها الى عمرو بن العاص تشهد على الرعب الذي يخالجه ابن الصحراء من البحر : «لا تجعل بيني وبينك ماء واتزلوا موضعاً متى اردت ان اركب راحتي واصير اليكم فعلت^٤» .

الاسطول البيزنطي يشرف على التلف

وقد اسفرت الحملة البحرية الاولى في تاريخ الاسلام عن كسب جزيرة قبرس ، واصلتهم الثانية (٦٥٤) الى جزيرة رودس . وبعد ذلك بعامين بيعت بقايا نصبها العظيم - وهو تمثال ابولو الذي بلغ ارتفاعه مئة وعشرين قدماً ، واعتبر احدي عجائب الدنيا السبع في العالم القديم - الى تاجر حطام معدنية ، روى انه استخدم لتفلقها تسع مئة جل . وفي سنة ٦٥٥ وقع اشتباك بحري بين الاسطول السوري يقوده بسر بن ابي ارطاة ، والاسطول المصري من جهة ، وبين الاسطول الرومي وهو بقيادة الامبراطور قسطنطين الثاني حفيد هرقل من جهة ثانية ، وذلك عند فونكس (فينيكي حديثاً) على ساحل ليكيا . واسفر الصدام عن اول انتصار

(١) الطبري ج ١ ، ص ٢٨٢٠ - ٢١ .

(٢) البلاذري ، ص ١٥٢ - ٥٣ .

(٣) «اميرال» لفظة من اصل عربي «امير البحر» لم تتسرب الى اللغات الاوروبية الا بعد العهد العربي الاسباني .

(٤) اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٨٠ ؛ قابل ابن الطقطقي - الفخري نشر ديرنبرغ (باريس ١٨٩٤ - ٩٥) ص ١١٤ .

بحري عظيم احرزهُ المسلمون . ولقد دعيت هذه المعركة في الاخبار العربية بذي (او ذات) الصواري^١، وذلك اما لان المكان كان مكتظاً بأشجار السرو . او تبعاً للعدد العظيم من الصواري التي ارتفعت من السفن الكثيرة التي اشتبكت في القتال . ولقد عمد العرب فيها الى ربط كل سفينة عربية بسفينة رومية ، محولين بذلك المعركة البحرية الى قتالٍ بالسلاح الابيض ، وهو القتال الذي القوه . فأنزلت هذه الواقعة في القوات البحرية البيزنطية ما انزلته في قواتهم البرية واقعة اليرموك^٢، اي انها ابادتهم . وقد ذكر الطبري^٣ ان مياه البحر غدت مشبعة بالدماء .

على ان معاوية لم يستطع ان يستغل هذه الانتصارات التي احرزها القواد وامراء البحر ، استغلالاً تاماً . اذ كان العالم الاسلامي يتمخض باضطرابات داخلية تنذر بنشوب حرب اهلية . لذلك بدا له من المناسب ، في سنة ٦٥٨ او ٦٥٩ ، ان يعقد هدنة مع قسطنطين الثاني في مقابل دية ، يدفعها اليه سنوياً ، اتى على ذكرها ثيوفانس^٤ وأشار اليها البلاذري إشارة عابرة^٥ . لكن دفع الدية لم يلبث ان توقف ، واستؤنفت من ثم الاعمال العدائية ، ضد العدو الرابض ابدأً في الشمال ، براً وبحراً .

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر واخبارها ، نشر شارل توري (ليدن ، ١٩٢٠) ص ١٨٩ — ٩٠ ؛ الطبري ، ج ١ ، ص ٢٨٦٥ ، ٢٩٢٧ .

(٢) Theophanes, pp. 332, 345-6 .

(٣) الطبري ، ج ١ ، ص ٨٦٨ .

(٤) Theophanes, p. 347 .

(٥) البلاذري ص ١٥٩ .

الفصل الثاني والسدسون خلافة الراشدين

شهد الاسلام في ١٦ حزيران ٦٥٦ اول حادثة اغتيال فيها خليفة بيد مسلم^١. والخليفة هو عثمان ابن عفان، ثالث الخلفاء الراشدين. وانما عرف الخلفاء الاربعة الاول بالراشدين لانهم كانوا جميعاً من اقرباء النبي المقربين وصحبه الملازمين، ولانهم حاولوا ان يسيروا في تدبير امور الدولة سيرته ويأتوا بتوجيهاته وارشاداته. ذلك ان ما فرضته عليهم شخصية محمد وسيرته من الهيبة كان لا يزال عاملاً فعّالاً في حياتهم. وقد كانوا جميعهم إلا عثمان من المؤمنين الاولين، وكانت المدينة عاصمتهم.

الخلفاء الراشدون

١	ابو بكر	...	٦٣٢ - ٦٣٤
٢	عمر	...	٦٣٤ - ٦٤٤
٣	عثمان	...	٦٤٤ - ٦٥٦
٤	علي	...	٦٥٦ - ٦٦١

ولم يوص احد من هؤلاء الخلفاء بالخلافة لابنه من بعده، ولا اسس سلالة

(١) المراد بالخليفة: خليفة محمد بكل اعتبار ما عدا النبوة؛ كان محمد خاتم الانبياء فلا يمكن ان يكون له خليفة. وعليه فالخلافة منصب مدني محض. واذ لم يكن في الاسلام نظام كهنوتي ولا سلطة كهنوتية امتنع ان يكون على رأسه رجل يقابل البابا. اما الرأي المخالف الخاطي* فلم يلق انتشاراً واسماً حتى اواخر القرن الثامن عشر. انظر: Hitti, *History of the Arabs*, pp.185-6

مالكة. بل قد ولي كل منهم بالبيعة ؛ وهي ان يتقدم زعماء الناس وشيوخ القبائل، ويأخذوا بيد المرشح ، فعلاً او رمزاً ، دلالة على الولاء .

عهد الراشدين عهد المشيخة

عاش الخلفاء الراشدون في نظام مشيخي بسيط ، لكنهم انجزوا الكثير من جليل الاعمال . فأبو بكر ، وهو حو النبي واكبر منه بثلاث سنوات ، اخضع الجزيرة العربية ، ورد اليها الحياة الهادئة ؛ وقد اطلق عليه ، بفضل سلامة طويته ، لقب الصديق . وكان عمر السابق الى جعل سنة الهجرة (٦٢٢) السنة التي بدأ منها العصر الاسلامي ؛ وهو الذي رعى سير الفتوحات في اقسام كبرى من العالم المعروف حينذاك ؛ وكان البادي في انشاء ديوان الدولة ، وتنظيم حكومات الولايات في المناطق المحتلة . وقد سقط عمر بطعنة من خنجر مسوم سدها اليه مولى نصراني فارسي^٢ ، ولكن عمر ترك في التاريخ ذكراً حياً رفعه الى مرتبة اعظم رجل في العهد الاسلامي الاول بعد النبي .

كان عثمان عنصراً غريباً في سلسلة متناسقة من الشخصيات . فقد كان من بيت امية وهو فرع ارستقراطي من قريش قاوم الدعوة الى ان سقطت مكبة في يد محمد ٦٢٩ - ٦٣٠ . وذلك قبل وفاة النبي بعامين . وكان بنو امية حماة الكعبة فكاثوا يجنون من حج الناس اليها موارد ذات بال . لذلك كان قبول الدعوة يلحق بهم من الاضرار ما لا يصيب سواهم ممن قبلوها وقد تم في خلافة عثمان جمع القرآن وضبط نصه بما اعطى كلام الله شكلاً ثابتاً لا يقبل التغيير ، حافظ عليه حتى الوقت الحاضر . وتحقق في عهده فتح فارس واذربيجان وقسم من ارمينيا . على ان سيرته لم تكن خالية من اسباب اللوم ، اذ ولي أخاه بالرضاعة على مصر وكان واحداً من عشرة اشخاص اقصاهم محمد يوم دخل مكة ؛ وعين أخاه من أمه والياً

(١) هذا الديوان الذي نظم دخل الدولة وخرجها نقل بعدئذٍ عن النظام الفارسي كما تدل لفظة ديوان الفارسية بالذات ؛ الفخري ص ١١٦ ؛ الماوردي ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤ ؛ Hitti, *History of the Arabs*, p. 172.

(٢) الطبري ، ج ١ ، ص ٢٧٢ - ٧٣ ؛ يعقوب ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

على الكوفة . وكان قد اساء الى محمد ؛ واقام ابن عم له^١ اميناً على ديوان الدولة . اما الخليفة نفسه فقد قبل الهدايا من عماله ومن اعوانهم ، وكان منها جارية جميلة ارسلت اليه من البصرة . لذلك وجهت اليه تهم التحيز لاقربائه ، والحجابه في الحكم ، وعمد ثلاثة من الطامعين بالخلافة الى اشاعة السخط بين الناس . وكان هؤلاء الثلاثة من قريش ، وكان في طبيعتهم علي^٢ .

قضية علي

وقد كان لعلي ، من اول الامر ، مشايعون مخلصون ، يعتقدون دينياً انه هو صاحب الحق بالخلافة ، وانه كان ينبغي له هو ان يتولأها ، دون سواه ، بعد محمد سنة ٦٣٢ . فقد ذهب هؤلاء الى ان علياً كان اولي الناس بها لانه ابن عم النبي^٣ لحاً ، وكان الثاني او الثالث بين من آمنوا بالرسالة ، وزوجاً لابنة النبي الوحيدة (فاطمة) التي قدر لها ان تبقى بعده في قيد الحياة ، ووالداً للحسن والحسين وهم كل من ترك النبي من ذرية . بل قد ذهبوا الى ما هو ابعد من ذلك ، فاعتقدوا ان تولي هذا المنصب ، وهو ارفع منصب في الاسلام ، لا يمكن ان يكون قد ترك رهناً بيمول الناخبين وتزواتهم . وانه لا بد من ان يكون الله ومحمد قد اعدا له ما يلزم ، وان علياً هو الشخص الذي اعداه له . وهذا من شأنه ان يجعل علياً الخليفة الشرعي الوحيد للنبي ، وينزل خلفاءه الاخرين بمنزلة المعتصين . وقد تقرر عند هؤلاء المشايعين ان الولاية بعد علي انما هي لذريته وذلك بحكم الحق الموروث .

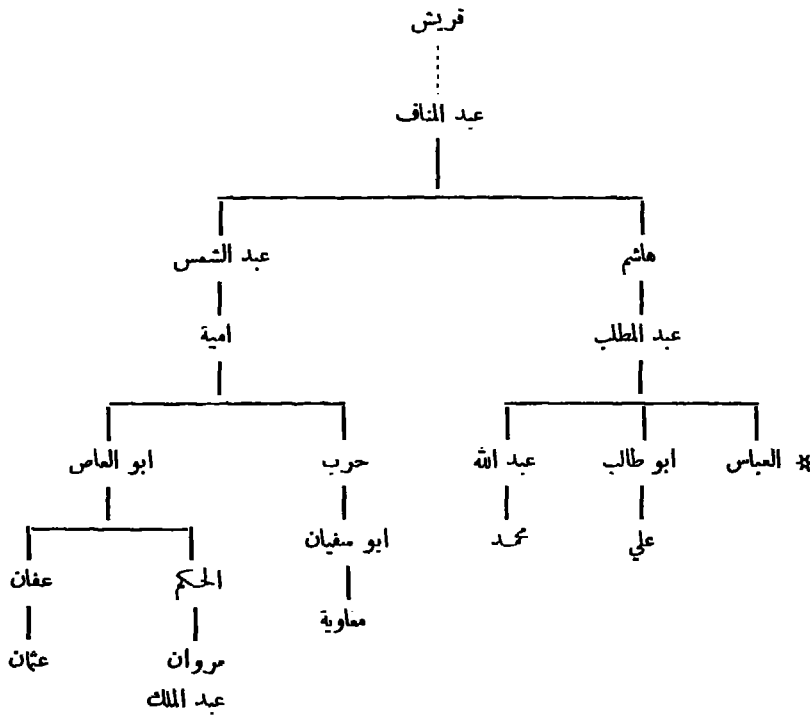
ثم ان العلويين نظموا حزباً قوياً في الكوفة . ومن الكوفة انبعث شرارة

(١) هو مروان بن الحكم ، الذي غدا في ما بعد احد خلفاء الامويين ؛ انظر الجداول التي سيأتي في الفصل ٣٤ في الهامش .

(٢) اما الآخرون فيها طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وهما من المؤمنين الاولين وقسماء الصحابة ، ومن العشرة المبشرة الذين وعدهم النبي بالجنة .

(٣) الشكل التابع يوضح صلة القرابة التي تجمع بين علي وعثمان ومعاوية ومحمد : (في ذيل الصفحة التالية) .

الفتنة ضد عثمان ، ومنها امتدت الى مصر ، فصار منها خمس مئة تأثر نحو المدينة في نيسان ٦٥٥ . وقد حاصروا الخليفة الشيخ في بيته ، وكانت اليد السابقة الى اغتياله يد ابن ابي بكر صديقه وقد هوت عليه فيما كان يقرأ المصحف الذي سبق له ان جعله المصحف الام . وبعد مداولة قصيرة ببيع علي بالخلافة .



* الذي ينتسب اليه الخلفاء العباسيون .

(١) هنالك مدن عديدة تدعي شرف الاحتفاظ بهذا المصحف ، ودم عثمان يطلع منه الصفحة التي ورد فيها قوله تعالى : ٢ : ١٣١ - ١٣٣ : « اذ قال له ربه اسم . قال اسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون . ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تبدون بعدني . قالوا نعبس اهلك اياك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحداً ونحن له مسلمون » وقد قيل لابن بطوطة اذ زار احد مساجد البصرة سنة ١٣٢٦ ان فيه مصحف عثمان . انظر : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، نشر وترجمة C. Defrémery و B. R. Sanguinett ج ٢ (باريس ١٨٩٤) ص ١٠ - ١١ .

خلافة علي

كانت خلافة علي حافلة بالقلاقل من اولها الى منتهاها. وكانت مشكلته الاولى: كيف يتخلص من منافسيه الباقين طلحة والزبير، وقد رفضا واتبعهما في الحجاز والعراق ان يعترفوا بولايته. وقد زاد موقف المعارضين قوة انضمام عائشة، زوجة النبي الاتيرة، الى صفوفهم. وكانت عائشة تضرر لعلي بغضاً دفيناً: ذلك ان علياً اثار حولها ريبة في صباحها اذ تخلقت يوماً عن ركاب النبي في بعض اسفاره. فجاء علي الاثر الوحي من الله مؤيداً لها ناطقاً ببراعتها^١. وقد التحمت المعركة في ظاهر البصرة في ٩ كانون الاول سنة ٦٥٦ ودعيت «يوم الجمل» نسبة للجمل الذي كانت عائشة راكبة عليه. وقد صرع في هذه المعركة منافسا علي كلاهما^٢، واسرت عائشة، وعوملت بما يليق بـ «أم المؤمنين». وهكذا انتهت الحرب الاهلية الاولى في الاسلام. واقام علي في الكوفة عاصمته الجديدة وكأنه الخليفة غير المنازع. لكن العهد لم يطل حتى أنت الحرب الاهلية الثانية.

معاوية في الميدان

ولم يحجم عن مبايعة علي الا واحد من الولاة هو معاوية. ومعاوية، وهو والي ورية ونسيب عثمان، برز الآن مطالباً بثأر الخليفة القتيل. وقد طبع الحادث بالطابع الروائي فاخذ يعرض، في مسجد دمشق، قميص عثمان المبلط بالدم والانامل التي قطعت من يد زوجته نائله فيما كانت تدافع عنه^٣. وهي عربية سورية من بني كلب نظير زوجة معاوية. ولقد كان معاوية حريصاً على اخفاء اغراضه الخاصة، لكنه صرح علياً بامر اوقعه في ورطة وبيلة اذ جعله بين امرين: فإما ان يعاقب القاتلين، او ان يقر ضمناً بالتواطؤ معهم. والاقتصاص من القاتلين كان بما لا

(١) سورة النور، ١١، ١٢.

(٢) الطبري، ج ١، ص ٣٢١٨ وما بعد.

(٣) الفخري، ص ١٢٥، ١٣٧.

يقدم علي عليه، بل ولا يقوى عليه. لكن المسألة في أساسها كانت تتجاوز الاعتبارات الشخصية الى مركز الزعامة في العالم الاسلامي: هل يكون في العراق ام في سورية، وفي مدينة الكوفة ام في مدينة دمشق؟ اما المدينة المنورة فلم تكن في الحسبان. ذلك لان الفتوحات الواسعة كانت قد زحزحت قلب الدولة الى الشمال، واحالت العاصمة السابقة الى مقام فرعي.

الحرب الاهلية الثانية

واخيراً التقى الجيشان في سهل صفين^١: الجيش العراقي بامرة علي، والسوري بامرة معاوية. وبعد مناوشات استمرت بضعة اسابيع نشبت المعركة في ٢٦ تموز سنة ٦٥٧. وبعد ثلاثة ايام من القتال الشديد بات النصر في جانب علي واوشك ان يتم له، واذا بالمصاحف ترفع على أسنة الرماح! وقد اعتبرت هذه البادرة - كائناً ما كان المفهوم منها - بمثابة دعوة للجانبين الى تحكيم القرآن في موضوع النزاع مكان السلاح. وانما كانت حيلة لجأ اليها عمرو بن العاص، قائد رجال معاوية، وهو من عرف بالكر الشديد والدهاء البالغ. وعلى الاثر توقف القتال، ووافق علي بوحى تقاه وسلامة طويته. على اقتراح معاوية بتحكيم كلام الله حقناً لدماء المسلمين^٢.

التحكيم

عين علي ممثلاً عنه في التحكيم ابا موسى الاشعري، وهو رجل لا يشوب تقاه ريب، الا ان ولاءه لعلي كان موضعاً للشك. وقد تحدّاه معاوية بعمرو بن العاص، وهو بين دهاء العرب الاربعة في الاسلام^٣، ومنهم معاوية نفسه^٤. فعقد الحكمان،

(١) هو سهل الى الجنوب من الرقة على ضفة الفرات الغربية. الطبري، ج ١ ص ٣٢٥٦ وما بعد؛ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١٨ وما بعد؛ الدينوري، الاخبار الطوال، نشر Vladimir Guirgass (لندن، ١٨٨٨) ص ١٧٨ وما بعد.
(٢) للاطلاع على نص قرار التحكيم راجع الدينوري، ص ٢٠٦ - ٢٠٨.
(٣) السعودي، ج ٤، ص ٣٩١؛ ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، ج ٥ (القاهرة، ١٩٠٧)، ص ٣.
(٤) لمعرفة الاثنين الآخرين انظر ما سيأتي في الفصل ٤٣ الفقرة عن إخضاع العراق.

وفي صعدة كل منهم اربع مئة من الشهود، اجتمعاً عاماً في كانون الثاني سنة ٦٥٩ في اذرح، على طريق القوافل بين دمشق والمدينة .

والخبر الشائع هو ان الحكمين اتفقا ضمناً على خلع الزعيمين، وجعل الامر مجدداً شوري بين المسلمين. ولكن بعد ان وقف ابو موسى، وهو اكبر الاثنين سناً، واعلن انه قد خلع صاحبه، عمد عمرو الى الحدة وايد زميله في خلع علي^١. على ان الناقدين المحققين في العصر الحاضر يميلون الى الاعتقاد بان الذي جرى فعلاً هو ان كلا الحكمين خلعا كلا الزعيمين . وهذا مؤداه ان علياً وحده هو الذي خلع اذ لم يكن معاوية خليفة بعد^٢. وواقع الامر ان التحكيم بالذات قد رفع منزلة معاوية الى مقام علي، او حط مقام علي الى مستوى منزلة معاوية، اذ ان قرار الحكمين ازال علياً عن منصب فعلي في حين انه اقصى معاوية عن ادعاء وهي لم يكن قد تجاسر غلى المجاهرة به . والحق ان معاوية لم يجاهر بطلب الخلافة الا بعد مضي سنتين على التحكيم، وكان علي آنذاك قد قضى نحبه .

وفي صباح ٢٤ كانون الثاني سنة ٦٦١، بينما كان علي في طريقه الى المسجد في مدينة الكوفة سدد اليه احد الخوارج طعنة صائبة بخنجر مسموم وقعت في جبهته. والخوارج جماعة من اتباع علي انشقوا عنه واتخذوا شعاراً لهم «لا حكم الا لله^٣»، وانقلبوا عليه وغدوا له اعدائه فعدوا بذلك الفرقة الاولى في الاسلام . على ان حادث الاغتيال هذا قد وقع بدافع شخصي محض^٤. وبقي المكان المنغزل الذي دفن فيه علي بظاهر الكوفة سراً خافياً طيلة العهد الاموي و صدر العصر العباسي ،

(١) قابل الفخري ، ص ١٢٧ - ١٣٠ ؛ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ - ٢٢٢ ؛ الطبري ، ج ١ ، ص ٣٣٤٠ - ٣٣٦٠ ؛ السعدي ، ج ٤ ، ص ٣٩٢ - ٤٠٢ .

(٢) H. Lammens, « Etudes sur le règne du Calife Omayyade Mo'awia 1er », *Mélanges de la faculté orientale*, vol. ii (1907), pp. 17-32; Wellhausen, pp. 57-9; Caetani, vol. x, pp. 6-76.

(٣) الفخري ، ص ١٣٠ ؛ قابل القرآن الكريم : سورة يوسف : ١٧٠ .

(٤) المبرد ، الكامل ، نشر William Wright (لندن ، ١٨٦٤) ص ٥٤٨ - ٥٥١ .

حتى وقع عليه هارون الرشيد اتفاقاً سنة ١٣٩١. وهذا هو مزار علي او «المشهد» في النجف وهو من اهم مناسك الحج في الاسلام واهمها على الاطلاق لدى الشيعة.

ولقد تبين ان تأثير علي ميتاً كان اشد منه وهو في قيد الحياة. اذ لم يلبث ان غدا في نظر مشايخه امامهم الاكبر وولي الله عليهم. ولئن كان يعوزه الكثير من مقومات الخلق السياسي، فقد كان غنياً بالمواهب التي تكون، في نظر العربي، الانسان الكامل. فقد كان فصيح اللسان، صائب الرأي، باسلاً في القتال، مخلصاً لاصدقائه، جباراً في نظر خصومه. وقد رفعته الاخبار المروية الى مثال الفتوة الاعلى، وحف باسمه من الامثال والخطب والحكم والاشعار والنوادر ما جعل منه «سليماً حكيماً» آخر. فسيفه ذو الفقار، الذي قيل انه كان بيد النبي في معركة بدر المأثورة^٣ قد خلده هذا البيت السائر من الشعر :

لا سيف إلا ذو الفقار ر ولا فتى إلا علي

ثم ان معركة «الفتيان» في الاسلام التي نحت فيما بعد نخباً شبيهاً بمنظمات الفروسية في العصور الوسطى اتخذت من علي نموذجاً لها، وكذلك اعتبرته جماعات عديدة من الدراويش عماداً ومثالاً اعلى. وبقي في نظر الكثير من اتباعه، على مر العصور، الامام المعصوم، وغدا في نظر الغلاة منهم تجسيدا للغة الالهية^٤.

(١) للاطلاع على اقدم التفاصيل عن هذا المنعرج راجع ابن حوقل، ص ١٦٣.

(٢) «المشهد» مكان الشاهد، والشاهد من شهد ان لا اله الا الله، لا من سقط شهيداً من اجل حكمة الشهادة. اما اللفظة «مقام» فمنها حرفياً مكان القيام، لكنها تعني اصطلاحاً، موضعاً حل فيه احد الاولياء. وكثيراً ما نستعمل احدى اللفظتين مكان الاخرى.

(٣) للاطلاع على اخبار هذه المعركة راجع : Hitti, *History of the Arabs*, pp. 116-17.

(٤) انظر ما سيأتي في الفصل ٣٢.

الفصل الثالث والسبعون

معاوية مؤسس الخلافة الأموية

نودي بمعاوية خليفة في ايلياء (القدس) في اوائل سنة ١٦٠ ؛ لكنه اختار ان يجعل مدينة دمشق عاصمة لخلافته . فقد كانت القدس اقرب الى البدو والعرب من عاصمة الاراميين القديمة والقاعدة الحديثة للحكومة البيزنطية الاقليمية ، وكانت المدن الساحلية معرضة للهجوم البحري ؛ وكان يحمي المدينة والكوفة الصحراء من الراء .

ازاحة المطالبين بالخلافة من الطريق

وقد كان هم معاوية الاول ان يتخلص من المطالبين بالخلافة ، وان يهدى الاحوال ، ويعمل على تحقيق الاستقرار . فوفق الى ان يعمل مع جماعة من القواد ندر وجود امثالهم بعد ذلك في الاسلام . وكان عمرو بن العاص ، ساعده الايمن قد انتزع مصر (٦٥٨) من سلطة المشايخين لعلي ، فكان كأنا فتاح مصر للمرة الثانية . ثم تولاهما لمعاوية^٢ ، واستمر عليها حتى وافاه الاجل سنة ٣٦٣ . اما الحجاز فكان بطبيعة الحال فاتراً في ولائه للخليفة الجديد ؛ ذلك ان مكة والمدينة لم تنسيا ان الامويين تلكأوا في اعتناق الاسلام ، وان اعتناقهم له كان على سبيل المصلحة ، اكثر منه بداعي الاقتناع والايان . لكن مهد الاسلام في هذه الاثناء

(١) في شوال سنة ٤١ هـ على ما ذكره السعودي ، ج ٥ ، ص ١٤ ؛ وسنة ٤٠ هـ على ما في الطبري ، ج ٢ ، ص ٤ ، واليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

(٢) ابن الاثير ، ج ٣ ، ص ٢٩٥ وما بعد .

(٣) اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ - ٦٣ ؛ الطبري ، ج ١ ، ص ٣٤٠١ - ١١ .

لم يكن مبعثاً لقلقل ذات بال . واما العراق فقد عمد فوراً وعلانية الى الوقوف بجانب الحسن الابن الاكبر لعلي من فاطمة . اذ كان الحسن في رأي العراقيين الخلف الشرعي الوحيد لوالده الذي ذهب ضحية للاغتيال . لكن معاوية استطاع ، على اثر حملة صاعقة (٦٦١) ، أن يحصل من منافسه على تخلٍ صريح عن جميع مطالبه (مدعياته) . وكان الحسن على كل حال اميل الى الانقطاع الى الشؤون العائلية منه الى الاضطلاع باعباء الحكم ، فعمد الى التنازل لمعاوية في مقابل عطاء سنوي وافر عين هو مقداره ، ثم تحول الى المدينة ، وعاش فيها حياة رغد ورفاهية . وكان هذا العطاء على مدى الحياة ، وقد اشتمل على خمسة ملايين درهم^١ من بيت مال الكوفة ، وعلى الوارد من احد اقاليم فارس ؛ وتضمن جعلاً سنوياً لاختيه الاصغر الحسين مقداره مليوناً درهم لمدة حياته^٢ . وبعد نحو من ثماني سنوات توفي الحسن في المدينة وله من العمر خمسة واربعون عاماً . وكان الحسن كثير الزواج والطلاق حتى لقب بالطلاق ، فقد تزوج وطلق نحواً من مئة امرأة . وكان في ما يبدو مصدوراً ، لكن من المحتمل ان يكون قد مات مسموماً^٣ ، بفعل مكيدة نسائية . الا ان اتباعه القوا التبعة على معاوية ، واعتبروا الحسن شهيداً ، بل سيد الشهداء .

هدوء موفق في العراق

وجعل معاوية على الكوفة (٦٦١) - وهي يوم ذاك على جانب من المذلة والهياج والضعف - المغيرة ابن شعبة ، من اهل الطائف في الحجاز ؛ وكان والياً على البصرة في خلافة عمر ، فعزله عنها لسوء سيرته^٤ . وقد وصف المغيرة بأنه لو كان

(١) درهم في الفارسية ، دراخمه في اليونانية ؛ وهو الوحدة الفضية في نظم النقد العربي . وكان عادة ١٠/١ او ١٢/١ من الدينار (انظر ص ٢١ من هذا الجزء حاشية ١) لكن قيمته الحقيقية كانت كثيرة الاختلاف .

(٢) الطبري ، ج ١ ، ص ٣ ؛ الدينوري ، ص ٢٣١ ؛ ابن حجر ، ج ٢ ، ص ١٢ - ١٣ .

(٣) البعقوني ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

(٤) البلاذري ، ص ٢٥٦ ، ٣٤٤ - ٤٥ ؛ ابن الاثير في « اسد الغابة » ، ج ٤ ، (القاهرة ، ١٢٨٦) ، ص ٤٠٧ .

داخل سبعة ابواب ، موصدة دونه ، لاستطاع بدهائه ان يحطّم اقفالها . وفي اثناء الفوضى التي عقت اغتيال علي ، زوّر المغيرة شهادة عن لسان معاوية ، عين فيها نفسه قائداً لموكب الحجاج الى الحجاز . وقد تمكن بوصفه حاكماً ان يضرب الخوارج بالشيعية ، والشيعية بالخوارج ، وان يلاشي مقاومة العلويين ، وبوطد هيبة بني امية في ولايته . فاحرز بذلك مكانة جعلته احد دهاة السياسة الاربعة في الاسلام^١.

وقد تولى العراق بعد المغيرة ربيبه زياد ابن ابيه ، الداهية السياسي الرابع . ومنع ان زياداً كان قد عمل على تأييد العلويين في فارس . فان معاوية استلحقه بصورة سافرة ، رغبة في استغلال مؤهلاته النادرة ، وهو ابن لايه — ابي سفيان من بغمي كانت في الطائف^٢ . ولما كان الناس على شيء من الاوتياب في امر ابيه فقد كني بـ « ابن ابيه » . ثم ان ولاية زياد على الكوفة اتسعت حتى ضمت ، فضلاً عن العراق ، بلاد فارس والاقطار العربية التابعة ، فعدا بذلك حاكماً على النصف الشرقي من الامبراطورية الاسلامية . واستطاع زياد — وهو المستلحق بنسب ابي سفيان — بعينه الساهرة على الاحداث في ولايته ، وبسعه المرفه ، وبسيفه الماضي ، ان يحمل القطر التائر على البقاء في الفلك السفياني . اما ما اثاره البدو ، وسائر العرب ، من مشاكل في البصرة والكوفة ، فقد عاجلها بنقل خمسين الفاً منهم الى شرقي فارس^٣ .

موجة الفتوحات الثانية

بعد ان استقرت الاحوال نوعاً في بلاد المسلمين ، سمت بمعاوية همته العجيبة نحو

(١) انظر ما سبق في ص ٤٣٢ .

(٢) ورد ذكر هذا الاستلحاق في المسعودي ، ج ٥ ، ص ٢٠ - ٢٢ ؛ والطبري ، ج ٢ ، ص ٦٩ - ٧٠ ؛ وابن عساکر ، ج ٥ ، ص ٤٠٩ - ١٠ ع .

(٣) البلاذري ، ص ٤١٠ ؛ الطبري ، ج ٢ ، ص ٨١ ، ١٥٥ - ٥٦ . وكان قد سبق ذلك عمليات نقل اخري في الشرق الادنى ، راجع الجزء الاول ص ٢١٣ - ١٤ ، ٢٢٠ .

البلدان المجاورة ، فوجه اليها الحملات برأً وبحراً . وكان هدف الحملة البحرية الامبراطورية البيزنطية^١ . وكان ما تم على يد معاوية من فتوحات يؤلف الموجة الثانية من حركة التوسع الاسلامي ، وقد جاءت بعد فترة حفقت بالفتن الداخلية^٢ . وكان رائد الموجة الاولى ابو بكر الصديق ، وقد بلغت ذروتها في عهد عمر .

وقد جرت حركة التوسع برأً في عهد معاوية في مجريين : احدهما شرقي والآخر غربي . وكانت البصرة ، وهي في عهدة زياد ، القاعدة الاساسية للحملة الشرقية التي استكملت اخضاع خراسان (٦٦٣ - ٧١) ، واجتازت نهر جيحون^٣ ، واجتاحت بخارى في اقاصي تركستان (٦٧٤)^٤ ، وفتحت من المدن مرو وبلخ وهراة ، وسواها من المدن التي قدر لها ان تصبح في ما بعد من ابرز مراكز العلم في الاسلام . وقد عادت الجيوش الى البصرة بكثير من الاسلاب التي غنمتها من قبائل الترك الجائلة في ما وراء جيحون . هكذا حصل اول اتصال بين العرب والترك - ذلك الاتصال الذي كتب له ان يلعب دوراً هاماً في تاريخ الاسلام بعد حين .

اما حركة التوسع غرباً ، فكان قائدها عقبة بن نافع ، وهو ابن خالة عمرو بن العاص ، فاتح مصر وحاكمها^٥ . ففي سنة ٦٦٣ عين عمرو ابن خالته على إفريقيا (افريقيا حديثاً)^٦ ، فانشأ نافع هناك مدينة القيروان (٦٧٠)^٧ ، وجعلها قاعدة

(١) سيماليج هذا الموضوع في الفصل التالي .

(٢) انظر ما سبق في ص ٣٠ - ٣١ من هذا الجزء .

(٣) انظر ما سيأتي في الفصل ٣٦ في الفقرة عن اخضاع ما وراء النهر .

(٤) اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ ؛ البلاذري ، ص ٤٠٩ - ١٠ ؛ الطبري ، ج ٢ ، ص ١٦٦ وما يتبع .

(٥) ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ١٠ - ١١ .

(٦) إفريقيا الصغرى هي تونس الحديثة والاسم محرف عن الاصل اللاتيني « إفريقيا » ، اخذه العرب عن الرومان ، واطلقوه على القسم الشرقي من بلاد البربر ، واطلقوا لفظة « المغرب » على القسم الغربي فقط .

(٧) « القيروان » : من لفظة فارسية الاصل هي « كادوان » . راجع بشأن حملة عقبة : ابن عبد الحكم ، ص ١٧١ ، ١٩٤ - ٩٥ .

حربية في وجه البربر . وقد بنى جانباً من هذا المعسكر بحجارة من خرائب قرطاجة في الجوار القريب ، فعدت القيروان الوريثة الاسلامية لقرطاجة القديمة . وباعتناق البربر للاسلام دفعوا الى الجيش العربي ، واستخدموا في الحملات التي واصلت الزحف في شمالي افريقيا ، وعملت في ما بعد على فتح اسبانيا ؛ وبمساعمتهم استطاع نافع ان يخرج البيزنطيين من مناطق كثيرة من ساحل افريقيا الشمالي ولا يزال المكان الذي استشهد فيه نافع (٦٨٣) معروفاً بـ « سيدي عقبة » ، وهو يبعد بضعة اميال الى الجنوب الشرقي من بسكرة في الجزائر^١ . وقد غدا مدفنه مزاراً قومياً ومع ان زحف عقبة على شمالي افريقيا كان عملاً عسكرياً باهراً ، فانه كان — مثل نظيره في اواسط آسيا — قليل الفناء ، اذ لم يعقبه احتلال . لذلك كان لا بد من ان تعاد كرة الفتح ثانية هنا وفي ما وراء النهر^٢ .

مآثر اخرى لمعاوية

ثم ان هذه الحملات التي قام بها القواد ، على ضخامتها ، لم تشغلهم عن الشؤون المدنية . فقد تركت الادارة المالية في الدولة بايدي الخبراء الاكفاء من آل سرجون ، أسلاف القديس يوحنا^٣ . وغدا دخل بيت المال بحيث استطاع معاوية ان يضاعف اعطيات الجنود ، ويعزز الحصون القائمة على الحدود ، في وجه اعدائه الشماليين ، وان يحقق الكثير من مشاريع الزراعة والري في الحجاز ، وهو اجذب الاقاليم تربة ، وان يحمل العلويين والهاشميين على السكون عن طريق التخصصات المالية . وكان من الهاشميين العباسيون ، وهم اقرب الى النبي من بني امية ؛ وكانت النبي نفسه اول من شرع مبدأ « تأليف القلوب »^٤ . وكان من مآثر معاوية ايضاً ان انشأ في الدولة الدواوين ، ووضع الاسس لمصلحة البريد^٥ .

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٩١ .

(٢) انظر ما سيأتي في الفصل السادس والثلاثين عن اخضاع ما وراء النهر .

(٣) راجع ص ٢٣ و ٢٤ من هذا الجزء .

(٤) راجع القرآن ٦٠:٩ .

(٥) الفخري ، ص ١٤٨ ، قابل بما سيحي في الفصل السادس والثلاثين .

ولقد كان معاوية ، في شؤون الحرب والسلم ، من رعاياه السوريين ، مناصرون شديداً لاختلاص ، من المواطنين الاصليين ومن العرب الوافدين على السواء . وكان ستواد العرب السوريين من اصل يمني لا حجازي ، وكانوا — كما مر معنا — قد سبق لهم ان تنصروا . وكانت منهم ميسون زوجة معاوية ؛ قيل انه طلقها اذ رويت لها ابيات عبرت فيها عن شديد حنينها الى الصحراء ، وايتارها لزوج من طراز آخر ، منها قولها :

ليت تخفق الارباح فيه احب الي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني احب الي من لبس الشقوف
واكل كسيرة في كسريتي احب الي من اكل الرغيف
واصوات الرياح بكل وادٍ احب الي من نقر الدفوف^١

عين معاوية طبيبه المسيحي ، ابن اثال ، عاملاً على ولاية حمص . وهو تميم منقطع النظر لمسيحي في التاريخ الاسلامي^٢ . وكان شاعر البلاط في عهده الاخطل^٣ من بني تغلب ، وتغلب قبيلة مسيحية . وكان الموارنة واليعاقبة يرفعون اليه خصوماتهم الدينية ليقتضي فيها بينهم ، وفي الرها عمل مراراً على ترميم كنيسة مسيحية هدمها الزلزال^٤ . بمثل هذه السياسة السمحة والشهامة الفاتحة ، استطاع معاوية ان يمتلك قلوب السوريين ، وان يوطد مركز سورية في الامبراطورية الاسلامية

ولعل ابرز مزايا معاوية ما وصفه به مؤرخوه من الحلم^٥ — تلك اللبقة السياسية

(١) أبو الفداء ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .

(٢) اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ ؛ يعتبر وله وزن هذا الخبر ملفقاً ، انظر : Wellhausen, p. 85

(٣) انظر ما سيأتي في الفصل ٣٨ في الفقرة عن الشعر .

(٤) هذا اول ذكر ورد للموارنة في تاريخ العرب ؛ انظر : Wellhausen, p. 84 ; Th. Nöl-deke, Z. D. M. G., vol. xxix (1877), pp. 82-92.

(٥) Theophanes, p. 356.

(٦) الفخري ، ص ١٤٥ ؛ المقد ، ج ٢ ص ٣٠٤ ؛ السمودي ، ج ٥ ، ص ٤٠ ؛ Lammens in Mélanges, vol. i, pp. 66-108.

التي مكنته من ان يقوم دائماً بالعمل المناسب في الوقت المناسب . وقد عرقف هو هذه السياسة الفائقة بقوله : « لا اضع سني حيث يكفيني سوطي ، ولا اضع سوطي حيث يكفيني لساني ؛ ولو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ؛ اذا مدوها خليتها ، واذا خلوها مدتها » . وقد تجلت لبقته كذلك في الكتاب الذي ارسله الى الحسن يسأله فيه ان يتنازل له عن الخلافة ، قال : « اما بعد ، فانت اولى بهذا الامر مني لقربتك ، ولو علمت انك اضبط له واحوط على حريم هذه الامة واكيد لبايعتك ، فسل ما شئت » . وجعل مع الرسالة ورقة بيضاء مهورية بتوقيعه^١ . وبفضل مزية الحكم كانت صلاته الشخصية بمعاويه صريحة وودية ، فكان من شأن خصومه ان يدعوه اخا التغيل ، ويعلنوا ولاهم لعل في حضوره . وربما عمد اصدقاءه الى التعريض بعظم ردفه ، والى مكابדתه باسمه الذي معناه « كلبة عاوية » وبلقب اسرته « امية » وهو تصغير امة ، والامة : الجارية .

تعيين ولي العهد

وفي سنة ٦٧٩ عين معاوية ابنه يزيد خلفاً له ، وذلك قبل وفاته بستة اشهر (نيسان ٦٨٠) . وهو عمل لم يسبق له نظير في الاسلام . وكان يزيد قد نشأ في كنف امه في البادية ، لاسيما بادية تدمر ، حيث كانت قبيلتها المسيحية تنتقل^٢ . وكان وهو في العاصمة ، يخالط المسيحيين ايضاً ، وكان بين رفاقه المفضلين القديس يوحنا ، وهو بعد علماني ؛ وكان منهم الاخطل شاعر البلاط . وقد مارس وهو فتى في البادية الصيد وركوب الخيل ، وتمرس بالحياة الحشنة ؛ اما في المدينة فقد انكفأ الى معاورة الخمرة ونظم الشعر . وقد غدت البادية منذ ذلك العهد فمابعد « مدرسة

(١) اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ ؛ المقد ، ج ١٠ ، ص ١٠ .

(٢) الطبري ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(٣) السعدي ، ج ٥ ، ص ٦٩ - ٧٣ ؛ قابل بالطبري ، ج ٢ ، ص ١٧٤ - ٧٧ ؛ وابن الاثير ، ج ٣ ، ص ٤١٦ - ١٧ ، حيث قدم هذا التاريخ ثلاث سنوات .

(٤) Lammens in *Mélanges*, vol. iii pp. 189-229 .

في الخلاء» لانجال الامراء المنتمين الى الاسرة الحاكمة ، يلتمسون فيها الاستنجام ، ويستقيم لسانهم باللهجة العربية الخالصة^١، الخالية من رطانة الاراميين، وينجسون الى ذلك ، من الاوبئة التي كانت تبتاح المدن بين الحين والحين . ولعل تعيين معاوية لابنه يزيد ولياً للعهد ، كان قد تردد في خاطره زمنياً ما . يستنتج هذا من ارساله له سنة ٦٦٩ في الحملة البحرية على القسطنطينية^٢، وغرضه من ذلك ان يزيل من اذهان رجال الدين ما قد يكون خامرها من عدم جدارته ونقص مؤهلاته . اما الآن ، وقد تيقن من تأييد العاصمة له ، فقد استقدم الوفود من الامصار ، واخذ منهم البيعة لابنه الاثير . واما وفود العراق غير المواليين ، فقد اخذهم بالتمليق او الاكراه او الرشوة^٣.

وكان هذا الحدث البارز فاتحة مرحلة جديدة في التاريخ الاسلامي . اذ ادخل على نظام ولاية العهد مبدأ الوراثة^٤، فقد امن بعد النظام الذي جرت عليه اهم السلالات الاسلامية الحاكمة . وصار سابقة مكنت الخليفة الحاكم من ان يعين ، من ابنائه او انسبائه ، من يتوسم فيه الجدارة ، فيحقق له البيعة مقدماً . وكان من شأن هذا التعيين ان يعمل على تعزيز الاستمرار والاستقرار في الاحوال ، وان يثبط اطماع المطالبين بالسيادة ، والمنافسين في الحكم .

معاوية الملك، النموذجي

ومع ان الذي اداه معاوية لقضية العرب والاسلام كان منقطع النظر ، فانه لم يلق ، ولا قواده « الطغاة » ، عطفاً من مؤرخي العرب المسلمين . وليس تعليل ذلك بالامر العسير ؛ فان معظم هؤلاء المؤرخين كانوا من الشيعة ، او من علماء

(١) المقد، ج ١، ص ٢٩٣، س ٣٠ .

(٢) انظر ما سيأتي في الفصل ٣٤ الفقرة « بلوغ القسطنطينية » .

(٣) المقد، ج ٢، ص ٣٠٦ - ٩ ؛ ابن عساكر ، ج ٤، ص ٣٢٧ - ٢٨ .

(٤) بشأن ولاية العهد في خلافة الراشدين راجع ما سبق، ص ٢٧ من هذا الجزء .

العراق وفارس ، او من اعلام المدينة ^١ . وكانوا ، من حيث هم مؤرخون ، يمثلون وجهة نظر الفقهاء المحافظين الذين انكروا على معاوية تحويل الخلافة (الحكم الديني) الى ملك (حكم مدني) ^٢ . واعتبروه اول ملك في الاسلام . وقد كان العرب يكرهون هذا اللقب ، ويكادون لا يطلقونه الا على سلاطين الاعاجم . وقد اخذوا عليه ايضاً انه احدث الكثير من البدع المنكرة ، منها المقصورة ^٣ . وهي خوة في داخل المسجد للخليفة لا يصلي فيها سواه . ومنها القاء خطبة الجمعة وهو جالس ^٤ ، واتخاذ سرير الملك ^٥ . على ان الحق الذي لا رية فيه هو ان معاوية كان المثال المحتذى لمن تبعه من الخلفاء في علو الهمة ، ومدى التسامح ، وفرط الكياسة والدهاء . ومع ان الكثيرين منهم حاولوا ان يتأثروا خطاه ^٦ فان القليلين منهم قاربوا النجاح في ذلك .

(١) ان واحداً فقط من ممثلي علماء الشام بقي ذكره حياً هو ابن عساكر الدمشقي (١١٠٥ - ١١٧٦) .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة (القاهرة) ، ص ١٦٩ وما بعد ؛ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ .

(٣) اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ ، الدينوري ، ص ٢٢٩ ؛ الطبري ، ج ٢ ، ص ٧٠ ، ص ٢٠ ؛ المبرد ، ص ٥٥٢ ؛ ولقد انشئت المقصورة من اجل المحافظة على حياة الخليفة وذلك بعد المحاولة الفاشلة التي استهدفت الخليفة وهو يؤدي فريضة الصلاة .

(٤) كان عنر معاوية في ذلك انه اصبح في سنه الاخيرة بديناً جداً كبير البطن .

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢١٧ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، (القاهرة ، ١٩١٤) ، ص ٦ .

(٦) المسعودي ، ج ٥ ، ص ٧٨ ، ولا يزال مدفن معاوية في مقبرة الباب الصغير في دمشق يزار الى الآن .

الفصل الرابع والستون

الصَّلَاتُ الْعِصْدِيَّةُ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالرُّومِ

الحدود السورية

ان الحدود الفاصلة بين العرب والروم كانت في غضون العهد الاموي ، وفي العهد العباسي حتى منتصف القرن الثاني عشر ، السلسلتين المتقابلتين لجبال طورس . ولما كانت الدولتان العدوتان وجهاً لوجه ، على جانبي هذا الخط ، فقد سعت كل منهما في اول الامر ان تقصي الاخرى عنها بتحويل البقعة الفاصلة بينهما الى ارض مهجورة ؛ وكان لمعاوية فضل كبير في خلق هذه المنطقة الحرام^١ . الا ان بعض الحلفاء الامويين المتأخرين اتبعوا سياسة مغايرة ، كانت تهدف الى احراز موطى قدم هنالك ، عن طريق ترميم بعض المدن ، وتحويلها الى حصون ، وبناء حصون جديدة . وهكذا ضرب الامويون نطاقاً من التحصينات امتدت من طرسوس في كيليكيا حتى ملطية ، في اتجاه الفرات الاعلى ، مشتملاً على اذنه والمصيصة ومرعش . وكانت هذه المراكز مواقع استراتيجية اذ قامت عند تقاطع الطرق العسكرية ، او على مداخل الممرات الجبلية . وقد دعيّت بحق « العواصم » ، واطلقت هذه التسمية بنوع اخص على المعاقل الداخلية الجنوبية ، في مقابل الحصون الخارجية الشمالية التي عرفت بـ « الثغور »^٢ . وقد امتدت منطقة الثغور

(١) البلاذري ، ص ١٦٤ - ٦٥ ؛ ورد اسمها « الضواحي » في الطبري ، ج ٢ ، ص ١٣١٧ ، وفي ابن الاثير ، ج ٤ ، ص ٢٥٠ .

(٢) التمر ، وفي الاصل : التلة والشق ، قابل Guy Le Strange, *The Lands of the Eastern Caliphate* (Cambridge, 1930), p, 128.

عبر النخوم السورية والعراقية ، فعرف ما يحمي منها الارض السورية بالثغور الشامية ، وما يحمي العراق بالثغور الجزيرية^١.

ولقد تقلصت منطقة الثغور في عهد العباسيين ، فعدا امتدادها من اولاس على البحر المتوسط عبر جبال طورس حتى سيمساط على الفرات^٢. ولما كانت طورس قائمة على المدخل الذي يجتاز جبال طورس ، وهو المعروف بابواب كيليكيا ، فقد غدت قاعدة هامة للحملة الحربية الكبرى على بلاد الروم ، وحشد فيها جيش وافر العدد من الفرسان والمشاة. وكان هنالك ممر آخر عبر جبال طرسوس ، ليس مطروفاً كالاول ، يمتد من مرعش الى أبُلُسْتين^٣ ، ويعرف بدرب الحدث . وجميع هذه الحصون قد انتقلت مراراً وتكراراً من العرب الى الروم ، ومن الروم الى العرب ، لاذ كانت الحرب بين الجانبين سجّالاً ، والتصر مدأً وجزراً . ولقد قاتل العرب في المهديين الاموي والعباسي ، عن كل شبر من هذه الارض ، قتالاً ضارياً ، فكانت هذه الارض بحق « ارضاً حرماً » . ولعلها قد ارتوت من دماء القتلى اكثر من اية بقعة اخرى في آسيا .

جرت عادة العرب في خلافة معاوية وعبد الملك ، وسواهما من الخلفاء ، في كل عام ، على القيام بحملتين على بلاد الروم : حملة كبرى في الصيف (الصائفة) . وحملة ثانية ، على نطاق اصغر ، في غصون الشتاء (الثانية)^٤. وكان الغرض منها احراز الغنائم ، كما كان غرض البدو من غزواتهم . لكن الاماني ربما امتدت بعيداً بحيث راودها الاستيلاء على بيزنطية جملة . على ان القسطنطينية كانت من طرسوس على نحو ٤٥٠ ميلاً خطأً مستقيماً ، ولم يستطع العرب في وقت من الاوقات ان يحرزوا

(١) البلاذري ، ص ١٨٣ وما يتبع ، ص ١٦٣ وما يتبع .

(٢) الاصطخري ، ص ٦٧ - ٦٨ .

(٣) اليعقوبي ، ج ١ ، ص ٩٣ - ٩٤ ؛ قابل : Le Strange, p. 133 وقد كان اسمها البيزنطي Ablastha ، واليوناني Arabissus ، والعربي المتأخر « البستان » .

(٤) البلاذري ، ص ١٦٣ ، ص ١ .

مركزاً ثابتاً لهم في آسية الصغرى . فقد وجهوا جل جهودهم العسكرية نحو الطريق الاسهل ، وسيروا حملاتهم شرقاً وغرباً ، حتى لكان الطبيعة قد اقامت جبال طوروس لتكون على الدوام حداً فاصلاً بين البلدين . ثم ان المناخ في اناطوليا كان بالغ القساوة بالنسبة الى ابناء الصحراء . لقد تجمدت اللغة العربية على منحدرات طوروس الجنوبية ، ولم يقدر لها ان تغدو لسان بلد من بلدان آسية الصغرى ؛ ذلك ان سكان آسية الصغرى قد كانوا منذ اقدم العصور - عصور الحثيين - من غير العرق السامي .

بلوغ القسطنطينية

ولقد بلغت هذه الغزوات المتتابة في آسية الصغرى آخر الامر الى العاصمة وكان ذلك في سنة ٦٦٨م ، بعد ست وثلاثين سنة فقط من وفاة الرسول . وكانت تلك المرة الاولى التي وقعت فيها انظار المقاتلين العرب على المدينة العاتية ، القائمة على خليج البوسفور . وكان قائد هذه الحملة فضالة بن عبيد الانصاري^٢ ، وقد مضى فصل الشتاء في خلقيدونه (ضاحية القسطنطينية الآسيوية) . فقاسى جنوده كثيراً من قلة المؤن ، ومن داء الجدري وسواه من الامراض^٣ . وفي ربيع سنة ٦٦٩ ارسل معاوية ابنه المتبذل يزيد الى هذه الحملة بمدد ، على غير رغبة صادقة منه^٤ ، فعمل يزيد وفضالة على محاصرة القسطنطينية . وضربا نطقاً حول سورها المرتفع

(١) ابن الاثير، ج ٣، ٣٨١؛ الطبري، ج ٢، ص ٨٦، قابل ص ٢٧، حيث ورد ذكر هجوم سابق على القسطنطينية قاده يسر بن ابى ارطاة .

(٢) من الانصار وم في الاصل مؤمنو المدينة الذين استقبلوا النبي واعالوه عقيب هجرته من مكة سنة ٦٢٢ .

(٣) الاغانى، ج ١٦، ص ٣٣؛ النوري، نهاية الارب في فنون العرب (القاهرة ١٩٢٥) ج ٤، ص ٩١ .

(٤) Lammens in *Mélanges*, vol. iii, pp. 306-12; J. Wellhausen, « Die Kämpfe der Araber mit den Römern in der Zeit der Umayyiden » *Nachrichten von der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen, philologisch-historische Klasse* (Göttingen, 1902) pp. 423 seq.

المثلث . ومع ان الاسطول قد ساعد ولا شك في تضيق الحصار ، فانهم اضطروا الى رفع الحصار في ذلك الصيف ، اذ تسنى لبيزنطية ان تظفر بامبراطور جديد ذي حزم وعزم هو قسطنطين الرابع (٦٦٨ - ٦٨٥) .

وفي الروايات الاسطورية لهذا الحصار ان يزيد ابدى من الشجاعة وشدة البأس ما استحق به ان يلقب بـ «فتى العرب» . وقد ورد في الاغاني^١ ان هذه الجولات كان بعضها للروم على العرب وبعضها للعرب على الروم ، وانه كان كلما لاح النصر في جانب علت اصوات التهليل والابتهاج من خيمة فيه ، اذ كانت احدى الحيمتين لابنة ملك الروم ، والاخرى لابنة جيلة بن الایهم^٢ الملك الفسافي السابق ، وان الحية ثارت في صدر يزيد فاندفع آملاً ان يظفر بالاميرة الفسافية . والحق ان بطل هذه الاساطير انما هو ابو ايوب الانصاري ، لا يزيد بن معاوية ، وابو ايوب هذا كان في ما سبق يحمل راية النبي في المعارك . وهو الذي استقبل النبي في بيته على اثر هجرته الى المدينة^٣ . والاعخبار المنقولة تؤكد انه اصيب في اثناء الحصار بزحار ذهب بحياته ، وان قبره المزعوم خارج اسوار المدينة لم يلبث ان غداً مزاراً لنصارى الروم ، يقصدونه متى اصابهم جفاف ، لاعتقادهم بان الابتهاج فيه الى الله يستنزل المطر ويحيي بالري^٤ . وقيل ان الاتراك العثمانيين عندما حاصروا القسطنطينية ، بعد ذلك بزمان ، عثروا على هذا القبر ، اذ هدتهم اليه اشعة عجيبة ، بما يذكرنا بقصة كشف الصليبيين الاول «للحربة المقدسة» في انطاكية^٥ . وقد اقيم عنده مسجد ، فعدا رجل المدينة ولياً لدى ثلاث امم : العرب والروم والترك .

الحصار الثاني لمدينة القسطنطينية

لقد امتدت يد معاوية القوية عبر بلاد الروم مرتين الى داخل العاصمة

(١) الاغاني ، ج ١٦ ، ص ٣٣ .

(٢) راجع الجزء الاول ص ٤٥٠ .

(٣) البلاذري ، ص ٥ .

(٤) ابن الاثير ، ج ٣ ، ص ٣٨٢ .

(٥) انظر . ما سيأتي في الفصل ٥ في الفقرة عن انطاكية - الالة الثانية .

بالذات . وجاءت المرة الثانية بعد الاولى بخمس سنوات . وعرفت بحرب السنوات السبع (٦٧٤ - ٦٨٠) . اما المعارك البحرية بين الاسطولين فقد جرى معظمها في مضيق البوسفور وبحر مرمرة . وكان مما اطلال في امد هذه الاعمال الحربية احتلال العرب لشبه جزيرة بارزة من الشاطئ الاسيوي ، داخله في بحر مرمرة ، دعاها الروم سيزيكس^١ ، وسماها العرب « جزيرة ارواد » وقد جعلها العرب مقراً لجيشهم الغازي ، ياوون اليها في الشتاء ، وينطلقون منها على الروم في الربيع والصيف . علي ان اخبار هذه المعارك في المدونات العربية والبيزنطية متضاربة . وهي بذاتها شديدة التشويش والاضطراب . ولقد عزي الفضل في نجاة المدينة من يد العرب الى استخدام النار اليونانية . وهي اختراع جديد لمزيج شديد الاشتعال يقتدح فوق الماء وتحت على السواء . قيل اكتشفه لاجي^٢ دمشقي اسمه كالينيكوس ؛ وكانت هذه اول معركة استخدم فيها هذا « السلاح السري » . وقد كتم الروم قاعدة تركيب هذه المادة عدة قرون . ثم تسنى للعرب ان يعرفوها لكنها ضاعت من بعدهم الى اليوم . ولقد اسهبت الاخبار اليونانية في وصف الاضرار التي ازلتها هذه النار في سفن العرب ؛ وفيها ان السفن التي سلت من النار تحطمت في عودتها الى الشام^٣ عام ٦٧٩

والى هذه الحقبة ترجع حملات الاسطول العربي على عدد من جزر بحر ايجه ، ومياه المتوسط الشرقي . فعزيرة قبرس كانت قد وقعت في يدهم قبلاً ، وكانوا قد غزوا شواطئ رودس أولاً سنة ٦٥٤^٤ . ثم احتلوها حتى سنة ٦٧٢^٥ . وبعد عامين جرى احتلال اقريطش على ذلك النحو . اما صقلية التي قدّر لها ، في ما بعد ، ان تغدو ولاية زاهرة تابعة للدولة الاغلبية التي اجتاحتها من الشاطئ الافريقي ، فقد

(١) Theophanes, pp. 353-4 : الطبري ، ج ٢ ، ص ١٦٣ ؛ ابن الاثير ، ج ٣ ، ص ٤١٣ ؛ البلاذري ، ص ٢٣٦ .

(٢) Theophanes, pp. 353 seq.

(٣) انظر ما سبق ، ص ٥٢ من هذا الجزء .

(٤) البلاذري ، ص ٢٣٦ ؛ قابل : الطبري ، ج ٢ ، ص ١٥٧ .

بلقها اسطول معاوية سنة ٦٦٤ ، ووالى عليها هجمات كثيرة^١. وفي عهد سليمان بن عبد الملك نزل العرب في رودس ثانية ، واحتلوها حتى (٧١٧ - ١٨).

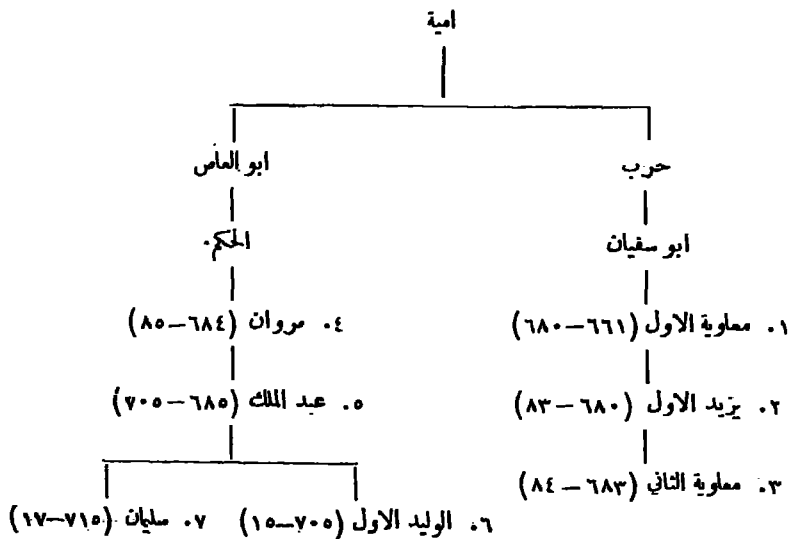
المهجوم الاموي الاخير على القسطنطينية

وفي السنوات الخمس والثلاثين التي عقت وفاة معاوية، ساد العلاقات العدائية بين العرب والروم شيء من السكون. فان العهد القصير الذي تولى فيه ابنه يزيد (٦٨٠-٨٣) حفل بالفتن الاهلية^٢؛ ولم يتجاوز عهد حفيده معاوية الثاني ثلاثة اشهر. وكان معاوية الثاني هذا فتى ضعيفاً سقيم الصحة . وكان والده يزيد غير خليق بتولي اعباء الحكم من بعد والده معاوية . على ان الحملات ضد الروم لم تستأنف حتى كان عهد سليمان ابن عبد الملك (٧١٥ - ١٧)، وهو احد افراد السلالة المروانية من بيت امية^٣. وفي حديث شائع ان الخليفة الذي يقدّر له ان يفتتح القسطنطينية ينبغي ان يحمل

(١) البلاذري ، ص ٢٣٥ .

(٢) انظر الفصل ٣٥ من اول مأساة الحسين حتى ولاية الحجاج .

(٣) تتجلى في الشكل التالي الصلة بين الفرع السفياني والفرع المرواني من الاسرة الاموية .



اسم النبي . ولما كان اسم هذا الخليفة سليمان ، وكان العرب يعتبرون سليمان الحكيم نبياً ، فقد اعتقد سليمان بن عبد الملك انه هو المقصود بالحديث . فحالما ولي الخلافة ، واصل ارسال المعدات والامداد التي كان اخوه الأكبر الوليد قد بدأها . وكان اخ آخر له ، هو مسلمة ، قد قاد حملة في اواخر عام ٧١٥ عبر بها آسية الصغرى ، ظاهرتها في الوقت نفسه حملة بحرية ، ولم يتهأ لاحدهما ان تمرز شيئاً من النصر . فبينما كان الاسطول عند كيليكيا ، في طريقه الى القسطنطينية ، نزل ملاحون بيزنطيون على الساحل السوري ، واحرقوا مدينة اللاذقية . وفي فرجيا تحطت الحملة العربية مدينة عمورية (اموريون ، اسار قلعة حالياً) بعد حصار غير مجد ، لكنهم ظفروا في مسيرهم غرباً باحتلال پرغاموم وساردس . وتمكنوا أخيراً من اجتياز الدردنيل عند ابيدوس . وفي ٢٥ آب ٧١٦ حاصروا القسطنطينية من ناحية البر ، وتيسر لهم بعد اسبوعين ان يلقوا عليها الحصار من جهة البحر . فرسا الاسطول العربي بمحاذاة اسوار المدينة على طول شاطئ مرمرة والبوسفور . واقل المدخل المؤدي الى « القرن الذهبي » بسلسلة كانت الحاجز الاول من نوعه في التاريخ .

كان هذا الهجوم على عاصمة الروم اشد هجوم قام به العرب عليها ، واوفر الحملات حظاً من عناية المؤرخين في تدوين اخبارها فقد وصل الى المحاصرين امدادات من الاسطول المصري . واستخدموا ضد الروم النفط وكثيراً من ادوات الحصار الثقيلة^١ . لكن المدينة صمدت بفضل دفاع الامبراطور ليون^٢ الايصوري (٧١٧ - ٧٤١) . وقد كان هذا في اول امره جندياً من اصل سوري وضيع ، ولد في مرعش ؛ وكان ، في ما قيل ، مولى للخليفة ، يجيد العربية واليونانية^٣ . وقد اشتد الحصار فعدا اهل المدينة في ضيق شديد ، وطال الامر بالمحاصرين ، واشتد ما قاسوه من النار اليونانية ، وقلة المؤن ، وغارات البلغاريين^٤ ، وزاد في شقائهم انتشار وباء الطاعون ،

(١) العيون والحدائق ، نشر دي غويه (لیدن ، ١٨٧١) القسم الثالث ص ٢٤ .

(٢) في الاصول العربية : اليون ؛ الطبري ، ج ٢ ص ١٣١٥ .

(٣) العيون ، القسم الثالث ، ص ٢٥ .

(٤) راجع Theophanes, pp. 386-99 ؛ ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٧ - ١٩ .

وتفانهم قساوة الشتاء . لكن مسلمة صمد بعناد ، ولم يفتّ في عزمه شيء من هذه المشقات ، حتى ولا موت أخيه الخليفة سليمان . لكنه اضطر الى القفول عملاً بالامر الذي صدر اليه من الخليفة الجديد عمر بن عبد العزيز (٧١٧ - ٢٠) ، فانسحب الجيش على الاثر في حالة يرثى لها . اما الاسطول - او ما بقي منه - فقد حطمته ، في عودته ، عاصفة عاتية ، ولم يصل منه الى الشاطئ السوري - اذا صحت ارقام ثيوفانس - الا خمس سفن من اصل الف وثلاثمائة ؛ وكان هذا آخر العهد بالاسطول العربي . وقد ارتفعت اصوات التهليل في اوربا ، واعتبر المؤسس السوري للاسرة الايصرية المحلص الذي انقذ اوربا المسيحية من حكم العرب المسلمين .

ولم يبلغ مدينة القسطنطينية بعد ذلك فاتح عربي الا مرة واحدة . غير ان ذلك لم يكن على يد الامويين . كان قائد هذه الحملة هارون الرشيد العباسي ، وذلك سنة ١٧٨٢ ، عندما كان لا يزال ولياً للعهد . فقد رابطت جيوشه في سكوتاري (كريسوپوليس) ، وفرضت الجزية على الامبراطورة ايرين^٢ . ولم تشهد «مدينة قسطنطين» احداً من غزاة المسلمين عند ابوابها الا بعد ذلك بنحو من سبعة قرون عندما ظهر عنصر جديد ، من عرق تركي مغولي ، خرج من اواسط آسيا ، واعتنق دين العرب ، وغدا رافع لوائه في العالم .

ومع ان الحملة الكبيرة التي تولاهها مسلمة كانت حملة فاشلة ، فقد المهبت خيال الاخباريين المسلمين ، وخلفت وراءها الكثير من الحكايات الاسطورية . فمسلمة وبما بنى مسجداً في ابيدوس^٣ ، حيث رابط جيشه ؛ ولعله احدث عين ماء هناك عرف

(١) البلاذري ، ص ١٦٨ .

(٢) الطبري ، ج ٣ ، ص ٥٠٣ - ٥ ؛ ابن الاثير ، ج ٦ ، ص ٤٤ - ٥ .

(٣) في النص العربي « ابدوس » ورد محرفاً الى « اندوس » في ياقوت ، ج ١ ، ص ٣٧٤ ، وفي البلدان لابن الفقيه نشر دي غويه (ليند ، ١٨٨٥) ص ١٠٤ ، س ١ ؛ والى « اندلس » في السعدي ، ج ٢ ، ص ٣١٧ - قابل المسالك والممالك لابن خرداذبة ، نشر دي غويه (ليند ، ١٨٨٩) ، ص ١٠٤ .

في ما بعد باسمه ؛ اما ان يكون قد بنى مسجداً في القسطنطينية^١، وفرض على الروم بناء بيت للاسرى العرب في جوار القصر الملكي ، ودخل كنيسة القديسة صوفيا على ظهر فرسه ، فمحض اختلاق . فلقد اورد المقدسي ، العالم الجغرافي السوري^٢ في مؤلفه الذي وضعه سنة ٩٨٥ معتزاً « ان مسلمة بن عبد الملك ، لما غزا بلد الروم ، ودخل هذا المصر ، شرط على كلب الروم بناء دار^٣ بازاء قصره في الميدان ، ينزلها وجوه الاشراف اذا اسروا . وقد ورد ذكر عبد الله البطل ، قائد حرس مسلمة ، بعد ذكر سيده في المجد الاسطوري . وفاز بلقب بطل الاسلام . فبعد ان سقط في معركة ، وقعت سنة ٧٤٠ ، غدا لدى الاتراك بطلاً قومياً عرف بالسيد الغازي ، واقامت تكية على قبره في جوار اسكي شهر . بل ان ابناء الاقليم من نصارى الروم قد اجلوه كذلك وقدسوه ، فاذا هو مثال آخر « لمسلم لامع عمد النصارى الى اقامة تمثال له في احدى كنائسهم »^٤.

المردة في لبنان

ولقد جرى على يد مسلمة ، قبل ذلك ، معارك صغيرة وجهها ضد قوم ذوي تاريخ غامض ، كانوا يقيمون في المنطقة الجبلية الوعرة في شمالي سورية ، ويتمتعون

(١) ابن الاثير ، ج ١٠ ، ص ٦٨ ؛ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، للمدني ، نشر مهران (سانت بيترزبورغ ، ١٨٦٥) ، ص ٢٢٧ ؛ النجوم الزاهرة لابن قري بريدي ، نشر بوير ، ج ٢ ، القسم ٢ ، (بركلي ، ١٩٠٩ - ١٢) ، ص ٤٠ ، ص ١٢ - ١٣ ، حيث يدعي المؤلف ان احد الفاطميين القى خطبة الجمعة في هذا المسجد . راجع ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي . نشر امدوز (بيروت ١٩٠٨) ص ٦٨ ، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٢) احسن التقاسيم ، ص ١٤٧ .

(٣) عرفت هذه الدار بالبلاط ، وذكرت في ياقوت ، ج ١ ، ص ٧٠٩ ، كأنها كانت تستخدم لهذه الغاية في عهد سيف الدولة الحمداني (٩٤٤ - ٩٦٧) ، انظر ماسياني في الفصل ٤٣ في الفقرة عن الحمدانيين . و « بلاط » من السريانية مأخوذة من اصل لاتيني او يوناني : Platea, Palatium .

(٤) الطبري ، ج ٢ ، ص ١٧١٦ .

(٥) السعدي ، ج ٨ ، ص ٧٤ .

بقسط وافر من الحكم الذاتي . وكان هؤلاء المردة^١ — كما كانوا يدعون — يمدون الروم من معاقلمهم في جبال اللكام وطورس بالرجال ، والجنود غير النظاميين ، فكلوا شوكة في جانب العرب . وقد عرفوا ايضاً بالجراجمة ، بالنسبة الى مدينتهم الكبرى « جرجومة » في امانوس (جبال اللكام)^٢ وكانوا يحكم موطنهم على الحدود العربية البيزنطية بمثابة « جدار نحاسي »^٣ يصون آسية الصغرى من الفاتحين . وكلوا مسيحيين ، لكن لم يتضح بعد هل كانوا من القائلين بالطبيعة الواحدة ، ام بالطبيعتين . اما من حيث هم ثأرون ومغاربون ومحاربون ، فقد ادوا خدماتهم لأقوى مساوم . وعندما استولى المسلمون العرب على انطاكية ، تعهد هؤلاء الجراجمة للروم باعمال الاستكشاف ، وحراسة الطرق التي تمر في جوارهم^٤ . وحوالي سنة ٦٦٦ ارسل ملك الروم شراذم منهم مع فرق من فرسانه وجيوشه النظامية ، دخلت صمم لبنان واحتلت فيه المواقع الحساسة ، حتى حدود فلسطين . والغالب ان جبل لبنان في ذلك العهد كان قليل السكان^٥ ، كثيف الاحراج ، ولم يزدحم منه الا المنطقة الساحلية . وقد التف حول هؤلاء المردة جماعات من الفارين والناقيين ، واختلطوا في لبنان الشمالي بالموارنة^٦ . وكان معاوية في ذلك العهد كثير المشاغل بشؤون العلويين وبمشاكل داخلية اخرى ، فوافق على ان يؤدي الى امبراطور الروم فريضة سنوية كبيرة ، في مقابل امتناعه عن امداد هذا العدو الداخلي ، وعلى ان يؤدي هو بدوره اليهم ضريبة سنوية ايضاً . وينبغي ان لا يغيب عن الذاكرة ان العرب لم يستسيغوا يوماً حرب العصابات ، وقول ابن خلدون^٧ ان الفتوحات التي سهلت على العرب انما هي التي جرت في الاراضي المنبسطة لا يعوزه المبرر التاريخي .

- (١) اللفظة من اصل سامي م رد بمعنى : الانتقاض ، والمقاومة . قابل الديتوري ؛ ص ١٣٠ س ٣ حيث اعيدت اللفظة خطأ الى اصل فارسي بمعنى « انسان » .
- (٢) ياقوت ، ج ٢ ، ص ٥٥ ؛ البلاذري ، ص ١٥٩ .
- (٣) Theophanes p. 364 .
- (٤) البلاذري ، ص ١٥٩ .
- (٥) قابل الجزء الاول ص ٨٩ — ٩٠ .
- (٦) انظر ما سيأتي في الفصل ٣٩ حول الموارنة .
- (٧) المقدمة ، ص ١٢٥ .

وقد عمد معاوية ، آخر الامر ، الى نقل جماعة من اهل العراق الى الساحل البحري وانطاكية^١ ، وكان ذلك سنة ٦٦٩ . وانما فعل ذلك حتى يصدع جبهة الجراجمة . وكان سبق له ان نقل اليها جماعات من فارس ، ليحلوا محل الروم الذين ترحوا عنها على اثر الفتح الاسلامي . وانما كان ذلك تديباً وقائياً غرضه صدغزوات الروم البحرية . لذلك عمد الى حشد هؤلاء الوافدين في صيدا وبيروت وجبيل وطرابلس وعرة وبعلبك ومدن اخرى^٢ .

ولقد سبب الجراجمة للمروانيين من المتاعب نظير ما سببوه للسفيايين . فقبل عبد الملك بن مروان ، حوالي سنة ٦٨٩ ، بالشروط التي فرضها يوستينيانوس الثاني ، ووافق على ان يدفع للجراجمة اسبوعياً مبلغ الف دينار . وكان امبراطور الروم قد بث عصابات جديدة من هؤلاء الريفيين في سورية ، مما حمل عبد الملك على اتباع الطريقة التي جرى عليها معاوية قبله^٣ .

واخيراً تقرر في عهد الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ - ١٥) ان يقضي نهائياً على خطر المردة . فهاجم مسلمة هؤلاء العابشين بالامن في عقر دارهم ودمر عاصمتهم الجرجومة ؛ فهلك بعضهم ، وهاجر البعض الآخر الى اناطوليا ، وانضمت جماعة ممن بقي منهم الى الجيش السوري ، وقتلوا تحت لواء الاسلام . وفي عهد يزيد الثاني ، ساهموا في اخضاع الفتن التي نشبت في العراق^٤ .

(١) البلاذري ، ص ١٦٢ .

(٢) اليعقوبي ، ص ٣٢٧ ؛ قابل البلاذري ، ص ١٤٨ .

(٣) البلاذري ، ص ١٦٠ ، ص ٨ ؛ المؤلف نفسه ، انساب الاشراف ، نشر Goitein ، ج ٥ ، (القدس، ١٩٣٦) ص ٢٥٥ - ٣٠٠ .

(٤) للاستزادة عن المردة راجع : Lammens in *Mélanges*, vol. i, pp. 14-22 ؛ المؤلف نفسه ، تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار ، ج ٢ (بيروت، ١٩١٤) ص ٤١ - ٤٨ .

الفصل الخامس من الملوك الفن الاصيلية، الشيعة، أهل المدينة، الفرس

مأساة الحسين

لم يجرؤ العلويون ، طيلة حكم معاوية الحازم ، على ان ينازعوه السلطان بعمل عدائي صريح . لكن ، ما ان تولى يزيد ، الشاب المستهتر من بعده (٦٨٠) ، حتى اتسع المجال امام الاحزاب المعارضة للعصيان والانتفاض . فقد عمد الحسين ، وهو الابن الاصغر لعلي وفاطمة ؛ مدفوعاً بنداوات العراقيين الملحة المتكررة ، الى المجاهرة بانه الخليفة الشرعي بعد اخيه الاكبر الحسن ، ووالده علي^١ . وكان الحسين ، الى ذلك الحين ، قد خالف رغبات مشايخه العراقيين ، وآثر حياة العزلة في المدينة ؛ لكنه خرج ، في هذه الاثناء ، من عزلته ، وفارق مكة متوجهاً الى الكوفة ، وقد رافقته جماعة قليلة من اخلص اتباعه وادنى اقربائه بينهم نساؤه واهل بيته .

وكان عبيد الله بن زياد قد خلف والده في ولاية العراق . وزياد هو الداهية الذي اتخذ معاوية اخاً له^٢ بالحقاقه بنسب ابيه ، ابي سفيان . وكان عبيد الله قد عرف بما نواه الحسين فاقام الحفراء في مراكز على جميع الطرق بين الحجاز والعراق . وفي كربلاء ، على ٢٥ ميلاً الى الشمال الغربي من الكوفة ، اطبقت دورية من فرسان عبيد الله على الحسين ؛ واذ ابي ان يستسلم ، هاجمه عمر بن سعد بن ابي وقاص — وسعد هو فاتح العراق الشهير ، ومؤسس مدينة الكوفة — بأربعة آلاف مقاتل .

(١) الفخري ، ص ٥٩ ؛ الدينوري ، ص ٢٤٣ — ٤٤ .

(٢) انظر ما سبق في ص ٣٧ من هذا الجزء .

فدارت الدائرة على الحسين واتباعه ، اذ قتل الحسين وتمزقت جماعته البالغة مئتي رجل شر ممزق^١ . وارسل رأس حفيد النبي الى يزيد في دمشق ، فاعاده الى اخت الحسين وابنه ، وكانا رافقاه الى العاصمة ، فاخذاه ودفناه في كربلاء^٢ .

وقد غدا اليوم الذي قتل فيه الحسين ، وهو العاشر من محرم سنة ٦١ هـ . (١٠ تشرين الاول ٦٨٠) منذ ذلك الحين ، يوم حداد ونواح عند مسلمي الشيعة . ففي مثل هذا اليوم العاشر (عاشوراء) من كل عام ، تمثل مأساة النضال الباسل والحدث المفجع الذي وقع للإمام الشهيد . وربما عمد فيه غلاة المتفجعين من القرس ، حتى الوقت الحاضر ، الى السير في الطرقات شبه عراة ، والدم يتدفق من جراح احدها في اجسادهم تدليلاً على صدق الولاء وشدة الاسف وانكار الذات . وقد غدت اسماء يزيد ، وعبيد الله ، وعمر ، منذ ذلك الحين . عند الشيعة اسماء ملعونة . في حين غدت كربلاء اقدس مكان في العالم ، ولا يزال الحج اليها عندهم اولى منه الى مكة . وفي كربلاء ولد المذهب الشيعي ؛ وكان دم الحسين ، على ما تبين في ما بعد ، افعل في اذكاء هذا المذهب حتى من دم علي نفسه . وصار الاعتقاد بامامة علي ، وخلافة ذريته من بعده ، في المذهب الشيعي ، نظير الاعتقاد بنبوته محمد عند اهل السنة^٣ . وغدا « يوم كربلاء » و « نأر الحسين » صيحة الاستنفار عند الشيعة . وهذا الاستنفار لم يفتقر حتى ولا بعد المساهمة الفعالة التي حققتها الشيعة في تقويض العرش الاموي .

طامع آخر بالخلافة

على ان القضاء على الحسين لم 'ينه' النزاع على الخلافة ، لانه كان نزاعاً مثلث الاركان . ذلك ان عبد الله بن الزبير برز الآن الى الميدان ، وجاهر بعدائه ليزيد

(١) قابل البيهقي ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ ؛ السمودي ، ج ٥ ، ص ١٤٣ .

(٢) ابن حجر ، ج ٢ ، ص ١٧ ؛ ابن عساكر ، ج ٤ ، ص ٣٣٢ - ٣٥ ؛ ابن الاثير ، ج ٤ ، ص ٦٧ - ٧٥ ؛ الدينوري ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٧ .

(٣) انظر ما سيأتي في الفصل ٣٨ في الفقرة عن الشيعة .

وكان ابوه من قبل قد زاحم علياً عليها بلا جدوى^١. وكان عبد الله هذا بمن زينوا للحسين القيام بمغامرته الخطرة^٢. فالتفت الحجاز حول عبد الله ، وفادت به امير المؤمنين . وعندها خف يزيد الى ارسال حملة تأديبية لاختضاع الثأرين في المدينة ، كان فيها عدد كبير من نصارى الشام . وكان قائد هذه الحملة مسلم بن عقبة ، وكان اعور ، وقد حمل على محمل لانه كان شيخاً طاعناً في السن^٣. نشب القتال يوم ٢٦ آب سنة ٦٨٣ ، وكان النصر حليف الحملة السورية . وهناك مجال كبير للشك في ان يكون جنود الشام قد استباحوا مدينة الرسول ، وانتهكوا حرمتها ، اما ابن الزبير فقد لجأ الى مكة على اعتبار أنها ذات حرمة . وان ارضها مقدسة . لكن مسلمة لحق به^٤ ، إلا انه مات في الطريق وتولى القيادة من بعده الحصين بن غدير السكوني ، وهو الذي اصاب باحد نباله الحسين في كربلاء اذ كان يستقي^٥. ولم يتحرج الحصين من توجيه المنجنيق نحو الحرم^٦. وقد اتصلت النار بالكعبة فاحترقت برمتها . وكذلك الحبر الاسود وهو من معبودات الجاهليين ، واقدس الآثار الاسلامية — فقد تصدع ثلاثة^٨. وبدا بيت الله للنظار مجرداً من كسوته^٩ كأنه التكلية قد شقت الجيب . وفي هذه الاثناء توفي يزيد ، وتوقف في ٢٧ تشرين الثاني ، القتال الذي كان قد نشب في ٢٤ ايلول ٦٨٣ .

(١) انظر ما سبق في ص ٣١ من هذا الجزء .

(٢) السمودي ، ج ٥ ، ص ١٣١ ؛ الدينوري ، ص ٢٥٦ - ٥٧ .

(٣) هو غير عقبة الذي سبق ذكره في ص ٣٨ من هذا الجزء .

(٤) الدينوري ، ص ٢٧٤ - ٧٥ .

(٥) الانساب ، ج ٤ B ، ص ٤٠ .

(٦) الطبري ، ج ١ ، ص ٢٢٢٠ ؛ يعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ ، الدينوري ، ص ٢٦٩ .

(٧) الانساب ، ج ٤ B ، ص ٤٧ - ٤٩ .

(٨) يعقوبي ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ - ١١ ؛ الانساب ، ج ٤ B ، ص ٥٢ ، ٥٥ ؛ راجع بشأن الحبر الاسود النبطي والكعبة الجزء الاول من ٤٢٨ .

(٩) الطبري ، ج ٢ ، ص ٤٢٧ .

كان موت يزيد، وانسحاب الجيش السوري بصورة مفاجئة من الحجاز، بما عزز وضع ابن الزبير في الحجاز. اذ نودي به، على الاثر، خليفة، ليس في الحجاز وحدها وهي موطنه، بل وفي العراق وجنوبي الجزيرة، وحتى في بعض انحاء الشام. وكان قد عين اخاه مصعباً^١ نائباً عنه ووالياً له على العراق؛ وجعل على سورية الضحاك ابن قيس الفهري، زعيم القيسية (عرب الشمال)، وكانوا طالما قاوموا الامويين^٢. على ان اليمنية (عرب الجنوب) تحركوا على الاثر ومنهم الكلبيون، وتداعوا الى نصرة الخليفة المسن الشرعي مروان بن الحكم^٣ وانزلوا بالضحاك وجاعته هزيمة منكرة. كان ذلك في شهر تموز سنة ٦٨٤ في مرج راهط، وهو سهل الى الشمال الشرقي من دمشق^٤. وكانت معركة مرج راهط «صَفِيناً» اخرى في مصلحة الامويين، وهي آخر معركة وقعت في الفتنة الاهلية الثالثة في الاسلام. وكانت نظير سابقتها، التي حدثت بين علي ومعاوية، انما وقعت بداعي النزاع على الخلافة بين سلالتين^٥. اما النزاع القبلي بين بني قيس – الذين يمثلون النازحين المتأخرين من شمالي الجزيرة، وبين بني كلب – المؤيدين المساندين للخلافة الاموية، فقد طال امده، – وعجل في النهاية – بانهيار السلالة الاموية. وهذا النزاع لا يزال يتمثل، في السياسة المعاصرة، بين لبنان وسورية^٦.

ان سحق الحزب المعارض للامويين في الشام قد بتر احد اطرافه، اما الرأس فقد بقي حياً في الحجاز. وقد كانت خلافة ابن الزبير لا تزال ناشطة هنالك، حتى ارسل اليها عبد الملك – اذ تولى الخلافة بعد ابيه مروان بن الحكم – واليه

(١) البعقولي ج ١ ص ٢، ص ٣١٤.

(٢) انظر ما سبق في ص ٣٢ من هذا الجزء.

(٣) ورد ذكره في ص ٢٨ من هذا الجزء.

(٤) المقدم، ج ٢، ص ٣٢٠ – ٣١؛ السعدي، ج ٥، ص ٢٠١؛ الانساب، ج ٥ ص ١٣٦ وما يتبع.

(٥) انظر ما سبق في ص ٣١ و ٣٢ من هذا الجزء.

(٦) انظر ما سيأتي في الفصل ٤٩ في الفقرة عن الشهابيين.

ذا اليد الحديدية، الحجاج بن يوسف . وكان الحجاج في اول امره معلم صبيان في الطائف ، وكان نسبه في بني ثقيف ، وفيهم كان نسب المغيرة بن شعبة^١ . وكان الحجاج آنذاك في الواحدة والثلاثين من عمره ، وكان جيشه مؤلفاً - كما في الاخبار - من ٢٠ ألف مقاتل^٢ . وقد ضرب حصاراً حول مكة استمر ستة اشهر ، ونصف الشهر ، اولها ٢٥ اذار ٦٩٢ . ولم يكن الحجاج اكثر تخرجاً في رمي المدينة المقدسة بالمنجنيق من زميله السابق الحصين . لكن ابن الزبير واصل النضال مدفوعاً بتحرير امه اسماء ، ابنة ابي بكر واخت عائشة ؛ لكنه كان قتالاً يائساً^٣ انتهى بذبحه ، وارسل رأسه الى الشام . اما جثمانه فقد صلب مقلوباً ، ثم دفع الى امه^٤ . وهذه اولى حوادث الصلب في المدونات الاسلامية .

وبوفاة ابن الزبير زال العلم الاخير من اعلام الاسلام الاولين ، وتم الاخذ بثار عثمان ، وتحطمت قوة الانصار الى الابد . وبه سلم للاسلام وضعه الجديد ، وتهياً للاعتبار السياسي ان يسود الاعتبار الديني في سلطان الدولة سيادة تامة . ومنذ ذلك الحين غدا مقام مكة والمدينة في التاريخ مقاماً ثانوياً ، واصبح تاريخ الجزيرة احفل بتأثير العالم الخارجي فيها . منه بتأثيرها في العالم الخارجي . ذلك ان « الجزيرة الام » كانت قد استنفدت نفسها .

حزم الحجاج في عهد ولايته

عين عبد الملك الحجاج بن يوسف والياً على الحجاز ، فبقي حكمه فيه نحو سنتين ، تمكن خلالها من تهدئة الحالة ، ليس في الحجاز وحده بل في اليمن ، وفي اليمامة شرقاً .

(١) راجع ما سبق في ص ٣٦ من هذا الجزء .

(٢) اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٣١٨ .

(٣) الطبري ، ج ٢ ، ص ٨٤٥ - ٤٨ .

(٤) اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٣١٩ - ٢٠ ، الدينوري ، ص ٣٢١ ؛ الاغانى ، ج ٨ ، ص ٤٣ ،

الانساب ، ج ٥ ، ص ٣٦٨ - ٦٩ .

وفي سنة ٦٩٤ أنيطت به مهمة، نظير مهمته هذه خطيرة، ان لم تكن اشد واخطر، هي ولاية العراق.

وكان العراق لا يزال في حالة احتياج وغليان. وكان اهله «على قول الحجاج اهل شقاق ونفاق»^١. وقد كان فيه، فضلاً عن الزبيريين والشيعة، جماعة الخوارج^٢، ثم أولئك العلويون الذين نادوا، بعد مقتل الحسين، باخيه من ابيه - محمد بن الحنفية - اماماً عليهم، ولقبوه بالمهدي^٣. ولقد كان محمد هذا ابناً لعلي من غير فاطمة، وكني بـابن الحنفية نسبة الى امه. وكان الخوارج اشد هؤلاء انتفاضاً. فجعلوا الشرق في غليان دائم. وقد انتشروا من العراق الى فارس، وانقسموا الى عدة فرق دينية متطرفة، واجتاحوا الاهواز وكرمان، واحتلوا الري، وحاصروا اصفهان، واعملوا النهب والسلب الى توجها.

والتقت حركتهم في فارس بحركة الموالي الناشئة، المعارضة للعرب الاسياد. وهم الفرس الذين اعتنقوا الاسلام على اعتبار انه قد ساوى بين جميع الذين انضموا اليه، لكنهم سرعان ما اصبوا بنجبية، وشعروا انهم كانوا مخدوعين.

وما كاد الحجاج يتلقى تعيينه الجديد، حتى غادر المدينة في كوكبة من الفرسان اجتاز بها البادية في مسالك وعرة، وبلغ الكوفة متخفياً، دون سابق اشعار. وكان ذلك من النهار عند الفجر الباكر، وقد حل وقت الصلاة. فدخل المسجد وفي صحبته اثنا عشر من راكبي الهجن، وقد جعل قوسه في كتفه وسيفه الى

(١) السعدي، ج ٥، ص ٢٩٥؛ البعقوني، ج ٢، ص ٣٢٦.

(٢) راجع ما سبق في ص ٣٣ من هذا الجزء. وراجع بشأن مناهجهم وآرائهم البغدادي، مختصر الفرق بين الفرق، نشر فيليب حتي (القاهرة ١٩٢٤)، ص ٦٥ - ٩٤.

(٣) المهدي في اوساط الشيعة زعيم عتيد يرد الاسلام الى حقيقته الاولى. ويكسح العالم، وينشر السلام والرخاء في العالم قبل زواله؛ Hitti, *History of the Arabs*, p. 441.

(٤) الموالي جمع مولى، وهو من اعتنق الاسلام من غير العرب وألحق نفسه ببعض قبائل العرب. ومثله هذه المضطربة قد جعلته دون المسلمين العرب. انظر ما سيأتي في الفصل ٣٦ في الفقرة عن الاصلاحات المالية، والفصل ٣٧ في الفقرة عن الموالي.

جانبه ؛ ووقف بالمصلين ، ثم نزع عمامته التي كانت تستر سحتته العابسة ، والقي خطبة نارية غدت احب الخطب الى القراء ، واشد ما في الادب العربي وقعاً ؛ قال :

« انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

يا اهل الكوفة ! اني لارى رؤوساً قد اينعت وحن قطافها ، واني لاصحبها ، وكأني انظر الى الدماء تفرغ بين العائم والحي ... الا ان امير المؤمنين امرني باعطائكم واشخاصكم الى محاربة عدوكم مع المهلب بن ابي صفرة^١ . وقد امرتكم بذلك ، واجلت لكم ثلاثاً ، واعطيت الله عهداً ان لا اجد احداً من بعث المهلب بعدها الا ضربت عنقه^٢ . ثم امر غلامه ان يقرأ على الجمع كتاب امير المؤمنين فقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله ، عبد الملك ، امير المؤمنين ، الى من بالكوفة من المسلمين . سلام عليكم » . ولكن احداً لم يرد السلام . فصاح الحجاج بالقارئ غاضباً « اسكت يا غلام » ثم قال : « يسلم عليكم امير المؤمنين فلا تردوا السلام ! اما والله لأؤدبنكم ادباً سوى هذا الادب ، اقرأ يا غلام الكتاب » . ولما بلغ الى السلام ، لم يبق احد في المسجد الا قال - « وعلى امير المؤمنين السلام »^٣ .

ان الوالي الجديد ، الذي القى عصا المعلم ليأخذ بسيف المقاتل ، كان عند قوله . لم يكن هنالك من عنق هو في مأمن من ان يطال . ولا رأس في عصبة من ان يسحق . وقد كانت مهمته ان يعيد هيبة الدولة بين الرعية مهما كان الثمن ، وقد حقق ذلك . فبلغ ما زهقه من ارواح الناس - على ما قيل - ١٢٠ ألفاً . وقد وُجد منهم في السجون على اثر وفاته حمسون ألفاً من الرجال ، وثلاثون ألفاً من النساء^٤ .

(١) هو القائد الذي قام في اوائل عهد معاوية (٦٦٤ - ٦٥) بمحلة بلغ فيها حدود الهند واتهب كابل ومثان ؛ قابل ما سيأتي في الفصل ٣٦ والفصل ٣٧ . وقد كان الحجاج صهره .

(٢) المبرد ، ص ٢١٥ - ١٦ ؛ قابل اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ ؛ المسعودي ، ج ٥ ، ص ٢٩٤ . اما البيت في مستهل الخطبة فلشاعر قديم .

(٣) المبرد ، ص ٢١٦ .

(٤) ابن العبري . ص ١٩٥ ؛ قابل المسعودي ، ج ٥ ، ص ٣٨٢ ؛ واللؤلؤف ثلثه التنييه والاشراف ، نشر دي غويه (لندن ، ١٨٩٣) ، ص ٣١٨ ؛ الطبري ، ج ٢ ، ص ١١٢٣ .

وهذه الأرقام المبالغ فيها، إلى جانب الأخبار المجسمة عن استبداده وضاوته، وشرافته وقلة نقواه، تشير إلى أن ما تركه المؤرخون عنه — وجلهم من الشيعة، أو من السنة الموالين للعباسيين — إنما يمثل صورة مشوّهة عنه، لا رسماً صادقا له.

على أن القارئ المتأمل، لا يلبث أن يستشف من خلال السطور، الكثير من المآثر الإدارية البناءة التي يعود الفضل فيها إلى الحجاج. فقد أعاد فتح الأقنية القديمة المردومة، وشق أقنية جديدة، وبني قاعدة جديدة هي مدينة واسط — دعيت كذلك لتوسطها بين مدينتي العراق الكبيرتين: البصرة والكوفة^١. وقد وضع تشريعاً لاصلاح النقد والضرائب والمساكن^٢. أما الاصلاح الذي تولاه في ما يتعلق بالقرآن، فلا يبدو — على ما يظهر — ادخال اصلاحات فرعية على الخط، تساعد على تفادي الخطأ في قراءة النص الكريم^٣. وأما التدابير القمعية الشديدة، فسواء أكان على حق في اتخاذها أم لم يكن، فقد أعادت الاستقرار إلى الكوفة وإلى البصرة، وطالما كانتا مهد العصيان والانتفاض. وكذلك هيبة الدولة فقد توثقت على طول الساحل الشرقي لجزيرة العرب ومنه 'عمان — وكانت حتى آنذاك ذات كيان مستقل. وكانت فارس داخلة في ولايته، فاستطاع قائده المهلب أن يقضي فعلاً على الازارقة، وكانوا أشد الحوارج خطراً على الوحدة الإسلامية. والازارقة سموا كذلك تبعاً لأزيعهم الأول نافع بن الأزرق، وكان من التطرف في تعليمه بحيث اعتبر كل من لم يكن خارجياً — حتى ولو كان مسلماً — من الملحدين، فاحل دمه ودم زوجته وأولاده^٤. وكان الازارقة في هذه الاثناء قد بسطوا

(١) ابن خلكان، وفيات الاعيان (القاهرة، ١٢٩٩)، ج ١، ص ٢٢١؛ النهي، دول الاسلام (حيدر اباد، ١٣٣٧)، ج ١، ص ٤٢؛ الطبري، ج ٢، ص ١١٢٥.

(٢) انظر ما سيأتي في الفصل ٣٦ الاصلاحات المالية وغيرها.

(٣) انظر ما سيأتي في آخر الفصل ٣٦.

(٤) الشهرستاني، الملل والنحل، نشر كورتن (لندن، ١٨٤٦)، ص ٨٩ — ٩٠؛ البغدادي، ص ٧٢ — ٧٦؛ الطبري، ج ٢، ص ١٠٠٣ وما يتبع.

سلطانهم ، بقيادة قطري بن الفجاءة . على كرمان^١ وفارس ، وسواهما من الاقاليم الشرقية . على ان قواد الحجاج ، في ما وراء فارس ، تمكنوا من الوصول الى رادي الاندلس ، كما سنرى في الفصل التالي . وقد كان اعتماد الحجاج في عاصمته واسط على حامية من الجيش السوري قد وثق بها ثقة — هي نظير ولائه للامويين — لا تعرف الحدود .

(١) ياقوت ، ج ٤ ، ص ٢٦٣ ؛ ابن خلكان ، ج ٢ ، ص ١٨٤ — ٨٥ .

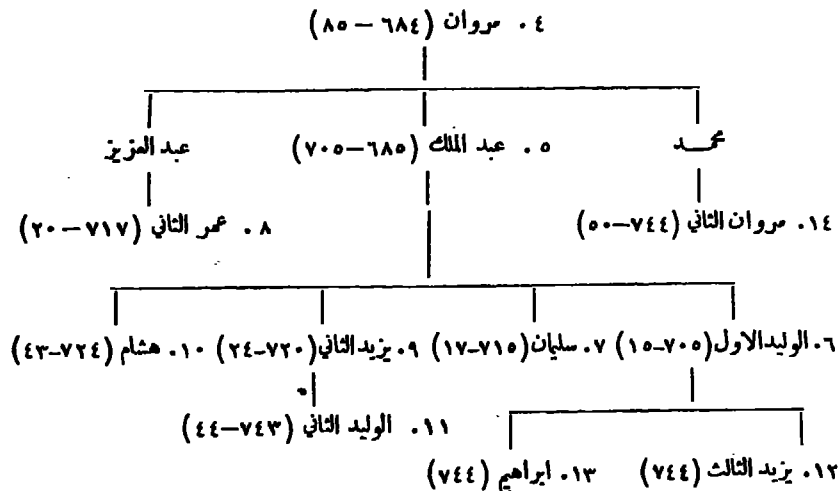
الفصل السادس المائون

دمشق في أوج عزها

دمشق في أوج عزها

ان السلالة الاموية في دمشق بلغت اوج عزها وسلطانها في عهد عبد الملك بن مروان وبنيه الاربعة^١. ففي خلافة الوليد (٧٠٥-١٥) واخيه هشام (٧٢٤-٤٣) بلغت الامبراطورية الاسلامية اوسع حدودها ، فامتدت من شواطئ المحيط الاطلسي وقم البرنيه ، حتى الاندلس وحدود الصين ، فكانت تفوق باتساعها مساحة الامبراطورية الرومانية في اوسع حدودها. ولم يسبق للامبراطورية العربية قبل ذلك العهد ، ولا تأتي لها بعده ، ان تبلغ الى هذا المدى. ففي هذا العهد الزاهر

(١) يمثل الشكل الشجري المبت ادناه صلة النسب التي تجمع بين افراد الفرع المرواني من السلالة الاموية :



تمّ للعرب نهائياً أخضاع ما وراء النهر ، وإعادة فتح شمالي إفريقيا وتهدئة الاحوال فيها والاستيلاء من ثمّ على شبه جزيرة ايبيريا . وفي هذا العصر تحقق تعريب ادارة الدولة . فنقلت الدواوين الى العربية ، وضربت النقود بالعربية وحدها ، ونظمت مصلحة البريد ، وأنشئت المباني الضخمة نظير مسجد الصخرة في القدس ، وهو اقدس حرم في الاسلام بعد حرمي مكة والمدينة .

ان فتح سورية والعراق وفارس ومصر ، في عهد عمر وعثمان ، ختم الدور الاول من تاريخ الفتوحات الاسلامية ؛ وامتداد حدود السلطة الاسلامية في عهد معاوية الى خراسان وآسيا الوسطى شرقاً ، والى افريقيا غرباً ، توجّ الدور الثاني ؛ واخضاع ما وراء النهر اخضاعاً تاماً ، واجتياح وادي الاندلس في عهد عبد الملك ومن تلاه مباشرة ، كان ختام الدور الثالث .

اخضاع ما وراء النهر

ان اخضاع الاقاليم التي اصبحت الآن تدعى تركستان وافغانستان وبلوخستان وبنجاب اخضاعاً نهائياً انما تمّ على يد قواد الحجاج بن يوسف . وكان احد هؤلاء القواد عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ، وكان حاكماً على سجستان ، وهو سليل ملوك كنده الذين حكموا في اوسط الجزيرة العربية . وكانت شقيقته قد تزوجت احد ابناء الحجاج . ففي سنة ٦٩٩ - ٧٠٠ زحف عبد الرحمن على الزنيل^١ ، وهو الملك التركي (او الايراني؟) في كابل (افغانستان) وكان قد امتنع عن اداء الجزية المعتادة . وكانت الاسرة الحاكمة والجيوش في هذه الممالك وسواها من ممالك آسيا الوسطى من عرق تركي ، لكن الرعايا كانوا في الغالب ايرانيين . وكان جيش عبد الرحمن وافر العدد بحيث دعي «جيش الطواويس» . لكن حركة العصيان التي قام بها عبد الرحمن في وجه الحجاج ، وضعت حداً لمعاركه المظفرة ، وعزل من

(١) انظر ص ٣٨ من هذا الجزء .

(٢) Wellhausen, Reich, p. 144, n. 3 ؛ وفي الطبري عرفاً ؛ وتيل ، ج ٢ ، ص ١٠٤٢

وما بعد ؛ التنبيه ، ص ٣١٤ .

القيادة . وفي سنة ٧٠٤ القى بنفسه من اعلى برج هناك ، فسقط جثة هامة^١ . وهي من اندر ما دون من حوادث الانتحار في الاسلام .

على ان حروب عبد الرحمن لاتعد شيئاً بالقياس الى ما تم على يد قتيبة بن مسلم الباهلي . وكان الحجاج قد اشار بتعيينه حاكماً على خراسان سنة ٧٠٤ ، على ان تكون تابعة لولايت^٢ . فاتخذ قتيبة مدينة مرو قاعدة له ، قاد منها ، في مدى نحو عشر سنوات ، عدداً من الحملات الحربية البارة الموفقة ، اجتاح بها ما وراء النهر . هذا النهر هو نهر جيحون^٣ الذي كان حتى ذلك الزمن الحد التقليدي ، لا التاريخي ، بين ايران وطوران ، اي بين الشعوب الناطقة بالفارسية وتلك الناطقة بالتركية . وفي هذا العهد ، وهو عهد الوليد ، وضع المسلمون في هذه الاصقاع قدماً ثابتة . وكان في جيش قتيبة اربعون الف مقاتل عربي من البصرة ، وسبعة آلاف من الكوفة ، وسبعة آلاف من الموالي^٤ . ففي الحملة الاولى استرد قتيبة القسم الادنى من طخارستان وعاصمتها بلخ^٥ . وبين سنة ٧٠٦ و ٧٠٩ اكتسح بخارى من بلاد الصغد والمنطقة المجاورة لها . واستولى بين ٧١٠ و ٧١٢ على سمرقند (من بلاد الصغد كذلك) وخوارزم (خيوا حديثاً) الى الغرب . وفي غضون العامين التاليين قاد حملة الى مناطق نهر سيحون لاسيا فرغانة ، واقام فيها حكماً اسلامياً اسمياً ، في ما هو معروف اليوم بمخانات آسيا الوسطى . ولقد كان الكثيرون من سكان تلك الاصقاع على البداوة ، فكان الوضع العام هنا ، مثله في شمالي افريقيا والمناطق الاخرى : غزوات تتبعها غزوات ، وجزية تفرض ، فامتناع عن اداء الجزية ، فهجوم ، فتسليم ومصالحة .

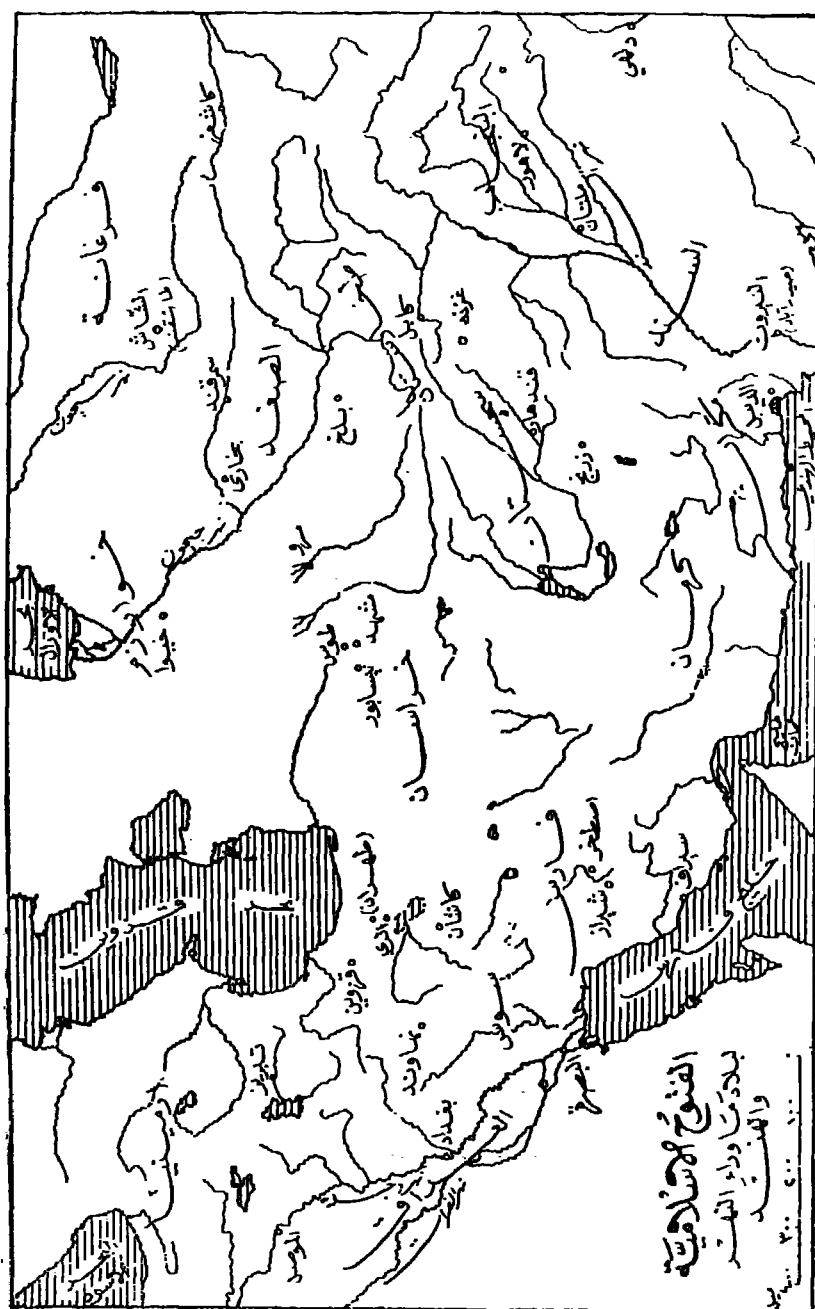
(١) الطبري ، ج ٢ ، ص ١١٣٥ .

(٢) ابن خلكان ، ج ٢ ، ص ١٨٠ ؛ المصنف في تاريخ بغداد ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .

(٣) آمو داريا حديثاً ، وجيحون هو الاكوس ، اما سيحون فهو جاكارتس ويعرف بسرديا اليوم . وقد ورد اسم كل من النهرين في سفر التكوين ٢ : ١١ و ٢ : ١٣ .

(٤) البلاذري ، ص ٤٢٣ ؛ الطبري ، ج ٢ ، ص ١٢٩٠ - ٩١ .

(٥) البلاذري ، ص ٤١٩ .



لقد كان عبور نهر سيحون حدثاً تاريخياً حاسماً، لأن هذا النهر، لا نهر جيحون، هو الحد الطبيعي والسياسي والجنسي الفاصل بين الإيرانيين والترك. وكان عبوره أول تحدٍّ مباشر من العرب للشعوب المنغولية، ومن الإسلام للديانة البوذية. وكان للبوذيين صوامع في بخارى وبلخ وسمرقند^١. وقد وقع قتيبة في سمرقند على عدد من الاصنام فعمد الى احراقها بيده. ونتج عن ذلك اقبال الكثيرين من عبدتها على اعتناق الاسلام، ممن كانوا يظنون ان من اغضبها هلك للحال. وكذلك في بخارى، فان معابد النار قد هدمت، وسرعان ما غدت بخارى وسمرقند وخوارزم مراكز لتعليم الاسلام في اسيا الوسطى، ولم تلبث ان تحولت الى مراكز للعلوم العربية، على نحو ما كانت مرو ونيسابور في خراسان، والبصرة والكوفة في العراق.

استلحاق ما وراء النهر

ولقد استأنفت الاعمال الحربية التي بدأها قتيبة قائده نصر بن سيار^٢ ومن خلفه من القواد. وكان هشام بن عبد الملك (٧٢٤ - ٤٣) قد عينه حاكماً على بلاد ما وراء النهر؛ فبجعل قاعدته في بلخ ثم في مرو؛ ومن مرو اضطر الى اعادة فتح (٧٣٨ - ٤٠) معظم المنطقة التي اجتاحتها قتيبة قبله، والمظنون ان قتيبة كان قد اكتفى باقامة حامية من العرب تتولى جباية الضرائب، وتعمل، بالتعاون مع الحكام الاهليين. اما كاشغر في تركستان الصينية، التي زعموا ان قتيبة كان قد اكتسحها (٧١٥)^٣، فلم يبلغها العرب الا في هذا العهد. وعندما رقي الوليد الثاني

(١) كان حاكم الصغد يقيم في سمرقند، ويحمل لقباً فارسياً هو «الاخشيدي». وكان هذا لقباً لملك فرغانة ايضاً. وكان حكام هذين البلدين، وحكام خوارزم والشاش يلقبون كذلك باللقاب فارسية (نظير: خداه، وشاه، ودعقان). وكانوا في ما يظن يتصلون عن طريق الزواج بالخان والحقان من امراء الترك الغربيين. على ان العرب اطلقوا لفظة «ترك» على كل من لم يكن فارسياً من رعايا المنطقة الواقعة الى الشمال الشرقي من نهر جيحون. انظر ابن خرداذبه، ص ٣٩ - ٤٠؛ اليعقوبي؛ ج ٢، ص ٤٧٩.

(٢) ابن الاثير، ج ٤، ص ٤١٦؛ W. Barthold, *Turkestan down to the Mongol Invasion*, 2nd. ed. (Oxford, 1928), p. 192.

(٣) ابن الاثير، ج ٥، ص ٢.

سدة الخلافة (٧٤٣) استدعى نصر بن سيار الى دمشق ، وامره ان يحضر معه جميع انواع طيور الصيد ، وكافة اصناف ادوات العزف . لكن الوليد اغتيل ونصر لا يزال في طريقه اليه . وقد تمكن القواد الذين خلفوا نصراً حتى سنة ٧٥١ من ان يحتلوا الشام (تاشكند) ، الى الشمال الشرقي من سمرقند ، فتم للمسلمين بذلك توطيد سيادتهم في آسيا الوسطى ، ولم يعد لهم من بين السلطات المحلية اي منازع . وهكذا ضم ما وراء النهر بكامله ونهايتها الى ممتلكات الخلافة المترامية الاطراف . الا ان المحاولات التي قاموا بها على بلاد الخزر ، ما بين بحر قزوين والبحر الاسود ، في سنة ٧٣٧ وما بعده ، ما آلت الى شي^١ . وقد كان الخزر من اصل جرمانى (هونى) لكنهم تهودوا في ما بعد .

فتح العرب في الهند

وفيما كان قتيبة ونصر يواصلان حملتهما الناجحة في الميدان الشرقي ، كان قائد آخر يقود حملته في اتجاه جنوبي داخل بلاد الهند . هذا القائد هو محمد بن القاسم الثقفي ، صهر الحجاج . وكان جيشه يشتمل على ستة الاف جندي من السوريين^٢ . وقد تيسر له في سنة ٧١٠ ان يخضع مكران ، ويواصل الزحف على ما يعرف اليوم ببلوخستان . واستطاع ان يحتاج بين سنة ٧١١ و ٧١٢ السند ووادي الاندس الادنى ودلتاه . واحتل هنالك مرفأ الديبل حيث وجد صنماً (بدأ) لبوذا طوله في السماء اربعون ذراعاً^٣ . وسار من ثم على التيرون (حيدر اباد حديثاً) واحتلها كذلك . وفي السنة التالية امتدت الفتوحات شمالاً حتى ملتان في جنوبي البنجاب وعند سفح جبال حملايا . وكانت ملتان مركزاً لمعبد بوذي قومي وقع بيد الغزاة ، وكان فيه جمع غفير من الحجاج ورجال الدين سيقوا على اعتبار انهم اسرى حرب . وكانت النفائس التي ظفر بها العرب من هذا المعبد كثيرة الى حد

(١) ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٦٠ ؛ السعدي ، ج ٢ ، ص ١٩٨ وما بعد .

(٢) البلاذري ، ص ٤٣٦ .

(٣) اليقوي ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ .

عرف معه هذا المعبد «بيت الذهب»^١. وغدت ملتان لسنين كثيرة قاعدة الهند العربية ، وحصن الاسلام الامامي في تلك الاصقاع .

الحملة الحربية على البيزنطيين

كان عبد الملك في اوائل خلافته قد شغل باخذ ثورة ابن الزبير ، فاضطره ذلك الى ان يوافق على دفع الجزية (٦٨٩/٧٠ - ٩٠) «لطاغية الروم» ، ولأحلافه المسيحيين من الجراجمة الذين كان امرهم آتئذ قد توثق في لبنان^٢. لكنه استطاع ، بعد ذلك بقليل ، ان يثير الحرب على اعداء العرب الدائمين . وتمكنت جيوشه في سنة ٦٩٢ من ان تهزم جيوش يوستينيان الثاني عند سيستبوليس في كيليكية . ثم استأنف الوليد هذه الحملة بعد عبد الملك وظفر جيوشه سنة ٧٠٧ بدخول الطوائف ، وهي اعظم حصون كبدوكية . وبعد ان استولى على ساردس وبرغامس . خلا امامه الطريق الى القسطنطينية ، وتمكن من ثم مسلمة بن عبد الملك ، قائد سليمان ، من ان يلقي حولها حصاره المشهور بين آب ٧١٦ وايلول ٧١٧ - ذلك الحصار الذي لم يجد شيئاً^٣. اما ارمينيا التي كان العرب قد اجتاحتها (٦٤٤-٤٥) في عهد ولاية معاوية على سورية ، فكانت قد انتفضت اثناء فتنة ابن الزبير ، فعبد عبد الملك الى اخضاعها ثانية^٤.

حملة شمالي افريقيا

وكذلك افريقيا ، فقد دعت الحاجة الى اعادة فتحها في هذه الآونة . ان سيطرة عقبة^٥ قائد معاوية على هذه المنطقة كانت من الضعف بحيث اضطر القائد

(١) البلاذري ، ص ٤٤٠ .

(٢) راجع ص ٣٤ من هذا الجزء .

(٣) راجع ص ٥٠ من هذا الجزء .

(٤) البلاذري ، ص ١٦٠ .

(٥) راجع ص ٣٨ - ٣٩ من هذا الجزء .

الذي خلفه الى الجلاء عنها . لكن الحسن بن النعمان العسافي (٦٩٣ - ٧٠٠) استطاع ، في غضون خلافة عبد الملك ، ان يصني مقاومة البربر ويطيح بسيادة البيزنطيين . وتمكن بعد الاستعانة باسطول اسلامي من ان يطرد الروم من قرطاجنة وسواها من الثغور . ثم استأنف زحفه على حلفائهم البربر ، وعلى رأسهم آنثد كاهنة^١ ، لها عليهم سلطان عظيم . فهزمها وتركها قتيلة في جبل اوراس (الجزائر) قرب بئر ما زالت تسمى باسمها ، هي بئر الكاهنة .

تولى الحكم بعد حسان ، موسى بن نصير الشهير . وفي عهده انسلخت هذه الاقطار عن ولاية مصر ، وصارت ذات حكومة خاصة قاعدتها القيروان ، وغدت تابعة للخلافة في دمشق رأساً . ولد موسى بن نصير قرب بيروت . وكان ابوه اسيراً من نصارى سورية ، وقع في يد خالد بن الوليد مع جماعة من الصبيان ، كانوا يدرسون الانجيل في بيعة في عين التمر في العراق^٢ . والى موسى هذا يرجع الفضل في توسيع حدود هذا الاقليم غرباً حتى طنجة .

ان الفتوحات التي تمت على يد حسان وموسى بن نصير ادخلت البربر^٣ نهائياً في حوزة الاسلام . ولقد كان معظم هؤلاء البربر ، المقيمين آنذاك في المنطقة الساحلية الحصبة ، على النصرانية . وكان قد ازدهر فيهم ترنليان وقبرياتوس واوغسطينوس ، وسوام من القديسين والامراء في عهد الكنيسة الاول . ولما كان السكان البيزنطيون والرومان قبلهم قد تجمعوا في المدن الساحلية ، فقد بقيت حضارتهم غريبة بالنسبة الى هؤلاء البدو ، او شبه البدو ، من اهالي افريقيا الشمالية . وكان البربر اكثر نزوعاً نحو العرب المسلمين . فهم حاميون واذاً فهم الصق نسباً بالعرب

(١) البلاذري ، ص ٢٢٩ ؛ ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٨ - ٩ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار المغرب ، نشر دوزي (لیدن ، ١٨٤٨) ، ج ١ ، ص ٢٠ - ٢٤ .

(٢) يستند غير هؤلاء ان موسى كان نجياً ، يروي سوام انه يعني . قابل البلاذري ، ص ٢٣٠ ؛ ابن عذاري ، ج ١ ، ص ٢٤ .

(٣) لفظة بربر تتعذر في الراجح من اللفظة اللاتينية : barbari (من اصل جرمانى) ، اطلقها اهل المدن الافريقية التي حكمها الرومان وبثوا فيها الحضارة اللاتينية على جميع الرعايا الاهلين الذين لم يتخذوا اللاتينية لساناً لهم .

الساميين. يضاف الى ذلك انهم كانوا والعرب في مستوى واحد من التقدم الحضاري. هذا فضلاً عن ان اجتياح الفينيقيين القدماء لهذا القطر ، واستعمارهم له ، عمل على تهديد الطريق لتعريبه. وقد جاء في اخبار العرب ان معظم البربر من اصل كنعاني^١. وقد بقيت اللغة القرطاجنية ، وهي كالعربية لغة سامية ، متداولة في المواطن المنعزلة حتى قبيل الفتح الاسلامي. ومن هنا يسهل علينا تحليل السرعة العجيبة التي تم بها نهائياً تعريب البربر وحملهم على الاسلام. فما ان قهروا حتى جندوا، وتألفت منهم حملات جديدة ، انضوت تحت راية الاسلام في سيره المطرد .

فتح الاندلس

ان اجتياح افريقيا الشمالية حتى شاطئ المحيط الاطلسي^٢ مهد السبيل للاستيلاء على اوربا الجنوبية الغربية. وقد تحققت هذه الخطوة الخطيرة الاولى في سنة ٧١٠، عندما اقدم جيش من جيوش العرب ، لأول مرة ، على اجتياز المضيق البالغ ثلاثة عشر ميلاً. ولئن كان الغرض المباشر مجرد الغزو ، فان الغزوة لم تلبث ان تحولت الى فتح اكتسح شبه جزيرة ايبيريا برمتها^٣، وتلاه احتلال كلي او جزئي استمر نحواً من ثمانية قرون. كانت حملة العرب هذه على القسم الجنوبي الشرقي من القارة الاوروبية آخر حملاتهم ، واروع ما قاموا به من الفتوحات ؛ وهي تمثل غاية ما بلغته حركة التوسع في الجبهة الافريقية الاوروبية ، كما يمثل فتح تركستان اوج التوسع في الجبهة الآسيوية .

طارق يعبر المضيق

ان الحملة التي قام بها طارق فريدة في بابها ، باعتبار ما اتصفت به من سرعة العمل وكال الظفر ، ليس في تاريخ العرب فحسب ، بل وفي تاريخ اوربا في العصر

(١) الطبري ، ج ١ ، ص ٥١٦ ؛ السعودي ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ - ٤٠ ؛ ابن الفقيه ، ص ٨٣ .
راجع الجزء الاول ص ١١٠ - ١١١ .

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٣ - ٥ .

(٣) دعاها العرب الاندلس ، والاسم من لفظة قنابل وهو اسم القبائل الجرمانية التي سبق ان اجتاحت اسبانيا .

دمشق في أوج عزّها

٧٣

الوسيط . ففي تموز سنة ٧١٠ نزلت فرقة مؤلفة من اربع مئة جندي من المشاة ومئة من الفرسان ، بقيادة مولى لموسى بن نصير اسمه طريف ، في شبه جزيرة صغيرة تكاد تكون اقصى مناطق القارة الاوروبية الى الجنوب . ولم يتضح بعد هل كان طريف هذا من العرب ام من البربر^١ . لكن شبه الجزيرة قد حملت اسمه عهدئذٍ ، ولا تزال الى الآن تعرف بجزيرة طريف (تريغا بالاسبانية)^٢ . ان نجاح طريف من جهة ، واضطراب الوضع في المملكة القوطية الغربية في اسبانيا من جهة اخرى ، كانا مما اغرى موسى بن نصير سنة ٧١١ ، بان يرسل اليها مولى له آخر ، اسمه طارق ابن زياد ، على رأس سبعة آلاف مقاتل ، كان اكثرهم نظيره من البربر ، فنزل بهم قرب الصخر العاتي الذي خلد اسمه منذ ذلك العهد ، فعرف بجبل طارق^٣ . اما السفن التي استخدمها ، فالأخبار التاريخية تؤكد ان الذي قدمها له شخص يكاد يكون أسطورياً هو جوليان ، امير سبتة^٤ البيزنطي . واما الدافع لهذه المعونة فغير واضح ، والرواية التي ترجع السبب الى اعتداء رودريك ، مقتصب العرش القوطي ، على ابنة جوليان الفاتنة ، ليست حرة بالثقة . والحق ان حكاية الفتح برمتها ، قد زينها الاخباريون العرب والاسبان على السواء ، وتريدوا فيها ما شاء لهم التزيد .

نصر حاسم

وفد طارق بجيشه ، وقد عززه بالامداد حتى بلغ ١٢ الف مقاتل ، وقابل جيش

(١) قابل : المقري ، نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، نشر دوزي وريت (ليند ، ١٨٥٥) ج ١ ، ص ١٥٩ ؛ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١١٧ ؛ ابن عذاري ، ج ٢ ، ص ٦ ؛ اخبار مجموعة في فتح الاندلس ، نشر لافونت الكترا Lafuente y Alcantara (مدريد ، ١٨٦٧) ، ص ٦ .
(٢) اورد ذلك الادريسي في «ذكر الاندلس» (وهي مقتبسات من تزمة الشناق) نشر دون جوزيف كونيدي Don Josef A. Conde (مدريد ، ١٧٩٩) ، ص ١١ ، ٣٥ ، ٤٤ .

(٣) الادريسي ، ص ٣٦ .

(٤) ورد هذا الاسم أليان في البلاذري ، ص ٢٣٠ ، وييلان في أخبار مجموعة ، ج ١ ، ص ٤ ؛ وابن عذاري ، ج ٢ ، ص ٦ ؛ والمقري ، ج ٣ ، ص ١٥٩ ، وابن عبد الحكم ، ص ٢٠٦ ؛ ويوليان في ابن الاثير ، ج ٤ ، ص ٤٤٤ . ولعل اسمه الحقيقي أريان ، او ألبان .

(٥) الاسم من اللاتينية اصلاً : septem اي سبعة ؛ الادريسي ، ص ١٢ .

رودريك عند مصب نهر وادي بكة^١، على ضفة ضحضاح البحيرة . على ان خيانة وقعت في معسكر القوط ، كان قد دبرها بعض انبياء الملك المخلوع ، هو ابن غيطسة او غيطشة ، ساعدت على هزيمة الجيش الاسباني الذي بلغ ٢٥ ألفاً . وفي هذه المعركة فقد رودريك^٢ نفسه ولم يسمع شيء عنه بعد ذلك .

ولقد آلت هذه المعركة الى نصر حاسم ، اذ استمر بعدها زحف المسلمين في سائر نواحي شبه الجزيرة ، بدون توقف . اما طارق فقد سار بالقسم الاكبر من جيشه نحو العاصمة طليطلة ، وفي طريقه ارسل بعض الفصائل لاختطاع المدن المجاورة التي مر بها . ولقد مر جيشه بمدينة اشيلية ، وكانت منيعة الحصون ، وبلغ قرطبة — عاصمة المسلمين الزاهرة في ما بعد — فسقطت على اثر خيانة نسبت الى راع ، قيل انه دلّ العرب على صدع في سورها^٣ . اما مالقة فلم تقاوم ، واما طليطلة فقد سلمها بعض اليهود من سكانها . وكان ذلك في اواخر صيف ٧١١ . وفي اقل من نصف سنة غدا القائد البربري سيداً على نصف اسبانيا ، وقد استأصل مملكة باسرها .

موسى في اثر طارق

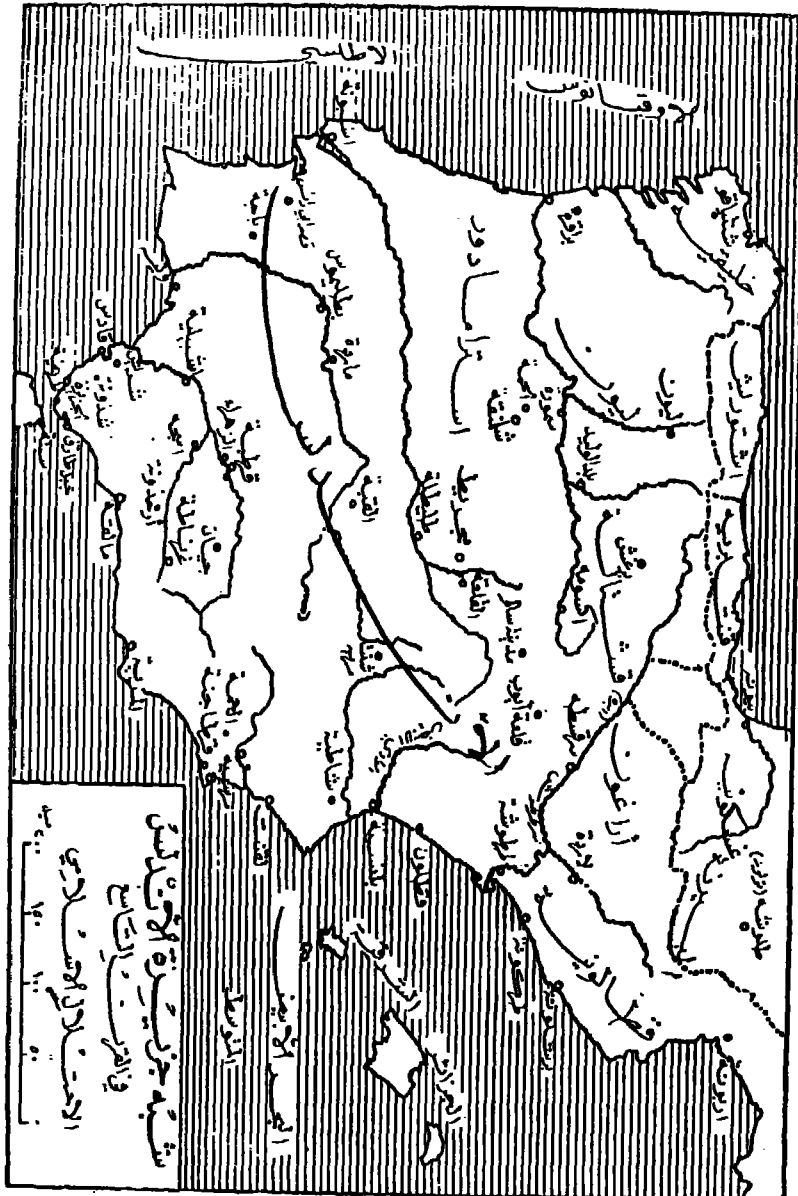
وفي شهر حزيران من العام التالي جهّز موسى ابن نصير جيشاً من العرب والسوريين^٤ بلغ عشرة آلاف جندي ، وسار بهم على جناح السرعة الى ساحة الحرب . ذلك لانه لم يرق له ان يكون كل المجد ، وجميع الغنائم من نصيب قواده . على انه استهدف في سيره المدن التي حاد عنها طارق ، وفي طليطلة او في

(١) حرف بالاسبانية الى Guadilbeca فالتبس بـ Guadelete . Cf. Stanley Lane-Poole and Arthur Gilman, *The Moors in Spain*, (New York, 1911), pp. 14, 23.

(٢) حرف العرب الى لدرىق ، لدرىق ، روفريق . المقرئ ، ج ١ ، ص ١٦٠ ، ١٦١ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٦ ؛ ابن عذاري ، ج ٢ ، ص ٨ ؛ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١١٧ ؛ اخبار مجموعة ، ص ٨ ؛ المسعودي ، ج ١ ، ص ٣٥٩ .

(٣) ابن عذاري ؛ ج ٢ ، ص ١٠ - ١١ ؛ اخبار مجموعة ، ص ١٠ قابل المقرئ ، ج ١ ، ص ١٦٤ - ٦٥ .

(٤) الطبري ، ج ٢ ، ص ١٢٥٣ .



جوارها ، لحق بعبده السابق ، وجلده وقيّده بالاغلال ، لانه ابى الامتثال لامر كان اصدره اليه ، في المراحل الاولى من حملته هذه ، بان يتوقف^١ . ثم استأنف زحفه المظفر ، وسرعان ما بلغ سرقسطة في الشمال واحتلها . وكانت مرتفعات ارغونة ، وبلاد ليونة وغاليسيا ، خليقة بالسقوط لولا ان ورد عليه امر سام من الوليد في دمشق . فقد اخذ الخليفة على واليه الاساءة نفسها التي عاقب الوالي عليها قائده التابع ، وهي التصرف على هواه وعدم مراجعة رئيسه .

موكب النصر

خلف موسى بن نصير ابنه عبد العزيز في قيادة الجيش ، وسار متوجهاً نحو سورية . وقد اشتمل موكبه ، باستثناء حاشيته الخاصة على اربع مئة من افراد السلالة القوطية المالكة ، وافراد الأسر الارستقراطية ، تزين رؤوسهم التيجان ، وتطوق اوساطهم الاحزمة الذهبية ، وفي اثمهم جوع من العبيد والاسرى^٢ يحملون نفائس الفنائم . وكان مرور موكب النصر في شمالي افريقيا وجنوبي سورية موضوعاً مستحباً لدى الاخباريين العرب^٣ . وعندما بلغ موسى بموكبه منطقة طبرية انتهى اليه امر من سليمان اخي الوليد وولي عهده - وكان الوليد مريضاً - بان يؤخر وصوله الى العاصمة حتى يتفق مع ارتقائه الى سدة الخلافة^٤ .

والظاهر ان موسى تفاوض عن الامر : وفي شهر شباط سنة ٧١٥ دخل دمشق ، فترك دخوله اليها وقعاً شديداً في النفوس . وقد استقبله الوليد ، وفي رأي البعض

(١) ابن عذاري ، ج ٢ ، ص ١٧ - ١٨ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ٢١٠ .

(٢) كان عددهم ٣٠ ألفاً (!) برواية المقرئ ، ج ١ ، ص ١٤٤ ؛ قابل ابن الاثير ، ج ٤ ، ص ٤٤٨ .

(٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٠ - ١١ ؛ ابن عذاري ، ج ٢ ، ص ٢١ - ٢٢ ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس (ملريد ، ١٨٦٨) ، ص ١٠ ؛ ومن هذا القبيل : ابن قتيبة ، قصته فتح الاندلس (مستخرج من «الامامة والسياسة» وملحق بابن قوطية) ، ص ١٣٨ و ١٤٠ وما بعد .

(٤) قابل : المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، نشر دوزي ، الطبعة الثانية (لندن ، ١٨٨١) ، ص ٨ .

ان الذي استقبله هو الخليفة الجديد سليمان . و اقيم لهذه المناسبة مهرجان ملكي كبير ازدان بمظاهر المجد والابهة ، وذلك في باحة المسجد الاموي الذي كان الوليد قد فرغ حديثاً من اتمام بنائه ، بجوار قصر الخليفة . وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً من ايام النصر في الاسلام ، اذ لم يسبق ان شوهد مثل هذا العدد من امراء العرب والاسرى الاوروبيين ذوي الشعور الصهبا ، وقد جاءوا يقدمون خضوعهم لامير المؤمنين . ولئن كان هنالك حدث يمثل المجد الاموي في اوجهه ، فلا مراء انه هذا الحدث . وكان من ابرز ما قدمه موسى الى الخليفة من الاسلاب التذكارية الثمينة مائدة تفوق قيمتها كل تقدير ، كان طارق قد غنمها من كاتدرائية طليطلة . وكانت القوط قد تنافسوا في تزيينها بالاحجار الكريمة ، حتى نسجت الاساطير حولها ، فنسبت اتقان صنعها الى جن سليمان ، وروت ان الرومان حملوها من هيكل سليمان الى عاصمتهم ، ونقلها القوط من هناك الى اسبانية . وكان طارق ، على ما في الرواية ، قد انتزع احدى قوائمها عندما اغتصبها منه موسى في طليطلة ، فايرزها الآن بصورة مثيرة ، مدللأعلى انه هو ، لا موسى ، صاحب المائدة^١ .

على ان الخليفة الذي تلا الوليد عاقب موسى واذله . فبعد ان اوقفه في الشمس حتى التلف ، عزله وحجز بملكاته . وقد لاقى موسى الخاتمة التي لاقاها عدد من القواد المظفرين والاداريين الخازمين في الاسلام . وآخر ما عرف عنه ، وهو قاهر افريقيا واسبانيا ، انه كان يستعطي القوت الضروري في بعض قرى الحجاز النائية^٢ .

ولقد ألحقت اسبانيا في هذه الاثناء بالامبراطورية السورية ، واستأنف القائد الذي تلا موسى العمل على اخضاع المناطق المفتوحة في الشرق والشمال . وبعد

(١) القرني ، ج ١ ، ص ١٦٧ ، ١٧٢ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ٢١١ ؛ ابن الاثير ، ج ٤ ، ص ٤٤٨ - ٤٤٩ ؛ ابن خلكان ، ج ٣ ، ص ٢٦ - ٢٧ ؛ لبذة من اخبار فتح الاندلس (قلمة مستخرجة من الرسالة الشريفة الى الاقطار الاندلسية ، ملحقة بابن قوطية ، مدريد ، ١٨٦٨) ص ١٩٣ ؛ انظر الف ليلة Arabian Nights, No. 272 .

(٢) القرني ، ج ١ ، ص ١٨٠ ؛ قابل ابن خلكان ، ج ٣ ، ص ٢٧ .

ان وطئت حملة العرب الاولى ارض اسبانيا للمرة الاولى بست سنوات ، وقف رجال الحملات التي استأنفت الزحف من بعدها امام قمم البرنيه الشاخنة .

تعليل سهولة الفتح

ان هذا الفتح الذي يبدو لاول وهلة منقطع النظير . كان من المحتمل ان لا يتم ، لولا ما كانت تعانيه الاوضاع الداخلية من ضعف وتفسخ . فلقد كان سكان البلاد مزيجاً من الاسبان والرومان ، وكان الحكم من القوط الغربيين الذين سبق ان احتلوا البلاد في اوائل القرن الخامس ، فحكموها حكماً مطلقاً ، وحياناً استبدادياً . وقد بقوا سنوات كثيرة على مسيحتهم الآرية ، ولم يعتنقوا الكتلركة التي كانت مذهب رعاياهم حتى النصف الثاني من القرن التالي . ولقد كانت الطبقة الدنيا من طبقات المجتمع تعاني الرق والعبودية ، فكان لهؤلاء ، ولليهود المضطهدين يد في تسهيل عمل الفتح على العرب الفاتحين .

عبور جبال البرنيه

وفي عام ٧١٧ او ٧١٨ تمكن الحرّ بن عبد الرحمن الثقفي^١ . وهو الخلف الثالث لموسى بن نصير ، من عبور الجبال التي تفصل بين اسبانيا وفرنسا . كانت هذه الحملات سلسلة من الغارات استأنفها ، من بعد الحرّ ، خلفه السمع بن مالك الحولاني ، وكان الغرض منها الاستيلاء على النفائس التي اشتهرت بها الادياب والكنائس في تلك المنطقة . وفي خلافة عمر الثاني سنة ٧٢٠ احتل السمع اربونة التي تحولت في ما بعد الى حصن ضخّم اشتمل على دار صناعة . وفي العام التالي جرت محاولة فاشلة لاحتلال تولوز ، قاعدة الدوق يوديس الاكوتيني ، قتل فيها السمع ، وسجل بذلك النصر الاول الذي احرزه امير جرماني على العرب .

(١) ابن عذاري ، ج ٢ ، ص ٢٤ - ٢٥ ؛ ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ٣٧٣ .

معركة تور

وبعد انقضاء اثنتي عشرة سنة ، قاد عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ، امير الاندلس بعد السمح ، اكبر الحملات وآخرها عبر البرنيه . وبعد ان تم له النصر على الدوق بوديس ، وذلك على ضفاف نهر غارون ، اجتاح مدينة بوردو ، وسار شمالاً نحو بواتيه ، فبلغها واحرق بناء كنسياً كان يقوم خارج اسوارها . ثم توجه نحو تور . وكان في تور مزار للقديس مارتن ، وهو ولي كبير من اولياء الغاليين . وكان من اهم ما اجتذب الغزاة الى تور ما في مزارها هذا من نفائس النذور .

وفيما كان عبد الرحمن متوجهاً من بواتيه الى تور ، انبرى له شارل ، قيّم القصر في البلاط الميروفنجي . ومع ان شارل هذا لم يكن ملكاً بالاسم ، فقد كان كذلك بالفعل . وكان قد تمكن بشدة بأسه من ان يخضع الكثيرين من اعدائه ، وان يكره بوديس على الاقرار بسيادة اهل الشمال من الفرنجة .

وبعد مناوشات استمرت سبعة ايام حمي وطيس القتال . وكان ذلك اليوم يوم سبت في سنة ٧٣٢ ، وقد درى محاربو الفرنجة ، وجلهم من المشاة ، كيف يتقوّف البرد بجلود الذئب . وفي غمرة القتال وقفوا صفوفاً متراصة في مربع بجوّف ثابت بالصخر ، وصامد كقطعة من جليد - كما في تغيير المؤرخين الغربيين . واذ ثبتوا في مواقعهم راحوا يمحصدون فرسان الاعداء كلما اقبلوا عليهم . ولقد قتل عبد الرحمن في هذه المعركة . وكان الظلام يفصل بين المتقاتلين ، فانسحب الغزاة تحت جنح الظلام ، وتواروا عن الانظار . ولم يدرك شارل اي نصر تم على يده حتى الصباح التالي . فقد اكسبه هذا النصر لقب « المطرقة » فغداً معروفاً به «مارتل» .

كانت ساحة القتال هذه في نظر المسلمين «بلاط الشهداء»^٢ ليس الا؛ والشهيد كل من قتل في حرب على غير المسلمين. اما في نظر النصارى فقد كانت نقطة تحول في المسلك الحربي الذي نهجه عدوهم الدائم. فالذي يتراءى للمؤرخين الاوروبيين، انه كان من المحتمل ان يروا المساجد حيث تقوم الكنائس اليوم في باريس ولندن، والطرايبش حيث تلبس القبعات، لو ان نتيجة هذه المعركة جاءت معكوسة^٣. وواقع الامر انه لم يحدث ما هو حاسم في ساحة الحرب في تور. لكن الغزوة الاسلامية كانت قد استنفدت نفسها، وبلغت مداها الطبيعي. اذ غدت على نحو من الف ميل من نقطة انطلاقها في جبل طارق، فضلاً عن قاعدتها في القيروان. وكانت معنويات الجيش قد هبطت بتأثير الخلافات الداخلية. فقد اشتدت الفجوة بين العرب والبربر، وتظلم البربر من ان العرب قد قسموا لهم المرتفعات الوسطى القاحلة، في حين احتفظوا لانفسهم باخصب اقاليم الاندلس؛ هذا مع ان الحروب قامت في اسد احتدامها وانتقل اعبائها على اكتافهم. كذلك العرب فقد كانوا ابعد شيء عن ان توحد في جامعة العصبية ووحدة الهدف، وكانت عداوة العصبية التقليدية بين اهل الشمال (المضريين)^٤ واهل الجنوب (اليمنيين) قد اخذت في الانتعاش تبعاً في ما بينهم. ثم ان المضريين كانوا على مذهب اهل السنة في حين تحول بعض اليمنيين الى الشيعة، او مالوا الى العطف على القضية الشيعية، فما كان من البربر الا ان اظهروا مفارقتهم لهم باعتناق مبدأ الخوارج^٥.

دمشق العاصمة

ان الحملة على مدينة تور توقفت، في حين ان الحملات التي استهدفت نواحي اخرى استأنفت نشاطها. ففي سنة ٧٣٤ احتل العرب افينيون، وبعد تسع سنوات

(١) انظر ص ٥٢ حاشية ٣، من هذا الجزء.

(٢) اخبار مجموعة، ص ٢٥؛ المقرئ، ج ١، ص ١٤٦. فقد جرت المعركة على طريق روماني مرصوف. قابل انجيل يوحنا، ١٩: ١٣.

(٣) Gibbon, *Decline and Fall*, vol. vi, pp. 15 seq. see also Lane-Poole, pp. 29-30.

(٤) كان بنو مضر وبنو ربيعة وهم من عرب الشمال يشار اليهم في الغالب باسم مشترك هو مَعَدَّة. قابل ص ٥٧ - ٥٨ من هذا الجزء.

(٥) راجع ص ٣٢ - ٣٣ من هذا الجزء.

اغاروا على ليونه ونهبوها. وبالرغم من ذلك لا تزال معركة تور تعتبر المدى الاقصى الذي بلغه المسلمون في زحفهم المظفر. ولما كان تاريخها وهو العام ٧٣٢ هو كذلك العام المئوي الاول لوفاة النبي، كان جديراً بنا ان نتوقف عنده لنستعرض الوضع الاجمالي. فاذا نحن القينا نظرة على ملك العرب، بعد وفاة مؤسس الاسلام بمئة عام، وجدنا اتباعه يحكمون امبراطورية تفوق باتساعها امبراطورية روما في اوج اتساعها؛ فهي تمتد من خليج بسكي الى الاندلس وحدود الصين، ومن بحر آرال الى شلالات النيل. ولقد كانت عاصمة هذه الامصار الزخبة مدينة دمشق - اقدم مدن العالم الباقية وهي التي يقال ان محمداً تردد في دخولها، لانه شاء ان يدخل الفردوس مرة واحدة لا غير^١ لقد قامت هذه المدينة في وسط العوطة وكأنها لؤلؤة في حزام من الزرد. وكان اعتماد البساتين المحيطة بها، في وجودها عبر العصور، على الارتواء من سواق تستمد مياهها من تلوج لبنان الشرقي. فقد انحدر اليها من الشمال نهر بردى (ابانا)، ثم تفرّع في سواق كثيرة انسابت في انحاء السهل المتسع. وجاءها من الجنوب نهر الاعوج (فاربر) وقد مدته الروافد الكثيرة المتحدرة من جبل الشيخ. ولقد ذكر ياقوت^٢ العالم الجغرافي الشهير في القرن الثالث عشر، انه قصد الى المواضع الاربعة التي تعتبر فراديس العالم، فوجد دمشق في طليعتها؛ قال: «وجلة الأمر انه لم توصف الجنة بشيء الا وفي دمشق مثله^٣».

والمدينة تشرف على سهل يمتد جنوباً في غرب نحو قمة مهيبة من قمم لبنان يسميها العرب جبل الشيخ؛ لانها مجلّة ابداً بالتلوج. وفي قلب العاصمة قام المسجد الاموي، وهو مثال من روائع الفن الهندسي الذي لا يزال يستهوي رواد الآثار الفنية حتى اليوم. والى جانب المسجد ارتفع قصر الخليفة المعروف بالحضراء تبعاً لقبته الحضراء^٥. وقد كان من عادة الخليفة ان يعقد مجالسه الرسمية في قصره،

(١) من المصادر الاخرى التي تمتدح مدينة دمشق ابن عساكر، ج ١، ص ٤٦ وما بعد.

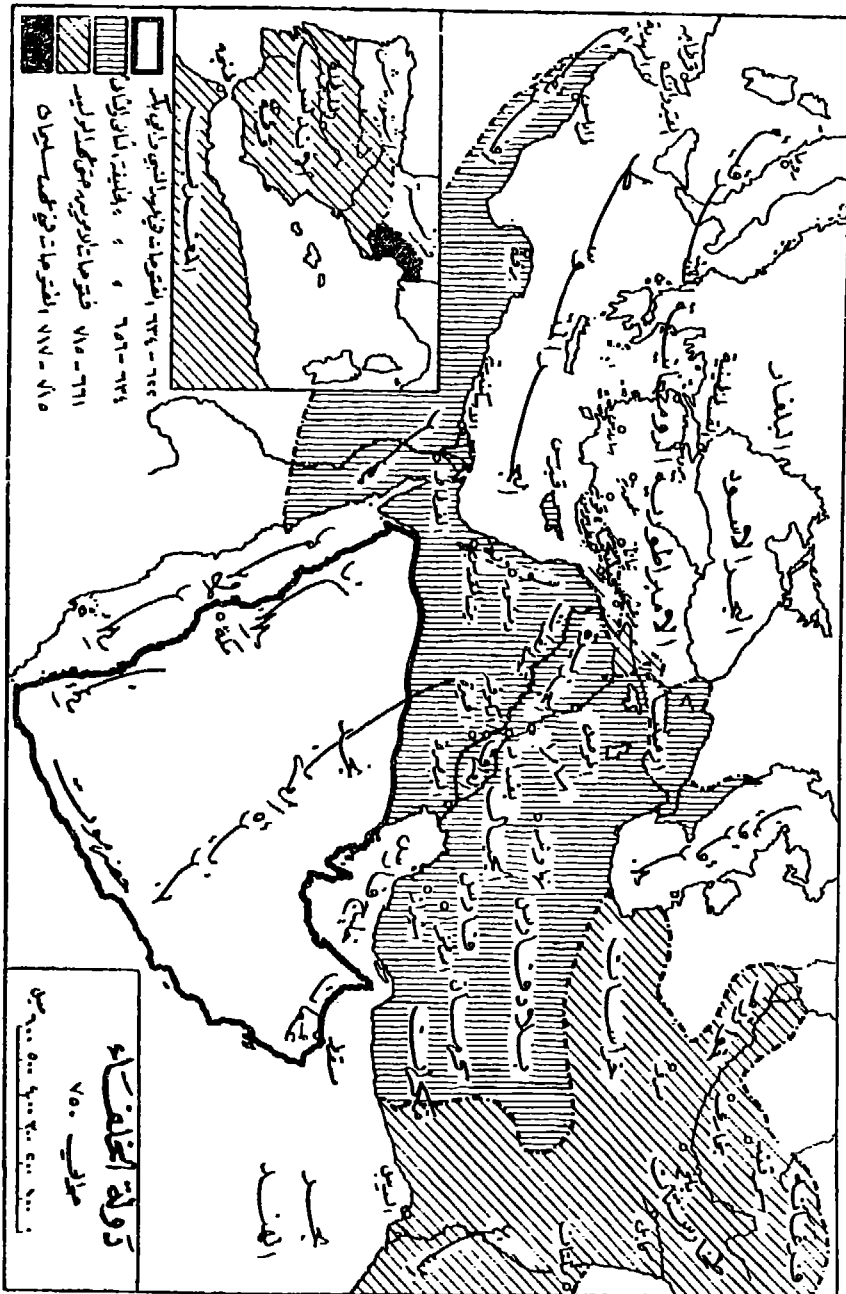
(٢) البلدان، ج ٢، ص ٥٨٩.

(٣) البلدان، ج ٢، ص ٥١٠.

(٤) راجع الجزء الاول، ص ٤٤، ذيل ١.

(٥) ابن جبير، رحلة ابن جبير، نشر وليم ريت (لندن، ١٩٠٧) ص ٢٦٩، س ٣؛ الاغاني، ج ٦،

ص ١٥٩.



فيجلس متربعاً على عرش مربع الجوانب ، تستره الوسائد المزركشة ، وقد ارتدى
الحلل الزاهية الفضفاضة ، ووقف عن يمينه انسباؤه من جهة ابيه حسب سنهم ،
وعن يساره انسباؤه من جهة امه . اما الحاشية والشعراء واصحاب الشكايا
فيقفون خلفه .

تعريب الدولة

كان من الطبيعي ، بعد ان بلغت الدولة من الاستقرار هذا المبلغ ، ان تلتفت
الى تعريب الادارة وسائر مصالح الدولة . فقد كانت لغة الدواوين العامة ، حتى
ذلك الوقت ، الرومية في سورية ، والبهلوية وبعض اللهجات المحلية ، في العراق
والمناطق الشرقية ؛ ولم يكن هنالك مجال للاختيار . ذلك ان الفاتحين المسلمين ،
القادمين من البادية ، لما كانوا يجهلون التدوين والمعاملات المالية ، اضطروا الى ان
يحتفظوا في الدوائر المالية بالموظفين اليونان والفرس وسواهم ممن لا يحسنون استخدام
العربية . لكن كان قد تيسر ، في غضون هذه الفترة ، لبعض الموظفين ان يتعلموا
العربية ، ولبعض المساعدين العرب ان يلموا بشؤون التدوين المعقدة . فاصبح العرب
بذلك على استعداد لاحلال العربية في دواوين الدولة ، محل سائر اللغات ، بوصفها
اللغة الرسمية . وكان هذا الانتقال بحكم الضرورة بطيئاً ، اذ بدأ في عهد عبد الملك
واستمر في عهد ابنه . يستدل على ذلك من ان بعض المصادر تنسب هذا العمل الى
الوالد ، في حين يضيفه بعضها الآخر الى الابن^١ . وهكذا ففي غضون الف من
السنين توالى على سورية ثلاث لغات كتابية : الآرامية ، واليونانية الرومية ،
والعربية . اما في العراق وملحقاته فقد تولى الحجاج ، والي الامويين ، احلال
العربية ، في الدوائر المالية ، محل اللهجات الاقليمية . واما مدى التجاح الذي تحقق
في تعريب الرعايا فسنعالجه في الفصل التالي^٢ .

(١) العقد، ج ٢، ص ٣٢٢؛ الماوردي، ص ٣٤٩-٥٠؛ البلاذري، ص ١٩٣، ٣٠٠ - ٣٠١
ويمزو البلاذري ذلك بسداجة بالغة الى امرئاته هو ان احد الكتاب الروم بال في الهجرة .

(٢) انظر ما سيأتي في الفصل ٣٧ في الفقرة عن طبقات المجتمع .

وقد حدث مع تغيير لغة الدواوين، تغيير في السكة. فان النقود البيزنطية كانت، حتى ذلك الحين، قد تركت في التداول في سورية^١. الا انه ربما نقشت بعض الآيات القرآنية فوق النقوش الاصلية، وضربت بعض قطع النقود الذهبية والفضية على الفرار البيزنطي والفارسي. فان معاوية قد ضرب بعض النقود النحاسية جاعلاً رسم الخليفة، وقد شهر سيفه، مكان رسم الملك ويده الصليب. ولم يسبق للدينار والدرهم^٢ ان سكتا بالشكل العربي الخالص^٣ الا على يد عبد الملك (٦٩٥). وفي السنة التالية قام الحجاج بضرب نقود فضية في الكوفة^٤.

مصلحة البريد

وقد أنشأ عبد الملك فضلاً عما تقدم، مصلحة بريدية منظمة^٥، خدمة لموظفي الدولة وتسهيلاً لمراسلاتهم. اقامها على الأساس الذي وضعه له سلفه الاول معاوية^٦. فقد جعل منها عبد الملك شبكة محكمة، تربط اجزاء الامبراطورية المترامية الاطراف، وتجمع شتاتها. فعمد، تحقيقاً لهذه الغاية الى اجراء الحيلولة بصورة منظمة، في مراحل متتابعة بين دمشق من جهة وقواعد الولايات من جهة اخرى؛ واقام على البريد موظفين مسؤولين، كان من جملة ما ترتب على كل منهم ان ينهي الى الخليفة كل ما يحدث في منطقته من الاحداث الهامة. وقد استخدم الوليد هذا الجهاز في تنظيم اعمال البناء، وتحقيق مشاريع العمران.

اصلاحات في المالية وفي سواها

ولقد تمت في هذه الفترة تعديلات تناولت الضرائب والشؤون المالية. فقد

(١) البلاذري، ص ٤٦٥ - ٦٦.

(٢) راجع ص ٣٦ من هذا الجزء، ذيل ١.

(٣) الطبري، ج ٢، ص ٩٣٩؛ البلاذري، ص ٢٤٠، ٤٦٦ - ٧٨.

(٤) قابيل: ياقوت، البلدان، ج ٤، ص ٨٨٦.

(٥) العمري، التعريف في المصطلح الشريف (القاهرة ١٣١٢)، ص ١٨٥. والبريد لفظه سامية قديمة من برد بمعنى ارسل، قابيل سفر استير ٨: ١٠؛ الاصفهاني التاريخ، ص ٣٩.

(٦) الفخري، ص ١٤٨.

كانت الضريبة الوحيدة التي وضعت مبدئياً على المسلم مهما كانت قوميته، اداء فريضة الزكاة. على ان المسلمين الذين نعموا بهذا الامتياز عملياً كانوا اولئك الذين تحدرّوا من اصل عربي لا غير. لقد حاول بعض المستجدين في الاسلام، وجلهم من العراق، ان يستغلوا هذا المبدأ. فأخذوا يغادرون قراهم ومزارعهم، ويتحولون الى المدن، أملاً بالالتحاق بالجيش العربي، على اعتبار انهم من الموالي. ولئن كان قد أطلق هذا اللفظ في ما بعد على العبيد المحررين. فانه لم يكن، في هذه الفترة، يقتون بشيء من معنى المذلة او انحطاط المنزل. على ان هذا التدبير اوقع بيت المال في خسارة مزدوجة؛ ذلك لان قبول الاسلام استتبع حكماً، نقصاً في عائدات الضرائب، والالتحاق بالجيش اقتضى اضافة معينة الى مقدار الاعطيات. فعمد الحجاج لذلك الى وضع التدابير لمعالجة هذا النقص، فأمر برجوع هؤلاء الموالي الى مزارعهم^١، ورتب عليهم الضريبة الباهظة التي اعتادوا ان يؤدوها، بما يعادل الحراج والجزية معاً.

لكن تدبير الحجاج هذا اثار النقمة في اوساط المسلمين المستجدين، فاستنصب الخليفة التقي عمر الثاني (٧١٧-٢٠) ان يعيد التدبير القديم الذي رسمه سميّه السابق^٢، وهو ان المسلم، غريباً كان او مولى، لا يترب عليه دفع جزية ما^٣. وعندما ورد عليه تضرع من عامل له في خراسان يشير الى ان شدة الاقبال على اعتناق الاسلام قد استتبعت نقصاً خطيراً في واردات الجباية، واقترح ان تمتحن صحة اسلام هؤلاء المستجدين في الاسلام بان يجري كشف عليهم يعرف منه ما اذا كانوا قد اختنوا ام لا، اجاب عمر: «ان الله قد بعث نبيه رسولاً لا خاتناً». الا انه أصرّ على ان تعتبر الارض التي كان يؤدي عنها الحراج، بعد تحول اصحابها الى الاسلام، ملكاً للامة الاسلامية جمعاء، وأتاح للمالك السابق ان يحتفظ بالارض، على انه مستأجر لها^٤. وبما ان مقدار الجزية كان ضئيلاً، فقد احتفظ بيت المال بموارده الرئيسية من الحراج.

(١) اللبد، ص ٢٨٦.

(٢) راجع ص ١٩ - ٢٠ من هذا الجزء.

(٣) البلاذري، ص ٤٢٦.

(٤) الطبري، ج ٢، ص ١٣٥٤؛ ابن الاثير، ج ٥، ص ٣٧.

(٥) ابن عساکر، ج ٤، ص ٨٠؛ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٦٢؛ ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز (القاهرة، ١٣٣١)، ص ٨٨ - ٨٩.

على ان تدبير عمر لم يكن موفقاً ، لانه انقص موارد الدولة بالنسبة التي زاد بها عدد ابناء المدن من الموالي^١ . فقد اقبل البربر والفرس وسواهم ، جماعات غفيرة



وزن بيزنطي عليه تصديق الوليد (ت ٧١٥)

وقد رسم على وجهه الاول صليب ؛ وهذا الشكل B ٢ اشارة الى انه وزنتان ؛ وعلى وجهه الاخر كتابة بالخط الكوفي تشير الى ان الخليفة قد اقره مساوياً اوقيتين . ولعله اقدم وزن عليه نقش عربي معروف الى اليوم

على الاسلام ، رغبة في الاستفادة من الامتيازات المالية الكثيرة التي نجمت عن ذلك التدبير ؛ بما حمل بعض الولاة على ان يعودوا مبدئياً ، فيما بعد ، الى سياسة الحجاج بعد ان اجروا فيها تعديلات فرعية طفيفة .

ولقد تمت على يد الحجاج اصلاحات اخرى ، منها اصلاح الكتابة الذي استهدف سهولة التمييز بين الحروف التي ترسم بصورة واحدة ، نظير الباء والتاء والهاء ؛ والذال والذال ؛ وذلك بان ادخل عليها علامات فارقة . ثم عمل على ازالة الابهام في التحريك باقتباس اشارات من السريانية ، رمز الى الضمة والفتحة والكسرة ، على ان تجعل فوق الحروف او تحتها .

اما المباني الاثرية الرائعة التي هي من ابرز مآثر هذا العصر فسنعالجها في فصل تال (الفصل ٣٨) .

(١) ابن الجوزي ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

الفصل السابع والمختصر

الأحوال السياسية والاجتماعية في عهد الأمويين

كانت الاقسام الادارية في الخلافة الاموية تعتمد النظام البيزنطي في المناطق الغربية ، والنظام الفارسي في المناطق الشرقية . وكانت اهم هذه المناطق تسع هي :
 ١ - سورية وفلسطين ؛ ٢ - الكوفة وسائر العراق ؛ ٣ - البصرة ، مضموماً اليها فارس وسجستان وخراسان والبحرين وعمان ، وربما نجد والهامة ايضاً ؛
 ٤ - ارمينيا ؛ ٥ - الحجاز ؛ ٦ - كرمان ، ملحقة بمنطقة الحدود الهندية ؛ ٧ - مصر ؛
 ٨ - افريقيا ؛ ٩ - اليمن وسائر القسم الجنوبي من الجزيرة . وقد وزعت هذه المناطق التسع على خمس ولايات هي : ولاية العراق ، وقد اشتملت على الجانب الاعظم من فارس وشرقي الجزيرة العربية ، وقاعدتها مدينة الكوفة ؛ وولاية الحجاز وقد ضمت اليمن والاقليم الاوسط من الجزيرة العربية ؛ وولاية الجزيرة (القسم الشمالي من ارض ما بين النهرين) ، وقد الحقت بها ارمينيا واذربيجان واقسام من شرقي آسيا الصغرى ؛ وولاية مصر ، مع منطقتي الصعيد والدلتا ؛ واخيراً افريقيا ، مشتملة على شمالي افريقيا ، وغربي مصر ، ثم الاندلس وجزر المتوسط ، وقاعدتها مدينة القيروان .

الحكومة الاقليمية

كانت الحكومة الاقليمية تتولى ثلاث مهمات هي : الادارة السياسية ، وجباية الضرائب ، والارشاد الديني . وكان يقوم بهذه المهام الثلاث ثلاثة انواع من الموظفين : فالوالي (الامير ، صاحب) كان يتولى تعيين العمال على المناطق ، ويتحمل مسؤولية اعمالهم . وكان ، بوصفه والياً ، يضطلع باعباء الشؤون السياسية ، والادارة العسكرية في ولايته . على ان المشرف على جباية الموارد كان احياناً موظفاً خاصاً يدعى صاحب الخراج ، وكانت صلته بالخليفة رأساً . اما مورد الدولة الرئيسي فكان

يجمع من الجزية المفروضة على الشعوب المغلوبة . وكانت النفقات الاقليمية تسد من الموارد المحلية ، ولا يرسل الى خزانة الخليفة الا الوفر الباقي على صورة رصيد .

ان الموظفين القضائيين الاولين الذين لم يتعاطوا الا القضاء كانوا يتلقون تعيينهم في الاقاليم من الولاة . وكان الكثيرون من هؤلاء القضاة في العهد الاموي يُختارون ، مبدئياً ، من بين العلماء الذين سبق ان تفقهوا بالقرآن والحديث . وكانوا يتولون القضاء في امور الرعايا المسلمين ليس الا ، اما غير المسلمين فقد اتيح لهم استقلال داخلي ، كانوا يخضعون بموجبه لرؤسائهم لا سيما الروحيين في ما يتصل بالاحوال الشخصية ، نظير مسائل الزواج والطلاق والارث . وكان هؤلاء الموظفون القضائيون يديرون اوقاف الايتام والمعتمدين ، الى جانب النظر في قضايا الناس .

ديوان الخاتم

وكان في ما انشأ معاوية ديوان الخاتم ؛ مكتب حكومي مهمته ان يستخرج نسخة من كل وثيقة رسمية ، قبل ان تحتم وترسل في سبلها^١ ، ويجمع هذه النسخ في ملفات خاصة . والذي يبدو من تسمية هذا المكتب « بالديوان » انه من اصل فارسي^٢ . وما جاء عهد عبد الملك حتى اصبح لدى الحكومة في دمشق دار حافلة بانواع الوثائق^٣ .

تنظيم الجيش

كان الجيش الاموي منظماً على غرار الجيش البيزنطي ، فكان يتألف من خمس فرق هي : القلب والميمنة والميسرة والطليعة والساقة . على ان مروان الثاني ، آخر خلفاء بني امية (٧٤٤ - ٥٠) ، ابطل هذا النظام ، وآثر عليه نظام وحدة

(١) الطبري : ج ٢ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ؛ الفخري : ص ١٤٩ .

(٢) قابل البلاذري ، ص ٤٦٤ .

(٣) المسعودي ، ج ٥ ، ص ٢٣٩ .

صغيرة متراصة ، عرفت بالكردوس^١. لذلك كان من الصعب ان يميز باعتبار اللباس والسلاح بين الجندي العربي ونظيره اليوناني . اما الفرسان فكثروا يستخدمون السروج المستديرة الملساء ، نظير تلك التي لا تزال الى الآن تستخدم في اشرق الادنى . وكان السلاح الثقيل يتألف من العرّادة والمنجنيق والكبش او الدبابة . وكان السلاح الثقيل ، وسائر الذخائر والامتعة ، تنقل على الجمال وراء الجيش .

وكانت قوى الجيش الرئيسية المقيمة في دمشق تتألف من السوريين ، ومن العرب الذين تزحوا الى سورية واستوطنوها . وقد احتفظ الخلفاء السفينانيون بجيش عدده ستون ألفاً ، بلغت نفقاته السنوية ستين مليون درهم^٢ . لكن يزيد الثالث (٧٤٤) خفض جميع الاعطيات السنوية بنسبة عشرة بالمئة فلحق بالناقص . وفي عهد خلفه ، وهو آخر افراد السلالة الاموية ، كان عدد الجيش قد هبط الى ما لا يزيد عن الاتني عشر ألفاً^٣.

كذلك الاسطول العربي ، فان نظامه نقل عن الاسطول البيزنطي ، وكانت اكثر ملاحيه من السوريين^٤. ان السفينة كانت هي الوحدة الحربية في القتال ، وكان في كل من سطحها الاسفلين ما لا يقل عن خمسة وعشرين مقعداً للتجديف ، يجلس على كل منها رجلان . وهؤلاء المئة من الملاحين في كل سفينة كانوا ايضاً مسلحين . اما الذين كانت مهمتهم القتال فكثروا يرابطون على ظهر السفينة .

الحياة في البلاط

كانت حياة الخلفاء في دمشق حياة بذخ وترف ، بالقياس الى حياة الخلفاء السابقين في المدينة ؛ فقد كانت هذه ، بوجه الاجمال بسيطة موسومة بالوقار^٥. ذلك

(١) الطبري ، ج ٢ ، ص ١٩٤٤ ؛ ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ٢٦٧ ، ص ٧ - ٨ ؛ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٦٥ ، ص ١٦ (قابل ص ١٩٥ ، ص ٢٥ - ٢٧) .

(٢) المسودي ، ج ٥ ، ص ١٩٥ .

(٣) ورد هذا الرقم ١٢٠ ، ٠٠٠ في الفخري ، ص ١٩٧ ، وهو خطأ ؛ ابو الفداء ، ج ١ ، ص ٢٢٢ ؛ انظر ما سيبي ، ص ٥٣١ .

(٤) انظر ص ٢٤ - ٢٥ من هذا الجزء .

(٥) انظر ص ٢٨ من هذا الجزء .

ان صلات الناس بالخلفاء الامويين اخذت في ان تخضع لضرب من العرف السياسي . فارتداء الاثواب الرسمية التي طرّز على حواشيها اسم الخليفة مع بعض العبارات الدينية ، بدأ يشيع ، على ما هو محتمل ، في عهد عبد الملك . وكان الاقباط في مصر يحسبون النسيج ، ويصنعون القراطيس^١ من ورق البردي للكتابة . وقد امر عبد الملك ان توضع بعض العبارات الاسلامية في رأس الادراج مكان الصليب ورموز التثليث . ويستدل من اطلاق لفظة « طراز » الفارسية على الزركشة في الاثواب ، ومن التشجير في النسيج والملابس الرسمية والمقتنيات الاخرى ، التي صنعت خصيصاً للبلاط ، على ان الخلفاء قد تبعوا في هذه المظاهر الزي الفارسي لا البيزنطي^٢ .

اما ليالي الخلفاء فكانت وفقاً على السر ومجالس الانس . فكانت متعة معاوية الاصفاء الى القصص ، ومن اجل ذلك استقدم قصاصاً من اقاصي اليمن ، وهو عبيد (عبيد) بن شريه ، ليحدثه باخبار الغابرين من الابطال^٣ . وكان ماء الورد شرابهم المستطاب ، وكذلك هو في دمشق ، وسواها من مدن الشرق ، الى اليوم .

على ان بعضهم رغب في شراب اقوى مفعولاً . وكان يزيد بن معاوية اول من زاول الشرب من الخلفاء ، فلقب لادمانه بيزيد الجور^٤ . وكان في جملة ندمائه قرد أليف يكنى بأبي قيس ، كان قد عوّده الشرب . وقد قيل ان يزيد كان يشرب كل يوم ، في حين كان الوليد الاول يشرب يوماً ويدع يوماً . على ان هشاماً اكتفى بالشرب مرة واحدة كل يوم جمعة ؛ وقع عبد الملك بالشرب مرة واحدة في الشهر ، لكنه كان يكثر حتى ليضطر الى تناول المقيّئات^٥ . على ان الاخبار المتعلقة بالجانب المرح من حياة الخلفاء قد ورد اكثرها في العقد والاغاني^٦ ، وما

(١) مفرداً قرطاس لفظة يونانية الاصل ؛ البلاذري ، ص ٢٤٠ .

(٢) R. B. Sarjeant in *Arts Islamica*, vol. ix (1942), pp. 60-62.

(٣) انظر ٩٢ - ٩٣ ؛ والفصل ٣٨ في الفقرة عن التاريخ .

(٤) الانساب ، ج ٤ B ، ص ٣٠ ؛ العقد ج ٣ ، ص ٤٠٣ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج ٤ ، ص ٩١ .

(٥) قابل : العقد ، ج ٣ ، ص ٤٠٤ .

(٦) ذكر صاحب الاغاني في الجزء الاول ص ٣ انه قد توخى في اختياره للاخبار الى ما فيه « رونق يروق الناظر ويلهي السامع » .

جرى مجراها من المجاميع الادبية التي لا يجوز ان تعتمد بدلائها الحرفية . وكان يزيد الثاني شغوفاً بالقيان فضلاً عن الحمر، وكان يقضي معظم وقته مع قيلتين اثنتين عنده هما سلامة وحبابة . وكان يوماً يداعب حبابة فالتقى فيها بحبة غيب فشرقت بها وماتت . فجزع عليها جزعاً ذهب بحياته^١ . على ان صاحب السبق في الشرب كان ابنه الوليد الثاني (٧٤٣ - ٤٤) ، الخليفة الذي لا يرعوي ، والذي كان لهو الاثير ، كما في الاخبار ، ان يسبح في بركة من الحمر ، ويشرب منها حتى يهبط مستوى سطحها^٢ . ويقال انه فتح القرآن يوماً ، فوقع عينه على الآية واستفتحوا «وخاب كل جبار عنيد»^٣ . فغضب غضباً شديداً ، ورمى الكتاب الكريم بنباله حتى مزقه^٤ . وقد حفظ لنا صاحب الاغاني^٥ رواية شاهد عيان ، وصف بها بعض مجالس الوليد الخليفة ، وكان يقيم بعضها في قصره بالبادية قرب القريتين ، في منتصف الطريق بين دمشق وتدمر . اما الخلفاء الذين كانوا على جانب من الرصانة ، فكانوا يحتجبون عن مطربهم بستاثر يضرّبونها دونهم . ولم يكن الوليد من هؤلاء^٦ .

اللهو البريء

وقد اخذ بعض الخلفاء ورجال بطانتهم بضروب من اللهو البريء نذكر منها الصيد والسباق ولعب الترد . اما لعبة الكرة والصولجان فالغالب انها تسربت اليهم من الفرس في اواخر العصر الاموي ، ولم تلبث ان غدت من امتع ضروب الرياضة وارقاها لدى العباسيين . ولم تكن مشاهدة قتال الديكة من الامور النادرة . وكان الصيد من ضروب اللهو القديمة في الجزيرة ، وكان العرب يستخدمون اولاً الكلاب السلوقية (منسوبة الى سلوق في اليمن) وحدها ، لكنهم استعانوا في ما

١) العميون والحدائق (١٨٦٥) ، ص ٤٠ - ٤١ ؛ قابل الاغاني ، ج ١٣ ، ص ١٦٥ .

٢) النواحي ، حلبة الكمين (القاهرة، ١٢٩٩) ، ص ٩٨ .

٣) القرآن الكريم ، سورة ابراهيم ، آية ١٨ .

٤) الاغاني ، ج ٦ ، ص ١٢٥ .

٥) الاغاني ، ج ٢ ، ص ٧٢ .

٦) الجاحظ ، التاج في اخلاق الملوك ، نشر احمد زكي (القاهرة، ١٩١٤) ، ص ٣٢ .

بعد بالفهود . وكان الفرس والمنود قد عنوا بترويض الكلاب لهذه الغاية قبل العرب بزمان طويل . وكان يزيد بن معاوية اول صياد اشتهر في الاسلام ، فعلم الفهود ان تركب على اكفال الجياد لدى الخروج الى الصيد . وكان يلبس كلاب الصيد خلاخل من ذهب ، ويعين لكل منها عبداً يقوم على خدمته^١ . وكان الوليد من اسبق الخلفاء الى تنظيم المهرجانات العامة لسباق الخيل او رعايتها^٢ . وكان اخوه سليمان قد اعدّ العدة لاقامة سباق عام يتبارى فيه الفرسان ، لكنه مات قبل ان يحقق ذلك^٣ . وقد اشترك في سباق اجراه اخوها هشام اربعة الاف فرس من خيول الامراء وسواها ، « ولم يعرف ذلك في جاهلية ولا اسلام لاحد من الناس »^٤ . وكان لهشام ابنة تقتني الخيول وتعتنى بامرها^٥ .

نساء الخلفاء

والذي يبدو ان سيدات البلاط كنّ يتمنن نسبياً بقسط وافر من الحرية . فقد كن ولا شك يظهرن محجّبات في المجتمعات العامة ، اذ الحجاب تقليد سامي قديم اقرّه القرآن^٦ . وهذه عائكة ابنة معاوية الجميلة يقول فيها الشعر شاعر مكّي يسمح له استراق النظر اليها وهي في طريقها الى الحج ، فيما كانت الحجب والستائر مرفوعة . ولم يتردد الشاعر في ان يلحق بها حتى عاصمة ابيها . وهنا وجد الخليفة انه لا بد له من ان « يقطع لسان الشاعر » بالطريقة التقليدية ، وهي انه وصله بصلة مالية ، ثم اختار له ، الى ذلك ، زوجة موافقة^٧ . ويقال عن حفيدة لمعاوية تدعى عائكة ايضاً ، انها غضبت على زوجها ، وهو الخليفة العاتي عبد الملك بن مروان

(١) الفخري ، ص ٧٦ .

(٢) المسعودي ، ج ٦ ، ص ١٣ - ١٧ .

(٣) ابن الجوزي ، السيرة ، ص ٥٦ .

(٤) المسعودي ، ج ٥ ، ص ٤٦٦ .

(٥) العيون والحدائق (١٨٦٥) ص ٦٩ ، س ١٢ سورة الاحزاب : ٥٣ ، ٥٥ .

(٦) انظر الجزء الاول ص ١٨٨ ، ٤٣٢ .

(٧) الاغانى ، ج ٦ ، ص ١٥٨ - ٦١ .

ودخلت غرفتها واوصدت الباب على نفسها ، وابت ان تفتحه لاحد . حتى جاءها احد افراد الحاشية الاثريين عندها وهو يبكي ، ووقف على بابها طالباً شفاعتها لدى عبد الملك ، مدعياً باطلاً ، ان احد ابنه قد قتل الآخر ، وان عبد الملك قد امر بقتل القاتل^١ . وان شاعراً آخر ، هو وضاح اليمن ، بلغ من جرأته ان نظم شعراً تغزل فيه باحدى زوجات الوليد في دمشق ، ولم يأبه لتهديد الخليفة . لكنه لم يلبث ان قُتل بجراًته^٢ . ولقد كان من عادة هذا الشاعر ، وسواه من الرجال ذوي الصورة الجميلة ، ان يجلبوا وجوههم في الاحتفالات العامة حتى لا يصابوا بالعين^٣ . لكن نظام الحريم ، وما رافقه من استخدام الحصيان ، لم يندُ عرفاً سالكاً حتى عهد الوليد الثاني^٤ . وقد جرى العرب في اتخاذ الحصيان على السياق البيزنطي ، وكان معظم الحصيان الاولين من الروم^٥ .

العاصمة

لا يمكن ان تكون مدينة دمشق قد تغيرت كثيراً ، في مظاهرها الخارجية ، ومناهج الحياة فيها ، منذ عهد الامويين . فقد كانت آنذاك ، مثلها اليوم ، ذات دروب ضيقة مسقوفة ، فيها الشامي بسرويله الفضفاضة ، وعمامته الكبيرة ، وحذائه الاحمر المستدق الرأس ، يسير جنباً الى جنب بدوي قد لوثته الشمس ، والتف بعباءة متهدلة ، وستر رأسه بكوفية وعقال . وقد يمر من وقت الى آخر رجل يرتدي ملابس افريقية^٦ . او تعبر الطريق بضع نساء محجبات ، ويسترق غيرهن النظر من نوافذ مشبكة في بيوتهن التي تشرف على الاسواق والساحات

(١) السعودي ، ج ٥ ، ص ٢٧٣ - ٧٥ .

(٢) الاغانى ، ج ٦ ، ص ٣٦ وما يتبع ؛ ج ١١ ، ص ٤٩ .

(٣) الاغانى ، ج ٦ ، ص ٣٣ .

(٤) الاغانى ، ج ٤ ، ص ٧٨ - ٧٩ .

J. B. Bury, *The Imperial Administrative System in the Ninth Century* (٥ (London, 1911), pp. 120 seq. ; Charles Diehl, *Byzance : Grandeur et décadence* (Paris, 1919). p. 154.

(٦) تعريب Frank ، اطلقت على جميع الاوروبيين وشاعت على الاخص في عهد الصليبيين .

العامة . ولم تكن هنالك قوانين للسير الى اليمين والى اليسار ؛ ولا كان الدرب مقسوماً بين الراكب والراجل . وقد يرى الناظر في وسط الجموع المزدحمة رجلاً من الاشراف على صهوة جواده ، وقد ارتدى عباءة من حرير ، وتقلد في وسطه سيفاً ؛ ويسمع اصوات باعة الشراب والحلوى ، تعلو وسط هذا الضجيج الناجم عن وقع اقدام المارة ، وحوافر الحمير ، واخفاف الجمال ، التي تحمل المنتجات المختلفة من البادية والمزارع ؛ ويتنسم جو المدينة الذي يعبق باصناف الروائح المختلفة : بما يشغل العين والاذن والانف .

وفي دمشق ، كما في حمص وحلب ، وسواهما من المدن ، اقام العرب في احياء مختلفة تبعاً لرابطتهم القبلية . ولا يزال هذا التقسيم الى حارات واحياء واضعاً حتى اليوم . وكان لكل بيت باب على الشارع يؤدي الى بهو داخلي يتوسطه حوض ماء كبير ، فيه نافورة ينطلق منها الماء في الفضاء ، مكوناً حجاباً ثابتاً من الرشاش . وقد نبئت الى جانبه شجرة يرتقال او اترج^١ . والامويون هم اصحاب الفضل في تجهيز دمشق بنظام لتوزيع المياه منقطع النظير في ذلك العهد ، لا يزال مألوفاً الى اليوم . ولا يزال اسم احدهم — هو يزيد الاول — يطلق على قناة متصلة بنهر بردى ، كان هو الذي شقها او وسع جوانبها^٢ . اما الجنائن الغناء التي تحيط بالمدينة — العوطة — فمدينة بوجودها لنهر بردى الذي تجري منه المياه في قنوات اخرى الى انحاء المدينة لتبعث فيها النضارة والخصب . ولا يزال في دمشق الى اليوم نحو من ستين حماماً عاماً ، بعضها مزدان بالفسيفساء والبلاط المزخرف ، وكلها تشهد لغزارة المياه في المدينة ، ولاحكام توزيعها^٣ .

طبقات المجتمع

كان سكان الامبراطورية ينقسمون الى اربع طبقات ، اعلاها طبقة الحاكمين وجماعة الاشراف من العرب الفاتحين . وكان العرب ، حتى العهد العباسي ، يؤلفون

(١) الاصطخري ، ص ٥٩ ؛ قابل N. Sauvage ، « Description de Damas : 'Oyoun et-Tawârikh , par Mohammed ebn Châker » , *Journal asiatique* , ser. 9, vol. vii (1896) , p. 400 .

(٢) M. Ecochard , *Les Bains de Damas* (Beirut , للاستزادة من هذا الموضوع راجع : 1942) .

طبقة اجتماعية وراثية لا يعرف عدد افرادها بالضبط ، انما ينبغي ان لا يغيب عن الذهن ان الذين رغبوا في الزراعة من العرب والبدو كانوا قليلين ، ولذلك غلب عليهم التجمع في المدن . وكان من الطبيعي ان يتعاشى العرب جبال لبنان ، وعلى ذلك لم ينزح اليه العرب الا في القرن التاسع فما بعد . وفي بعض الاخبار المتأخرة ان التنوخيين ، الذين كان لهم في امور لبنان السياسية شأن بارز ، لم يدخلوه حتى اوائل القرن التاسع^١ . ولم يكن هؤلاء التنوخيون كثيري العدد ، ولا تحدث منهم ذرية ما^٢ ، شأنهم في ذلك شأن سواهم من الاسر الاقطاعية . اما بنو عاملة ، فقد انساحوا الى المنطقة الجنوبية منه ، بعد القرن الحادي عشر^٣ . وكذلك في سورية ، فان بني حمدان الذين أسسوا دولتهم في حلب^٤ لم يبلغوا اليها حتى اواسط القرن العاشر . ثم بلغها بعدهم بنو مرداس^٥ في اوائل الحادي عشر ، وتولوا الحكم فيها من بعدهم . وما هو جدير بالذكر ، ان هذه القبائل لم تأت ، ولا واحدة منها ، نواً من البادية ؛ بل كانوا ممن سبق لهم ان اقاموا في الحيرة ، او في سواها من مناطق الهلال الخصيب . اما في ما يتعلق بالقبائل البدوية التي تسيطر اليوم على بادية الشام ، فان هجرتها اليها حديثة نسبياً . فعرب عنزة لم يستقروا فيها حتى مطلع النصف الثاني من القرن السابع عشر ، اذ لحقوا بقبائل شمر الذين سبقوهم اليها من نجد ؛ وما عرب الرولى الا فرع من عنزة ، وهم آخر من هاجر من البدو الى سورية^٦ .

ولا شك ان بعض العرب ، وربما البدو ، قد تسللوا الى الارياض ، وانشأوا فيها القرى . وقد نشأ هذه القرى على مراحل انتقالية واضحة : من استيطان

١) الشدياق ، تاريخ الاعيان في جبل لبنان (بيروت ، ١٨٥٩) ، ص ٢٢٤ ، قابل : صالح ابن يحيى ، تاريخ بيروت ، نشر لويس شيخو (بيروت ، ١٩٠٢) ، ص ٦٥ ، وفيه نسب تنوخ ، التي تحدر منها بنو مجتر ، الى احد ملوك الغنمين المنذر بن ماء السماء ، لا الى قبيلة تنوخ .

٢) قابل : فؤاد حزة ، قلب جزيرة العرب (القاهرة ، ١٩٣٣) ، ص ٢٣٣ .

٣) راجع ما سبق ، ص ٦ ح ١

٤) انظر ما سيأتي في الفصل ٤٣ حول الحمدانيين .

٥) انظر ما سيأتي في الفصل ٤٤ حول المرداسيين .

٦) راجع وصفي زكريا ، عشاير الشام ، ج ١ (دمشق ، ١٩٤٥) ، ص ١١٧ - ١١٨ .

مؤقت ، الى حياة بدوية زراعية ذات حظ من الاستقرار ، فالى حياة ريفية مستقرة . ونشأت معظم هذه القرى حول منابع المياه ، واعتبر في اختيار مواقعها سهولة الدفاع وخصب التربة . اما مناقب الحياة البدوية ، وخصائص نظامها ، نظير التماسك العائلي ، والافتخار بالشجاعة والضيافة وطغيان الاحاسيس الشخصية في جميع العلاقات الانسانية ، فلا تزال بارزة ، وموضوعاً للثناء العظيم ، في المجتمع السوري والبناني .

بلغ الجيش العربي الذي فتح سورية نحواً من ٢٥ الف جندي^١ . فقد كان عدد الجنود من المسلمين العرب في عهد مروان الاول ، عشرين الفاً ، كما في سجلات ديوان الجند في حمص وتوابعها . وكان عددهم في عهد الوليد الاول خمسة واربعين الفاً في دمشق وملحقاتها ، التي اشتملت على الساحل الفينيقي . وعلى هذا الاساس ، فان عدد المسلمين في سورية ، في القرن الاول بعد الفتح ، لا يحتمل ان يكون قد زاد على مئتي الف نفس ، من اصل مجموع السكان الذين كانوا يقدرون بثلاثة ملايين ونصف^٢ . اما لبنان ، فقد بقي معظم سكانه من الآراميين الذين تحددوا من اصل فينيقي . وكان في جميع الامصار اقلية ضئيلة من البدو ، لكن هؤلاء استطاعوا ان يلعبوا دورهم الهام في العمل على توحيد الاكثرية المنتشرة في الاصقاع المتباعدة .

لقد كان من استقرار العرب في المدن ان غدت العربية في غضون ذلك الزمن لغة المدن . ثم ان تردد ابناء الريف الى المدن لبيع منتجاتهم او مزاوله اعمالهم ، دعاهم الى تعلم اللغة الجديدة ، دون ان يضطروهم الى التخلي عن لسانهم القديم . وكذلك اهل الفكر من السكان الاصليين ، فقد استنسبوا ان يتعلموا العربية من اجل ان يؤهلوا انفسهم للعمل في وظائف الدولة .

ان عدد الذين سارعوا الى اعتناق الاسلام من ابناء الارياف كان اقل ، بطبيعة الحال ، من اولئك الذين اقبلوا على اللغة الجديدة . ذلك ، في الدرجة الاولى ، لان

(١) راجع ما سبق ص ٤١٥ - ١٦٠ .

(٢) قابل الجزء الاول ص ٣٠٦ ، ٣٢٣ ؛ Lammenus, *La Syrie*, vol. i, pp. 119-20 .

الحلفاء الامويين، باستثناء الخليفة الورع عمر الثاني^١، لم يجذبوا هذا التحول، لا سيما في الاوساط الزراعية. وعلى ذلك، فان تساهل الامويين لم يكن محصوراً في الامور السياسية، بل كان عاماً في المنحى الديني والفكري ايضاً. ولئن كانت العاصمة والمدن الكبرى قد اتسمت، لدى انصرام العهد الاموي، بسمات المدن الاسلامية، فان الاماكن الاخرى، وعلى الاخص المناطق الجبلية، قد حافظت على مظاهرها الاقليمية، وابتقت على طابعها الحضاري المحلي. ولقد اخرجت سورية الاموية لاهوتياً من اعظم لاهوتي الكنيسة الشرقية، واشهر واضعي التسابيح في شعائرها، هو يوحنا الدمشقي؛ واعدت للسيحية من ابنائها خمسة من البابوات، ارتفع منهم اثنان الى مصاف القديسين^٢. اما لبنان، فقد بقي مسيحياً في ايمانه، وسريانياً في لسانه، لقرون عديدة بعد الفتح. والواقع ان الذي انتهى امره بالفتح هو النزاع الحربي، اما الحسام الديني والعربي والاجتماعي، وفوق ذلك كله اللغوي، فكان ما يزال في اوله.

طبقة الموالي

ويلي طبقة العرب المسلمين طبقة الموالي، اي المسلمين من الاعاجم، وهم السكان الاصليون، الذين 'حملوا' عن طريق القوة او الضغط او الاضطهاد على اعتناق الاسلام، فتم لهم بذلك التمتع؛ ولو اسمياً، بحقوق الرعاية الاسلامية جميعها. وكان دأب هؤلاء ان يلتحقوا ببعض القبائل العربية عن طريق الولاء، فيعتبروا من افرادها ويحسبوا من مواليها.

لكن التحاقهم بالعرب على هذه الصورة ادى الى اعتبارهم الطبقة الاجتماعية الدنيا في البيئة الاسلامية، فامتعضوا لذلك اشد الامتعاض، واطفروا هذه المراتبة التي ملأت نفوسهم بانحيازهم الى الشيعة في العراق، والى الخوارج في فارس. على ان البعض منهم قد اعتنق الدين الجديد عن ايمان وحرارة، غدوا بها اقوى دعامته

(١) راجع ص ٩ - ١١ من هذا الجزء.

(٢) م يوحنا الخامس (٦٨٥ - ٨٦)، القديس سرجيوس (٦٨٧ - ٧٠١)، سيسينيوس (٧٠٨)، قسطنطين (٧٠٨ - ١٥)، القديس غريغوريوس الثالث (٧٣١ - ٤١)؛ انظر ما يلي ص ١١٥، Horace K. Mann, vol. i, pt. 2 (St. Louis, 1914), pp. 64-7, 77-104, 124-6, 127-40, 203-24.

واشدهم اضطهاداً لابناء دينهم السابق . ولقد كان الموالي ، بطبيعة الحال ، السابقين في المجتمع الاسلامي الى تركيز جهودهم على العناية بالابحاث العلمية والفنون الجميلة . فقد نقلوا ادبهم وعلومهم الى ابناء دينهم الجديد ؛ وما ان اظهروا تفوقهم على العرب في ميدان العلم والفكر ، حتى اخذوا ينافسونهم في تولي الزعامة السياسية . ثم نتج عن اختلاطهم بهم بالزواج تهجين الدم العربي ، حتى آل الامر اخيراً الى اطلاق لفظة « عرب » على جميع المسلمين الذين تكلموا العربية ، دون اعتبار للعرق الذي تحدروا منه .

اهل الذمة

وكانت الطبقة الثالثة تتألف من اهل الذمة ، وهم الذين قبل منهم دينهم على انه دين منزل ، والمراد بهم النصارى واليهود والصابئة ؛ ذلك ان الاسلام شملهم بالامان ، وصانهم بالعهود والمواثيق . وقد اتاح النبي نفسه^١ للنصارى واليهود هذا الوضع السمح على اعتبار انهم اهل الكتاب ، ومرد ذلك انما هو اجلال النبي للكتاب المقدس ، من جهة ، وعلمه من جهة اخرى ، بان عدداً من القبائل العربية النازلة على تخوم سورية والعراق ، كبني غسان ، وبكر وتغلب وتنوخ ، كانت قد تنصرت . اما الصابئة فقد منحوا هذا الامتياز^٢ على اعتبار انهم موحدون . وهؤلاء هم المندبيون المعروفون بنصارى القديس يوحنا ؛ ولا يزال منهم قوم يسكنون الى الآن الاغوار المحاذية لمصب نهر الفرات . اما في الجزيرة العربية بالذات ، فلم يسمح بوجود غير المسلمين ، وذلك عملاً بمحدث منسوب الى النبي . وقد استثنى من ذلك جماعة قليلة من يهود اليمن . على ان هذا الوضع السمح ، الذي تمتع به اهل الذمة ، غدا مبرراً لتجريدتهم من السلاح ، وفرض الجزية عليهم ، في مقابل حماية المسلمين لهم ؛ وكان هذا التدبير هو الحل الذي اعتمده الاسلام لمشكلة الاقليات .

لقد اتاح هذا الوضع لاهل الذمة ان يتمتعوا بقسط وافر من الحرية ، وذلك في مقابل اداء ضريبة الحراج والجزية . على انهم ، اذ لم يكونوا من صميم المجتمع الديني ذي السيادة في البلاد ، كانوا في منزلة اجتماعية وسياسية ثانوية . وظل مرجعهم في

(١) سورة التوبة : ٢٩ ، البقرة : ٩٩ ، ١٠٣ ، آل عمران : ٦٢ - ٦٥ الخ .

(٢) سورة البقرة : ٥٩ ، المائدة : ٧٣ ، سورة الحج : ١٧ .

الامور المدنية والقضائية الى رؤسائهم الروحيين الا في القضايا التي مست المسلمين^١، ذلك لان ذوي الامر استنكفوا من تطبيق الشريعة المحمدية عليهم، اذ هي لم توضع لهم. وقد بقيت بعض المبادئ العامة في هذا النظام تسري على اهل الذمة ابان العصر العثماني، وفي عهد الانتداب. اما مبدأ الجمع بين الدين والسياسة، فهو تقليد سامي قديم، وليس هو من محدثات الاسلام.

على ان هذا الوضع السمج الذي نُصَّ به اهل الذمة في عهد النبي قد شمل، بعد ذلك، عبدة النار (المجوس) من اتباع زرادشت، وعبدة الكواكب من اهل حرّان (الصابئة)، والوثنيين من البرابرة وسواهم. ومع ان هؤلاء لم يكونوا اصحاب دين سماوي، وكانوا قانونياً خارج نطاق الاسلام، فقد اتاح لهم الفاتحون المسلمون الاختيار بين ثلاثة امور هي: الاسلام والسيف، والجزية؛ بدلاً من امرين لا غير: هما الاسلام والسيف. فقد صرّح ابو يوسف القاضي المعروف في عهد هارون الرشيد، ان المشركين وعبدة النار وعبدة الاصنام، فضلاً عن اهل الكتاب، يجوز ان يمنحوه الامانة، ويعتبروا مواطنين داخلين في ذمة الدولة الاسلامية.

ولقد كان اهل الذمة في سورية، حتى عهد عمر الثاني، يعاملون بالحسنى، لا يستثنى من ذلك الا حادثة واحدة وقعت لامير تغلب المسيحية، اذ قتله الوليد الاول لامتناعه عن اعتناق الاسلام^٢. والظاهر ان المسلمين كانوا اقل تساهلاً بشأن النصارى المتحدرين من اصل عربي، كما يبدو ذلك من هذا الحادث، ومن موقفهم من بني تنوخ بوجه الاجمال. فقد دعي النازلون في جوار قنشرين من التنوخيين الى الاسلام، وعلى اثر فتح سورية، فلبى بعضهم الدعوة^٣. واجبر المهدي العباسي (٧٧٥ - ٨٥) المقيمين منهم في جوار حلب على اعتناق الاسلام، وعمد الى هدم كنائسهم. أما القبط في مصر، فبعد ان لجأوا في اثبات كياناتهم الى الانتفاض على أسيادهم المسلمين، عادوا فأثروا الخضوع في خلافة المأمون العباسي (٨١٣ - ٨٣٣)^٤.

(١) راجع سورة المائدة: ٤٧ - ٥٢.

(٢) الحراج، ص ٧٩، ص ١٥ - ١٧.

(٣) الاغانى، ج ١٠، ص ٩٩.

(٤) البلاذري، ص ١٤٤ - ٤٥.

(٥) الكندي، تاريخ مصر وولاتها نشر روفون غست Ruyon Guest (لندن، ١٩١٢)، ص ٧٣، ٨١، ٩٦، ١١٦، ١١٧؛ القرظي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (بولاق، ١٢٧٠)، ج ٢، ص ٤٩٧.

ولقد استأنف النصارى واليهود مزاوله الاعمال التي طالما كسبوا بها عيشهم، مع ان البعض من هذه الاعمال، نظير صنع الخمر والمتاجرة بها، وبممارسة بعض الالعب التي هي من قبيل الميسر، كانت جميعها محرمة في الاسلام. وقد استمرت حانات الخمر ودور المقامرة، حيث كان لعب الترد من احب ضروب اللهو، في ازدهارها؛ بل قد تمتعت احياناً برعاية بعض المتنفذين حتى من المسلمين. وكان الرهبان ارباب خبرة واسعة في صناعة الخمر، وجني العسل، وتعهده الاثمار والازهار. اما في ما يتعلق بالاديار، فغالبا الظن انها كانت تشتمل على دار ضيافة للهو والسمر. وقد اورد العمري (ت ٣٤٩)، وهو من ابناء دمشق، اخباراً كثيرة عمل فيها الخلفاء وسواهم من المسلمين على رعاية الاديار والمناسك، من اجل الشرب واللهو؛ ولم يكن ذلك اللهو دائماً من النوع البريء. وهذا الامر يصدق بصورة خاصة على الوليد بن يزيد^١. ففي رواية ان الوليد استطاب خمره شربها في احد الاديار الى حد انه ملأ الجرن الذي شرب محتواه هو واخوه، بالنقود الفضية. وقد كانت الخمر تصدر من لبنان حتى المدينة جنوباً؛ وروي عن شاعر حجازي كاتب يقضي ليلي كثيرة حتى الصبح في مجلس هو مع اصحابه، انه اثار ريبة زوجته، فقال لها:

لا تعدميني نديماً ماجداً انفاً لا قائداً قاذفاً خلقاً بيهتان
سبيته من قرى بيروت صافية^٢ عذراء اوسبتت من ارض بيسان
انا لنشربها حتى تميل بنسا كما تميل وسان بوسنان^٣.

قيود عمر

ان شهرة عمر بن عبد العزيز لم تقم، في الدرجة الاولى، على تقواه او على الغاء الضرائب عن المستجدين في الاسلام فحسب، بل على انه اسبق الخلفاء في الاسلام الى وضع القيود الشديدة على الرعايا المسيحيين - تلك القيود التي نسبت خطأ الى سميح السابق عمر ابن الخطاب^٤. فقد سن قوانين حظر بموجبها على النصارى تقلد

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار، نشر أحمد زكي، ج ١، (القاهرة، ١٩٢٤)، ص ٣٢١ - ٣٢٢، ٣٤٩، ٣٥١ - ٣٥٢، ٣٥٥ - ٥٦.
(٢) قابل الجزء الاول ١٠٤، ٣٢٨ - ٣٣٠.
(٣) الاغانى، ج ٢، ص ٨٦، ٨٨.
(٤) راجع ص ٣١ من هذا الجزء. ابن عبد الحكم، ص ١٥١ - ٥٢.

الوظائف في مناصب الدولة، وحرّم عليهم لبس العمام، والزهم، بجزّ نواصيهم، وبأن يرتدوا ملابس خاصة، ويشدوا اوساطهم باحزمة من جلد، ويركبوا مطاياهم دون ان تسرج؛ ثمّ معهم من بناء الكنائس، ومن رفع اصواتهم في الصلاة. وقصر عقوبة المسلم، ان هو قتل نصرانياً، على الدية، وقضى برفض شهادة النصراني على المسلم. ومن المحتمل ان تكون هذه التدابير قد وضعت استجابة لطلب الجمهور. اما في الوظائف الادارية والمهام التجارية والاعمال الصناعية، فلم يتمكن العرب المسلمون، وجلهم ما زالوا اميين، ان ينافسوا ابناء البلاد من المسيحيين. كذلك اليهود - وهم اقل عدداً من النصارى، وقد مارسوا من الاعمال ما هو احقر - فان بعض هذه القيود، على ما يبدو، قد سرت عليهم، وانهم حرموا كذلك من تقلد المناصب في الدولة. ومن الجدير بالذكر ان التمييز بين جماعات الناس، عن طريق الزامهم بارتداء ملابس خاصة، تدبير عرف قبل الاسلام في الشرق الادنى، وان بعض هذه القيود لم تطبق بعد عهد عمر.

طبقة الرقيق

وكان الرقيق الطبقة الدنيا من طبقات المجتمع. والرقيق نظام سامي قديم، اقرته التوراة فغداً نظاماً شرعياً. ثم قبله الاسلام، بعد ان نص على اصلاح حالة العبيد؛ اذ حرّم الشرع على المسلم ان يستعبد اخاه في الدين، لكنه لم يمنح العبد من الاعاجم الحق بان يعتق لدى اعتناق الاسلام.

وكان اقتناء العبيد في فجر الاسلام عن طريق الشراء او الاختطاف او الغزو او الاسر في الحروب ان لم تؤد عن الاسير الفدية، وفيهم النساء والاولاد. ولم تلبث تجارة الرقيق ان نشطت في العالم الاسلامي، وجنى منها اصحابها ارباحاً وافرة. وكانت اسواق الرقيق تستورد الزنوج من افريقيا الشمالية والوسطى، والرقيق الاصفر من فرغانة وتركستان الصينية، والرقيق الابيض من الشرق الادنى واوروبا الجنوبية الشرقية. وكانت طبقة الرقيق تستمد حيويتها واستمرارها من نظام الرقيق نفسه. فالشرع الاسلامي يعتبر اولاد الامة من العبد، او من اي رجل غير سيدها، او من سيدها ان هو لم يلحقها بنسبه، عبيداً ايضاً. اما اولاد العبد من زوجة حرة فكأنوا يعدون من الاحرار.

ثم ان القرآن قد نصّ على وضع متوسط بين السيد من جهة والامة من جهة اخرى تخلف عن نظام التسري، فاعتبر اولاد السيد من جاريته احراراً، وارتفعت منزلة الجارية الى «ام ولد». وعندها يحظر على الزوج بيعها او اهداؤها لاحد؛ فاذا مات عنها اعتقت. وقد طالما اعتبر اطلاق العبد قرباناً يتقرب به السيد من ربه. وكان العبد المحرر يتمتع بما يحق للمولى من سيده، حتى انه ليرث ممتلكات سيده اذا توفي بلا وارث. لقد كانت دور العبيد، في هذا الاختلاط الذي عمل على مزج العرب بالاعاجم، دوراً هاماً ولا شك. وقد جرى هذا في طبقة الاشراف كما في طبقة العوام. فيزيد الثالث انهار فخر الخلفاء التقليدي بصفاء الدم العربي الذي يجري في عروقهم، اذ كانت امه اميرة فارسية، سباهها الحجاج في خراسان، وارسلها هدية الى الوليد؛ في حين كان ابراهيم، اخو يزيد وولي عهده، ابناً لجارية لعلها يونانية^١. وكانت ام مروان الثاني، الذي ولي الخلافة بعد ابراهيم، امه كردية^٢؛ وفي رواية انها كانت حبلى بمروان عندما اقتناها ابوه^٣، مما يمتنع معه ان يكون آخر خلفاء بني امية امويّاً. واخذ من ثمّ يزداد مقام الامة على مقام الزوجة بصورة مطردة في العصر العباسي^٤.

الوضع الاقتصادي العام

ان انفصال سورية عن الامبراطورية البيزنطية اضعف تجارتها البحرية الى حد بعيد. لكنها استعاضت عن ذلك نوعاً باسواق جديدة اتاحت لها بسيادتها على فارس وآسيا الوسطى. ولقد عمد العرب الى اثبات سطوح السفن التي كانت تخوض المتوسط بمسامير من حديد، وعملوا على طلبها بالقطران، منعاً لتسرب الماء الى داخلها. اما تلك التي نخرت في خليج فارس والمياه الشرقية، فكانت سطوحها

-
- (١) العقد؛ ج ٢، ص ٣٣٣، ٣٥٢؛ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٠١، ٤٠٣؛ الطبري، ج ٢، ص ١٨٧٤، المسعودي ج ٤، ص ٣١ - ٣٢.
- (٢) اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٠٤؛ الطبري، ج ٣، ص ٥١.
- (٣) الانساب، ج ٥، ص ١٨٦.
- (٤) انظر ما سيأتي في الفصل ٤١ في الفقرة عن عصر جديد.

قد ثبتت ، قبل ولاية الحجاج ، بالجلال ، فامر ان تعالج بالتدبير الذي عولجت به سفن المتوسط^١ . وقد بلغت سفن الحجاج حتى جزيرة سيلان البعيدة ، وتعرضت احياناً لغارات القرصان الهنود^٢ . وقد انشأ عبد الملك داراً لصناعة السفن في تونس^٣ غير تلك التي انشأها معاوية في عكا^٤ ، ثم نقل ابنه مصنع عكا الى صور ، حيث بقي حتى زمن المتوكل العباسي^٥ . وكان في البصرة وضواحيها ، في عهد بعض المتأخرين من حكامها في العصر الاموي ، نحو من ١٢٠ الف قناة تمخرها القوارب الصغيرة . غير ان الاصطخري^٦ قد شك بصحة هذا الرقم ، وهو جغرافي من ابناء القرن العاشر زار المكان بنفسه .

وهذه القنوات كانت قد شقت اولاً ، كما في دمشق ، خدمة للري . على ان الزراعة في سورية بوجه الاجمال لم تتضرر كثيراً ، رغم ما كان من طمع القيسين على بيت المال . ولم يكن تحريم الخمر في الاسلام ليقتضي على زراعة الكرمه ، الا الى مدى محدود . وهي ما زالت في ازدهارها منذ اقدم الازمنة .

١) ابن رسته ؛ الاعلاق النفيسة ، نشر دي غويه (لیدن ، ١٨٩١) ص ١٩٥ - ١٩٦ .

٢) البلاذري ، ص ٤٣٥ .

٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢١١ .

٤) راجع ص ٢٤ من هذا الجزء .

٥) البلاذري ، ص ١١٨ .

٦) ص ٨٠ .

الفصل الثامن والثلاثون

مناحي الحياة الفكرية في العهد الأموي

عندما بادر السوريون والعراقيون والفرس والقبط والبربر الى الدخول في حظيرة الاسلام ، وامتزجوا بالعرب عن طريق الزواج ، زال الحاجز الذي كان يفصل بين الفريقين ، وغدا المسلم ، كائنة ما كانت جنسيته الاصلية ، يقبل على تعلم العربية ، فيعتبر في جملة العرب . على ان العرب انفسهم لم يصطحبوا من الجزيرة شيئاً من العلم او الفن او التقليد الفكري او التراث الثقافي ، وانما جاءوا بمنصرين جديدين من عناصر الثقافة هما اللغة العربية والدين الاسلامي ؛ اما في ما سوى ذلك ، فقد وجدوا انفسهم مضطرين الى الاعتماد على الشعوب التي غلبوها على امرها ، فكلوا يمثلون بين ايدي مواليمهم مثول التلميذ امام استاذ . وبذلك غدوا مثلاً آخر على المنتصر يغدو اشيراً للمقهور ، وعليه فقد كانت مكانة السوريين من العرب . نظير مكانة اليونان من الرومان . فاذا نحن تحدثنا عن الطب والفلسفة او الرياضيات عند العرب ، فلسنا نعني ضرورة انها من نتاج العقل العربي ، او انها نمت وازدهرت برعاية سكان الجزيرة العربية ؛ بل نقصد انها اودعت كتباً عربية ألفها علماء من السوريين والفرس والعراقيين والمصريين والعرب ، من نصارى ويهود ومسلمين ، بعد ان استملوا اصولها من منابع يونانية وآرامية وهندية وفارسية ، وغير ذلك من المصادر .

على ان الحياة الفكرية زمن الامويين لم تبلغ مستوى رفيعاً ، اذ كان هذا العصر بوجه الاجمال عصر تمخض واختار . ذلك ان قربه من الجاهلية ، وتوالي الفتن وكثرة الحروب ، واضطراب الحالة الاقتصادية والاجتماعية ، عملت جميعها على عرقلة ما من شأنه ان ينهض بالحركة الفكرية . ومع ذلك فقد كان هذا العهد هو العهد الذي بذرت فيه البذور التي قدر لها ان تنمو وتزكو وتبلغ غاية نضجها في خلافة بني العباس .

النحو والمعاجم

كان درس قواعد اللغة من المهام الفكرية الاولى التي اضطلع بها العرب في هذا العصر . وكان بما دعا الى ذلك حاجة المستجدين في الاسلام الى تعلمها ، ورغبتهم في قراءة القرآن ، وحرصهم على تقلد الوظائف الحكومية ، واملمهم في الالتحاق ببطقة الفاتحين . والجدير بالذكر ان المحاولة الاولى لدرس اللغة العربية . درساً علمياً بدأت في مدينة البصرة ، الواقعة في جوار الحدود الفارسية . ولئن كانت هذه الخطوة قد تحققت في الاصل من اجل المسلمين الاعاجم . فقد كان هؤلاء في جملة القيمين عليها . ففي هذه المدينة اشتهر ابو الاسود الدؤلي (٦٨٨) الذي جعلته اخبار الرواة منشيء النحو العربي . وقد أورد ابن خلكان^١ ، احد مشاهير مؤلني التراجم ، خبراً ساذجاً عن نشأة هذا العلم ، حيث ذكر ان علياً هو الذي وضع لابي الاسود المبدأ الاساسي ، وهو ان «الكلام كله ثلاثة اضرب اسم وفعل وحرف ، ثم دفعه اليه وقال له : تتم على هذا الاساس» . فأنتم موفقاً . وواقع الامر ان النحو العربي انما نشأ وتطور على نحو بطيء وفي امد طويل . وقد اتسم بسمت بارزة من المنطق اليوناني والخصائص اللغوية السنسكريتية .

ثم ان عالماً آخر من علماء البصرة ، هو الخليل بن احمد (ت حوالي ٧٨٦) ، تولى جمع اول معجم في اللغة العربية ، هو المعجم المعروف بكتاب العين . والذي يبدو ان الخليل قد اعتمد في تنسيق معجمه النظام الابجدي السنسكريتي الذي يبدأ بالحرف الحلي «ع» . وينسب اصحاب التراجم الى الخليل ايضاً استنباط بحور الشعر العربي ووضع اصول العروض^٢ ، بما لا يزال متبعاً الى يومنا هذا .

الحديث والشرع

ان توفر المسلمين على درس القرآن ، وحرصهم على التدقيق في شرحه ، افضيا بهم الى وضع علمين توأمين هما علم المفردات وفقه اللغة ؛ وكان من ذلك ايضاً ان نشأ علم آخر تمثل به اخص ظاهرة من ظواهر الفكر الاسلامي ، هو علم الحديث .

(١) ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٤٢٩ - ٣٠ .

(٢) ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٣٠٧ .

والحديث، بدلولة الاصطلاح، هو الكلام المنسوب الى النبي، او الى احد صحابه. لذلك كان القرآن والحديث بمثابة الاساس الذي قام عليه علم الفقه واصول الدين، واصبحا الوجهين الملازمين للشريعة الطاهرة. على اننا نكاد لا نعرف من اعلام هذه الحقبة، التي لم يبلغنا من آثارها شيء يذكر، الا نفرأ قليلاً من المحدثين والفقهاء، اشتهرهم الحسن البصري (ت ٧٢٨)، وابن شهاب الزهري (ت ٧٤٢). والمعتقد ان الحسن البصري قد عرف شخصياً اكثر من سبعين من الصحابة. وقد كان اهل السنة لا يملكون من تناقل اقواله الرشيدة. وارباب التصوف لا ينكرون تأثير زهده وتقاه^١. وكان الزهري شديد الاستغراق في درس الحديث حتى ان زوجته قالت له يوماً: «والله لهذه الكتب اشد عليّ من ثلاث ضرائر^٢». اما مدينة الكوفة، التي كانت تنافس البصرة في ميدان النشاط الفكري، فقد اخرجت عمرو ابن شراحيل الشعبي (ت حوالي ٧٢٨)، الذي يقال انه اخذ الحديث عن نحو من مئة وخمسين من الصحابة^٣، وانه كان يرويه من الذاكرة دون ان يدون منه شيئاً. ولقد ارسله عبد الملك بن مروان بمهمة ذات بال الى امبراطور الروم في القسطنطينية.

ان القانون الروماني قد اثر ولا شك، اما بصورة مباشرة واما عن طريق التلمود وسواه، في بعض وجوه التشريع الاسلامي، في سورية ومصر، ابان الخلافة الاموية؛ وذلك في المعاملات^٤، ودواوين الدولة: نظير السكة والخاتم والقراطيس المستخدمة لكتابة الوثائق، وغير هذه من المنافع العامة. وقد جرى العرب على غرار الروم في اعتبار هذه الشؤون والمنافع من المهام الخاصة بالدولة، وفي اعتبار الدولة مسؤولة عن حماية الرعية من التزوير والتزييف والتهميش، وكل ما يتصل بها من المخالفات. واعتبروا من واجبها كذلك ازالة العقوبات الشديدة بمرتكبيها^٥. اما التنفيذ فقد جرى عن طريق الوظائف الادارية التي ورثها العرب والمستجدون

(١) الراغب في الزيادة ان يراجع ابن خلكان، ج ١، ص ٢٢٧ - ٢٩.

(٢) ابن خلكان، ج ٢، ص ٢٢٣؛ ابو الفداء، ج ١، ص ٢١٥ - ١٦.

(٣) السمعاني، الانساب، نشر مرغوليوث (لندن، ١٩١٢) ورقة رقم ٣٣٤؛ قابل ابن خلكان،

ج ١، ص ٤٣٦.

(٤) انظر: M. Hamīdullāh, «Influence of Roman on Moslem Law», Hyderabad Academy Studies, No. 6 (1943), pp. 43 seq.

(٥) البلاذري، ص ٢٦٢ - ٧٠.

في الاسلام من الشعوب التي كانت خاضعة ، في ما سبق ، للدولة البيزنطية . ومع ذلك كله فان القارئ لا يصادف في تعابير التشريع العربي الفاظاً مقتبسة من اليونانية ولا اللاتينية ، مع ان بعض التعابير العربية تؤدي المعنى نفسه الذي تؤديه التعابير اللاتينية المقابلة لها ^١ . ولسنا كذلك على علم باي كتاب في القانون الروماني ترجم الى العربية . وينبغي ان لا يغرب عن البال ان جميع المذاهب الفقهية الكبرى انما نشأت وازدهرت في مناطق غير بيزنطية ، منها العراق والحجاز ^٢ . اما المذهب الضعيف الذي انشأه في سورية الامام الازاعي ^٣ (ت ٧٧٤) فلم يعيش طويلاً .

تدوين التاريخ

بدأ تدوين التاريخ على نحو رواية الحديث ، وكان اول المهام الفكرية التي عني بها المسلمون العرب . وقد كان الدافع الى الاهتمام بالتاريخ رغبة المؤمنين في جمع اخبار النبي والصحابة ، والحاجة الى التثبت من نسب كل عربي مسلم ، لتعيين العطاء المفروض له من بيت المال ، ثم حرص الخلفاء الاولين على تقصي اخبار الملوك والحكام الذين سبقوهم . وهذا معاوية يستدعي عبيداً (عبيداً) ^٤ الى دمشق ليحدثه عن ملوك العرب القدماء على اختلاف بمالكهم ^٥ فيؤلف له « كتاب الملوك واخبار الماضين » . وكان هذا الكتاب لا يزال يتمتع بانتشار واسع في عهد المسعودي المؤرخ ^٦ (ت ٩٥٦) . ومن اشتهر في علم الاوائل وهب بن منبه (ت حوالي ٧٢٨) ، وهو يهودي من اهل اليمن يغلب انه اعتنق الاسلام . وقد نشر له منذ عهد قصير كتاب اسمه « التيجان » يبحث في ملوك حير .

الخطابة

ان الخطابة على انواعها قد ازدهرت في العصر الاموي ازدهاراً لم تبلغ نظيره

(١) انظر ما يلي ، آخر الفصل ٤٢ .

(٢) انظر ما يلي ، آخر الفصل ٤٢ .

(٣) انظر ما يلي ، فصل ٤٢ في الفقرة عن الازاعي .

(٤) راجع الفصل ٤٧ حول حياة الاسرة الحاكمة .

(٥) الفهرست ، ص ٨٩ ، س ٢٦ ؛ وهب بن منبه ، التيجان في ملوك حير (حيدرآباد ، ١٣٤٧) ،

ص ٣١٢ - ١٣ ؛ ابن خلكان ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ .

(٦) مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٨٩ .

في ما بعد . فقد كان خطيب المسجد يلجأ إليها في عظة الجمعة ليؤدي عن طريقها رسالته الدينية . وكان القائد يستعين بها على إثارة الحماسة في صدور الجنود ، والحاكم يعول عليها في بث الروح القومية في نفوس رعاياه . ولا تزال عظة الحسن البصري التي القاها في حضور عمر بن عبد العزيز ، وحفظ منها شيء في سيرة عمر^١ ، وخطب زياد بن أبيه^٢ الحماسية ، وخطب الحجاج^٣ النارية ، تعد إلى الآن ، من انفس الذخائر الادبية التي بقيت لنا من ذلك الزمن القديم^٤ .

كتابة الرسائل

وكانت رسائل الخلفاء الاولين بالغة الاليجاز واضحة الغرض . ولم يُعتمد الى اطلتها وتنميقها والانهاب فيها الا في اواخر العهد الاموي . وقد ذكر ابن خلكان^٥ ان اول من اطلها عبد الحميد الكاتب (ت ٧٥٠) ، كاتب الخليفة الخاص . اما ما تميزت به هذه الرسائل من رقة واناقة ، فينم عن مؤثرات فارسية . وهذه المؤثرات الفارسية كثيراً ما تلحظ في الحكم والامثال القديمة .

الشعر

لم يكن عهد الفتوحات العنيف مؤاتياً لظهور الشعراء في امة ذات تقليد راسخ في الشعر . ولا كان الاسلام مؤاتياً لنشاط ربة القريض^٦ . ولكن ما كاد الامويون يتولون الخلافة ، ويدفعون السياسة في اتجاه دنيوي ، حتى عادت الصلات بألهة الجمر والقناء والشعر الى سابق عهدها . وفي هذه الفترة بلغ الانتاج الشعري اوج ازدهاره . وكان من اقدم الشعراء الامويين كعب بن جعيل التغلبي (ت حوالي ٧٠٥) .

(١) ابن الجوزي ، السيرة ، ص ١٢١ - ٢٦ .

(٢) انظر الفصل ٣٣ حول العراق في استقرار مؤقت .

(٣) انظر الفصل ٣٥ حول الحجاج الوالي النشيط .

(٤) من رغب في شواهد اخرى فليراجع ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج ٢ (القاهرة ، ١٩٢٨) ص ٢٣١ - ٥٢ ، الجاحظ ، البيان والبيان ، ج ١ (القاهرة ، ١٩٢٦) ص ١٧٧ وما يتبع ، ج ٢ ؛ (١٩٢٧) ، ص ٤٧ وما يتبع ؛ المقد ، ج ٢ ، ١٧٢ ، وما يتبع .

(٥) ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٣٥٠ ، قابل السعدي ، ج ٦ ، ص ٨١ .

(٦) القرآن ، سورة الشعراء : ٢٤ - ٢٧ ، سورة يس : ٦٩ ؛ سورة الحاقة : ٤١ .

وكانت بعض بطون تغلب قد دخلت الاسلام . ومع ان كعباً كان قد اعتنق الاسلام ، فانه كان يقسم بالله النصارى والمسلمين ، ويجلّ قرأء الانجيل والقرآن على السواء^١ . وان الاثر المسيحي ليتجلى في شعره اكثر مما يتجلى في شعر نسيبه المسيحي الاخطل .

وكان الاخطل^٢ (حوالي ٦٣٤ - حوالي ٧٢٨) شاعر البلاط الأموي ، وكان يناصر قضية الأمويين في وجه الحزب الديني . ولم يكن يتردد في هجاء المنافسين اذا كان ذلك يطلب من يزيد . وذلك بخلاف موقف كعب^٣ . وكان الاخطل ، بوصفه شاعر البلاط ، يدخل على معاوية والصليب يتدلى من عنقه . على ان التعليم المسيحي لا يبدو انه كان قد مس قلب هذا الشاعر المدمن الفاجر الا مساً رقيقاً . فقد قال لزوجه الحامل يوماً ، اذ جرت وراء اسقف واكب على حماره ، لتبرك بلس ثوبه فلم تصب الا ذيل الحمار : « هو وذنب حماره سينان »^٤ .

وكان الاخطل واحداً من ثلاثة شعراء ملأ ذكرهم العصر . وكان الآخرون جريراً الهجاء اللاذع (ت حوالي ٧٢٩) وهو شاعر الحجاج^٥ ، والقرزوق الفاسق (٦٤٠ - ٧٣٣) شاعر عبد الملك واولاده : الوليد وسليمان^٦ ويزيد . وكانوا في مديهم - وهو مورد رزقهم - يقومون نحو أسيادهم بما تقوم به الصحافة الحزبية اليوم . وكثيراً ما كان الهجاء ينشب بينهم فيحمل واحدهم على الآخر . اما من حيث جودة الشعر فقد كانوا في طليعة شعراء العرب ، حتى ان نقدة العرب لم يقفوا على من يجوز ان يوازيهم منذ ذلك العهد .

- (١) خليل مردم « كعب بن جعيل النفلي » . مجلة المجمع العلمي العربي ، ج ١٩ (١٩٤٤) ، ص ١٥ - ٢٤ ، ١٠٤ - ١٢ .
- (٢) لقد نشرت مجموعتان من شعره تحت عنوان « شعر الاخطل » نشرهما الاب صالحاني (بيروت ، ١٨٩١ ، ١٩٠٥) .
- (٣) ابن قتيبة ، كتاب الشعر والشعراء ، نشر دي غوبه (ليدن ، ١٩٠٢ - ٤) ، ص ٣٠١ - ٤ .
- (٤) الاغاني . ج ٧ ، ص ١٨٣ .
- (٥) ابن قتيبة ، الشعر ، ص ٢٨٧ . ومن رغب في شواهد اخرى فليراجع ديوانه (القاهرة ، ١٣١٣) ، ج ١ .
- (٦) ابن قتيبة ، الشعر ، ص ٢٠٧ - ٩٧ . وللإطلاع على مدائحه راجع ديوانه . أعده ر . بوشني (باريس ، ١٨٧٥) ونشر بعد وفاته . راجع أيضاً الاغاني ، ج ٨ ، ص ١٨٦ - ٩٧ ، ج ١٩ ، ص ٢ - ٥٢ ؛ ابن خلكان ، ج ٣ ، ص ١٣٦ - ٤٦ .

وفي العهد الاموي تجلّى الشعر الغزلي ، لأول مرة ، بأجلى مظاهره . وكان الزعيم الاكبر لشعراء الجزيرة عمر بن ابي ربيعة (ت حوالي ٧١٩) ، امير شعراء الغزل في الادب العربي . كان عمر قرشياً^١ ، فوقف شعره الحبي على النساء الجميلات الوافدات الى الاماكن المقدسة لتأدية فريضة الحج ، واستطاع ان يخلد شعوره نحو الجنس اللطيف بشعر يجيش عاطفة ، والفاظ تدوب رقة .

وكما كان عمر يمثل في شعره الحب الاباحي ، كان معاصره جميل العذري (ت ٧٠١) يمثل بشعره الحب العذري البريء ذا الطابع الافلاطوني . وكان جميل من بني عذرة ، وهي قبيلة نصرانية كانت تقيم في الحجاز . وكان الشعر الذي قاله في بثينة - وهي فتاة من قومه^٢ - ينم عن روح رقيقة ، لا نظير لها في ذلك العهد . ولقد كان لجميل في هذا النوع من الشعر الغنائي الرقيق منافس ، هو شاعر نسجت حوله هالة اسطورية ، دعي بقرن بن الملوّح ، وعرف بمجنون ليلى^٣ ، (ت حوالي ٦٩٩) . فقد افتتن قيس هذا بفتاة من بني قومه بادلتها الحب ، لكن اباه اكرهاها على الزواج من سواه . وعندها اضاع قيس صوابه ياساً ، وهام على وجهه شبه عارٍ ، يحول بين هضاب نجد واوديته بقية حياته ، يتغنى بمفاتن حبيبته ، ويحن الى نظرة من محياها ؛ ولا يعود الى رشده الا متى ذكر له اسمها . ولقد غدا مجنون ليلى بطلاً لروايات لا تحصى في الادب العربي والتركي والفارسي ، كلها تشيد بقوة الحب الخالد .

والى جانب الشعر الحبي بدأ الشعر السياسي بالظهور في هذا العصر . وكانت اولى مناسباته المباشرة ليزيد بالخلافة^٥ ، اذ طلب الى مسكين الدارمي ان ينظم شعراً يناسب المقام ، وينبشه علناً في هذه المناسبة^٦ . وقد بلغ هذا الشعر السياسي

(١) الاغاني ، ج ١ ، ص ٣٢ . للاطلاع على حياته وشعره راجع : جبرائيل جبور ، عمر ابن ابي ربيعة ، مجلدان (بيروت ، ١٩٣٥ / ١٩٣٩) .

(٢) ابن قتيبة ، الشعر ، ص ٢٦٠ - ٦٨ : الاغاني ، ج ٧ ، ص ٧٧ - ١٠٠ .

(٣) الاغاني ، ج ١ ، ص ١٦٩ ، كما في ابن خلكان ، ج ١ ، ص ١٤٨ .

(٤) الكتبي ، فوات الوفيات ، (بولاق ، ١٢٨٣) ، ج ٢ ، ص ١٧٢ .

(٥) راجع ما سبق ، ص ٤٢ من هذا الجزء .

(٦) الاغاني ، ج ١٨ ، ص ٧١ - ٧٢ : قابل ابن قتيبة ، الشعر ، ص ٣٤٧ .

أوجه في القصيدة التي نظمها عبيد الله بن قيس الرقيات^١ (ت ٧٠٤) في عبد الملك ابن مروان. وفي هذا العصر تحققت كذلك أولى المحاولات لجمع الشعر الجاهلي القديم، وذلك على يد حماد الراوية (حوالي ٧١٣ - ٧٧٢). وكان حماد فارسي الأصل، وكان في لسانه عجمة؛ وقد عُدد بين الذين اشتهروا في تاريخ العرب بالذاكرة العجيبة. وفي بعض الروايات انه قدم مرة الى الوليد بن يزيد - وهو شاعر كذلك^٢ - لينشده من الشعر الجاهلي وحده مئة قصيدة على كل حرف من حروف الهجاء؛ وان الوليد سمع منه بالذات أولاً، ثم اتاب عنه من يواصل الاستماع اليه، فبلغ ما انشده ٢٩٠٠ قصيدة. وعندها سر منه الخليفة، وأمر له بمئة الف درهم^٣.

ثم ان قرب العهد بين الشعر الأموي من جهة، والاسلام وشعر الجاهلية من جهة أخرى، قد اضفى عليه من صفاء الاسلوب وقوة التعبير وجلال الطبع، ما جعله مثلاً تحتذيه الاجيال اللاحقة؛ وغدت اوضاعه وخصائصه الفنية، منذ ذلك العهد، النموذج الذي احتذاه الشعراء العرب في التعبير عن خواجهم الخاصة، والنظم في اغراضهم العامة. وكان من ذلك عجز الشاعر، منذ ذلك الحين، عن ان يسلم نفسه عن تراثه الادبي، وان يبدع شعراً انسانياً يبقى على مرور الزمن. ولذلك كان جل اعتماد النحاة في مؤلفاتهم على شواهد استمدوها من الشعر الجاهلي والأموي.

التربية والتعليم

لم تكن التربية ذات نظام مقرر في ذلك العهد وانما ارسل الأمويون احداً منهم الى البادية شرقاً لكي يقبسوا اللهجة العربية الصافية، ويمارسوا ركوب الخيل، ويتعلموا الرماية والقتل. وكان معاوية صاحب السابقة في ارسال ابنه وولي عهده

(١) راجع ديوانه نشر رودو كنتاكس (قينا، ١٩٠٢) ص ٦٧ وما يلي.

(٢) راجع ديوانه نشر غبريلي (دمشق، ١٩٣٧) حيث تبرز تحرياته.

(٣) ابن خلكان، ج ١، ص ٢٩٢، الاغاني، ج ٥، ص ١٦٤ - ٦٥. انظر كذلك النقد، ج ٣، ص ١٣٧ - ٣٨.

(٤) راجع ص ٤١ - ٤٢ من هذا الجزء.

العتيد الى البادية لهذا الغرض . وقد كان الجمهور يعتبر الفتى مؤدّباً ان هو تعلم القراءة والكتابة ، واحسن الرماية والسباحة . اما من برع في هذه الامور ، فقد كان فوق المتأدب ، انه الرجل الكامل^١ . وغالب الظن ان اشتراط السباحة في العلم امر نشأ مع ظروف العيش على ساحل المتوسط . اما المثل الخلقية العليا في التربية ، كما يشف عنها ادب العصر ، فقد حاولت ان تنبئ على القيم الخلقية التي طالما اعتز بها اهل البادية نظير : الشجاعة ، والصبر ، والمروءة ، والجود ، والضيافة ، وحفظ الجوار ، والوفاء بالعهود .

وقد غدا المؤدب في عهد عبد الملك بن مروان في جملة حاشية البلاط . وكان بما اوصى به عبد الملك مؤدب اولاده « علّمهم الصوم ، وخذّم بقلة النوم »^٢ . لكن عمر بن عبد العزيز كان اميل الى العنف بحق اولاده ، فكان يوعز بمعاقبتهم بالضرب ان هم لحنوا^٣ . ويتجلى تقاه في ما اوصى به مؤدب اولاده حيث قال « ... وليكن اول ما يعتقدون من ادبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان ، وعاقبتها سخط الرحمن »^٤ .

اما من رغب في العلم من الجمهور فلم يكن متاحاً له من المدارس ، منذ بدء الاسلام ، الا الحلقات المسجدية . وكان محور التعليم في هذه الحلقات القرآن والحديث ، وكان القراء هم المعلمين الاولين . فالقراء ، والحالة هذه ، اقدم المعلمين في الاسلام ؛ ولايزالون القيمين على التعليم في الارياف والقرى النائية . وكانت عمر بن الخطاب ، منذ سنة ٦٣٨ ، قد ارسل نفراً من هؤلاء المعلمين الى جميع الانحاء ، وامر الناس ان يجتمعوا اليهم في المساجد ايام الجمعة . وكانت اول معلم برزت شهرته في مصر قاضياً ارسله اليها عمر بن عبد العزيز سنة ٧٤٦ هـ . وكان للضحاك

(١) ابن سعد ، ج ٣ ، قسم ٢ ، ص ٩١ ، ١٠ - ١١ ، قابل ج ٥ ، ص ٣٠٩ ، ص ٧ وما بعد ؛ الاغانى ج ٦ ، ص ١٦٥ ، ص ٩ .

(٢) المبرّد ، ص ٧٧ ، ص ٦ - ٧ .

(٣) ياقوت ، معجم الادباء ، نشر مرغوليوث ، ج ١ ، (لیدن ، ١٩٠٧) ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٤) ابن الجوزي ، السيرة ، ص ٢٥٧ - ٥٨ . راجع الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ١٤٣ - ١٣٨ .

(٥) الكندي ، الولاة ، ص ٨٩ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، (القاهرة ، ١٣٢١) ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

ابن مزاحم (ت ٧٢٣) ، وهو احد مؤدبي اولاد عبد الملك^١ ، كُتِبَ في الكوفة يعلم فيه الصبيان دون ان يستوفي منهم رسوماً^٢ .

العلوم - علم الطب

وكان اعتماد العرب في العلوم الطبيعية على اليونان ، وكان اسبقها الى الظهور عندهم علم الطب . وتتجلى وجهة نظر المسلمين الى العلوم الطبية في الحديث المنسوب الى النبي ، وهو : « العلم علان ، علم الاديان وعلم الابدان » .

وعندما اكتسح العرب آسيا الغربية كانت علوم اليونان قد فقدت حيويتها وفعاليتها ، وغدت تراثاً تقليدياً تداولته ايدي الشارحين والمحترفين من اجدادها اليونانية او السريانية . وقد كان اطباء البلاط الاموي نقرأ من هؤلاء ، اشتهر منهم الطبيب النصراني ابن اثال ، طبيب معاوية^٣ ، والطبيب اليوناني ثياذوق ، طبيب الحجاج^٤ . وكان من هؤلاء طبيب يهودي ، فارسي الاصل ، بصري الموطن ، اسمه ماسرجويه ؛ عمل سنة ٦٨٣ ، في خلافة مروان بن الحكم ، على ترجمة كتاب في الطب عن السريانية ، كان قد ألفه باليونانية راهب نصراني في الاسكندرية اسمه اهرون^٥ ؛ فكان اول كتاب علمي بلغة الاسلام . ويذكر عن الوليد ، حفيد عبد الملك ، انه عزل المصابين بالجذام والعمى ، وسواهما من الامراض المزمنة ، ورتب لهم ما ينبغي للعناية بامرهم^٦ ؛ فتحققت بذلك اول مؤسسة صحية في الاسلام . وقد ذكر عن عمر ابن عبد العزيز انه امر بنقل معاهد الطب من الاسكندرية ، حيث ازدهر الطب اليوناني ، الى انطاكية وحران^٧ .

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

(٢) ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٢١٠ .

(٣) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء (القاهرة ، ١٨٨٢) ، ج ١ ، ص ١١٦ ،

(٤) ابن ابي اصيبعة ، ج ١ ، ص ١٢١ .

(٥) ابن العبري ، ص ١٩٢ .

(٦) ابن العبري ، ص ١٩٥ ؛ الطبري ، ج ٢ ، ص ١١٩٦ ، السعدي ، المخطوط ، ج ٢ ،

ص ٤٥٥ .

(٧) ابن ابي اصيبعة ، ج ١ ، ص ١١٦ ، ص ٢٥ - ٢٦ .

علم الكيمياء القديم

وكان من العلوم المتصلة بالطب علم الكيمياء القديم ، وهو من العلوم الاولى التي ظفرت بعناية العرب ، ادى فيه العرب ، كما في علم الطب خدمات بارزة . ولقد ورد في الاخبار عن خالد بن يزيد (ت ٧٠٤ او ٧٠٨) انه كان اول عالم وحكيم في الاسلام ؛ وانه كان ، على ما ذكر صاحب الفهرست^١ ، اول من امر بتقل كتب في الكيمياء والطب والتنجيم عن اليونانية والقبطية الى العربية . والحقيقة التي تستشف من هذه المزاعم ان الحوافز الاولى التي دفعت العرب الى طلب العلم ، والمعارف العلمية الاولى التي كسبوها ، انما صدرت من اصول يونانية . ثم ان الاخبار تقرن اسم هذا الامير الاموي باسم جابر بن حيان ، مع ان جابراً زها بعد هذا العصر بزمان طويل (حوالي ٧٧٦) ؛ وسنأتي على ذكره فيما بعد . وكذلك الرسائل الموضوعة في التنجيم والكيمياء ، والمنسوبة الى جعفر الصادق (٧٠٠ - ٧٦٥)^٢ ، وهو احد الائمة الاثني عشر عند الشيعة ، فقد اظهر البحث العلمي الحديث انها منقولة^٣ .

المجاري الفكرية

وقد ظهر في العصر الاموي كذلك حركات دينية فلسفية عديدة غلب عليها اسم الفرق . ذلك ان احتكاك المسلمين بالنصارى في سورية اثار ضرباً من التأمل الديني والنقاش الفكري ، انتهى بظهور عدد من تلك الفرق ، من اشهرها فرقة المعتزلة . والمعتزلة فرقة دينية فلسفية تعتمد العقل في بناء آرائها ؛ اسسها في البصرة واصل بن عطاء (ت ٧٤٨) ، وكان معتقدها الاول ان المسلم اذا ارتكب كبيرة خرج من جماعة المؤمنين ، لكنه لا يكون في عداد الكفار ، بل يعدو في منزلة بين

(١) الفهرست ، ص ٢٤٢ ، ٣٥٤ : Julius Ruska, *Arabische Alchemisten, I. Chälid* : ٣٥٤ ، ٢٤٢ ، ٣٥٤ : *Ibn Jazt Ibn Mu'awija*, (Heidelberg, 1924), pp. 8 seq.

(٢) الفهرست ، ص ٣١٧ ، ص ٢٥ ؛ ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٣٠٠ ، حاجي خليفة ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، نشر فلوغل ، ج ٢ ، (ليون ، ١٨٣٧) ، ص ٥٨١ ، ٦٠٤ ؛ ج ٣ ، (لندن ، ١٨٤٢) ، ص ٥٣ ، ١٢٨ .

(٣) انظر : J. Ruska, *Arabische Alchemisten, II. Ga'far Al šādiq, der sechste Imām* (Heidelberg, 1924) pp. 49-59.

المؤلفين^١. وكان واصل احد تلامذة الحسن البصري ، وكان يميل الى الاخذ بهذا الرأي ، فجعله نقطة التحول في تعليم المعتزلة . وكان من آرائها الاساسية ايضاً ان الصفات الالهية ، نظير القدرة والحكمة والحياة ، ليس لها وجود ازلي بازاء ازلية الذات الالهية ، وذلك على اعتبار ان اثبات الصفات يفسد عقيدة التوحيد ، وهي العقيدة الاساسية في التعليم الاسلامي . وعمدت المعتزلة كذلك الى الحد من القدرة الالهية من اجل توثيق فكرة العدالة . ومن هنا كان شيوخ المعتزلة يؤثرون ان يعرفوا « بأهل العدل والتوحيد » . بلغت هذه الحركة الفكرية اوجها ابان خلافة المأمون العباسي^٢ في مدينة بغداد ، وفيها استؤنف النشاط الفكري من حيث انتهى في البصرة والكوفة .

وهناك فرقة اخرى كانت قد اعتنقت فكرة حرية الارادة في هذا العصر عرفت بالقدرية (من معنى القدرة) ، وذلك معارضةً للجبرية (من معنى الالتزام^٣) . ذلك ان ظهور القدرية كان ردّة في وجه التعليم الاسلامي الصارم الذي يقول بالجبّر المطلق ، مستخرجاً بما نص عليه القرآن من ان قدرة الله لا تحده ؛ وهذه الردة تم ، في ما يبدو ، عن تأثير نصراني . وعلى ذلك فقد كان القديريون يذهبون الى ان الانسان يملك القدرة على اعماله . ولقد كانت هذه الفرقة اقدم الفرق الفلسفية في الاسلام ، وكان لها في تعليم حرية الارادة اتباع كثيرون كآل منهم اثنان من خلفاء بني أمية هما معاوية الثاني ويزيد الثالث^٥ .

القديس يوحنا الدمشقي

وكان من ابرز من تسرب على يدهم الاثر المسيحي والفكر اليوناني الى الجلو

١) المسعودي ، ج ٦ ، ص ٢٢ ؛ ج ٧ ، ص ٢٣٤ ؛ قابل الشهرستاني ، ص ٣٣ ؛ البغدادى ، اصول الدين (استنبول ، ١٩٢٨) ، ج ١ ، ص ٣٣٥ ؛ المختصر ، ص ٩٨ ؛ التوبخى ، فرق الشيعة . نشر ريتز (استنبول ، ١٩٣١) ، ص ٥ .

٢) انظر ما سيأتى في الفصل ٤١ في آخر الفقرة عن القتل في سورية ولبنان وفلسطين .

٣) قابل الاليجي ، كتاب المواقف ، نشر سورنسن (ليبنغ ، ١٨٤٨) ، ص ٣٣٤ ، ٣٦٢ .

٤) سورة آل عمران : ٢٥ - ٢٦ ؛ الحجر : ٢١ ؛ الشورى : ٢٦ ؛ الأخرى : ١٠ .

٥) قابل ابن حزم ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ج ٣ (القاهرة ، ١٣٤٧) ، ص ٣١ .

الاسلامي القديس يوحنا الدمشقي (٦٧٠ - حوالي ٧٤٩) . ويوحنا الدمشقي هذا - وهو الملقب « بدفاق الذهب » نظراً لفصاحة لسانه - كان يؤلف باللغة اليونانية ، مع انه كان سورياً . وقد تكلم في حياته اليومية اللغة الآرامية ولا شك ، وكان الى ذلك يحسن العربية . وقد كانت المناقشات التي نشبت بينه وبين علماء المسلمين ، حول حرية الارادة وعقيدة القضاء والقدر ، البادرة التي استهلت عهد الحركة العقلانية في الاسلام^٢ ؛ وكان يعلم ان الله خلق العالم وتركه يجري بقوة استمراره^٣ . وكان يوحنا في صباه يحضر مجالس الشراب مع الاخطل ويزيد بن معاوية . وقد شغل ، في ما بعد ، منصباً رفيعاً في الدولة كان لوالده من قبله على انه لم يلبث ان اعتزل هذا العمل في اوائل خلافة هشام (حوالي ٧٢٤) ولجأ الى دير القديس سابا في الجنوب الشرقي من مدينة القدس ، يعيش فيه حياة الزاهدين المنقطعين الى العبادة .

ولقد وضع القديس يوحنا عدداً من روائع المؤلفات^٤ ، من اهمها كتاب « ينبوع الحكمة » الذي لخص فيه آراء المشاهير من المؤلفين الكنسيين الذين تقدموه ، ونسقها تنسيقاً حسناً . وكان هذا الكتاب اول « خلاصة لاهوتية » وصلت الينا . وقد اعتمده بطرس اللومباردي وتوما الاكوييني ، وغدا المرجع والمعتمد لمشاهير علماء الدين من جاء بعدهما . وقد نُقل الكثير من مؤلفات يوحنا الى اللسان اللاتيني . واتفقت الكنيسة اليونانية والكنيسة اللاتينية على اعتباره قديساً . ومن اطرف ما كتب مما نحن بصدده محاورتان ساقها بين مسيحي ومسلم ، شدد فيهما على الهوية المسيح وحرية الارادة الانسانية^٥ . وكان الغرض من هذا الكتاب ان يكون تبريراً للنصرانية ، ومستنداً لهداية النصارى في مناقشة المسلمين ؛ ولعل مادته مستوحاة من المناظرات التي كانت تجري امام الخليفة ، ويشترك هو فيها بالذات بما يشهد على انه كان يعرف القرآن والحديث معرفة المسلمين لها^٦ .

(١) قد احتفل بمرور اثني عشر قرناً على وفاته في دمشق سنة ١٩٥٠ .

(٢) راجع الفصل ٤١ حول الاضطرابات في سورية ولبنان وفلسطين .

(٣) انظر كتابه : « Exposition of the Orthodox Faith », in *Nicene and Post-Nicene Fathers*, ser. 2, vol. ix, p. 39.

(٤) *Migne, Patrologia Graeca*, vols. xciv-xcvi

(٥) *Migne*, vol. xciv, cols. 1585-98 ; vol. xcvi, cols. 1335-48

(٦) راجع ص ٤٠ - ٤١ من هذا الجزء .

في ما يتصل بقصة يولام الزاهد، ويوصافات الامير الهندي^١ - ولعلها اشهر حكاية دينية في العصور الوسطى - فان نسبتها الى القديس يوحنا غير صحيحة. ذلك ان اصلها اللاتيني واليوناني يعود الى ترجمة عربية عن اصل فارسي، متأخر عن عهد القديس يوحنا^٢. والقصة هي الرواية المسيحية لحياة بوذا، ومن الغرابة ان تكون الكنيسة اللاتينية والكنيسة اليونانية قد اجلّته على السواء باسم يوصافات.



القديس يوحنا المعمدان

وكان من وجوه النشاط البارزة في حياته، دفاعه عن استخدام الصور كوسيلة للعبادة، مع التشديد بان المعبود ليس هو مادة الصورة، بل ما تمثله^٣. وكان ذلك في الوقت الذي كان فيه الامبراطور ليو الايصوري يبذل الجهد البالغ لابطال الايقونات ترفلاً منه، فيما يظن، الى المسلمين. وكانت من ذلك ان تعرض يوحنا لغضب الامبراطور. وقبل وفاته بوقت قصير، قام بجولة واسعة في سورية داعياً الى مقاومة مبطلاي الايقونات، وبلغ من جرأته ان قصد الى القسطنطينية معرضاً حياته لخطر الموت. لقد كانت الشعائر الدينية، على اختلاف مظاهرها، ذات

اهمية حيوية في تقديره؛ وقد نظم هو نفسه اناشيد روحية (حفظت بعضها الكنائس الانجيلية في كتب اناشيدها) بلغت من جمال الشعر الكنسي ارفع مقام. وكان القديس يوحنا آخر آباء كنيسة الروم الشرقية. وكان من حيث هو عالم لاهوتي، وخطيب ديني، ومدافع كنسي، ومجادل عقائدي، ومنظم للفن البيزنطي، وللموسيقى البيزنطية، من ابرز مفاخر الكنيسة في ظل الخلافة.

Migne, vol. xcvi, cols. 857-1250 (١)

(٢) راجع: "Barlaam and Ioasaph" in *Encyclopedia Catholica*

Nicene Post-Nicene Fathers, Ser. 2, vol. ix, p. 88 (٣)

المرجئة

كانت الحركة الفكرية التي قام بها الخوارج والقدرية والمعتزلة الخطوات الاولى في الاتجاه الذي نال من صلابه موقف أهل السنة، وكانت حركة المرجئة الخطوة التالية في هذا الاتجاه. وكان الركن الاول في تعليم المرجئة ارجاء الحكم على اصحاب الكبار وعلم التسليم باخراجهم من حظيرة الايمان^١. ذلك لانهم اعتقدوا ان الاعمال ليست شرطاً في صحة الايمان. وانما نشأ هذا التعليم من اجل تبرير موقف الحلفاء الامويين الذين اتهموا بالتهاون في تطبيق الشريعة المقدسة. فقد ذهب ارباب هذا الرأي الى ان الامويين مسلمون ولو اسمياً، ولما كانوا، بحكم الواقع، قادة الاسلام السياسيين، فقد وجبت لهم الطاعة على جميع المسلمين. وقالوا ان علياً ومعاوية كليهما من عبيد الله، فالحكم بشأنهما لله وحده. وفي هذا الجو السمج الذي خيم على هذه الحركة الفكرية نشأ الامام الكبير ابو حنيفة (ت ٧٦٧)، مؤسس المذهب الاول من المذاهب الفقهية الاربعة في الاسلام^٢.

الخوارج

وكان الخوارج، نظير المرجئة، من الفرق السياسية الدينية في الفكر الاسلامي. يعود منشأهم الى عهد صفين، اذ سخط على علي^٣ جماعة من اتباعه، لانه جعل حقه في الخلافة موضوعاً للتحكيم^٤. وكان هؤلاء من اخلص اتباعه، فعدوا من اشد خصومه. اما غرضهم فكان المحافظة على المبادئ الديمقراطية الاولى التي اقرها التعليم الاسلامي. ومن اجل ذلك اثاروا حروباً وقتناً متواصلة، بقيت الدماء تجري بسببها مدة ثلاثة قرون. فلقد عارضوا المبدأ القائل بحصر حق الخلافة في قريش، وابوا الاخذ بكمرامة الاولياء، وبما يرافق ذلك من مراسيم بخاسة وزيارات الى

(١) قابل البغدادي، المختصر، ص ١٢٢ - ٢٣؛ ابن حزم، ج ٢، ص ٨٩.

(٢) انظر ما سيأتي في الفصل ٤١ في الفقرة عن الاوزاعي.

(٣) راجع ما سبق، ص ٣٢ - ٣٣ من هذا الجزء.

(٤) ابن الجوزي، نقد العلم والهاء (القاهرة، ١٣٤٠). ص ١٠٢.

مدافن الصالحين . وحرّموا الطرق الصوفية على اختلافها . وقد بقي منهم الى الآن الفرقة المعروفة بالاباضية، وهم اتباع ابن اباض^١ . احد زعمائهم في النصف الثاني من القرن الاول للهجرة . وتجدد اليوم متفرقين في الجزائر وليبيا وعمان ونجيبار .

على ان اهم تلك الفرق على الاطلاق كانت فرقة الشيعة ، وهي احد الفريقين المتعادين للذين تحلفا عن الانشقاق الذي وقع بين المسلمين في عهد الاسلام الاول ، بسبب الاختلاف على صاحب الحق الشرعي في الخلافة ؛ واما الفريق الآخر فهو اهل السنة^٢ . وفي العهد الاموي تهيأ للشيعة توطيد نظامها ؛ وكان الفارق الاساسي بين الشيعة (انصار علي) والسنة (جماعة المحافظين) مسألة الامامة ، وهي خلافة محمد ورئاسة المسلمين . فالشيعة تنسب بأن امامة علي وابنائهم هي الامامة الحقة الوحيدة ، وهي في ذلك نظير الكشركة التي تمسك بخلافة البابوات للقديس بطرس . فالنبي قد اعتبر القرآن — وهو كلام الله المنزل — الواسطة بين الله والبشر ، اما الشيعة فقد جعلت ذلك الوسيط انساناً هو الامام^٣ . وعلى ذلك فالسني يعبر عن عقيدته بأنه يؤمن بالله الواحد الصمد يؤمن بنزول القرآن المحفوظ في السماء منذ الازل ، اما الشيعي فيزيد فقرة اخرى لاستكمال التعبير عن الايمان اذ يقول انه يؤمن بان الامام الذي اختاره الله ، وبث فيه شيئاً من روحه القدسي ، هو الهادي الى الحق والمرشد الى سبيل الخلاص .

فالخليفة في نظر السنة هو الرئيس الزمني لجماعة المسلمين ، وهو امير المؤمنين وحامي الشريعة ؛ فهي لا تخصه بسلطة روحية^٤ . والشيعة بخلاف ذلك — تنحصر الامامة في اسرة علي ، ولا تكفي باعتبار الامام الرئيس الاوحد للمجتمع الاسلامي ،

(١) البغدادي ، المختصر ، ص ٨٧ — ٨٨ ؛ الايجي ، ص ٣٥٦ ؛ الشهرستاني ، ص ١٠٠ .

(٢) السنة بمعنى العادة والتقليد ، وهي اصطلاحاً مبدأ المحافظين من جماعة المسلمين .

(٣) وردت هذه المادة في القرآن بغير المعنى المصطلح وذلك في سورة البقرة : ١١٨ ، والنحل : ٧٩ ، والفرقان : ٧٤ ، ويس : ١١ . والامام بحسب الاصل : من تقدم الناس في الصلاة . وكانت هذه المهمة اولاً للنبي ، وغدت من بعده لخلفائه او لمن انتدبهم لذلك . ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٥٩ — ١٦٠ .

(٤) الايجي ، ص ٢٩٦ وما بعده؛ الماوردي ، ص ٢٣ — ٢٤ ؛ النفي ، عمدة عقيدة اهل السنة ، نشر كورن (لندن ، ١٨٤٣) ، ص ٢٨ — ٢٩ .

بل تجعله الى ذلك الرئيس الروحي والزعيم الديني ، وتذهب الى انه يستمد سلطانه من النص المقدس . وهكذا يصبح لسلي محمد ، من ذرية علي وفاطمة ، قوة خارقة تصل اليه عن طريق الوراثة ^١ ، بها يغدو فوق البشر ، وعن طريقها يتميز بالعصمة . على ان بعض نصوص السنة المتأخرة قد نسبت العصمة من الاثم والخطأ الى الانبياء دون سواهم ، وأخصهم مد ^٢ . وتنادى غلاة الشيعة في تأليه الامام حتى انهم اعتبروه تجسيداً للألوهية . ولا شك في ان فكرة المهدي المنتظر ، التي تجلت في ما بعد وقامت على انتظار مخلص يفتتح بظهوره عهداً جديداً من الحرية والرخاء ، إنما هي صدى للأمل بظهور مسيح جديد .

ولقد كان العراق ، من بين سائر الاقطار الاسلامية ، اخصبها تربة لنمو تعاليم الشيعة . ثم غدت فارس ، بعد اوائل القرن السادس عشر ، المعقل الاكبر للتعليم الشيعي . ويبلغ مجموع عدد الشيعة اليوم ٥ مليوناً ، اي نحواً من اثني عشر بالمئة من مجموع المسلمين ^٣ . فهم في لبنان وسورية ، حيث يعرفون بالمتاولة ، يبلغون على سبيل التقدير ٢٣٢ ألفاً . ولقد تحدر من الشيعة عدد من الفرق الصغيرة يكاد لا يحصى ، بينهم الخارجييون والمتطرفون الذين لم يعودوا يعتبرون من الشيعة . وكان التشيع كالمغناطيس ، يجذب اليه جميع الناقمين والمخالفين لاعتبارات اقتصادية او اجتماعية او سياسية او دينية . من هؤلاء جماعة كانت قد ظهرت في اوائل الاسلام ، وعملت متسيرة ضد التعليم العربي الجديد ، ثم اخذت في الانسواء الى صميم الشيعة ، لتحمل من ثم لواء المعارضة في وجه النظام القائم . وما الاسماعيلية والقرامطة والدروز والنصيرية ، ومن جاراتهم ، ممن سنعرض لهم في ما بعد ، الا فروع غدت من الاصل الشيعي .

من المحتمل ان يكون النبي محمد قد تنكر للموسيقى كما تنكر للشعر^٤ ، وذلك لصلتها بالشعائر الدينية الوثنية ليس الا . ففي حديث عنه انه قال ان الآلات

(١) الشهرستاني ، ص ١٠٨ - ٩ ؛ السعدي ، ج ١ ، ص ٧٠ .

(٢) ابن حزم ، ج ٤ ، ص ٢ - ٢٥ ؛ الايجي ، ص ٢١٨ وما بعد ؛ I. Goldziher, *Der Islam*, vol. iii (1912), pp. 238-45.

(٣) اذا اضفنا الى هذا العدد المنشقين عن الشيعة نظير اليزيدية والحشاشين وجماعة «علي الهادي» بلغ المجموع نحواً من ٤٥ مليوناً ، وارتفعت النسبة الى ١٥ بالمئة من مجموع المسلمين .

(٤) صورة الشعراء ، ٢٢٤ - ٢٦ .

الموسيقية مؤذن الشيطان يدعو بها الناس الى عبادته^١. وكان السواد الاعظم من علماء الشريعة والفقه يعرضون عن الموسيقى والموسيقين ، في حين كان جمهور الناس يعبرون عن رأيهم فيها بالقول المأثور : « الحمر كالجسد ، والسماع كالروح ، والسرور ولدهما »^٢.

وما كادت الروعة الاولى ، التي رافقت ظهور الاسلام تنكشف ، حتى اخذ المغنون المحترفون ، من نساء ورجال ، يظهرות على مسرح الحياة . ففي العصر الأموي غدت مكة ، وبالأخص المدينة ، مدرسة للغناء ومعهداً للموسيقى^٣. فوفد عليهما من بعيد الموهوبون من ارباب الفن ، وصدر منهما الى بلاط دمشق سيل متزايد ابدأ من اهل الحذق الفني . ولما كان يزيد الاول ، الخليفة الأموي الثاني ، هو نفسه موسيقياً ، فقد ادخل الغناء والعزف الى البلاط ، وكان اول من اقام ، في دار الخلافة ، المهرجانات الكبرى التي حفلت بالغناء وشرب الخمر . ثم ان عبد الملك شمل برعايته سعيد بن مسجع (او مسجج حوالي ٧١٤) خريج المدرسة الجعازية ، ولعله اعظم موسيقي انجبه العصر الأموي . وكان سعيد هذا مولى زنجياً من اهل مكة ، قيل انه طاف في انحاء سورية وفارس ، ونقل بعض الاغانى البيزنطية والفارسية الى العربية^٥. وقد اضيف اليه فضل تنسيق الموسيقى العربية نظرياً وعملياً في عهد العرب الاول . وكذلك الوليد الاول ، الخليفة الذي رعى الفنون والعمارة في الاسلام ، فقد استدعى الى عاصمته ابن سريج (ت حوالي ٧٢٦) ، احد المغنين الاربعة الكبار في الاسلام^٦ ، ومعبد (ت ٧٤٣) ، وهو مولد من اهل المدينة ، واستقبلهما بحفاوة بالغة . وقد بقي معبد اثيراً محبباً في البلاط اذ ظفر بالخطوة لدى يزيد الثاني

(١) راجع التوري ، نهاية الارب ، ج ٤ ، ص ١٣٢ - ٣٥ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين (القاهرة ، ١٣٣٤) ج ٢ ، ص ٢٣٨ وما بعد ؛ A. J. Wensinek, *A Handbook of Early Muhammadan Tradition* (Leyden, 1927), p. 173 ; Henry G. Farmer, *A History of Arabian Music to the Thirteenth Century* (London, 1929) pp. 24-25.

(٢) النواجي ، ص ١٧٨ ، راجع التوري ، ج ٤ ، ص ١٣٦ وما بعد .

(٣) العقد ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ .

(٤) الاغانى ، ج ١٦ ، ص ٧٠ ؛ قابل السعدي ، ج ٥ ، ص ١٥٦ - ٥٧ .

(٥) الاغانى ، ج ٣ ، ص ٨٤ .

(٦) الاغانى ، ج ١ ، ص ٩٨ .

والوليد الثاني^١. ويزيد هذا هو الذي أعاد الشعر والموسيقى إلى سابق عهدهما في حياة الأسرة الحاكمة ، بعد فترة من الرصانة والزهد تميز بها عهد الخليفة الورع عمر ابن عبد العزيز . وحكاية يزيد مع المغنيتين حباة وسلامة من الاخبار المعروفة^٢. وكان الوليد الثاني يحسن العزف على العود ، وينظم الاغاني . وكان يجمع في بلاطه حشداً من العازفين والمغنين . اما هشام فقد خص برعايته مغنياً من اهل الحيرة اسمه حنين .

ولقد كانت الانعام خاضعة لنظام معروف من الايقاع (النوتات) ، إلا ان هذا النظام لم يدون ، وانما كان ينقل شفهاً من جيل إلى جيل . وهذا كتاب الاغاني ، حافل بالابيات التي كانت تغنى في العهد الاموي ، لكنه لم يثبت لنا ايقاعاً واحداً مدوناً . وكان من شيوخ العناية بالغناء والموسيقى في ظل الامويين ما اتاح لمنافسيهم العباسيين استغلال ذلك في الدعاية ضد الحكم الامويين « المغتصبين المارقين » .

التصوير

ان تنكر الاسلام للفن التصويري لا يتجلى بصورة بارزة حتى اوائل العصر العباسي ؛ وهو ، في ما يبدو ، صدى لرأي جماعة من اليهود اعتنقوا الاسلام ، او من رواهب الفكر البدائي الذي يزعم ان من كان فيه شبه من شخص آخر كان باستطاعته ان يؤثر تأثيراً سحرياً مماثلاً .

ولقد ذهب معظم الفقهاء ، منذ العصر العباسي ، إلى ان رسم الكائنات الحية من خصائص الله وحده . وروي عن النبي انه قال ان اشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون^٣ . ومنذ ذلك الحين لم يرسم مخلوق بشري في مسجد ما في دنيا الاسلام ؛ الا ما كان من ذلك على جدران القصور ، وفي الكتب المدونة ، وهو قليل . وعليه فقد استمد الفن الزخرفي جل مواضعه من علم الهندسة ومملكة النبات . واقدام ما يمثل فن الرسم في الاسلام الرسوم الطينية المحفوظة في قصير عمرة . وهو قصر في شرقي الاردن ، بناء الوليد الاول ، وكان يأوي إليه في موسم الصيد . وهذه الرسوم تم عن صناعة مصورين من التماري . فقد رسمت على جدران القصر

(١) الاغاني ، ج ٢ ، ص ١٩ وما بعد ؛ السعدي ، ج ٦ ، ص ٤ .

(٢) راجع ص ٨٩ - ٩١ من هذا الجزء .

(٣) البخاري ، الجامع الصحيح (بولاق ، ١٢٩٦) ، ج ٧ ، ص ٦١ .

صور لسته من الامراء، جميعهم من اعداء العرب، بينهم رودريك ملك القوط الغربيين في اسبانيا^١. وهناك اشكال اخرى رمزية تمثل النصر، والفلسفة، والتاريخ، والشعر. وبينها مشهد صيد يمثل اسداً ينقض على حمام وحشي. وهناك رسوم سواها تمثل راقصات عاريات، وموسيقيين ومطربين. وليس بين آثار الفن الاسلامي ما هو اسلم حفظاً من هذه الرسوم.

ولقد كشفت الحفريات الحديثة في خربة المفجر^٢ الواقعة على بعد ثلاثة اميال من اريحا شمالاً، عن قصر شتوي للامويين متقن الصنع، زخرفت جدرانه برسوم انسانية وحيوانية. وقد اثبت النحات عليه اسم هشام (٧٢٤ - ٤٣) بما لا يدع شكاً في هوية بانيه. وهناك تمثال قائم لفتاة تحمل ضمة من الزهور؛ ولوحة تمثل جماعة من الفتيات السمينات يرقصن، وقد صبغن شفاههن واظافر اناامل اليدين واصابع الرجلين بصباغ قرمزي. هذا، الى حديقة حيوانات جمعت انواعاً من الطيور والارانب والحيوانات الاخرى. وهذا الفن يتم عن صلة لا تقبل الخطأ بالفن الهيليني النبطي؛ والظاهر ان زلزالاً وقع سنة ٧٤٦ هدم هذا القصر قبل ان يتم بناؤه.

قصور البادية

كان للخلفاء الامويين، كما ذكرنا سابقاً^٣ قصور في الارياض يلجأون اليها فراراً من الامراض السارية^٤، يعيشون فيها حياة قروية فيشفون ما في نفوسهم من حنين الى حياة البادية. وانا لنجد بقايا القصور ودارات الصيد منتشرة على تخوم البادية، لاسيما في القطاع الجنوبي، وهي مبان انشأ بعضها معماريون امويون على الطراز البيزنطي او الفارسي، ورموا البعض الآخر وكان بمأ بناء الرومان قديماً^٥.

نذكر من هذه القصور، على سبيل المثال اثنين هما عمرة والمفجر. والجدير بالذكر ان هذين الاسمين، نظير اسماء قصور عديدة اخرى، من الاسماء الحديثة،

(١) راجع ص ٧٤ من هذا الجزء.

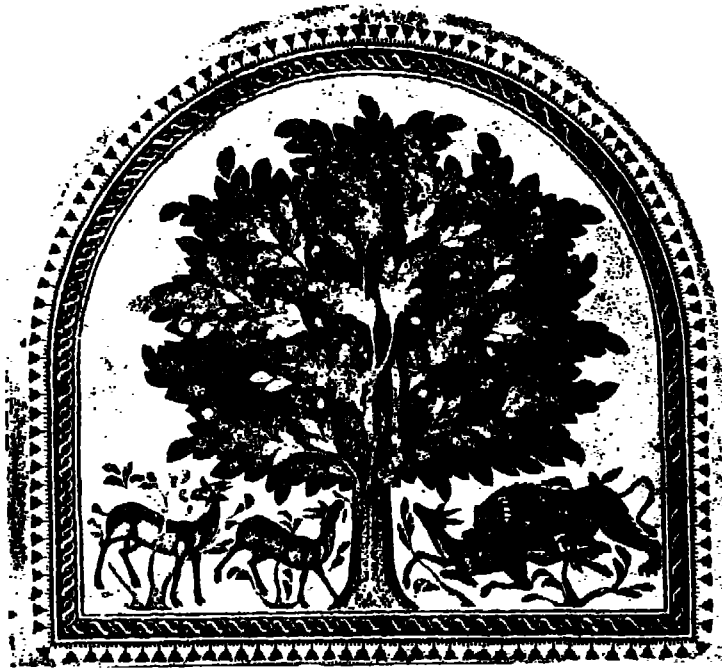
(٢) جرت هذه الحفريات على يد دائرة الآثار الفلسطينية وبدأ العمل سنة ١٩٣٥. راجع: «Excavations at Khirbet el Mejer», *Quarterly of the department of Antiquities in Palestine*, vol. v (1936); pp. 132-8; vol. vi (1937), pp. 157-68.

(٣) راجع ص ٤١ - ٤٢ من هذا الجزء.

(٤) الطبري، ج ٢، ص ١٧٨٤.

(٥) راجع الجزء الاول ص ٣١٨ - ١٩.

ولم ترد في المدونات القديمة . وخير هذه القصور على الاطلاق هو قصر عمرة^١، وذلك لما يمتاز به من تصاوير جدارية ذات روعة بالغة . ويعود بناء هذا القصر الى عهد الوليد الاول بين سنتي ٧١٢ و ٧١٥، لكن خبره لم يشتهر في اوساط العلماء حتى سنة ١٨٩٨^٢.



بلاط من الفسيفساء في قصر خربة المفجر ، يدو فيه رسم فني لشجرة اترج يرعى الى احد جانبيها ظبيان ، وينقض اسد على ظي ثالك في الجانب الآخر . ويحيط بالصورة حاشية من الفسيفساء مشرقه الالوان تلبو بها الصورة كأنها قطعة من السجاد

وقصر آخر مشهور جداً من قصور هذه المنطقة هو المعروف بالمشتى^٣ . بناه

(١) تصغير قصر ، من لفظة لاتينية castrum بطريق السريانية .

(٢) انظر: Alois Musil, *Kusejr 'Amra und andere Schlosser ostlich von Moab* (Vienna, 1907). pt. I (Vienna, 1902) pp. 5 seq. ; do., *Kusejr 'Amra, I. Textband* (Vienna, 1907). وقد ظن موزل هذا ان الوليد الثاني هو الذي بناه .

(٣) قابل: Musil, *Arabia Deserta*, p. 408 ; do., *Palmyrena*, p. 279, حيث يعتبر هذا القصر وقصوراً أخرى سواء من قصور الصيف لا الشتاء .

الوليد الثاني الذي كان شديد الولوع بالصيد ، وبغير الصيد من ضروب اللهو غير البري . ولا تزال واجهة هذا القصر الجميل ، ذات النحت الدقيق ، محفوظة الى اليوم في متحف برلين^١ . والوليد هذا هو الذي بنى ايضاً قصر خربة المنية الى الشمال الغربي من بحيرة طبرية . وقد عثر في الحفريات على دينارين يتفق تاريخهما مع تاريخ نقش هناك ينص على ان الوليد الثاني هو الذي امر ببنائه^٢ . وكان الوليد قد اقام ايضاً في قصر آخر ، نحو عشرين ميلاً الى الجنوب من مدينة عمان ، هو قصر القسطل^٣ . وقد ذكر مؤرخ سابق^٤ ان الذي بنى القسطل هو الحارث بن جبلة الغساني^٥ ، فاذا صحت الرواية كان هذا القصر من آثار الجاهليين . وقد شغل الوليد كذلك بناء آخر في ذلك الجوار عرف بالازرق^٦ . وكان ابوه يزيد الثاني قد بنى اورمم قصر الموقر^٧ ، الذي لم يبقَ من آثاره الا القليل . اما قصر الطوبة (التوبة ؟) ، الى الجنوب الشرقي من الموقر فقد عفت آثاره ولم يبقَ ما يدل عليه .

ثم ان هنالك قصوراً خربة اخرى على تخوم البادية الى الشمال من هذا المكان بعضها لم يتناولها الدرس الى الآن ، اهمها قصر أسيس^٨ (سَيس حديثاً) الواقع ٨٣ ميلاً من دمشق شرقاً . وهو موقع محصن يشتمل على جهاز الري يستخدم للانتفاع بمياه الامطار . وغالب الظن انه من المباني التي اقامها الوليد ، وهو الوحيد بين الآثار الباقية من نوعه .

(١) راجع : Brunnow and Domaszewski, *Provincia Arabia*, vol. ii, pp. 105-70 ; B. Schulz and J. Strzygowski, « Mschatta », *Jahrbuch der Königlich-preussischen Kunstsammlungen*, vol. xxv (1904), pp. 205-373.

(٢) « Khirbat Minya », *Quarterly of the department of Antiquities in Palestine*, vol. vi (1937), pp. 215-16 ; vol. vii (1938), pp. 49-51.

(٣) من اللاتينية castellum بطريق السريانية . ياقوت ج ٤ ، ص ٩٥ ؛ الطبري ، ج ٢ ، ص ١٧٨٤ .

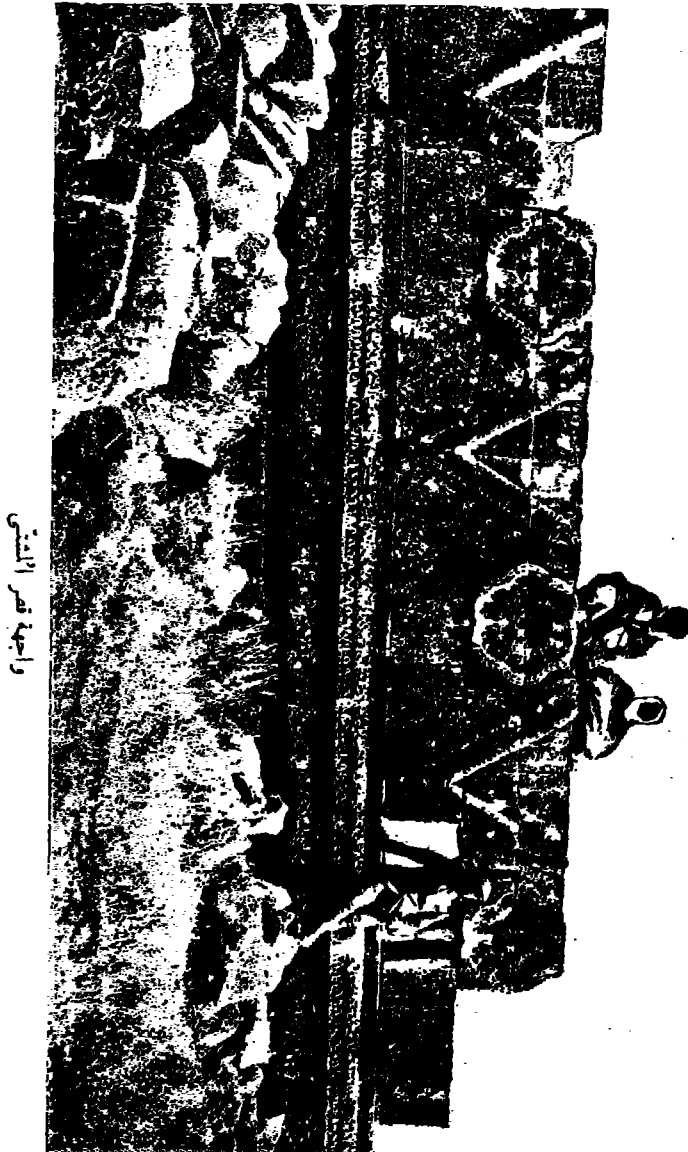
(٤) هو حمزة الاصفهاني ، ص ١١٧ .

(٥) ورد ذكره في الجزء الاول ص ٤٤٧ .

(٦) الطبري ، ج ٢ ، ص ١٧٤٣ .

(٧) ياقوت ، ج ٤ ، ص ٦٨٧ . ان المنطقة التي قامت فيها قصور البلقاء والموقر والقسطل وسواها من المباني واقعة الى الشرق من نهر الاردن ويشتمل كذلك على مواب .

(٨) ياقوت ، ج ١ ، ص ٢٧١ ؛ Musil, *Palmyrena*, p. 282 ; G. Sauvaget, « Les Ruines omeyyades du Djebel Seis », *Syria*, vol. xx (1939), pp. 239-56.



واجهة قصر المنشي

قصر الحير

وهناك قصران آخران في هذه المنطقة يعرفان بالحير^١ ؛ والظاهر انه كانت للخلفاء مساكن ذات حدائق مسورة تحفظ فيها حيوانات بركة للصيد . يقع اول هذه القصور على بعد اربعين ميلاً الى الشمال الشرقي من مدينة تدمر ، وهو المعروف بقصر الحير الشرقي ، تمييزاً له عن القصر الغربي الواقع بين تدمر والقرتين . ويبلغ اتساع اراضيه خمسة اميال طولاً ونحو ميل واحد عرضاً . اما باقي هذا القصر فهو هشام بن عبد الملك ، وكان ذلك سنة ٧٢٩ . وقد زعم احد المؤرخين ان هذا القصر هو قصر الرصافة^٢ المنسوب الى هشام^٣ . وكان هشام شديد التعلق بالرصافة ، وفيه مات ودفن^٤ . ولقد استخدمت في هذا القصر « السقطة » التي سبق استخدامها في سورية قبل الاسلام ، والتي عرفت في اوربا في آخر القرن الثاني عشر .

ويقع على بعد اربعين ميلاً الى الجنوب الغربي من تدمر ، قصر الحير الغربي الذي بناه هشام ايضاً سنة ٧٢٧ ، كما يستدل من بعض نقوشه الباقية . ويبدو ان هشاماً كان يقيم فيه قبل ان تحول الى الرصافة . وقد يكون هذا القصر هو الذي دعاه مؤرخو العرب بالزيتونة^٥ ، وكان اولاً حصناً بيزنطياً اورومانياً . وبين اثاره الرائعة مثالان لامرأتين عند المدخل ، ينم صنعهما عن الفن التدمري . وبين الرسوم صورة لقينتين تعزف احدهما على عود ذي خمسة اوتار^٦ .

(١) في مسكويه ، تجارب الامم ، نشر مرغوليوث ، ج ١ (القاهرة ، ١٩١٤) ص ١٥٩ س ١٥ ورد الاسم « حائر » ولفظة حير من السريانية بمعنى البقعة المحصورة بجائط ، وهي ذات صلة بلفظة حيرة بمعنى الخيم او الممسكر ؛ انظر ما سبق الجزء الاول ص ٤٤٩ .

(٢) راجع الجزء الاول ص ٤٣٥ - ٣٦ .

G. Sauvaget in *Bulletin d'études orientales*, vol. v (1935) pp. 136-7; do., (٣) « Remarques sur des monuments omeyyades », *Journal Asiatique*, vol. cccxxxi Henry Seyrig, *Antiqui-* ايضاً راجع البناء (1939) pp. 1-13. والاستزادة من العلم عن هذا البناء (1934) pp. 1-3; ser. 2 (1938), pp. 1-9; K. A. C. Creswell, *Early Muslim Architecture*, pt. 1 (Oxford, 1932), p. 330.

(٤) الطبري ، ج ٢ ، ص ١٧٢٩ .

(٥) الطبري ، ج ٣ ، ص ١٤٦٧ .

(٦) وهذا يطل نسبة امتباط الوتر الخامس الى الفنان المشهور زرياب الذي توفي حوالي سنة

Hitti, *History of the Arabs*, p. 598. ؛ ٨٥٢

ان زخارف هذا القصر المحفوظة الآن في المتحف الوطني في دمشق تملأ الثغرة الفاصلة بين الفن البيزنطي والفن الاسلامي . فهي تؤلف بين العناصر الساسانية والبيزنطية والسورية وتنسجها في نظام منسجم . ولقد تحولت الاشكال الفنية التي نشأت هنا الى المغرب ، وبلغت غايتها من الدقة والاتقان في قرطبة وغرناطة . ولقد جرى العباسيون مجرى الامويين في انشاء الجناات حول القصور على النظام المتبع في قصر الحير . فقد اشتملت عاصمتهم المؤقتة سمرًا على قصر من هذا النوع ، وصفه العالم الجغرافي الكبير اليعقوبي^١ بقوله انه قد حوى حيوانات برية من غزلان ، وحمر وحشية ، وظباء وارانب ، ونعام ، جعلت في بقعة فسيحة جميلة ، احاط بها سور عال . ولسنا نصادف عند الرومان رغبة في انشاء حدائق الحيوانات حتى العهد الامبراطوري ، بما ينم بوضوح عن تأثير شرقي^٢.

وكان الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك (٧١٥ - ١٧) يقيم في بلدة بناها في فلسطين هي الرملة . وهي البلدة الوحيدة التي انشأها العرب في سورية^٣ وقد بقيت آثار من قصر الخليفة حتى مطلع القرن العشرين ، ولا تزال مأذنة المسجد الابيض قائمة كما رهبها المماليك . وغدا هذا المسجد ، بعد المسجد الاموي في دمشق ، وقبة الصخرة في القدس ، الثالث بين مباني المسلمين الكبرى المقدسة في سورية .

المساجد : المسجد الاقصى

ظل المسلمون ، بعد فتح سورية بنحو من نصف قرن يقيمون الصلاة في كنائس حولوها الى مساجد . ولم يعمدوا ، في هذه الاثناء الى بناء مسجد ما . وخلافاً لما ورد في الاخبار ، لم يقسموا الكنائس بالذبات بينهم وبين النصارى ، بل اكتفوا بقسمة الباحة المقدسة . فكان المصلون من ابناء دمشق يدخلون من باب واحد في السور ، ثم يتحول النصارى الى اليسار ، وينعطف المسلمون الى اليمين^٤ . وعندما

(١) البلدان ، ص ٢٦٣ .

(٢) للاستزادة عن هذا القصر راجع : D. Schlumberger , « Les Fouilles de Qasr el-Heir el Gharbi » Syria, vol. xx (1939) pp. 195-238, 324-73 ; Ja'far al-Hasani. « Qasr al-Hayr », Majallat al-Majma' al-Ilmi, al-'Arabi, vol. viii (1941), pp. 337-45.

(٣) الميرون والحدائق في اخبار الحقائق ، نشر جوينبول (ليدن ، ١٨٥٣) ، ص ٤٠ .

(٤) Creswell, pt. i, p. 134.

احتل المسلمون مدينة حماه، حولوا الكنيسة التي نعتها احد المؤرخين الاهليين^١ بالكبرى، الى الجامع الاكبر. ولا تزال الواجهة الغربية في حالة سليمة^٢. وكذلك المسجد الاكبر في حمص^٣، ومسجد حلب^٤، فقد كانا من معابد النصارى. ولا تزال الآثار المسيحية، والاعمدة الرومانية ظاهرة للعيان في معبد حمص.

وكان اول مسجد بني في سورية قبة الصخرة^٥ في القدس؛ بناء عبد الملك سنة ٦٩١ في موقع قام عليه قبلاً هيكل سليمان. وهو يمثل اقدم بناء اثري اسلامي لا يزال قائماً. والى بين الصخرة كان موقف محمد في ليلة عروجه، ومن هنا ارتقى حصانه العجيب^٦ نحو السماء. ولما كانت مدينة القدس موقفاً للنبي، واول قبة في الاسلام، فقد اكتسبت في نظر المسلمين صفة التقديس في عصر باكر. وربما كان ذلك ايضاً لاعتبارات سياسية. فقد هدف الخليفة الاموي من ايجاد معبد فخيم الى تحويل قوافل الحجاج السوريين عن مكة، وهي آتخذ في حوزة منافس له في الخلافة^٧، والى ان تتضاءل في جنبه كنيسة القيامة وسائر كاتدرائيات النصارى في سورية^٨. ومن اجل تحقيق هذا الغرض، عمد عبد الملك الى استخدام المهندسين الاهليين، والفنانين المدربين في مدارس بيزنطا. واقام هذا البناء على طراز كاتدرائية بصرى^٩؛ اما ابوابه البرونزية المزينة بصقائح فضية مزخرفة، فهي من اقدم ما بقي لنا من هذا النوع من الزخارف، وهو الفن الذي اتقنه الفنانون

(١) ابو الفداء، ج ١، ص ١٦٨.

(٢) Creswell, p. 14.

(٣) البلاذري، ص ١٣١؛ المقدسي ص ١٥٦.

(٤) البلاذري، ص ١٤٦ - ٤٧.

(٥) ويسميه الاوروبيون خطأً مسجد عمر، فن الجائر ان يكون عمر عندما زار القدس سنة ٦٣٨ (انظر ما سبق في ص ١٤ من هذا الجزء) قد بنى مبداً بسيطاً من الخشب او الطوب.

(٦) Hitti, *History of the Arabs*, p. 114.

(٧) اليعقوبي، ج ٢، ص ٣١١؛ راجع ما سبق في ص ٥٨ من هذا الجزء.

(٨) المقدسي، ص ١٥٩.

(٩) Dussaud, *Syrie antique*, p. 10., cf. M. S. Briggs, *Muhammadan Architecture in Egypt and Palestine* (Oxford, 1924), p. 37.

البيزنطيون وتميّزوا به . ولقد اسرف الفنانون في تزيينه بالفسيفساء والرسوم الكاشانية ، عند بنائه في الاصل ، او عند ترميمه او تجديده . ويشتمل الطراز الكاشاني على الرصف بقطع البلاط المربعة او المسدسة الصقيلة ، وربما رسمت فيها صور نباتية او اشكال هندسية . وهي تعود الى اصل فارسي بشهادة اسمها^١ . اما صناعة الفسيفساء فمن المستطاع ارجاعها الى العهد البابلي . وقد ترك لنا عبد الملك على دائر باطن القبة كتابة بالخط الكوفي هي اقدم ما بين ايدينا من الكتابة الاسلامية . وبعد ذلك بنحو قرن وربع القرن ، عهد الخليفة العباسي المأمون الى ترميم هذا البناء ، ولم يتخرج من ان يزيل عنه اسم عبد الملك ليضع اسمه في مكانه ؛ لكنه ، لحسن الحظ ، غفل عن ان يغيّر التاريخ^٢ .

والى شرقي القبة بناء صغير انيق يعرف بقبة السلسلة ؛ وكان يقوم مقام بيت المال لمسجد القبة ويبدو من طرازه وزخارفه انه يعود الى العهد نفسه . ومن اجل



قبة الصخرة وقبة السلسلة

(١) كاشان مدينة في مينا ؛ ياقوت ؛ البلدان ، ج ٤ ، ص ١٥ .
 (٢) والبارة هي : بنى هذه القبة عبد الله عبد (الله الامام المأمون) أمير المؤمنين في سنة اثنين وصبعين . فليقبلها الله منه ويرضى عنه ! آمين .

صيانة حرمة المكان روى المسلمون حديثاً زعموا به ان الملك سليمان وضع هنالك سلسلة جعلها حاجزاً ، يستطيع الصادقون المحصلون وحدهم ان يروها ويلبسوها ، دون ان تتأثر بلبسهم ، اما الكاذبون المراءون فلا يرونها .

المسجد الاقصى

وبالقرب من قبة الصخرة ، اقام عبد الملك مسجداً آخر هو المسجد الاقصى^١ ، غدت القبة منه بمثابة المزار . واسم المسجد الاقصى بالمعنى المتداول يطلق عملياً على الباحة المقدسة برمتها ، البالغة نحواً من ٣٤ فداناً ، بكل ما يقوم عليها من ابنية مقدسة ، نظير التكايا الصوفية والسبل العامة التي انشأ بعضها المماليك وسلاطين بني عثمان في ما بعد ؛ والحرم الشريف معبد آخر من هذه المباني المقدسة ، وهو يقوم في موقع كان سابقاً لهيكل يهودي ، وكنيسة مسيحية ، ومعبد وثني (روماني) ، بما يجعله من اقدس الاماكن على وجه الارض . ثم ان المسجد الاقصى يقوم على موقع كان سابقاً لكنيسة كرسها يوستنيانوس للقديسة مريم . وقد استخدمت انقاضها في بنائه . وبعد ان رمم المنصور العباسي هذا المسجد بما لحقه من فعل الزلزال ، اجري فيه الصليبيون بعض التغييرات ، ثم استرده منهم صلاح الدين سنة ١١٨٧ .

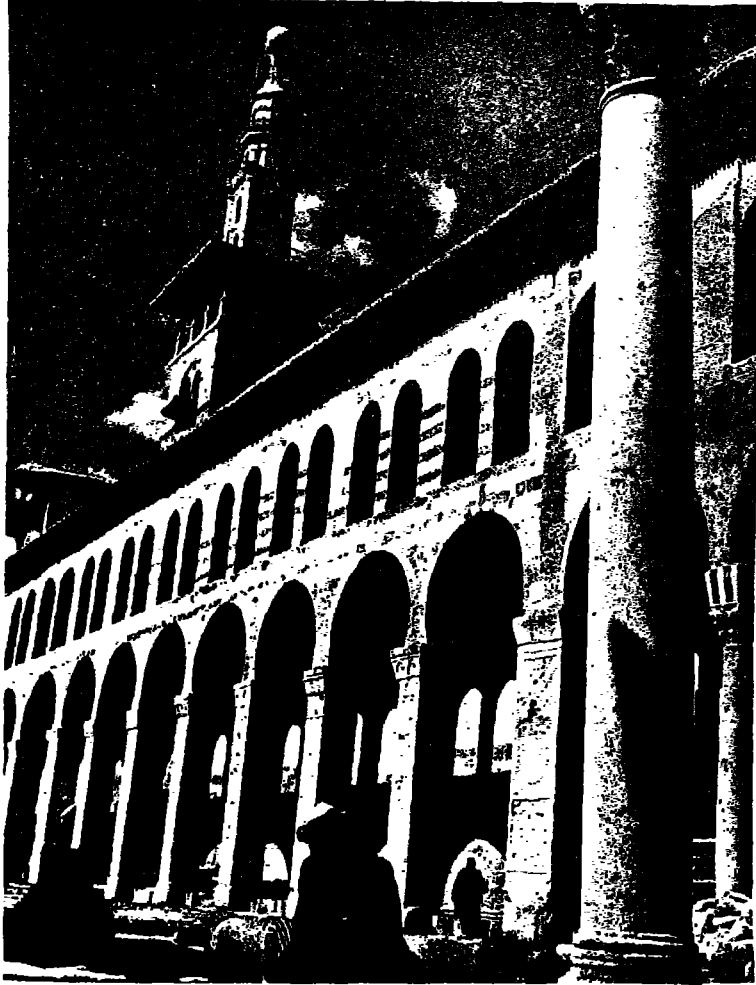
المسجد الاموي

ويجيء بعد المسجد الاقصى ، خطورة وتاريخاً ، المسجد الاموي في دمشق . فقد استولى الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٥ على كاتدرائية القديس يوحنا المعمدان . وانتزعها من ايدي الرعية المسيحية ، وحولها الى هذا المسجد^٢ الذي يعد من افخم المعابد في العالم . ولا يزال الجامع الاموي الى الآن يعتبر ، بعد معابد مكة والمدينة والقدس ، الحرم المقدس الرابع في الاسلام . وكانت كاتدرائية القديس يوحنا هذه قد بنيت على انقاض هيكل مكرس لجوبيتر الدمشقي - وهو في الاصل الاله

(١) الاصح : الابد ، من اشارة مزعومة في القرآن (سورة الاسراء ١) ، ومن هذه الآية نشأت حكاية المراج . اما الفخري (ص ١٧٣) فقد نص على ان بانيه هو الوليد . فلو وقف على وصف اسبق راجع ابن الفقيه ، ص ١٠٠ - ١٠١ ، دون حوالي سنة ٩٠٣ ، والمقدسي ، ص ١٦٩ - ٧١ ، دون حوالي ٩٨٥ .

(٢) ابن عساكر ، ج ١ ، ص ٢٠٠ ؛ ابو الداء ، ج ١ ، ص ٢٠٩ - ١٠ .

السوري حَدَدًا - بني على طراز هيكل الشمس في تلسر - ولقد تذرّع المسلمون لتبرير استيلائهم على الكنيسة - وكانوا حتى ذلك الحين قد شاطروا أصحابها النصارى



الجامع الاموي في دمشق

جانباً من باحتها - برواية تاريخية تزعم انه لدى فتح دمشق ، كان دخول خالد بن الوليد واي عبيدة^٢ اليها في وقت واحد ، دخلها الواحد من الشرق غنوة ، والآخر

(١) راجع الجزء الاول ص ١٨٦ .

(٢) راجع ص ٩ من هذا الجزء .

من الغرب سلباً؛ وان الفريقين التقيا في وسط الكنيسة، دون ان يدري احدهما بالآخر. ولا يزال مدفن رأس يوحنا تحت قبة في المسجد متقنة الصنع غنية التذهيب. وهناك اثر نصراني آخر، هو كتابة يونانية منقوشة على عتبة باب السور الجنوبي مؤداها: «ملكك ايها المسيح ملك كل الدهور، وسلطانك في كل دور فدور».

والقول ان الوليد واصل العناية بتحقيق هذا المشروع مدة سبع سنوات، ووقف عليه خراج سورية برمته^٢. ولم يقتصر على استخدام اهل الخبرة من ابناء البلاد، بل حشد له صناعات وفنانين من الفرس والهنود. وارسل الى امبراطور الروم في طلب مئة من الفنانين اليونان^٣. ولقد زين سقف المسجد واعالي جدرانه بالفسيفساء الملونة والرخام النادر، وبدت فيه رسوم جدارية مذهبة ومرصعة بالحجارة الكريمة، تمثل مشاهد من الاشجار والمدن شاهدا العالم الجغرافي السوري المقدسي^٤. لكن احد الحكماء المترمين سترها بطلاء من طين، فبقيت محجوبة، الى ان كشف عنها سنة ١٩٢٨^٥. ولقد تبين، لدى درس هذه الرسوم والزخارف، انها اصدق تمثيلاً للصناعة السورية الاهلية منها للفن اليوناني البيزنطي.

وقد بنى الوليد في الجانب الشمالي من المسجد مئذنة استخدمت ايضاً بمثابة منارة^٦، وغدت نموذجاً للمآذن في سورية وشمالي افريقيا، ثم نقل طرازها الى الاندلس على يد عبد الرحمن الاول. وهذه المئذنة هي اقدم مئذنة اسلامية خالصة لا تزال قائمة. اما المئذنتان الاخرتان في الطرف الجنوبي، فقد قامتا على برجين قديمين للكنيسة^٧. ويذكر لنا الغزالي (ت ١١١١) انه اعتكف في المئذنة الشمالية،

(١) قابل: الزمور ١٤٥: ١٣؛ والرسالة الى المبرانيين الاصحاح ١: ٨.

(٢) المقدسي، ص ١٥٨؛ قابل: الميرون والحدائق، ص ٧.

(٣) ابن عساكر، ج ١، ص ٢٠٢؛ وكتاب الميرون يحيل عددهم مئة الف ويذكر ان بعضهم استخدموا في مكة والمدينة: قابل الطبري ج ٢، ص ١١٩٤؛ ابو الفداء، ج ١، ص ٢١٠؛ ابن جبير، ص ٢٦١.

(٤) ص ١٥٧؛ قابل الاصطخري، ص ٥٧، ابن رسته، ص ٣٢٦؛ الميرون، ص ٨ - ٩.

(٥) E. de Lorey and M. van Berchem, *Les Mosaïques de la mosquée des Omayyades à Damas* (Paris, 1930); Creswell, pp. 119-20.

(٦) دعت ايضاً «صومعة» (ابن عساكر، ج ١، ص ٢٠٠)، وقد راج اسم المئذنة

في ما بعد.

(٧) قابل ياقوت، ج ٢، ص ٥٩٣.

وانقطع فيها الى التأمل والصلاة^١. والطراز المربع المنبسط للمآذن متحدر ولا شك من برج المراقبة او برج الكنيسة. اما الطراز المستدير المستدق، الذي يذكرنا بالاعمدة الرومانية القديمة، فقد اعتمدته الترك، في ما بعد، وحققوه في بناء المساجد في سورية، كما يتمثل ذلك في مسجد خالد بن الوليد في حمص.

ويتميز جامع دمشق ايضاً بأنه اول مسجد ظهر فيه المحراب؛ وفيه تظهر كذلك الحنية المشابهة لحذوة الفرس. ومع ان البناء قد احترق سنة ١٠٦٩ ثم سنة ١٤٠٠ (على يد تيمورلنك)، واخيراً سنة ١٨٩٣، فانه لا يزال، في نظر المسلمين، من عجائب الدنيا السبع وهو العجيبة الرابعة بينها^٢.

والوليد، وهو في طليعة المعنيين بالمباني من الامويين، هو كذلك صاحب الفضل في ترميم مسجد المدينة، وتوسيع مسجد مكة وتجميله، وبناء الكثير من المدارس والمستشفيات^٣ والمساجد في سورية. ويضاف اليه كذلك نقل قبة نحاسية مذهب من كنيسة في بعلبك الى مسجد كان والده قد بناه في القدس. ولما كان عهده عهد أمن ويسار، فقد كان حديث الناس في دمشق متى اجتمعوا، يدور بالاكثر على الصروح الفخمة والمباني الانيقة^٤.

ولقد تحقق، في ما خلفه الامويون من قصور ومساجد، انسجام العناصر الفنية العربية والفارسية والسورية واليونانية، وتآلف من ذلك جميعه البادرة الاولى في الفن الاسلامي. فالعصر العربي قد تمثل في تكرار وحدات فنية بغير نهاية، بحيث يستطيع الاضافة اليها، او الحذف منها دون اخلال بالشكل ككل؛ وهذه الاعمدة التي يحفل بها مسجد قرطبة تشهد على ذلك؛ وكذلك الاشكال الهندسية المتلاحقة، فانها توحى رتابة الصحراء، حيث تبدو صفوف جذوع النخيل في واحة ماء او قوائم الجمال في القوافل الظاعنة، كأنها لا تنتهي عند حد. اما الفن الفارسي، فقد ادى من دقة الزخرفة واناقة الزركشة وروعة الالوان الشيء الكثير. وهكذا فان العناصر والاشكال السامية القديمة واليونانية الدخيلة قد ائتلفت في سورية الاموية واتجهت نهائياً في خدمة الاسلام.

(١) الفزالي، المنقذ من الضلال (القاهرة، ١٩٣٦)، ص ٢٧؛ قابل ابن خلكان، ج ٢، ص ٢٤٦.

(٢) ابن الفقيه، ص ١٠٦؛ ابن عساكر، ج ١، ص ١٩٨؛ ياقوت، ج ٢، ص ٥٩١.

(٣) راجع ص ١١٣ من هذا الجزء.

(٤) الطبري، ج ٢، ص ١٢٧٢ - ٧٣.

الفصل التاسع والثلاثون

الكنيسة المسيحية السريانية

الكنيسة السريانية الشرقية

كانت الكنيسة المسيحية السريانية ، قبل ظهور الاسلام ، قد انقسمت الى طوائف عديدة ، فكان منها اولاً الكنيسة السريانية الشرقية ، او كنيسة الشرق . فهذه الطائفة التي نشأت في اواخر القرن الثاني تدعي انها قد واصلت ، بلا انقطاع ، نشر التعليم الروحي ، وممارسة الطقس الكنسي والنظام الكهنوتي والتقليد الديني ، منذ عهد الملك ابجر (Abgar) الرهاوي ؛ وقد زعموا انه كتب الى السيد المسيح يسأله ان يشفيه من المرض العضال الذي اصابه ، وان المسيح وعده بان يوجه اليه احد تلاميذه بعد صعوده الى السماء^١ . هذه الكنيسة هي التي تسمى خطأ بالكنيسة النسطورية ، منسوبة الى الراهب الصقلي نسطوريوس^٢ . الذي تأخر عنها تاريخياً نحواً من قرنين ونصف القرن . فان الروم الكاثوليك هم الذين سموها ، في عهد متأخر ، بالنسطورية من اجل ان يلصقوا بها وصمة الهرطقة ، ولكي يميزوا بينها وبين من التحقوا بالكنيسة الكاثوليكية ، بمن قالوا بالطبيعة الواحدة ، واطلق عليهم اسم الكلدانيين . ولقد انتخب اول بطريرك للطقس الكلداني سنة ١٥٥١ في مدينة الموصل ، وذلك على يد جماعة من الساخطين^٣ .

ان هذه الكنيسة يجمعها بين لاهوت المسيح وناسوته ، واستنكارها لتأليه مريم العذراء ، ونشاطها البالغ في نشر تعاليمها ، وتقانيها في نشر رسالتها ، كانت في اوائل الاسلام ، العامل الاقوى في الحضارة السورية التي طبعت الشرق الادنى بطابعها ، من مصر حتى بلاد فارس . فان جماعة من ابناء هذه الطائفة كانوا قد اقبلوا

(١) راجع بشأن نسخ هذه المراسلة سعيد بن الطريق ، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق (بيروت ، ١٩٠٩) ج ٢ (ملحق لسعيد بن يحيى الانطاكي) ص ٢٦٣ - ٤٤ .

(٢) للاستزادة من اخباره راجع السمعاني : *Assemani, Bibliotheca Orientalis*, vol. iii, pt. i (Rome, 1725), pp. 35-7 ; راجع ايضاً ما سبق في ص ٤١١ من الجزء الاول من هذا الكتاب .

(٣) Donald Attwater, *The Christian Churches of the East* (Milwaukee, 1946), (٣ vol. i, p. 190.

في القرن الرابع فما بعد ، على درس كتب الفلسفة اليونانية ، وعملوا على نقلها الى لسانهم ، وبثها في سورية والعراق . ثم اخذت هذه الكنيسة في الانتشار شرقاً من الرها حتى تسربت الى فارس . وفي اواخر القرن الخامس عمداً اسقفت العاصمة الساسانية - مدائن كسرى - الى تنصيب نفسه بطريركاً على الكنيسة الشرقية . لكن المقام البطريركي لم يلبث ان انتقل الى بغداد عندما انشئت سنة ٧٦٢ . فحظي هنالك برعاية الخلافة . وقد كان لهذه الكنيسة سجلٌ من النشاط التبشيري منقطع النظر حتى في ظل الاسلام ، والمدافن الاثرية وسواها من الآثار تشهد على وجود كنائس سريانية في مرو وهراة وسمرقند ، وفي مواضع اخرى في آسيا الوسطى ، يعود تاريخها الى اواسط القرن السادس .

وحوالي هذا الوقت تسالت جنوباً الى الهند ارساليات تابعة لهذه « الحركة البروتستانتية الشرقية » حيث كانت النصرانية قد توثقت قبل ذلك بقرنين من الزمان . فنشأت على ساحل الهند الغربي كنائس سريانية لاسيا في ملبار وسيلان . ولقد عُرف اتباع الطقوس السرياني في الهند بـ « نصارى القديس توما » ، تبعاً لاختبار لا يعول عليها جعلت من توما هذا المعلم الاول للمسيحية في الهند . وقد تعززت هذه الطائفة ، في القرن الثامن والتاسع ، بوفود هاجروا اليها من بغداد وسواها من مدن الاسلام . واذ بلغت شهرتها الى الغرب ، سارع الفرد ملك انكلترا الى فتح سفارة له في ذلك الصقع النائي .

على ان العمل التبشيري الباهر هو الذي تحقق في الشرق الاقصى . ففي ما بين القرن السابع والتاسع ، ثم في غضون الثاني عشر والرابع عشر ، تسلل جماعة من الرهبان السريانيين الى داخل الصين ، فوصلت الفئة الاولى منهم الى سيان فو سنة ٦٣٥ ، في الوقت الذي كانت جيوش المسلمين تكتسح بلاد فارس . ولقد نصبت لوحة تذكارية لسنة وسبعين من هؤلاء المرسلين ، نقشت عليها اسمائهم ومآثرهم باللغتين الصينية والسريانية ، وذلك « في السابع من الشهر الاول من عام ٧٨١

(١) ذلك بالمقارنة مع تعليم الارثوذكس الذي يعتبر المسيح ذا طبيعتين صيغ منها شخص واحد ؛ قابل بما سبق ، ص ٤١١ - ٤١٢ .

للميلاد». وهذه اللوحة لا تزال قائمة في تلك المدينة الى اليوم^١. وهناك دير
نسطوري في موضع لا يبعد كثيراً عن هذا المكان هو الآن معبد «تاوي». وبعد
ان استمرت هذه الكنيسة السريانية في الصين ما يزيد على السبعة قرون
(٦٣٥ - ١٣٦٧)، انفصلت عن الكنيسة الام التي كان الاسلام قد اضعفها، حتى
لم تعد تقوى على امداد فروعها؛ وعندئذ تمثلتها الاديان المحلية والفرق «التاوية»
والطوائف الاسلامية، لكنها بقيت، مع ذلك، في تاريخ الصين بمثابة «الدين
المميز». اما اثرها الثقافي فظاهر في الحروف السريانية التي كانت اللغة المغولية
والمنشوكية تكتب بها^٢؛ وكذلك في صناعة تجليد الكتب وزخرفتها في تركستان
اذ هي تمت الى صناعة اقباط مصر بصلة متينة، والمظنون انها انتقلت اليهم عن
طريق هؤلاء المسيحيين السريان^٣.

وكان يقيم في منطقة ارمية والموصل وكردستان الوسطى، عند ابتداء الحرب
العالمية الاولى ١٩٠٠، من اتباع الكنيسة السريانية الشرقية^٤؛ اما من بقي
منهم فقد تسلسل، منذ ذلك الوقت، الى العراق وسورية. على ان الاسم الجديد
الذي اطلقه عليهم المرسلون الانكليكان، وتقبله منهم بعض زعمائهم، لا يبدو نائياً
متى قورنت سحنة الكثيرين منهم بالشكل الاشوري كما هو منقوش على الانصاب
التاريخية.

اما الفرع الغربي للكنيسة السريانية، الذي علم بالطبيعة الالهية الواحدة للمسيح^٥،
ورفع العذراء الى مراتب القديسين، فلم يكن ذا نشاط تبشيري يذكر. فقد كانت
فلسفته اللاهوتية التي تعلم بالطبيعة الواحدة تغلب وحدة المسيح الالهية على الجانب
الانساني فيه. ولقد عرف القائلون بالطبيعة الواحدة في سورية باليعاقبة، دعاهم

(١) P. Y. Saeki, *The Nestorian Documents and Relics in China* (Tokyo, 1937), pp. 35, 68.

(٢) Saeki, pp. 65, l. 15, 457, l. 7; cf. 449, l. 10.

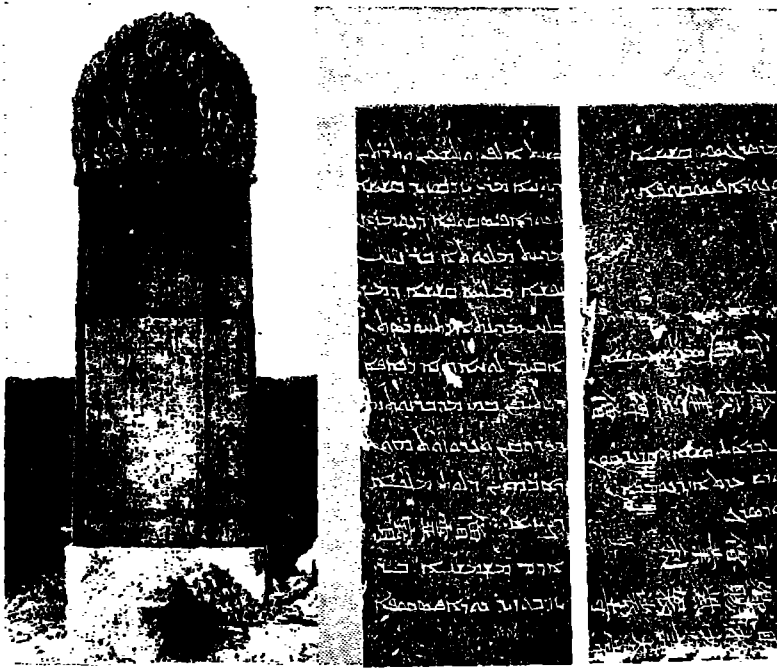
(٣) راجع الجزء الاول، ص ٤١٢.

(٤) Mehmet Aga-Oglu, *Persian Bookbindings of the Fifteenth Century* (Ann Arbor, 1935), p. I. For more on the Nestorians consult Assemani, vol. iii, pt. 2.

(٥) A. Yuhanan, *The Death of a Nation* (New York, 1916) pp. 8-9.

(٦) قابل الجزء الاول، ص ٤١٢.

بذلك خصومهم اليونان اذ كانوا اتباع يعقوب البرادعي اسقف الرها في اواسط القرن السادس^١. وكان الفسانيون وسواهم من العرب السوريين قد اعتنقوا هذا



النصب التذكاري السرياني في سيان فو
المؤرخ ٧٨١ لليلاد

الكتابة السريانية والصينية المنقوشة
في ادنى النصب

المذهب قبل ظهور الاسلام^٢، فكانت الكنيسة المعروفة باليعقوبية هي الغالبة في سورية، بينما كانت المدعوة خطأً بالنسطورية اوسع انتشاراً في فارس. اما لغة الكنيستين فقد كانت ولا تزال السريانية^٣، على ان اللغة اليونانية كانت تدوس في الاديار ايضاً. وقد ساهم اليعاقبة في المجهود الذي بذله النساطرة في نقل الفكر

(١) راجع ماورد سابقاً في ص ٤١١ - ٤١٢. والسعاني يكرس القسم الاكبر من كتابه *Bibliotheca Orientalis*، المجلد الثاني، لدراسة اليعاقبة والقائلين بالطبيعة الواحدة.

(٢) راجع الجزء الاول ص ٤٤٩.

(٣) بعد ان تنصر الاراميون غداوا يفضلون تسمية اللغة بالسريانية على تسميتها بالارامية.

اليوناني الى سورية ثم الى دنيا الاسلام . وكانت قنشرين في شمالي سورية مركزاً هاماً لاذاعة تعليم الطبيعة الواحدة وترجمة علوم اليونان . وكان علماء اليعاقبة اقطاب النشاط العلمي واعلام حركة النقل العلمي في ذلك العهد .

ولقد بقي من اتباع هذه الكنيسة الجليلية حتى اوائل القرن الثاني عشر نحو من مئتي الف نفس ، وذلك في جوار ماردين وديار بكر وأرمينيا^١ . ومنذ ذلك الحين عصفت بهم الاضطهاد والتشريد فلجأ من بقي منهم الى سورية ولبنان . اما مقامهم البطريكي فهو اليوم في حمص ، وهم يابون اسم اليعاقبة ، ويؤثرون ان يدعوا باسم السريان الارثوذكس او السريان القدماء . اما من اعتنق منهم مؤخراً طقس الروم الكاثوليك فقد تألفت منهم كنيسة السريان الكاثوليك التي قام مركزها البطريكي في لبنان . وهذا الفرع من الكنيسة الغربية يقابله فرع الكلدانيين من الكنيسة الشرقية .

وقد نشأ من تعليم الطبيعة الواحدة ، فضلاً عن الكنيسة اليعقوبية السورية ، كنيستان مستقلتان : هما الكنيسة الارمنية والكنيسة القبطية الحبشية . وكانت تفوق كنيسة السوريين على كنائس ارمينيا ومصر والحبشة مأثرة بارزة اخرى من مآثر المجتمع والفكر السوري . وجدير بالذكر ان الكنيستين السريانيتين الشقيقتين : الشرقية والغربية ، مع كل ما كان لهما من رغبة في علوم اليونان ، انما نشأتا وتوسعتا بعامل الردة التي اثارها المجتمع السوري ضد المحاولات التي قامت بها بيزنطة وروما لصبغها بالصبغة اليونانية . ولما كانت هاتان العاصمتان المسيحيتان قد عمدتا الى اعتبار التعليم اليعقوبي والتعليم النسطوري ضرباً من الهرطقة ، فقد كان قيامهما في الاصل احتجاجاً على التدخل الخارجي في شؤونها الالهية ، وتنكراً لعملية التوفيق التي استهدفت تحويل المسيحية ، وهي دين سوري ، الى منظمة يونانية رومانية . واذ اجتاحت الاسلام هذه الاصقاع عصفت بها حتى لم يبقَ منها الى اليوم الا صور متحجرة لمجتمع سرياني منقرض^٢ .

Yuhanan, p. 9. (١)

Toynbee, vol. v, p. 127. (٢)

الموارنة

وفرع آخر من فروع الكنيسة السورية القديمة هو فرع الموارنة ، الذي يعود اصله الى عميده القديس مارون (مارو^١) . ومارون هذا ناسك راهب متعبّد متقشف لا يعرف عن حياته شيء كثير ؛ عاش بين انطاكية وقورس (قورش) وفي قورس توفي سنة ٤١٠ ؛ وهو في ما يظن ، « مارون الكاهن الناسك » الذي وجه اليه يوحنا كريسستم وهو في طريقه الى منغاه ، رسالة يرجوه فيها ان يصلي من اجله ويواجهه باخباره^٢ . وفي الاخبار ان القديس مارون هذا ، بعد ان توفي ، عمّد تلاميذه الى جثثه فنقلوه الى مكان قرب افامية على نهر العاصي ، دفن فيه ثم اقيم فوقه دير على اسمه تحليداً لذكراه . وفي سنة ٥١٧ نشبت بين هؤلاء الموارنة واليعاقبة فتنة ذهبت بحياة ثلاث مئة وخمسين راهباً مارونياً من رهبان هذا الدير ، لا تزال الكنيسة المارونية الى اليوم تحتفل بذكرى جهادهم . واذ بان لساثرهم ان الإقامة في لبنان اوفر امناً ، لجأوا اليه وثبتوا اقدمهم في ربوعه الشمالية . وهناك امتزجوا بالمردة الذين كانوا قد تسلوا الى هذه المنطقة من الشمال^٣ .

ولئن كان مارون هذا هو قديس هذه الطائفة ومعلمها الاول ، فان يوحنا مارون (ت حوالي ٧٠٧) هو بطل الامة الجديدة التي نشأت وترعرعت على ضفاف قاديشا ومؤسس كيائها القومي . وغالب الظن ان يوحنا مارون هو الذي اعطى هذه الطائفة اسمها ؛ فقد ولد في سrooms قرب انطاكية ، ودرس السريانية واليونانية في مدينة انطاكية قبل ان التحق بالدير الذي اقيم على ضفة العاصي . ثم استأنف تحصيله في القسطنطينية ، ورسم من ثم اسقفاً على البترون في لبنان . وكان كرسيه اولاً في سمار جبيل ، ثم تحول الى كفرحي ، وهناك بنى ديراً دفن فيه ، وتقوم اليوم في هذا المكان مدرسة تحمل اسم هذا الزعيم الكبير . ولقد نمت الطائفة المارونية برعايته الى ان غدت امة مستقلة ، استطاعت ان تقصي عنها باليد الواحدة خليفة المسلمين^٤ ،

(١) لفظة من اصل سرياني معناها السيد الصغير .

(٢) راجع الترجمة العربية في كتاب اسطفان الاوسبي ، تاريخ الطائفة المارونية ، (بيروت ، ١٨٩٠) ص ١٩ - ٢٠ .

(٣) راجع ص ٥٢ و ٥٣ من هذا الجزء .

(٤) راجع ص ٥٣ من هذا الجزء .

وبالآخرى امبراطور البيزنطيين . وقد حاول يستينانوس الثاني سنة ٦٩٤ ان يخضع الموارنة ، فارسل اليهم جيشاً هدم ديرهم القائم على العاصي ، لكن يوحنا مارون تمكن من القضاء عليه في اميون^١ . ومنذ ذلك الوقت تثبتت الموارنة بالعرلة ، وانشأوا ضرباً من الفردية التي طالما تميز بها ابناء الجبال . وكانت قنوبين^٢ ، القاعة في الجبال الصخرية الوعرة مركزاً للبطريرك الماروني الى حين ، ثم تحول عنها الى بصرى في جوار مدينة بيروت .

وكان زعماء الموارنة في اواسط القرن السابع على حلة طيبة بالامبراطور شرقل ، فكان ذلك داعياً لأن تنسب الطائفة برمتها الى تبني تعليمه في الطبيعة الواحدة^٣ . وكان سعيد بن البطريق اول من قطع بذلك^٤ ، وكان المسعودي^٥ ، معاصره المسلم ، يرى هذا الرأي ايضاً . وجاء بعد سعيد بن البطريق ولیم الصوري^٦ ، مؤرخ الحملات الصليبية ، فأشار الى ان « الهرطقة التي ارتكبتها مارو واتباعه ، لا يزالون عليها ، انما هي : ان السيد المسيح ما زال ، كما كان منذ البدء ، ذا مشيئة واحدة وطبيعة واحدة » . وقد قدر هذا المؤرخ عددهم باربعة الفاً ، ثم استأنف قائلاً انهم في سنة ١١٨٠ نبذوا هرطقتهم ، وعادوا الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية ؛ على ان المدافعين عن هذه القضية من الموارنة ، ابتداء من الدويهي^٧ (ت ١٧٠٤) وابن نمرون^٨ (ت ١٧١١) ، قد ادعوا لكنيستهم الاستمرار في الامانة للكنيسة الجامعة

(١) للاستزادة من اخباره راجع : Assemani, vol. i, pp. 496-520.

(٢) لفظة سريانية من اصل يوناني معناها البير ؛ وهو من الاسماء الجغرافية اليونانية القليلة الباقية في لبنان .

(٣) راجع ص ١٢ من هذا الجزء .

(٤) ابن البطريق ، ج ٢ ، ص ١٢ .

(٥) التنبيه ، ص ١٥٣ - ٥٤ .

(٦) History, tr. Emily A. Babcock and A. C. Krey, vol. ii, p. 459.

(٧) ص ٢٩٢ وما يلي .

(٨) Fausto (Murhij) Naironi, *Dissertatio de origine, nomine, ac religione Maronitharum* (Rome, 1679).

عبر العصور^١. اما ما يدعيه بعض المؤلفين من الموارنة في العصر الحاضر^٢ من انه قد كان هنالك كاهن آخر من القائلين بالطبيعة الواحدة في الرها، مات حوالي سنة ٥٨٠، اختلط اتباعه على اولئك المؤرخين بموارنة لبنان، فيبدو انه امر جدير بالاعتبار. وليس من شك في ان الموارنة في العصر الصليبي كانوا موضع اهتمام روما، على ان الاتحاد المذكور لم يتحقق حتى القرن الثامن عشر. فكنيستهم التي يسوغ اعتبارها كنيسة لبنان القومية قد حافظت، حتى يومنا هذا، على طقسها السرياني، وعلى اباحة الزواج للكاهن. وقد امتنعت روما عن ان تطوَّب اياً من مؤسسيها التاريخيين الشهيرين وتجعله في عداد القديسين. اما عدد الموارنة في لبنان، فهو بحسب احصاء سنة ١٩٥٢، ٥٤٤، ٣٧٧ نفساً، فهم اكبر طائفة دينية في هذه الجمهورية. ولقد حمل المهاجرون المتأخرون من الموارنة طقسهم الديني الى ايطاليا وفرنسا واستراليا واميركا الشمالية والجنوبية، والى انحاء اخرى من العالم المتمدن.

الملكانيون

ان الكنيسة السريانية بفرعها الشرقي والعربي، وما انحدر منها من طوائف، لم تكن جامعة لجميع النصارى السوريين. بل ان جماعة صغيرة منهم انصقت بتأثير اللاهوت اليوناني المنبثق من انطاكية والقسطنطينية، ووافقت على مقررات مجمع خلقدون الكنسي (٤٥١). وبذلك استطاعت هذه الطائفة ان تحوز وضعاً قانونياً، تفادت به الحرم الكنسي، وحظيت فوق ذلك بحماية كنيسة الدولة، ورعاية المدينة القيصريّة. وكان من خصومها ان لقبوا اتباعها، بعد ذلك بعدة قرون، بالملكانيين^٣ على سبيل التأنيب. وكان سواد الكهنة الملكانيين يختارون في الغالب من بين سكان المدن، ومن ابناء اليونانيين الذين استوطنوا المستعمرات. ثم اخذت اللغة اليونانية تحل تباعاً محل السريانية في شعائرهم ومراسيم الصلاة، والطقس البيزنطي

(١) نذكر من المدافعين المتأخرين افرام اليراني مؤلف: «المحاملة عن الموارنة وقديسهم» (بيروت، ١٨٩٩)؛ ويوسف الدبس صاحب: «تاريخ سوريا»، ج ٥ (بيروت، ١٩٠٠)، ص ١٥٦ وما بعد؛ وبير ديب (Paris, 1930). pp. 62-143. *Pierre Dib, L'Eglise maronite, vol. i*

(٢) Bernard G. Al-Ghaziri, *Rome et l'Eglise syrienne-maronite*, (Paris, 1906), pp. 31-3. 44-5.

(٣) من لفظة سريانية «ملكاً»، معناها الملك.

يقوم مقام الطقس السرياني ، وهوذا مئات المخطوطات في المكتبات الأوروبية والشرقية ، تشير الى ان انتشار اليونانية لم يتحقق كاملاً حتى مطلع القرن السابع عشر^١. ومع ان الطائفة المملكانية كانت تتمتع بتأييد السلطة الحاكمة ، فقد بقيت ضعيفة نسبياً فلم تتعدّ في انتشارها شمالي سورية وفلسطين ومصر . ولقد احتفظت الاجيال التي خلفتهم من السوريين بمقام بطريركيّ في دمشق ، وآخر في القدس ؛ وهم يعرفون اليوم باسم الروم الارثوذكس^٢.

وبما يدعو الى الغرابة ان اسم «الملكانيين» اخذ يطلق في العهد الحاضر — على سبيل الحصر — على الجماعة التي انشقت عن الكنيسة الارثوذكسية والتحقت برئاسة روما؛ لكن هؤلاء يدعون ، مع ذلك ، ان صلتهم بالكنيسة الرومانية الكاثوليكية كانت منذ القديم واستمرت بلا انقطاع . اما عددهم اليوم فيبلغ نحو نصف عدد الطائفة الارثوذكسية الذين يبلغون ٢٣٠،٤٠٠٠ . ولهم مقام بطريركي في مصر وآخر في لبنان . اما سواد الروم الكاثوليك والروم الارثوذكس فيقيمون في سورية لا في لبنان .

التفاعل مع الاسلام

ويغلب على الظن ان الاسلام ، في اول امره ، لم يبدُ غريباً كل الغرابة لدى النصارى السريان ، ولا دخليلاً عليهم ؛ بل لعله ، بالنسبة اليهم — كان اقرب الى طائفة يهودية — مسيحية جديدة منه الى دين جديد . لذلك كانت خصومة الاسلام للمسيحية بوجه العموم من قبيل المنافسة اكثر منها من قبيل التعارض في المبادئ . ولقد كتب احد بطاركة الكنيسة الشرقية^٣ ، على اثر الفتح العربي ، يصف الحكم الفاتحين بهذه العبارات الفياضة المشرقة يقول : « ان العرب الذين اولاهم الله السلطة على العالم في هذا العهد هم ، كما تعلمون ، يقيمون فيما بيننا ، ولا يتخذون من النصرانية موقف عداء ، بل هم على عكس ذلك : يمتدحون ديننا ويمجّلون الكهنة والقديسين ، ويجودون بالتقدمات للكنائس والمناسك » . ولقد غالى بعض

(١) اسحق ارمله ، المكيون : بطريركيتهم الانطاكية (بيروت ، ١٩٣٦) ، ص ١٠٢ ، ١٠٤ — ١١٥ حبيب زيات في مجلة المشرق ج ٣٧ (١٩٣٩) ، ص ١٧٤ .
(٢) راجع جدول اسماء البطاركة في كتاب ارمله ، ص ٢٦ وما بعد .

(٣) Iso'yahb iii, «Liber epistularum», in *Scriptores Syri*, ser. II, vol. lxiv, ed. Rubens Duval (Paris, 1904-5), text p. 251, ll. 13-19, cf. p. 252, ll. 8-12, tr. p. 182.

المستشرقين^١ في هذا الاعتبار، حتى انهم جعلوا الاسلام من وجوه عديدة وريثاً للصراية السريانية. فقد اعتبر يوحنا الدمشقي محمداً هرطوقياً، لا مؤسساً لدين جديد، وخطط بين الاسلام والآريوسية التي نبذت الوهية المسيح^٢. وقد كان يقول لخصومه المسلمين: «عندما ندعوننا مشركين ندعوكم مشوّهين»، ثم يتساءل قائلاً: لماذا يلام النصارى على سجودهم امام الصليب، في حين يفعل المسلمون مثل ذلك امام الحجر الاسود؟ وكان بما ساعد على التهادي في هذا الاعتقاد ان الكاتب انما هو كاهن يدون بلغة غريبة. ولقد بدا لعمر بن عبد العزيز، فيما يظهر، انه يستطيع ان يحمل ليو الايصوري على اعتناق الاسلام بسهولة، وذلك بان يرسل اليه رسالة يدعوه فيها الى الاسلام؛ لكن الامبراطور اجاب عنها بكتاب حاول فيه ان ينقض مشتملاتها^٣.

ولقد كانت عقيدة التوحيد ويوم الحساب من اروج المواضيع في الادب القرآني، وفي الاناجيل المرفوضة والرسائل الصوفية على السواء^٤. وهذا القديس افرام (ت حوالي ٣٧٣) الذي يعتبر اعظم معلم انجبه الكنيسة السريانية بفرعها يصف جنة النعيم بما يلي وصفاً محسوساً:

«لقد شاهدت مقامات الابرار، ورأيت الابرار انفسهم، واذا الطيوب تقطر منهم، والروائح العطرية تفوح من اعطافهم، وطاقات الزهور تكلل رؤوسهم، وانواع الفاكهة ترين قاماتهم... وعندما يتكلم الابرار الى المائدة تجود عليهم الاشجار باطلاها في الهواء الطلق؛ وتفتح الزهور من تحتهم وتنضج الفواكه من فوقهم... الريح تقف بين ايديهم مستعدة لاداء ما يطلبون، تهب احداها بالطمأنينة، وترفع الاخرى بالشراب فيجري ررقاقاً؛ يحفل بعضها بالزيت، وبعضها الآخر يحمل الطيوب... كل من امتنع عن الخمر في الدنيا تنوق اليه الخمر في

(١) E. g. Carl. H. Becker, *Islamstudien*, vol. i (Leipzig, 1924), pp. 16-18, 386 seq.

(٢) Migne, *Patrologia Graeca*, vol. xciv, cols. 763-74. وانظر الجزء الاول ص ٤١١.

(٣) Theophanes, *Chronographia*, p. 399; Mahbûb (Agapius of Manbij), «Ki-tâb al-'Unwân», كتاب العنوان, in *Patrologia Orientalis*, vol. viii (Paris, 1912), p. 503.

(٤) William Wright, *Apocryphal Acts of the Apostles*, 2 vols., (London, 1871).

في الفردوس ، وتمتد اليه كل نبتة من الكرمة بعنقود من العنب . وكل من عاش عفيفاً تستقبله الحوريات بصدور نقية طاهرة^١ .

ثم ان التفرقة بين الفروض والنوافل واضحة في الديانتين وتقوم بينهما مشابهات كثيرة في ممارسة الشعائر ومزاولة طقوس العبادة . فقد اقرت الكنيسة السريانية ثلاث صلوات قانونية في النهار ، واثنين في الليل ، قبل ان نظم الاسلام الصلوات الخمس بوقت طويل . والصلوات الليلية التي ورد وصفها في القرآن (المزمل : ١-٢٠) تميد الى الذاكرة رياضة الرهبان الروحية وتوفرهم على العبادة . ولقد كان النساك يتخذون في اثناء الصلاة اوضاعاً جسدية معينة تشتمل على السجود ولمس الارض بالجبين . وكان المصلي ، اذا ما كرر السجود متضرعاً ، وصدماً الارض يجيئنه سقط شعر رأسه امامه على الارض^٢ . وفي شعر جاهلي وصف لناسك ، فحجر جبينه من لمس الارض ، حتى غدا فيه ما يشبه ركبة العترة^٣ .

ولقد كان من الطبيعي ان ينقل بعض النصارى ، لدى اعتناقهم للاسلام ، شيئاً من افكارهم وشعائرهم ، وان تقتبس بعض الفرق والبدع شيئاً من ذلك وتحفظ به . ثم اخذت شقة الخلاف تضيق عندما اقتبس رواية الحديث الاولون احداثاً وقعت لمؤسسي المسيحية نسبوا الى مؤسس الاسلام . فقد ذكر عن محمد انه امتدح « من يعطي الصدقة سرّاً بحيث لا تعلم شماله ما صنعت يمينه » ، وجهر بان الله قد قال « قد اعددت لاهل التقوى من عبادي ما لم تره عين ، ولم تسمع به اذن ، ولا خطر على قلب » . بل ان ما يقرب من الصلاة الربانية نفسها قد روي ان محمداً تلاه^٤ . فضلاً عن ذلك كله فقد وجد الزهد المسيحي طريقاً آخر الى قلب الاسلام هو النظام الصوفي المتأخر .

(١) Sancti Ephraem Syri, *Opera omnia* (Rome, 1743), p. 563; cf. Tor Andrae, tr. Theophil Menzil, *Mohammad: the Man and his Faith* (New York, 1936); القرآن : الناشية ٤ - ١٦ ؛ الرحمن ٤٦ - ٧٨ .

(٢) John of Ephesus in *Patrologia Orientalis*, vol. xvii, p. 40.

(٣) لويس شيخو ، النصرانية وآدابها (بيروت ، ١٩١٩) ، ص ١٧٨ .

(٤) قابل : انجيل متى ٦ : ٣ - ٤ .

(٥) قابل الرسالة الى اهل كورنثيا ٢ : ٩ .

(٦) Hitti, *History of the Arabs*, p. 396.

الالفاظ المستعارة

ان الناطقين بالسريانية من النصارى يستطيعون فوراً ان يتبينوا الكثير من الالفاظ الاساسية السريانية بين المفردات الاسلامية . فالالفاظ العربية نظير : فرقان ، (الانفال : ٢٩ ، ٤٢) ، آية (البقرة : ٣٧ ؛ آل عمران : ٩) ، كاهن (الطور : ٢٩ ؛ الحاقة : ٤٢) ، سجود (البقرة : ١٩ ؛ القلم : ٤٢ ، ٤٣) ، سفر (الجمعة : ٥) ، قسيس^١ (المائدة : ٨٥) صلاح (البقرة : ٢ ، ٤٠ ؛ النور : ٥٧) ، زكاة (البقرة : ٤٠ ، ٧٧ ، ١٠٤) ، وكثير سواها ، انما هي الفاظ مستعارة من السريانية او الآرامية^٢ ، وهناك تعابير كنسية ومصطلحات اكليريكية عديدة عربت عن السريانية كما يستدل من الالفاظ التالية : اشين ، برشان ، تليذ ، شمأس ، عماد ، كنيسة ، كاروز ، ناقوس . اما الالفاظ المستعارة من اليونانية فلم تكن كثيرة ، نذكر منها : طقس ، قندلفت ، انجيل ، اسقف ، شدياق ، ابرشية ، زنار^٣ . وهناك الفاظ يونانية اخرى تسربت الى العربية عن طريق السريانية ، منها : خوري بطريك ، اسكيم ، هرطوقي .

ضبط الكتابة

ولقد ادت السريانية ماثرة هامة اخرى الى العربية هي ضبط الكتابة . على ان الحروف العربية نفسها قد اخذت ، كما اسلفنا^٤ ، من النبطية ، وهي شقيقة السريانية .

اما الخط العربي فقد كان في اول امره غفلاً من النقط التي تميز الآن بين الحروف اذ كانت ترسم بشكل واحد . وقد كان خالياً من الحركات . كذلك ، فكانت جميع

(١) هذه اللفظة واللفظة السابقة وردتا في القرآن بصيغة الجمع فقط .

(٢) للاطلاع على الفاظ اخرى راجع : Arthur Jeffrey, *The Foreign Vocabulary of the Qur'an* (Baroda, 1938).

(٣) للاستزادة من ذلك راجع : Georg Graf in *Zeitschrift fur Semitistik und verwandte Gebiete*, vol. vii (1929), pp. 225 seq. ; vol. ix (1939), pp. 234 seq. ; انظر ما سيأتي في آخر الفصل ٤١ .

(٤) راجع الجزء الاول ص ١٨٣ ، ٤٢٧ .

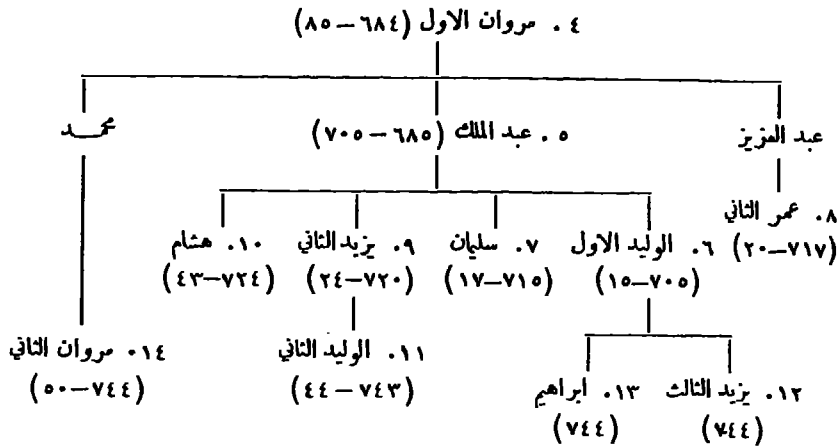
حروفه من الصوامت . على انه في خلال القرن الاول للهجرة ، ادخل على الخط نظام من النقط والحركات لعلها من اصل نبطي ، استخدمت على نحو معين . فالتقطة الواحدة فوق الحرف رمزت الى الفتحة ، والنقطة تحت الحرف اشارت الى الكسرة^١ ، وهذا غامماً ما كان السريان الشرقيون قد اصطالحوا عليه لوقت طويل . وحوالي اواخر هذا القرن ، وتبعاً للنسق السريانية ايضاً ، جعلت بدلاً من النقط خطوط قصيرة فوق الحرف ونحته ، نشأت منها الفتحة والكسرة كما تستخدمان اليوم . هذه هي الاصلاحات التي نسبتها الاخبار الى الحجاج^٢ . وهذا الجهاز السرياني من النقط الصوتية هو ايضاً اساس النظام العبراني الذي اعتمدته علماء اليهود في ضبط نص التوراة بعد سنة ٧٥٠ للميلاد^٣ .

(١) اما الضمة فواضح انها اخذت من الواو .

(٢) راجع ص ٨٦ من هذا الجزء .

(٣) Frank R. Blake in *Journal, American Oriental Society*, vol. lx (1940), pp. 391-413.

الفصل الرابعون سقوط الدولة الأموية



شكل شجري يوضح صلة النسب ما بين الخلفاء المروانيين في الدولة الاموية

بلغت السلطة الاموية اوج عزها في عهد الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ - ١٥) ،
وهناك اثنان من الخلفاء لا غير يجدر ذكرهما من بعده : هما عمر بن عبد العزيز
وهشام بن عبد الملك .

خليفة متعبد

كان عمر (٧١٧ - ٢٠) الخليفة المتعبد الوحيد في عهد اشهر بطابعه الديني ؛
وكان هدفه الاسمي ان يتأثر خطى جده لأمه ، ثاني الخلفاء الراشدين ، الذي قدر له
ان يحمل اسمه . وقد عني مدون ترجمته عناية خاصة بوصف تقاه وزهده وبساطته ،
واكد على انه كان يرتدي الثياب المرقعة ، ويختلط برعاياه اختلاطاً كان يعسر
معه ، على من قصده لرفع ظلامته اليه ، ان يميزه من بينهم^١ . وقد شعر علماء الدين

(١) ابن الجوزي ، ص ١٧٣ - ٧٤ ، ١٤٥ وما بعد .

في عهده ان الدهر قد غدا مؤاتياً لهم، وجاءته من ثم شهرة الورع والتقى اللذين عرف
بهما في التاريخ . فعمر هو الذي ابطل ما كان معاوية قد شرعه من شتم علي من
المنابر في صلاة الجمعة^١. وقد ادخل ، الى ذلك ، اصلاحات مالية لم تثبت طويلاً
لكنها ، مع ذلك ، ساعدت على انتهاز سبيل المساواة في معاملة العرب وغير
العرب من المسلمين ، وشجعت اخيراً على الاختلاط بين ابناء الفاتحين الحاكمين
وابناء المواطنين المحكومين^٢.

آخر اموي مقتدر

ان المؤرخين العرب يعتبرون هشاماً (٧٢٤ - ٤٣) بحق آخر السياسيين في
البيت الاموي^٣. ذلك لان الخلفاء الاربعة الذين تولوا الحكم بعده كانوا عاجزين ،
ان لم نقل فاسدين ومنحطين . فقد قال هشام عندما توفي ابنه معاوية - جد الاسرة
الاموية في الاندلس - وهو في رحلة صيد « تالله لقد اجمعت ان ارشحه للخلافة ويتبع
ثعلباً^٤ » ! وكان واليه على العراق قد احتفظ لنفسه بـ ١٣ مليون درهم ، بعد ان
بذر من دخل الدولة نحواً من ثلاثة اضعاف هذا المبلغ ، فاعتقله واضطره الى
ارجاع المال^٥. وهذا الحدث كان واحداً من احداث كثيرة تشهد بمجموعها على
انتشار الفساد في الوضع السياسي . وكان نظام الحصيان الذي ورثه العرب من
البيزنطيين والفرس قد اخذ في الانتشار سهلاً بذلك نشوء نظام الحریم . وجرى
في اثر الثروات الطائلة تضخم في عدد العبيد ، فادى كلا الامرین الى الانغماس في
البذخ والايغال في الترف . ولم يكن الانحطاط الخلقي قاصراً على الطبقة العليا ،
بل ان آفات المدينة ، وفيها الحر والنساء والغناء ، كانت - فيما يظهر - قد استولت
على ابناء البادية ، فاخذت الآن في استنزاف حيويتهم .

(١) الفخري ، ص ١٧٦ .

(٢) راجع ص ٨٤ - ٨٥ من هذا الجزء .

(٣) المسعودي ، ج ٥ ، ص ٤٧٩ ؛ قابل : اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ ؛ ابن قتيبة ، المعارف
ص ١٨٥ .

(٤) الطبري ، ج ٢ ، ص ١٧٣٨ - ٣٩ .

(٥) الطبري ، ج ٢ ، ص ١٦٤٢ ؛ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ .

اربعة خلفاء عاجزين

وكان الوليد الثاني، الذي تولى بعد هشام، رجلاً قوي البنية جميل الطلعة؛ لكنه كان أجدر بالموسيقى والشعر منه بشؤون الحكم^١. ولقد اقتطع فترة من حياته الالهية في البادية لينصب خليفة في العاصمة، ثم عاد الى ما كان عليه من لهو ودعابة. ولا تزال خرائب قصوره الى اليوم توثي حواشي البادية السورية^٢. انما كان بين الاخطاء التي ارتكبها ما هو اشد وادهى؛ من ذلك انه اوصى بالخلافة من بعده لولدين له من احدى جواريه، وانه استبعد جماعة اليمنية (عرب الجنوب) وهم سواد العرب المقيمين في سورية. وكان قد نشب، قبل ذلك، نضال شديد بين مبدأ انتقال الخلافة بالوراثة الذي ابتدعه معاوية^٣، وبين العرف القبلي الراسخ الذي يجعل الولاية للاكبر سناً، فغدا الامر اشد تعقيداً عندما اوصى مؤسس الفرع المرواني بالخلافة من بعده الى اثنين من ابنائه على التوالي: هما عبد الملك وعبد العزيز^٤. ولا شبهة في ان عدم وجود مبدأ مقبول واضح ينظم انتقال الخلافة لم يكن بما يدعوا الى الاستقرار والاستمرار. اما اليمنية فهم من قام العرش السوري على عواتقهم، وكان عداؤهم للقيسية (عرب الشمال) مستحكماً راسخ الاصول، واستمر كذلك حتى الفهود الاخيرة^٥. فلقد تزعم يزيد، ابن عم الوليد، مؤامرة اوعز فيها لبعض النافقين من اليمنية فتعقبوا الخليفة حتى ادركوه وقتلوه جنوباً من تلمس^٦.

تميز عهد يزيد الثالث (٧٤٤) - وهو اول خليفة امه أمة^٧ - بكثرة الاضطرابات في الامصار. وقد اضطر اخوه ابراهيم، الذي ولي الخلافة من بعده مدة شهرين فقط، ان يتنازل عنها لنسيب بعيد، هو مثلها ابن لجارية مملوكة^٨، وهو مروان الثاني (٧٤٤ - ٥٠).

(١) الاغاني، ج ٤، ص ١٠١ وما بعد.

(٢) راجع ص ١٢٥ من هذا الجزء.

(٣) راجع ص ٤١ من هذا الجزء.

(٤) اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٠٦.

(٥) راجع ص ٥٨ من هذا الجزء.

(٦) اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٠٠؛ الفخري ص ١٨٢.

(٧) الطبري، ج ٢، ص ١٨٧٤، السعدي، ج ٦، ص ٣١ - ٣٢.

(٨) اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٠٣، ٤٠٤؛ السعدي، ج ٦، ص ٤٧.

وعندما تولى مروان الخلافة كانت الفوضى تسري في سائر انحاء الدولة . وقد ظهر مطالب بالخلافة من آل امية في سورية ، وظهر آخر من الخوارج قام بحركة عصيان في العراق ، وعمد جماعة من الزعماء في خراسان الى الانتفاض على الخليفة ، بحيث اضطر مروان الى نقل حكومته الى حران ، حيث يستطيع ان يعتمد على مساندة القيسية ، ويتمكن من ان يسد الضربات لجماعتين من اشد خصومه هما العلويون والعباسيون .

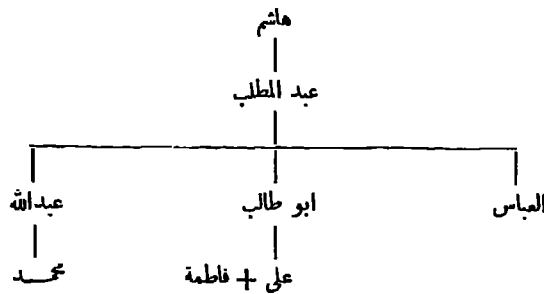
العلويون والعباسيون

لم يكن الامويون في نظر الشيعة الا مغتصبين منافقين ، فقد ارتكبوا بحق علي وذريته جرماً لا يغتفر ولا ينسى . وكان اخلاصهم التام لاهل بيت النبي قد لفت اليهم انظار الجمهور وحوّل نحوهم كل عطف ، حتى غدت جبهتهم مرتع الناقمين من حيث السياسة والاجتماع والاقتصاد جميعاً . ومنذ ما اختار علي مدينة الكوفة قاعدة له اصبح العراق حصن الشيعة الحصين ، فكان للعراقيين من ثم على السورين ضغينة اخرى ، هي انهم انتزعوا منهم قاعدة الخلافة . ولقد انضم الى جمهور الناقمين جماعة من اتقياء اهل السنة ، كانوا يهتمون البيت الاموي بالعناية بالماليات والانفماس بشؤون الدنيا ، وبالتقاعس عن اقامة الشرع القرآني .

كذلك العباسيون ، فقد جروا مجرى العلويين في استغلال الاوضاع المضطربة للمطالبة بالخلافة لانفسهم . وكانت دعواهم تقوم على انهم ، اذ كانوا من سلالة عم النبي^١ ، كانوا بفضل ذلك احق بالخلافة من بني امية .

الخراسانيون

وقد زاد في حراجة الوضع عامل آخر هو نقمة المسلمين غير العرب بوجه عام ،



والمسلمين الفرس بوجه خاص؛ وذلك بسبب ما لاقوه من سوء المعاملة على يد المسلمين العرب. فقد كانت تلك المعاملة ابعـد شيء من المساواة التي وعدها الداخلون عندئذ في الاسلام. فكانت حالهم اشبه بحالة الموالي^١، حتى انهم لم يعفوا، في بعض الاحوال، من الجزية التي كانوا يؤدونها اذ كانوا ذميين. وقد بلغت هذه النقمة اشدها في فارس — ذلك البلد الذي كان العرب انفسهم يقرون بانه اعرق مجدداً وارق حضارة. وكانت خراسان في الشمال الشرقي اخصب البلاد تربة لنمو بذور الحركة الشيعة العباسية، اذ لاقى فيها تعليم الشيعة تجاوباً صارخاً في قلوب الخراسانيين، فاخذت من ثم النزعة الايرانية القومية تستعيد حيويتها تحت قناع الحركة الشيعية في الاسلام.

على ان الحاجة بقيت ماسة لشيء واحد لا غير هو القيادة — القيادة التي تجمع تحت لوأها الشيعة والعباسيين والفرس، وغير هؤلاء من خصوم الامويين، وتدفع بهم في وجه العدو المشترك. وقد تحققت هذه القيادة اخيراً في شخص عبدالله ابي العباس، حفيد حفيد العباس. وكان نجاحه في السيطرة على جميع القوى المقاومة للامويين يعود بالاكثـر الى براعته في تنظيم الدعاية. وقد اختار العباسيون قاعدة لعلمهم قرية يبدو لاول وهلة انها خاملة ومنعزلة هي الحميمة، الى الجنوب من البحر الميت^٢. على انها كانت، بواقع الامر، ذات موقع خطير، يسهل منه الاتصال بالقوافل والمسافرين ومواكب الحجاج، الوافدة من جميع اقطار العالم الاسلامي. فكانت مركزاً يدرّب فيه المرشعون لاعمال الدعاية على مبادئ الجماعة واساليبهم، ثم يوجهون منه في مهام سرية. وفي الحميمة تحقق عمل من اقدم اعمال الدعاية السياسية في الاسلام واشدها دهاءاً وافرهما نجاحاً، انه عمل لم يقع له نظير حتى قيام الفاطميين^٣.

اندلاع الثورة

اول ما انفجر بركان الثورة في خراسان، وذلك في شهر حزيران سنة ٧٤٧.

(١) راجع ص ٨٤ و ص ٩٧ — ٩٨ من هذا الجزء.

(٢) اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٥٦ — ٥٧؛ الفخري، ص ١٩٢ — ٩٣؛ الطبري، ج ٣، ص ٣٤؛ ياقوت، ج ٢، ص ٣٤٢؛ Musil, Northern Hejaz, pp. 56-61، راجع ايضاً الحارطة في حيز ذلك الكتاب.

(٣) انظر ما سيأتي في الفصل ٤٤ حول الفاطميين.

وكان على رأس حركة العصيان عامل العباسيين ابو مسلم الخراساني ، وهو مولى من اصل منبهتم^١. وكان العلم الذي رفعه اسود اللون ، وكان قد اتخذ السواد لوناً لثيابه حداداً على رجل من ذرية علي قتل في خراسان ، ففدا العلم الاسود شعار السلالة الناهضة . وسار ابو مسلم على رأس جيش مؤلف من عرب اليمن (من الازد) والفلاحين الفرس ، ودخل مرو عاصمة خراسان دخول المنتصرين . وكان والي الامويين ، نصر بن سيار ، قد الع على مروان بطلب النجدة ، مبنياً له الخطر المدام ، ولكن دون جدوى^٢ ، حتى انه لجأ في وصف ذلك الوضع الى الشعر فقال :

ارى خلل الرماد وميض نارٍ وبوشك ان يكون لها ضرامٌ
فان النار بالعودين تذكى وان الحرب اولها كلام
فقلت من التعجب ليت شعري أيقاظ امية ام نيام^٣

غير ان الخليفة كان عن ذلك كله في شغل شاغل بما كان يجري عنده . فأت حركة العصيان التي اثارها اليمنية كانت قد اندلعت من فلسطين وبلغت الى حمص . وكذلك في العراق فان الحوارج كانوا قد ثاروا من جديد^٤ . وجدير بالذكر ان مرواناً كان جندياً بامتياز اكسبه صبره وصموده في الجروب لقب « الحمار » ، ولم يكن هذا اللقب آنئذ عاراً او معيباً . والى مروان يرجع الفضل في تعديل خطط القتال ، اذ تخلى عن نظام القتال في صفوف — هذا النظام الذي جرى عليه النبي اولاً ، فترك عليه مسحة من التقديس — واتخذ بديلاً عنه نظام الكراديس^٥ ، وهي وحدات صغيرة اشد تماسكاً واسرع انتقالاً . الا انه كان الآن عاجزاً ، وفي وضع لا يوحى غير اليأس . ذلك ان شمس الامويين كانت قد آذنت بالافول .

الضربة الحاسمة

سقطت مرو ، فتبعتهما نهاوند ، ومدن فارسية اخرى ، فانكشفت بذلك الطريق

-
- (١) الفخري ، ص ١٨٦ .
 - (٢) الطبري ، ج ٢ ، ص ١٩٥٣ وما بعد ؛ الدينوري ، ص ٣٥٩ وما بعد .
 - (٣) الفخري ، ص ١٩٤ .
 - (٤) الطبري ، ج ٢ ، ص ١٩٤٣ - ٤٩ .
 - (٥) راجع ٨٨ - ٨٩ من هذا الجزء .

الى العراق . وهنا سقطت الكوفة - وهي اهم مدن العراق ، ومختبأ أبي العباس - من غير كبير مقاومة . وفي ٣٠ تشرين الاول سنة ٧٤٩ بويغ لابي العباس بالخلافة في مسجدها الكبير^١ . وكانت الراية البيضاء في سائر المناطق الشرقية تتقهقر في وجه الراية السوداء . واخيراً عزم مروان على ان يصمد حتى النهاية ويقاقل قتال المستميت . فسار على رأس اثني عشر الف مقاتل^٢ من حران شرقاً حتى بلغ الزاب الاعلى (كانون الثاني ٧٥٠) - وهو احد فروع دجلة - فالتقى على ضفته اليسرى بقوى المعارضة يقودها عبدالله بن علي ، احد اعمام الخليفة الجديد . واستمر القتال تسعة ايام ، لكن العزم على كسب المعركة لم يعد من شأن الجانب السوري ، ذلك لأن عهد القوة المعنوية العالية والقيادة الملهمة كان قد ولى ، وغدت الهزيمة امراً لا مفر منه .

واخذت المدن السورية ، من ثم ، تفتح ابوابها ، واحدة بعد الاخرى ، لعبد الله وجيوشه الحراسانية العراقية . ولم تتفرد بشيء من الدفاع الا مدينة دمشق . على ان اياماً قليلة من الحصار كانت كافية لاختضاع المدينة الشاحنة (٢٦ نيسان ٧٥٠) . ورابط فرسان العباسيين في مسجدها الكبير سبعين يوماً ، استأنف بعدها الجيش المظفر سيره جنوباً نحو فلسطين . ومن هنا أرسلت على جناح السرعة فصيلة في اثر الخليفة الفار ، ادركته في مصر العليا وقتلته خارج كنيسة في بوسير^٣ (٥ آب ٧٥٠) . ثم ارسل رأسه مع شارات الخلافة الى ابي العباس^٤ .

كانت المهمة الرئيسية التالية التي واجهها ساسة العباسيين : ماذا عساه يصنعون بن بقي من الامويين ؟ وقد اجمع الرأي على وجوب استئصالهم ، وعهد بذلك الى عبد الله . ولم يتورع القائد الصارم عن استخدام اعنف الوسائل ليمحو من الوجود

(١) يعقوبي ، ج ٢ ، ص ٤١٧ - ١٨ ؛ الطبري ، ج ٣ ، ص ٢٧ - ٣٣ ؛ المسعودي ، ج ٦ ، ص ٨٧ ، ٩٨ .

(٢) الطبري ، ج ٣ ، ص ٤٧ ، قابل ص ٤٥ ؛ راجع ص ٨٩ ح ٣ . الحاشية الاخيرة .

(٣) وردت أيضاً ابوصير ، ولعلها بوسير الملق في الفتيوم . راجع ساويروس ابن المقفع ، سير البطارقة الاسكندرانيين ، نشر سيبولد (ممبرغ ، ١٩١٢) ، ص ١٨١ وما بعد ؛ الطبري ، ج ٣ ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٤) المسعودي ، ج ٦ ، ص ٧٧ .

اولئك الاعداء الذين يمتون اليه بصلة النسب . بل لقد انتهكوا حتى حرمة المدافن في دمشق وقنسرين ومواقع اخرى ، فنبشوا القبور وصلبوا الجثث ، وطرحوا الاشلاء خارجاً . وقد اخرج جثمان هشام من قبره في الرصافة ، وجلد ثمانين سوطاً ثم احرق حتى استحال رماداً^١؛ ولم يعفوا الا عن قبر معاوية ، وقبر عمر التي . وفي ٢٥ حزيران سنة ٧٥٠ ادب عبد الله مآذبة لثمانين من امراء الامويين في ابي فطرس (انتباترس القديمة) على نهر العوجا بالقرب من يافا ؛ وما ات بدأ الاحتفال حتى انقض الجلادون على المدعويين ، واخذوا يحصدون رؤوسهم واحداً تلو الآخر . حتى اذا بسطت نطع الجلد على الجثث وهي ما زالت دافئة ، وعلى القتلى وهم بعد يعالجون سكرات الموت ، تحول القائد واعوانه الى الموائد ليستأنفوا الاستمتاع بالطعام الشهي ، على ايقاع انين المحتضرين وحسرة المنازعين^٢ . ثم ارسل العملاء والجواسيس ييوسون بلاد الاسلام لاصطياد الفارين من ابناء الاسرة الاموية المنهارة وقد تتبعهم بالقتل « فطلبوا من بعدها بطن الارض^٣ » وذلك بعد ان امتنع الأمان لهم على وجهها .

فرار مداهش

على ان شخصاً واحداً نجى من هذه المجزرة البشرية العامة هو عبد الرحمن بن معاوية ، حفيد الخليفة هشام . فان هذا الفتى ، الذي كان له من العمر تسعة عشر عاماً ، كان قد اختبأ في مضرب لجماعة من البدو على ضفة الفرات اليسرى في شمالي سورية . وذات يوم فوجئ القوم بمشهد اعلام سوداء تقترب منهم . فألقى عبد الرحمن نفسه في النهر ، وتبعه اخوه وهو في نحو الثالثة عشرة من عمره . لكن المطاردين العباسيين جدوا في اثرهما . واذا وثق اصغر الاخوين بالأمان الذي قطعه له المطاردون

(١) السمودي ، ج ٥ ، ص ٤٧١ ؛ قابل يعقوبي ، ج ٢ ، ص ٤٢٧ - ٢٨ . انظر ايضاً الفخري ، ص ٢٠٤ .

(٢) يعقوبي ، ج ٢ ، ص ٤٢٥ - ٢٦ ، السمودي ، ج ٦ ، ص ٧٦ ؛ ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ٣٢٩ - ٣٠ ؛ المبرد ، ص ٧٠٧ ؛ الاغانى ، ج ٤ ، ص ١٦١ ، قابل ص ٩٢ - ٩٦ ؛ الفخري ، ص ٢٠٣ - ٤ ؛ Theophanes, p. 427 . قابل ذلك بقصة ابادة يهوه ليت آخاب (الملوك الثاني ، ١٤ : ٩ - ٣٤) وابادة محمد بنى لمالك مصر (في ما يلي الفصل ٤٩ حول بشير الثاني ؛ جرجي زيدان ، تاريخ مصر الحديث ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٢٥ ، ج ٢ ، ص ١٦٠ - ٦٢ .

(٣) ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٢٠ .

ان هو عاد ، رجع ادراجہ من اواسط النهر ، فلاقى حتفه ذبحاً . اما الاكبر فاستأنف السباحة حتى ادرك الضفة المقابلة^١ .

وسار عبد الرحمن متنكراً في اتجاه جنوبي . وفي فلسطين التحق به مولاه بدر الذي عرف بدهائه واخلاصه للبيت الاموي . وقد عينت مكافأة مالية كبيرة ثمناً لرأس الامير الهارب ، لكنه نجا باعجوبة من مؤامرة دبرها حاكم شمالي افريقيا لاغتياله . وراح من ثم يطوي ساحل افريقيا الشمالي بطوله ، وحيداً شريداً طريداً لا رفيق يؤنس ولا مال يسعفه . وبعد خمس سنوات من التجول حط رحاله في الاندلس (٧٥٥) ، وهي البلاد التي كان اسلافه قد فتحوها وحكموها . وفي السنة التالية اقام نفسه سيداً على شبه الجزيرة ، لا ينازعه في ذلك منازع . وقد اجتاز عاصمة له مدينة قرطبة التي يعود تاريخها ، فيما هو مشهور ، الى العهد القرطاجني ، فقدّر لها ان تدهر وتصبح عاصمة لمملكة جديدة ومهداً لحضارة راقية . وقد حاول عبد الرحمن ان ينشئ دولته على غرار الدولة الشامية . فافتتح عهد علم وسخاء سار بوجه العموم على خير ما رسمه الخلفاء السابقون في دمشق . وكان هشام ، قبل وصول عبد الرحمن الى الاندلس باربعة عشر عاماً ، قد وجه الى الاندلس جيشاً سورياً مؤلفاً من ٢٧ الف مقاتل ، بقيادة بلج بن بشر القشيري لمحاربة البربر . فاستقرّ هذا الجيش في اقطاعات عسكرية منتشرة على الساحل الاسباني المحاذي للمتوسط^٢ . واقامت فرق من دمشق وحصن وقنسرين والاردن وفلسطين ، في المرية واشبيلية وجيان ومالقه وسذونه على التوالي ، واعطى هؤلاء الوافدون لمواطنهم الجديدة اسماء جغرافية سورية ، وكانت المشابهة في الاحوال الجوية والاضاع الطبيعية الجغرافية بما ساعد الوافدين المستجدين على الاستئناس باوطانهم الجديدة . وباكتساب السوريين لهذه المناطق اخذت الاغاني السورية والشعر والفن السوريون جميعاً تستحوذ على قلوب ابناء البلاد . ولقد قدّر لكثير من هذه العناصر ان تنسرب ، في ما بعد ، من اسبانيا والبرتغال الى العالم الجديد . واجد جغرافيو العرب ، من ثم ، يتحدثون عن الاندلس بوصفها اقليماً سورياً ؛ لكن معركة الزاب لم تلبث ان احوالت سورية نفسها الى اقليم عباسي .

(١) اخبار مجموعة ، ص ٥٢ - ٥٤ ؛ ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ٣٧٧ .

(٢) اخبار مجموعة ، ص ٣١ ؛ قابل ابن القوطية ، ص ١٤ - ١٥ ؛ الراكشي ، ص ٩ .

الفصل الحادي والاربعون

سُورِيَّةُ تَغْدُو اَقْلِيْمًا عِبْرَانِيًّا

زالَت بسقوط الامويين سيادة سورية على دنيا الاسلام ، وانقضى العز الذي كان لها . ذلك ان العباسيين اختاروا العراق مركزاً لهم ، ومدينة الكوفة ، القريبة من حدود فارس ، عاصمة لخلافتهم . وقد تنبّه السوريون ، بغد الهزيمة المنكرة التي منوها بها على الزاب ، الى الواقع المؤلم ، وهو ان مركز الثقل في الاسلام قد تحول عن بلادهم في اتجاه شرقي . فعقدوا رجاء اخيراً على سليل لمعاوية من البيت السفياي^١ ، توقعوا ان يعود ، عودة المسيح ، وينجيهم من منافسهم العراقيين الفائزين . ولا يزال هذا الامل يَحْتَلِج ضعيفاً في قلوب المسلمين السوريين الى اليوم .

العهد الجديد

وكان ابو العباس في هذه الاثناء يعمل جاهداً على توثيق امره في المناطق التي اكتسحها من جديد . وكان قد وصف نفسه في الخطبة التي افتتح بها عهده في الكوفة بالسفاح^٢ ، مشيراً الى السياسة الحازمة التي ينوي اتباعها . وهذا معناه ان الاسرة التي تسلمت الحكم كانت تنوي استخدام القوة في تنفيذ تدابيرها اكثر من الاسرة الزائلة . ولأول مرة مدّ بساط النطع لضحايا الجلادين بالقرب من عرش الخلافة . وقد جمع الخليفة الجديد من حوله رجال الدين وعلماء الشريعة ، محيطاً الدولة الفتية بجو حافل بالمؤثرات الدينية ، وذلك في مقابل ما عرفت به الدولة الزاحلة من ابهة

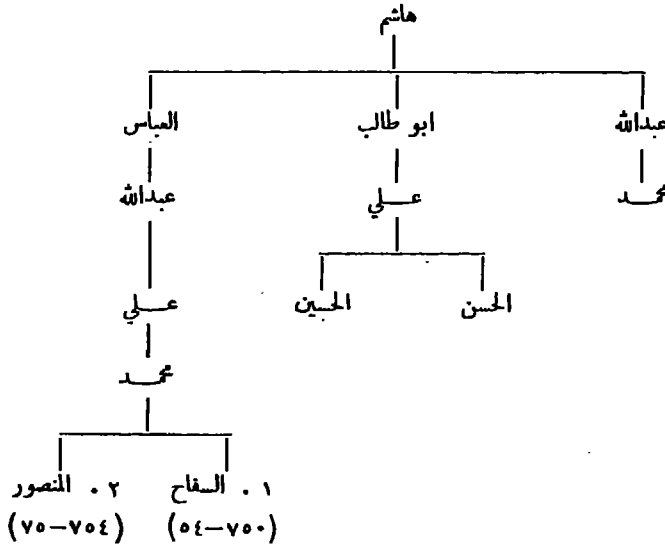
(١) الطبري ، ج ٣ ، ص ١٣٢٠ ؛ ابن مسكويه ، تجارب الامم وتغلب الهمم ، نشر دي غويي ويونغ ، ج ٢ (لندن ، ١٨٧١) ص ٥٢٦ ؛ ياقوت ، ج ٤ ، ص ١٠٠٠ ؛ الاغانى ، ج ١٦ ، ص ٨٨ ؛ H. Lammens, *Etudes sur le siècle des Omayyades* (Beirut, 1930), pp. 391-408.

(٢) الطبري ، ج ٣ ، ص ٣٠ ، ص ٢٠ ؛ ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ٣١٦ .

الملك . ثم عمد ، في الاحتفالات الرسمية ، الى الانتشاح ببودة النبي ، نسيبه البعيد^١ ، واخذت اساليب الدعاية المحكمة ، التي ساعدت على تقويض ثقة الشعب في نظام الحكم القديم ، تعمل الآن على توثيق النظام الجديد لدى الجمهور . وقد نادى المغالون من دعاة العباسيين بان السيادة ينبغي ان تبقى في البيت العباسي الى ان يتسلمها منهم آخر الامر عيسى ابن مريم^٢ . ثم اضيف الى ذلك — فيما بعد — انذار شديد هو انه اذا قدر للخلافة العباسية ان تنهار فان نظام الكون لا بد ان يحتل باسره^٣ . وقد وضعت لهذه الغاية احاديث بالجملة تنطوي على تأييد العباسيين ومعارضة القضية الاموية . وبلغوا من التماهي ان محوا اسماء الامويين المنقوشة على المباني^٤ وعدلوا طراز المنبر في المساجد كما كان عليه في عهد الامويين .

على ان الفارق الحقيقي الذي ميز هذه الخلافة عن سابقتها انما كان في ان العباسية اتسمت بالسمة الفارسية ، بحيث طغت المراسم الفارسية على مظاهر الخلافة ، وسيطرت الافكار الفارسية على شؤون السيادة ، وغلبت نسبة النساء الفارسيات في دور

(١) شكل شجري يوضح صلة النسب بين العباسيين ومحمد :



(٢) الطبري ، ج ٣ ، ص ٣٣ ؛ ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ٣١٨ .

(٣) انظر ما سيأتي في الفصل ٤٣ في الفقرة عن الطولونيين .

(٤) الطبري ، ج ٣ ، ص ٤٨٦ ، راجع ص ١٣٠ من هذا الجزء .

الحريم ، حتى تحولت الخلافة الى امبراطورية من المسلمين المستجدين ، ما كان العرب فيها الا عنصراً واحداً من العناصر العديدة التي تألفت منها . ولئن كانت الدولة الاموية ، على اعتبار ما ، وريثة الامبراطورية الرومانية الشرقية ، فقد كانت خلافة بني العباس ، باعتبار أعم واوسع ، وريثة امبراطورية الاكسرة . وقد ست الخلافة العباسية نفسها « دولة » ، اي عهداً جديداً ، وكانت بواقع الامر عهداً جديداً ، شعر العراقيون فيه انهم قد تحرروا من وصاية السوريين عليهم ، واحس الشيعة انهم قد انتقموا لأنفسهم ، ووجد الفرس مناصب الدولة الرفيعة متاحة لهم . فقد انشأوا منصباً جديداً في الدولة ، كانوا اول من شغله ، هو الوزارة ؛ وهو المنصب الاعلى بعد الخلافة . واقبل الحراسانيون من ثم على الانخراط في فرقة الحرس المنوطة بالخلافة . وهكذا تضائل مجد الارستقراطية العربية وانهار صرح العروبة ، لكن الاسلام استمر في سيره المظفر بزي جديد هو النزعة الايرانية .

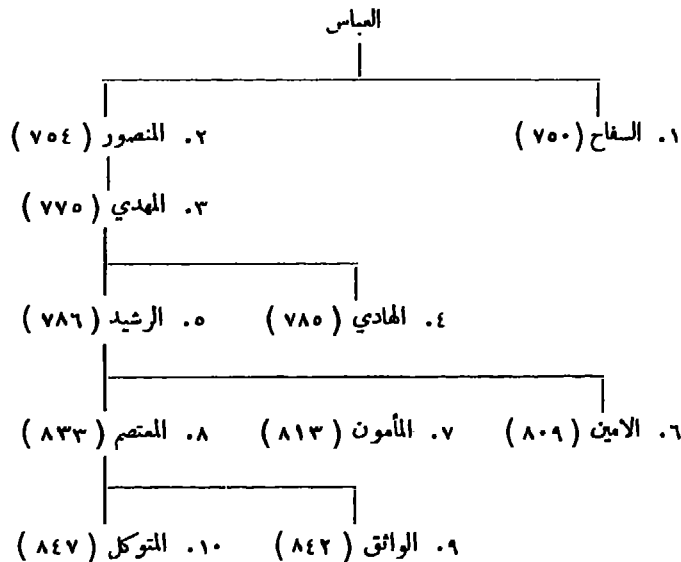
ان الخلافة الثالثة بعد خلافة الراشدين وخلافة الامويين ، وهي الخلافة التي اسماها السفاح (٧٥٠ - ٥٤) واخوه المنصور (٧٥٤ - ٧٥) ، كانت اطول الخلافات الاسلامية عهداً واوسعها شهرة . فقد كان الخلفاء ، الحجة والثلاثون الذين تعاقبوا على الخلافة من بعد الخليفة الثاني جميعاً من سلالة العصية . ولقد اختار المنصور لمقامته موقع قرية مسيحية ذات اسم فارسي هو بغداد (معناه غطية الله) ، كانت تقوم على الضفة الغربية السفلى من نهر دجلة . بنيت هذه العاصمة التي دعيت رسمياً بدار السلام سنة ٧٦٢ ، واقام حولها سور خارجي من طوب مؤلف من جدارين ، وسور داخلي بلغ ارتفاعه تسعين قدماً ، وجعل بين السورين خندق عميق . وقامت مدينة المنصور في الوادي عينه الذي ضم عدداً من امنع مدن العصر القديم ، ولم تلبث ان غدت وريثة ايجاد مدائن كسرى وبابل ونيوى ، وسواهن من العواصم القديمة في الشرق الادنى . واذ كانت بغداد مسرحاً للمعارات الاسطورية الرائعة التي خلدها شهرزاد في قصة الف ليلة وليلة ، وقاعدة لعهدين من ازهى العهود هما عهد هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩) وعهد المأمون (٨١٣ - ٨٣٣) ، فقد برزت في الاسطورة وفي التاريخ رمزاً منقطع النظير لمجد الاسلام . ولقد نسج

(١) البقوي ، كتاب البلدان ، نشر دي غوبه (لندن ، ١٨٩٢) ، ص ٢٣٥ ؛ البلاذري ،

عهد هذين الخليفين حول السلالة برمتها هالة من المجد لم يقدر لها الى الآن ان تتلاشى، وامتد اوجها ما بين عهد المهدي (٧٧٥ - ٨٥٠) الخليفة الثالث، وعهد الواثق (٨٤٢ - ٩٠٧) الخليفة التاسع^١. ثم اخذت، بعد الواثق في طريق الانحدار حتى خلافة المستعصم (١٢٤٢ - ١٢٥٨)، وهو السابع والثلاثون من خلفاء هذه السلالة. وفي عهده اجتاحتها المغول ودكوا معالمها. لقد استمرت ذرية السفاح والمنصور في الحكم اكثر من خمسة قرون، الا انهم لم يكونوا دائماً الحاكمين الفعليين.

كان اول والٍ للعباسيين على سورية عبدالله بطل الزاب نفسه. فما ان توفي السفاح حتى طلب عبدالله هذا الخلافة لنفسه، مزاحماً فيها ابن اخيه الآخر المنصور، معتمداً على جيش كبير جيد التدريب، كان قد حشد في الاصل لمجاهدة الروم. وبعد ان قضى على ١٧ ألف جندي من الحراسانيين الذين لم يكونوا موضعاً لثقتهم، سار بمن بقي، وجلهم من السوريين، في اتجاه شرقي^٢. فتصدى له ابو مسلم في نصيبين (تشرين الثاني ٧٥٤) وهزمه. وبعد ان قضى في المعتقل سبع سنوات، نقل في موكب رسمي الى بيت رفعت دعائه - فيما يذكر - على قاعدة من الملح، ثم اُحيط

(١) شكل شجري لنسب الخلفاء الذين بلغت الخلافة العباسية اوجها في عهدهم :



(٢) الطبري، ج ٣، ص ١٠١ - ١٠٢.

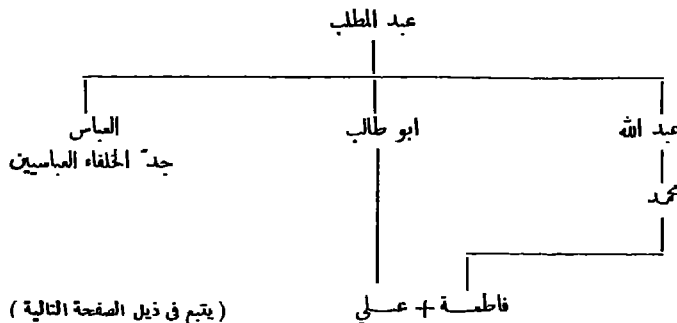
بالماء فلم يلبث ان سقط عليه ودفن تحت انقاضه^١. وكان ابو مسلم آتئذ حاكم خراسان المستقل ومعبود قومه ، وكان شديد البطش بخصومه وخصوم الدولة على السواء. حتى ان ظفـره بدأ يثير الظنون والخاوف . وقد استدرج في طريق عودته الى ان يعرج على المدائن وبواجه الخليفة . لكن هذا الفارس الذي كان العباسيون مدينين في بناء عرشهم لسيفه بعد سيف عبد الله ، قد سقط بين يدي المنصور ضحية للغدر^٢.

وجاء بعد ذلك دور الشيعة . فقد كان هؤلاء يظنون اولاً ان العباسيين انما يقاتلون من اجلهم ، لكن العشاة التي كانت على عيونهم زالت الآن ، وبان لهم ان الذي عناه ابو العباس وجاعته « باهل البيت » هم آل العباس بيتهم الخاص ، وليس بيت علي وفاطمة . فاستمروا في اعتبار انتمهم وحدهم اصحاب الحق الشرعي في تسلم مقدرات الاسلام ، بما حط مقام الخلفاء العباسيين الى مقام المغتصبين . واذ ذاك لجأ العلويون ثانية الى العمل في الخفاء واستغلوا كل فرصة سانحة لاثارة القلاقل جهاراً . ولقد افقـى مالك بن انس المشهور باسم الشيعة فحلهم من عهد الولاء للعباسيين . والامام مالك هو مؤسس احد المذاهب الفقهية الاربعة الكبرى في الاسلام ، ومذهبه لا يزال حتى الوقت الحاضر شائعاً في اقاليم افريقيا الشمالية . وكان اثنان من احفاد الحسن هما محمد وابراهيم قد ترعما حركة ثورية، فبادر العباسيون الى سحقها بلا رحمة^٣. وعمدوا الى محمد الملقب بالنفس الزكية فصلبوه في المدينة

(١) الطبري ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ ؛ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٤٤٣ .

(٢) الطبري ، ج ٣ ، ص ١٠٥ - ١٠٧ ؛ الدينوري ، ص ٣٧٦ - ٧٨ .

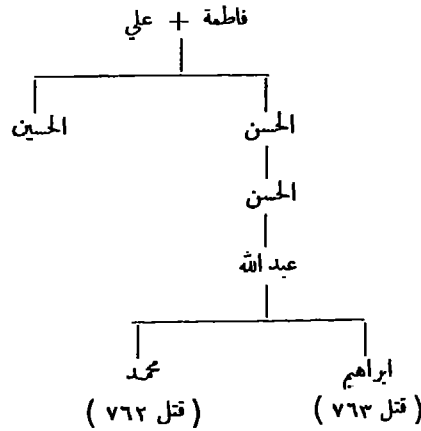
(٣) شكل شجري يوضح سلالة علي :



(كانون الاول ٧٦٢) واحتزوا رأس أخيه ابراهيم (شباط ٧٦٣) قرب الكوفة، وارسلوا به الى الخليفة^١.

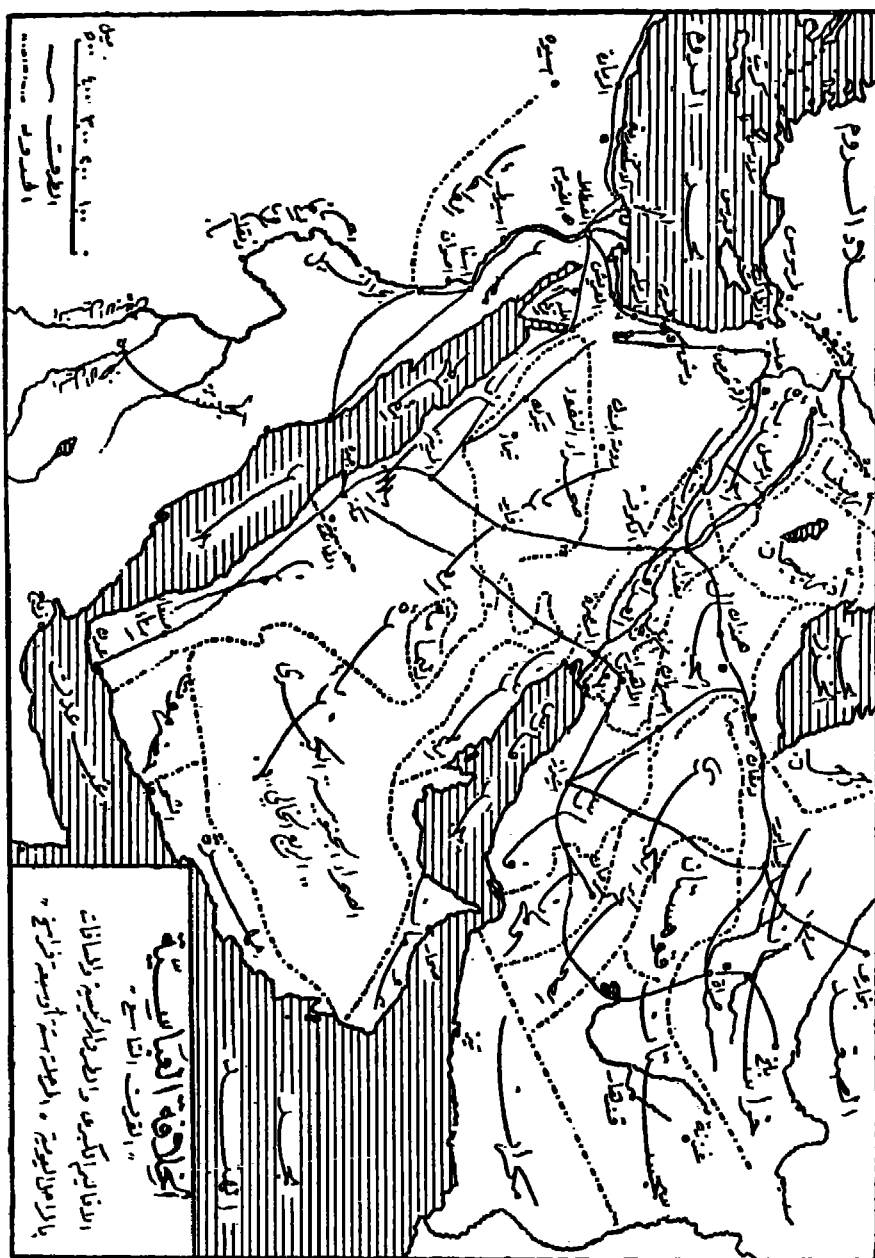
وكان هنالك جماعة اخرى من احلاف الشيعة لم يكن بد من تصفية امرهم، هم البرامكة. والبرامكة اسرة فارسية رفعها المنصور الى مقام الوزارة. وهي اسرة عريقة متحدره من كاهن بوذي كبير (برمك). وقد قام افرادها بجلاليل الاعمال، وبذلوا بسخاء نادر حتى غدت لفظة «برمكي» مرادفة للوجود. لكن هارون الرشيد، صاحب الارادة الفولاذية، لم ترق له مهابتهم ووجاهتهم، فعمل من ثم على القضاء عليهم سنة ٨٠٣ فما بعد، وصادر ثروتهم التي بلغت، فيما قيل، ٣٠،٦٧٦،٠٠٠ دينار نقداً، غير المقتنيات والممتلكات^٢.

وبانتقال الخلافة بعيداً الى بغداد لم يعد امر الروم، وهم اعداء العرب التقليديين، من شواغل العباسيين الكبري. اما القلاقل التي رافقت هذا الانتقال، فقد هيات لقياصرة الروم ان يسيطروا نفوذهم في اتجاه شرقي حتى حدود آسية الصغرى وارمينيا، فاضطر المنصور وخلفاؤه الى ان يبذلوا الجهد في تحصين ثغور سورية ومرافئ



(١) الطبري، ج ٣، ص ٢٤٥ - ٢٤٠، ٣١٥ - ١٦؛ السعدي، ج ٦، ص ١٨٩ - ٢٠٣؛ الدينوري، ص ٣٨١.

(٢) المقد، ج ٣، ص ٢٨؛ الطبري، ج ٣، ص ٦٨٠؛ ٦٧٦ - ٧٧؛ السعدي، ج ٦، ص ٣٨٧ - ٩٤؛ الفخري، ص ٢٨٨. قابل ابن خلدون، ج ٣، ص ٢٢٣ - ٢٤؛ كتاب العيون، القسم ٣، ص ٣٠٦ - ٨.



لبنان^١. ففي سنة ٧٨٢^٢ قاد هارون الرشيد - وهو بعد امير - جيوشه حتى بيزنطة ، وفرض على الاميرة ايرين ، الوصية على عرش الروم ، جزية ضخمة . وقام وهو خليفة ، بسلسلة من الغارات اخترق بها « ارض الروم »^٣ . وشن ابنه المعتصم سنة ٨٣٨ هجوماً اخيراً على ارض الروم . وعند هذا الحد توقف النزاع الذي استمر بين الخلافة العباسية ودولة الروم ما يربو على القرن ونصف القرن .

القتال في سورية ولبنان وفلسطين

لم يتوان السوريون ، بعد ان فقدت بلادهم مكانتها الممتازة ، عن التعبير عن معارضتهم الشديدة بالسيف وبالبيان . لكن موقفهم اخذ يتطور مع مرور الايام من سيء الى اسوأ ، حتى تركهم محرومين من مناصب الدولة . وان الجواب الذي اجاب به احدهم ابا جعفر المنصور عندما قال انه قد كان من حظ الناس في عهده ان نجوا من الطاعون ، ليمثل شعور الناس الغالب في ذلك العصر ، وهو : « ان الله لارحم من ان يصيبنا بالطاعون وبحكمك في وقت واحد » . اما النصاري فقد ساءت احوالهم بسبب التماذي في ابتزاز اموالهم ، وزيادة الضرائب عليهم . وقد مرّ قرنان قبل ان تيسر لرعايا الدولة الاموية ان يصلحوا الدولة العباسية ويدخلوا في وضع رعاياها .

ولم يكد عبدالله ، حاكم الشام الاول ، يتسلم مهام وظيفته سنة ٧٥٠ ، حتى قامت في وجهه فتن عديدة في حوران وبثنية وقنسرين ، كان يتزعمها قادة سابقون في جيش مروان . اما المتمرّدون في حمص وتبصر ، فقد كان زعيمهم زياد : سليل معاوية الذي وقع عندهم انه السفياي المنتظر ، وكان في معسكره بالسلمية ٤٠ الف رجل^٥ .

(١) البلاذري ، ص ١٦٣ ؛ راجع الفصل ٣٤ الصفحة الاولى .

(٢) كتاب العيون ، قسم ٣ ، ص ٢٧٨ . يجمل تاريخ الحملة ١٦٣ هـ (٧٨٠ م) ؛ ويجمله اليعقوبي (ج ٢ ، ص ٤٧٨ ، ٤٨٦) ١٦٤ ، والطبري (ج ٣ ص ٥٠٣ - ٤) ١٦٥ هـ .

(٣) الطبري ، ج ٣ ، ص ٦٩٦ ، ٧٠٩ - ١٠ ؛ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٥١٩ ، ١٤ ، ص ٥٢٣ ص ٢ ؛ الدينوري ، ص ٣٨٦ - ٨٧ ؛ السعدي ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ - ٥٢ . ويتجلى في خرائب الرقة ، وهي المدينة التي اسماها سلوقس الاول ، ذلك التخطيط الواسع الذي رُمها الرشيد وحصنها المأمون على اساسه .

(٤) ابن عساكر ، ج ٣ ، ص ٣٩٢ .

(٥) ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ٣٤١ وما بعد .

واشتد في هذه الآونة النزاع في سورية المسلمة ، وبرز بين القيسية واليمينية الحزبين اللذين ظهرا بمختلف الاسماء . وكان ضلع العباسيين مع القيسية بوجه عام ، فاعتمدوهم في شؤونهم . وبلغ النضال اشده في خلافة هارون الرشيد ، حينما كان واليه على دمشق ابراهيم ، احد احفاد عبدالله^١ . وقد سفكت دماء كثيرة في دمشق وجوران والبقاع والاردن وحمص ، ونشب القتال واستمر سنتين بلا هوادة وذلك - فيما روي - لان قيسياً سرق بطيخة من بستان يمني^٢ . حتى ان الخليفة فكر بتجريد حملة تأديبية عليهم يقودها بنفسه ، ثم عاد فكلف بها قائداً من البرامكة ، فجرد هذا المتقاتلين من كل سلاح حتى « لم يدع لهم رحماً ولا فرساً »^٣ . وكانت للاضطرابات التي رافقت النزاع على الخلافة بين الامين والمأمون ابني الرشيد رد فعل قوي في سورية . ذلك ان الجنود السوريين ، عندما وجدوا انفسهم (٨١١-١٢) مع الحراسانيين في معسكر واحد في الرقة ، وصاح بهم احد قادتهم المتمردين : « يا معشر كلب انما الراية السوداء . . . اعتزلوا الشر قبل ان يعظم . . . داركم داركم ، الموت الفلسطيني خير من العيش الجزري »^٤ . اعتزلوا الحرب وساروا مع قائدهم . وفي عهد الامين المضطرب عميد سفياني آخر ، اسمه علي ، الى رفع العلم الابيض . وكان هذا المنافس الجديد من العلماء . وكان له من العمر تسعون عاماً . فاستطاع ان يجمع حوله جماعة من المؤيدين بينهم حاكم صيدا ، وسار على حمص فاحتلها ، ثم حاصر دمشق ، ودخلها بعد ان طرد عامل العباسيين منها^٥ .

وفي سنة ٨٢٩ قدم المأمون الى سورية ، ووضع كشافاً جديداً لاراضيها على امل زيادة الدخل الوارد منها^٦ . وبعد ذلك بربع سنوات زار دمشق ، لينظر في

(١) ان الوضع القلق في سورية اقتضى ان يكون حاكمها من الاسرة العباسية . وكان صالح والد ابراهيم ، واخا عبدالله . وقد جرى تعيين حكم مختلفين على المناطق السورية المختلفة في بعض الاحوال ؛ يعقوبي ، ج ٢ ، ص ٤٦١ .

(٢) ابو الفداء ، ج ٢ ، ص ١٤ ؛ ابن الاثير ، ج ٦ ، ص ٨٧ .

(٣) الطبري ، ج ٣ ، ص ٦٣٩ .

(٤) الطبري ، ج ٣ ، ص ٨٤٤ - ٤٥ .

(٥) يعقوبي ، ج ٢ ، ص ٥٣٢ ، ابن الاثير ، ج ٦ ، ص ١٧٢ ؛ الطبري ، ج ٣ ، ص ٨٣٠ .

(٦) ابن عساکر ، ج ٤ ، ص ١٠٧ - ٨ . راجع بشأن زيارته الى القدس ما سبق ، ص ١٣٠ من هذا الجزء .

امر القضاة، ويطبق بحقهم القانون الذي سبق ان وضعه في بغداد، وهو ان كل من لا يوافق المعتزلة من القضاة في عقيدة خلق القرآن لا يسوغ له ان يحتفظ بمنصبه^١. وكان عدد من الخلفاء الذين سبقوه قد قاموا كذلك بزيارة سورية في طريقهم الى الحج، اوف في حملاتهم على الروم. ولقد كانوا جميعاً على علم بكل ما يجري هناك عن طريق ولايتهم، وعن يد عامل خاص يمدهم بالاخبار هو صاحب البريد، وكان هذا - بواقع الامر - رئيس فرقة التحري^٢. اما تعليم المعتزلة الذي كان الخليفة قد اعتنقه فقد كان معارضاً تماماً لتعليم اهل السنة. وهذه الحركة الفكرية العقلانية كانت قد نشأت وترعرعت في ظل الحكم الاموي^٣.

النائر المقتنع

وكانت فلسطين مسرحاً للفتنة الكبرى التالية، فقد عمد رجل من عرب اليمن، مجهول النسب، الى اعلان العصيان برفع العلم الابيض (٨٤٠ - ٤١). ومن غريب امره انه كان لا يظهر في الجمهور الا مقنعاً، فعرف «بالمبرقع». وكان اتباعه، البالغون - فيما روي - مئة الف رجل، من انشاء المناطق الريفية ومن طبقة المزارعين، مما يشير الى وجود حافز اقتصادي الى جانب العامل السياسي. وكان المعتقد السائد انه سفياني النسب. على ان القائد العباسي تربص بهم حتى فصل الحرائة، وهاجم مركز قيادتهم بالف رجل امده بهم الخليفة المعتصم، واعتقل النائر المبرقع، وحمله الى سامرا عاصمة العباسيين المؤقتة^٤.

دمشق عاصمة مؤقتة

وفي عهد المتوكل بن المعتصم عادت نار الثورة فشتت ثانية في دمشق (٨٥٤ - ٥٥). ذلك ان الرعايا ثاروا بالحاكم العباسي وقتلوه، فارسل الخليفة اليهم قائداً تركياً على رأس سبعة آلاف فارس وثلاثة آلاف من المشاة، اعلموا فيهم السيف

(١) اليعقوبي، ج ٣، ص ٥٧١.

(٢) Hitti, *History of the Arabs*, p. 325

(٣) Hitti, *History of the Arabs*, p. 429

(٤) الطبري، ج ٣، ص ١٣١٩ - ٢٢؛ ابن عساكر، ج ٥، ص ٣١١ - ١٢.

لمدة ثلاثة ايام ، وانتهبوا المدينة بكاملها^١. وكان ابعد احتملات عن التصديق ان يقع اختيار الخليفة على دمشق فيجعلها ، بعد فترة وجيزة ، مقراً له . ففي سنة ٨٥٨ نقل المتوكل قاعدته اليها ، وكان الحافز لذلك ، فيما يظن ، تقادي سيطرة حرس الخلافة المتفطرسين عليه ، اولئك الحرس الذين كان اكثرهم من الترك غير النظاميين وكانوا من المرتزقة والعبيد في خدمة سلفه السابق . لكن مناخ المدينة الرطب ، ورياحها العاصفة ، وبراعيتها وهوائها الكثيرة المزعجة رحلت عنها الخليفة المتقلب بعد ثمانية وثلاثين يوماً من نزوحه اليها^٢.

التشريع ضد النصارى

هذا النهج الذي سلكه الثوار السوريون في العصر العباسي الاول غدا نموذجاً يحتذى لسنين كثيرة . وطراً في هذا الوقت طارئ جديد هو اشتداد نفمة النصارى ، بسبب التدابير الصارمة التي فرضت عليهم . ولم نسمع ، قبل عهد المتوكل الا بمجرعة عسيان واحدة قام بها نصارى لبنان . وقع ذلك سنة ٧٥٩ - ٦٠٠ ، عندما كان صالح بن علي ، اخو عبدالله ، والياً عليها . فقد لجأت جماعة منهم الى السلاح تغادياً لمصادرات جديدة تنزل بهم ، وانتهزوا وجود اسطول بيزنطي في مياه طرابلس ، وانقضوا من قاعدتهم في المنيطرة^٣ - في اعالي لبنان - وانتهبوا عدداً من قرى البقاع . وكان يتزعمهم فتى قروي عظيم البنية ، بلغ من جرأته وتهوره ان اقام نفسه ملكاً . لكن العصابة اللبنانية قيدت بعد حين الى كمين قرب بعلبك ، نصبته لها فرقة فرسان عباسية ، وفتكت بهم . ثم عمد صالح الى الانتقام ، فشرّد أهل القرى الجبلية ، مع ان الكثيرين منهم لم يساهموا في الفتنة ، ونثرهم في المناطق السورية على اختلافها^٤. وعلى اثر ذلك رفع الامام الاوزاعي ، الفقيه المشهور في بعلبك وبغروت^٥ ، احتجاجاً الى الحاكم يجدر بنا اثباته في ما يلي :

(١) ابن عساكر ، ج ٦ ، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٢) الطبري ، ج ٣ ، ص ١٤٣٥ - ٣٦ ؛ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٦٠١ ؛ ابن عساكر ، ج ٤ ، ص ٢٨٨ - ٨٩ .

(٣) انظر ما سيأتي في الفصل ٤٦ في الفقرة عن شهادة أسامة .

(٤) ابن عساكر ، ج ٥ ، ص ٣٤١ .

(٥) انظر ما سيأتي في الفصل ٤٢ في الفقرة عن الاوزاعي .

وقد كان من اجلاء اهل الذمة من جبل لبنان . ممن لم يكن بمالاً لمن خرج على خروجه ، ممن قتلت بعضهم ، ورددت باقيهم الى قراهم ، ما قد علمت . فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة ، حتى يخرجوا من ديارهم واموالهم ، وحكم الله تعالى ان لا ترز وازرة وزر اخرى^١ . وهو احق ما وقف عنده واقتدي به . واحق الوصايا ان تحفظ وترعى وصية رسول الله صلعم ، فانه قال : « من ظلم معاهداً ، وكلفه فوق طاقته فانا حجيجه »^٢

ولقد كان هارون الرشيد ، جد المتوكل ، قد اعاد مفعول بعض الاجراءات التي وضعها عمر بن عبد العزيز^٣ ضد النصارى واليهود . ففي سنة ٨٠٧ امر بهدم جميع الكنائس التي كانت قد بنيت منذ الفتح الاسلامي ؛ ومن كذلك قانوناً اوجب به على جميع الذميين ان يلبسوا اللباس المعين^٤ . على ان الكثير من هذه التدابير ، ولا شك ، لم يوضع موضع التنفيذ^٥ . وفي سنة ٨٥٠ و ٨٥٤ اعاد المتوكل ثانية شرعة التمييز العنصري ، واتبعها بتدابير جديدة كانت أشد ما فرض بحق الاقليات على الاطلاق . فقد اجبر النصارى واليهود على ان يجعلوا على بيوتهم تماثيل خشبية للشياطين . وان لا يرفعوا سطوح قبورهم عن مستوى سطح الارض ، وان يرتدوا معطفاً عسلي اللون ، ويجعلوا على كل من الكنائس وقعتين عسليتين ، تحاط احدهما من امام والثانية من وراء ؛ وان لا يركبوا الا البغال والحمير ، وذلك على سرج من خشب له على قربوسيه كرتان خشبيتان كأنهما رمأتان^٦ . فصار الذمي يسمى بسبب هذه الملابس الخاصة « بالارقط »^٧ . ثم ان القضاة المعاصرين عمدوا الى اعتبار شهادة اليهودي والنصراني على المسلم غير مقبولة ، بناء على الآية القرآنية

(١) سورة الانعام : ١٦٤ .

(٢) البلاذري ، ص ١٦٢ .

(٣) راجع ص ١٠٠ من هذا الجزء .

(٤) الطبري ، ج ٣ ، ص ٧١٢ - ١٣ ؛ ابن الاثير ، ج ٦ ، ص ١٤١ .

(٥) انظر : Laurence E. Browne, *The Eclipse of Christianity in Asia* (Cambridge, 1933), pp. 46 seq.

(٦) الطبري ، ج ٣ ، ص ١٣٨٩ - ٩٣ ، ١٤١٩ .

(٧) الجاحظ ، البيان ، ج ١ ، ص ٧٩ ، ص ٢٨ .

التي تتهم اليهود والنصارى بتحريف الكتاب المقدس^١. ولم يقع بعد ذلك اضطهاد خطير حتى زمن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمره (٩٩٦ - ١٠٢١).

واذا قدم المتوكل على سن هذه الشرائع انطلقت فتنة عنيفة في حصص اشترك فيها النصارى والمسلمون، لكنها اخضعت بعد مقاومة شديدة (٨٥٥)، وبعد ان ضربت اعناق زعمائها، او جلدوا حتى الموت، وصلبوا على ابواب المدينة. ثم هدمت جميع الكنائس الا تلك التي ضمت الى المسجد الكبير، وابتعد جميع النصارى من المدينة الهالكة، وقد كان سواد سكانها، على ما يبدو، من النصارى^٢.

كان الحيف الاكبر الذي لحق بالذميين عادة هو ضريبة الجزية. فقد كانت هذه الضريبة، مبدئياً، الثمن الذي يؤدي عن حق الاقامة وحرية العبادة، وفي مقابل الامان على الحياة وعلى المقتنيات. لذلك كان هذا العقد عرضة للالغاء في حال الامتناع عن دفع الجزية، او القيام بفتنة، او اللجوء الى التجسس لحساب دولة غريبة، او ابواء عدو من اعداء الدولة. وقد اضيفت الى ذلك اسباب اخرى مع مرور الزمن، منها القصور بمسلة حرية، وصرف المسلم عن دينه، والتجديف على الله او على رسوله او كتابه. اما المسلم فلم يكن له ان يعتنق النصرانية او اليهودية، دون ان يعرض نفسه للموت. وقد اجازوا اقضاء الذمي غير المرغوب فيه الى خارج البلاد الاسلامية. وكانت اكثر المذاهب الفقهية تمتنع عن ازالة العقوبة القصوى بالمسلم ان هو قتل ذمياً. ولم يمنع غير المسلم من ان يرفع امره الى محكمة اسلامية، ان هو اراد ذلك؛ اما اذا كان احد المتقاضين مسلماً فلا بد من رفع الشكاية الى قاض مسلم. ثم ان القضية اذا كانت بين ذميين من مذهبين مختلفين: احدهما نصراني والاخر يهودي، فان الشرع الاسلامي لا يتعرض لها، الا في حال تعذر الاتفاق بين الفريقين على اختيار المحكمة. ومن ذلك ان الزوج اذا اعتنق الاسلام، وكانت زوجته كاتبة، فان عقد الزواج يبقى قانونياً؛ اما اذا اعتنقت هي الاسلام، فينبغي عندها على الزوج ان يتبعها في ذلك، في غضون ثلاثة

(١) سورة البقرة: ٧٠؛ سورة المائدة: ١٦ - ١٨.

(٢) الطبري، ج ٣، ص ١٤٢٢ - ٢٤؛ ابن الاثير، ج ٧، ص ٥٩ - ٦٠؛ اليعقوبي، ج ٢، ص ٥٩٩. راجع ص ١٢٨ - ١٢٩ من هذا الجزء.

اشهر، تنقطع بينهما في إثنائها كل صلة زوجية، والا طلقت منه. اما في ما يتعلق بالارث فقد منعوا على الذي ان يرث من المسلم شيئاً.

الدخول في الاسلام

حافظت سورية حتى هذا الوقت - فيما يظهر - على طابعها المسيحي العام، لكن الوضع اخذ بعد هذا، يتبدل تبديلاً محسوساً. ذلك ان خمسة آلاف من نصارى بني تنوخ في جوار حلب كانوا قد عملوا بإشارة المهدي العباسي واعتنقوا الاسلام^١. وكان التنوخيون الذين دخلوا لبنان في مطلع القرن التاسع من الاسر العربية الاسلامية الاولى التي استوطنت الجبل. وقد اقتطعوا لانفسهم، في تلك المنطقة القليلة السكان، التي لا تزال تعرف بالغرب، مقاطعة حكموا فيها قروناً عديدة. وقد اقامهم العباسيون حاجزاً دون المواردنة في شمالي لبنان، وسدّاً في وجه الروم المقبلين من البحر. وعندما اقبل الصليبيون اصابوهم في بيروت وجوارها. وكان قد سبق التنوخيين الى هذا المكان شيخ الاسرة الارسلانية التي تعيد نسبها الى اللخمين، فاستوطنوا الغرب^٢. وكان الشيخ الارسلاني من اتباع الامام الازاعي، اما ذريته اليوم فمن اشراف الطبقة الارستقراطية في المجتمع الدرزي. وغالب الظن ان عدداً كبيراً من الاسر المسيحية في سورية - باستثناء لبنان - قد اوى الى حظيرة الاسلام بعد عهد المتوكل. وربما كان الدافع الى ذلك رغبتهم في تفادي التدابير المذلة والضرائب الفادحة، وحرصهم على الظفر بالكرامة الاجتماعية والنفوذ السياسي. وكان الكثيرون من وجهاء النصارى قد هاجروا الى آسية الصغرى وجزيرة قبرس وهكذا تحقق الوجه الثاني من الفتح الاسلامي، وهو فتح الاسلام من حيث هو دين وعقيدة، وكان الفتح الاول فتح القوة المسلحة الذي تم في سورية قبل ذلك باقل من عشر سنوات.

(١) ابن العربي: *Chronicon Syriacum*، نشر برتر وكيرتش (ليبتيغ ١٧٨٩)، ج ٢، ص ١٣٣؛ راجع ص ٩٨ - ٩٩ من هذا الجزء.

(٢) حاسن الساعي في مناقب الامام ابي عمرو الازاعي، نشر شكيب ارسلان، (القاهرة)، ص ١٩ - ٢٠، الشذيق، ص ٦٤٦ - ٤٧.

فتح اللغة العربية

اما الوجه الثالث من هذا الفتح فهو الفتح اللغوي^١. كان الانتصار اللغوي ابطاً الانتصارات وآخرها. ففي هذا الميدان اتخذت الشعوب المغلوبة في سورية وسواها اشد تدابير المقاومة. والظاهر انهم كانوا اكثر استعداداً للتخلي عن عهودهم السياسية بل والدينية، منهم للتنازل عن استقلالهم اللغوي. لذلك استطاعت العربية الفصحى ان تجرّز كسبها قبل العامة، فشرع الادباء السوريون في التأليف باللغة العربية تحت رعاية الخليفة، قبل ان ينتحل الفلاحون السوريون اللسان الجديد^٢. واقدم ما وصل الينا من المخطوطات العربية النصرانية المؤرخة، مخطوطة الفها أبو قرة (ت ٨٢٠)، ونسخت سنة ٨٧٧ في دير القديس سابا قرب القدس^٣. وهي محفوظة اليوم في مكتبة المتحف البريطاني. اما المؤلف، وهو من تلامذة القديس يوحنا الدمشقي، فقد كان اسقف المذهب الملاكاني في حرّان. ولا شك في ان اعتناق الاسلام قد سهل حركة الاستعراب وزاد في سرعة خطاه، وان التحول من لغة سامية الى اخرى لم يواجه مشكلات لغوية مستعصية.

وما ان استهل القرن الثالث عشر، وآذن العصر العباسي بالزوال، حتى كان النصر قد تم للعربية على اللغة المحلية، وغدت هي اداة التفاهم في الحياة اليومية. انما بقيت هنالك «جزر لغوية» لا قوام غير مسلمين، نظير اليعاقبة والنساطرة والموازنة؛ وقد كان في عهد الصليبيين كثير من مثل هذه «الجزر». وعندما زار بنيامين التودلي^٤ جبل سينا حوالي سنة ١١٧٠، وجد على قمته معبداً سريانياً، وعند سفحه قرية كان اهلها يتكلمون «اللغة الكلدانية». وفي لبنان الماروني دافعت اللغة السريانية المحلية دفاعاً مريراً وطويلاً، وصمدت في دفاعها حتى القرن السابع عشر. ولا تزال السريانية اللغة المحكية في ثلاث قرى في لبنان الشرقي هي: معلولا

(١) راجع ص ٩٥ - ٩٨ من هذا الجزء.

(٢) انظر ما سيأتي في الفصل ٤٢ في الفقرة عن حنين بن اسحاق.

(٣) انظر: Theodorus abu Kurra, *De cultu imaginum*, ed. and tr, I. Arendzen (Bonn, 1897) (قسطنطين الباشا، ميامر ثودورس، (بيروت، ١٩٢٤)؟).

(٤) انظر: Itinerary, vol. i, (London, 1840), p. 159.

(٥) راجع حتي، اللغات السامية المحكية في سوريا ولبنان (بيروت، ١٩٢٢) ص ٣٠ - ٣٤.

ونجعة وجعبادين^١. وهي لا تزال لغة الطقس الكنسي لدى المواردنة ، وفي بعض الكنائس السريانية الأخرى . على أن المواردنة يجرون بعض شعارهم الكنسية بالكرشوني أيضاً^٢، وهذا الاسم يطلق على العربية المكتوبة بالحرف السرياني . أما السريان الناطقون باليونانية فلم يظهر منهم مثل هذا التعلق بلغتهم الأم ، وليس لدينا إلا نص عربي واحد كتب بالحرف اليوناني . وهو نص من الكتاب المقدس (المزمور ٧٨ : ٢٠ - ٣١ ، ٥٦ - ٦١) يعود ، على ما يبدو ، إلى القرن الثامن ، وقد عثر عليه في الجامع الأموي^٣.

وإذا أخذ غير العرب في الاستعراب واعتناق الإسلام عمدوا إلى الالتحاق ببعض القبائل العربية على صورة موالٍ وذابوا فيها تبعاً . ثم أخذ الخط الفاصل بين العرب وغير العرب ، وبين المسلمين القدماء والمسلمين المستجدين ، في الاضمحلال ؛ وسرعان ما غدا الجميع عربياً بلا تمييز . حتى كان عهد المالك فعرف فيه سكان الحواضر « بأولاد العرب » وهم يعرفون به إلى اليوم تمييزاً لهم من الأعراب سكان البوادي^٤. وقد انقرض السواد الأعظم من أولئك الذين تكلموا السريانية في سورية والعراق ، وكانوا يسمون بالانباط^٥ أو العالوج تحقيراً لهم . ثم زال اسم « آرام » الذي كان يطلق على سورية باللغة المحلية ، ليحل محله اسم جديد هو الشام ، ومعناه الشمال أو اليسار ، لأنها تقع إلى يسار الكعبة ، وذلك في مقابل اليمن التي تقع إلى اليمين^٦. وهكذا تمّ تعريب العالم الإسلامي برمته في غضون العصر العباسي . ولأول مرة أخذ الشعور الواعي بالوحدة ، مقروناً بوحدة اللغة ووحدة الاعتقاد يستحوذ على النفوس .

(١) راجع : G. Bergstrasser, *Neuaramäische Märchen und andere Texte von Ma'lula*, (Leipzig, 1915) ; Anton Spitaler, *Grammatik des neuaramäischen Dialekts von Ma'lula*, (Hamburg, 1938).

(٢) من « غوشون » السريانية بمعنى القريب ، وترد محرفة بالكاف « كرشوني » .

(٣) انظر : Paul Kahle, *Die arabischen Bibilübersetzungen*. (Leipzig, 1904) pp. xiv, 32-33.

(٤) راجع ص ٩٥ - ٩٨ من هذا الجزء .

(٥) انظر ما سيأتي في الفصل ٤٧ في آخر البحث عن لبنان .

(٦) السمودي ، التنبيه ، ص ٧٨ - ٧٩ .

(٧) السمودي ، ج ٣ ، ص ١٣٩ - ٤٠ .

على ان اللغة السريانية ما كانت لتزول دون ان تترك طابعها الدائم على اللغة العربية السورية اللبنانية . وهذا الطابع هو الفارق الاساسي الذي يميّز هذه اللهجة عن لهجات البلدان المجاورة . وهو واضح في التراكيب والمفردات والاصوات اللغوية . على ان المفردات في اللهجة الدارجة وعند المزارعين غنية بصورة خاصة بالالفاظ المستعارة من السريانية^١ . وهذه اسماء الاشهر قد تجدرت من السريانية مباشرة . وكانت السريانية قد تلقت اكثرها من اصل اكادي^٢ .



(١) مثلاً على ذلك راجع : Michel T. Feghali, *Etudes sur ces emprunts syriaques* : *Le Parler de Kfar'abida* (Paris, 1919) *dans les parlers du Liban*, (Paris, 1918) و يوسف حبيقة في مجلة المشرق ، ج ٣٧ (١٩٣٩) ص ٢٩٠ - ٤١٢ ؛ واغناطيوس افرام في مجلة المجمع العلمي العربي، ج ١٣ (١٩٤٨)، ص ١٦١ - ٨٢ ، ٣٢١ - ٤٦ ؛ ٤٨١ - ٥٠٦ ؛ وج ٢٤ (١٩٤٩) ، ص ٣ - ٢١ ، ١٦١ - ٨١ ، ٣٢١ - ٤٢ ، ٤٨١ - ٩٩ ؛ وج ٢٥ (١٩٥٠) ص ٣ - ٢٢ الخ . وايضاً : أنيس فريجه ، معجم الالفاظ العامية في اللهجة اللبنانية (جويلية ١٩٤٧) . اما بشأن الالفاظ الكنسية المستعارة فراجع ما سبق ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢) هي ابتداءً من كانون الاول والثاني : كانون معناه الموقد ؛ شباط : الضارب او المهلك ؛ اذار : تغيم ؛ نيسان : العلم ؛ الحزب ؛ ايار : انتساج الحبوب ؛ حزيران : الحصاد ؛ تموز : وليد الماء المذب (راجع الجزء الاول، ص ١٢٦ ، ذ ١) ؛ آب : العصب ؛ ايلول : التهليل ؛ تشرين : تكريس (الى اله الشمس) .

الفصل الثاني والاربعون فضل السريان في نهضة العرب الفكرية

الترجمة عن اليونانية

كان للشعوب المسيحية الناطقة بالسريانية من الفضل في يقظة العرب العامة ونهضتهم الفكرية، في بغداد زمن العباسيين، ما لم يكن مثله لامة واحدة سواهم — تلك النهضة التي غدت ولا تزال مفخرة العصر الاسلامي القديم. فقد كان العالم العربي، ما بين سنة ٧٥٠ و ٨٥٠، مسرحاً لحركة من ابرز الحركات وانظرها في تاريخ الفكر. ولقد تميّزت هذه الحركة بالنقل الى العربية عن الفارسية واليونانية والسريانية، اذ ان العربي لم يحمل معه من الصحراء فناً ولا علماً ولا فلسفة، ولا شيئاً يذكر من الادب، انما رافقته رغبة ملحة في الاطلاع، ونهم شديد للعلم، وشيء كثير من المواهب الفطرية الكامنة. وقد سنع للعربي في الهلال الحبيب ان يصبح الوريث الفكري لعلوم اليونان ومعالم حضارتهم، بما كان من غير شك انفس ما هو ميسور آنذاك من الذخائر الفكرية. فما ان مضى على تأسيس مدينة بغداد (٧٦٢) عقود قليلة، حتى وجد الجمهور الناطق بالعربية في متناوله اهم مؤلفات ارسطو وشروح افلاطون، واعظم مؤلفات ابقراط وجالينوس الطبية، وبرز كتب اقليدس الرياضية، واروع آثار بطليموس الجغرافية. ولقد لعب السريان في نقل هذا التراث بجلته دور الوسيط. ذلك لان العرب لم يكونوا يحسبون اليونانية، في حين كان السريان على اتصال باليونان لاكثر من عشرة قرون. وكان علماؤهم، في القرنين السابقين لظهور الاسلام، يعملون جاهدين في نقل المؤلفات اليونانية الى السريانية. وقبل ان عمد عمر بن عبد العزيز الى نقل مدرسة الاسكندرية الفلسفية الى انطاكية بوقت طويل، كانت موجة عارمة من الترجمة قد اجتاحت اديار الكنيسة. وهكذا فان الذين اتاحوا كنوز اليونان العلمية والفلسفية للفرس في ما سبق، اصبحوا الآن يؤدون هذه الخدمة عينها الى العرب، واذا بأولئك الذين دُثِّبوا قبل الاسلام على ترقية العناصر الرئيسية في الثقافة اليونانية، وعلى نشرها في اتجاه شرقي وبثها في مدارس الرها ونصيبين وحران وجنديشاپور،

يعملون الآن جاهدين على نقل هذه العناصر الى قراء العربية . وكما كانوا في عهد الروم عملاء للحضارة المادية ، ينقلون غلال الشرق الى الغرب^١ ، هكذا اصبحوا الآن عملاء الثقافة العربية في المجتمع الشرقي .

وكان الكهنة من بينهم ادرام باهمية منطق ارسطو ونظام الافلاطونية الجديدة ، في ما يتصل بالمشادات اللاهوتية ، وهي آنذاك من الحياة الفكرية بمنزلة القلب النابض ، حتى ان الاناجيل التي فقد اصلها الآرامي^٢ أعيد تدوينها من الترجمة اليونانية ، ونقل الى السريانية الترجمة السبعينية للتوراة بذاتها . وكانت الرها — تلك المدرسة التي انشئت سنة ٣٧٣ — المركز الرئيسي لنشاط الفكر السرياني ، وكان احد اساتذتها صاحب الترجمة الاولى لكتاب الايساغوجا الذي وضعه فرفوربوس ، وهو كتاب يمتاز في المنطق يقترن عادة بكتاب ارسطو في المقولات ويمهد السبيل اليه . اما كتاب ارسطو هذا فقد نقله ، بعد ذلك ، سرياني آخر اسمه جورجيس ، وهو الذي سم سنة ٦٨٦ اسقفاً على القبائل العربية^٣ ، وكانت ابرشنته تضم قبيلتي تنوخ وتغلب ، وسواهما من قبائل العرب المقيمة في بادية الشام والعراق وقام سرياني آخر ، اشتهر امره قبيل الفتح الاسلامي ، بشرح كتاب لارسطو هو كتاب «العبارة» . وغدت الشروح السريانية من ثم غودجاً للشروح العربية . وعندما اقبل الامبراطور زينو مدرسة الرها سنة ٤٣٩ ، هاجر اساتذتها المشردون عبر الحدود الشرقية الى حران ، وهي آنذاك تحت سيطرة الفرس ، وافتتحوا فيها معهداً علمياً جديداً ، او اعادوا فتح معهدها القديم . وقد وجد غير هؤلاء من ضحايا السياسة البيزنطية ملجأً في المناطق الفارسية — تلك السياسة التي كانت ترمي الى تذيق العقائد الدينية تنسيقاً صارماً في طول البلاد وعرضها .

ومن المواضيع التي كانت موضعاً لعناية السريان الخاصة ، فضلاً عن الفلسفة واللاهوت ، الطب والفلك ؛ وكان الفلك من حيث علاقته بالتنجيم من العلوم المتصلة

(١) راجع الجزء الاول ص ٣٢٩ — ٣٣٠ ، ٣٨٩ — ٣٩٣ .

(٢) راجع الجزء الاول ص ١٨٢ — ١٨٣ .

(٣) انظر : Assemani, vol. i, pp. 494 ; Rubens Duval, *La Littérature syriaque*, 3rd, ed. (Paris, 1907), pp. 353, 377 ; Barhebraeus, *Chronicon ecclesiasticum*, ed. and tr. J. B. Abbeloos and T. J. Lamy (Louvain, 1872), vol. i, cols. 303-6.

بالطب . ففي سنة ٥٥٥ انشأ كسرى انوشروان في جنديشابور معهداً للطب والفلسفة ، كان عدد وافر من كبار اساتذته من علماء النصارى ، وكانوا يلقون دروسهم باللغة السريانية . من هؤلاء جورجيس بن بختيشوع عميد المعهد ، وهو الذي استدعاه المنصور سنة ٧٦٥ في استشارة طبية ، وعرض عليه الدخول في الاسلام وقال له أنا أضمن لك الجنة ، فكان جوابه : "قد رضيت حيث أبائي في الجنة أو في النار" . وجورجيس هذا مؤسس اسرة من الاطباء استأثرت بممارسة الطبابة في دار الخلافة استثنائاً كاد يكون تاماً ، استمر ستة او سبعة من الاجيال . وكان ابنه بختيشوع (ت ٨٠١) رئيس الاطباء في مستشفى بغداد في خلافة الرشيد .

حنين بن اسحاق

ويعزى الى يوحنا (يحيى) بن ماسويه وهو تلميذ نصراني لعالم آخر من آل بختيشوع انه ترجم للرشيد عدداً من الكتب اكتبها في الطب ، كان الخليفة قد غنمها في بعض غاراته على آسية الصغرى^٢ . وكان حنين بن اسحق (٨٠٩ - ٩٧٣) ، وهو تلميذ يوحنا ، من اعظم مترجمي العصر ، ومن ابرز شخصياته وانبلها ، ومن ابناء الكنيسة السريانية الشرقية ؛ ولد في الحيرة ، واقامه المأمون قيماً على بيت الحكمة - تلك المؤسسة التي أنشأها المأمون واقام فيها مكتبة ومتحفاً ومعهداً للترجمة . وكان يساعد حنيناً في عمله ابنه اسحاق^٣ ، وابن اخته حيش بن الحسن^٤ . على ان الوالد كان اجدود معرفة باليونانية ، فكان لذلك يحقق المرحلة الاولى ، فينقل الكتاب من اليونانية الى السريانية ، ثم يدفعه الى معاونيه فينقلونه من الترجمة السريانية الى اللغة العربية . وعلى ذلك فقد غدت اكثر مؤلفات ارسطو وجالينوس^٥

(١) القفطي، تاريخ الحكماء ، نشر ج لبرت (ليمتزغ ، ١٩٠٣) ص ١٥٨ - ٦٠ ؛ الفهرست ، ص ٢٩٦ ؛ ابن العربي ، ص ٢١٣ - ١٥ ؛ ابن ابي اصيبعة ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

(٢) ابن العربي ، ص ٢٢٧ ؛ ابن ابي اصيبعة ، ج ١ ، ص ١٧٥ ؛ القفطي ، ص ٣٨٠ .

(٣) ابن خلكان ، ج ١ ، ص ١١٦ .

(٤) الفهرست ، ص ٢٩٧ ، ابن العربي ، ص ٢٥٢ ؛ ابن ابي اصيبعة ، ج ١ ، ص ١٨٧ ، ٢٠٣ .

(٥) لقد اعتمد حنين في بعض مؤلفات جالينوس على ترجمات سريانية كان ايوب الرهاوي (حوالي ٧٦٠ - ٨٣٥) قد نقلها عن اليونانية . انظر : Job of Edessa, Book of Treasures, ed A. : Mingana (Cambridge, 1935), pp. xix-xx ; Barhebraeus, vol. iii, Cols. 181-2.

في تناول الطالب العربي . ويعزى كذلك الى حسين انه ترجم رسائل ابقراط الطبية ، وسياسة افلاطون . ويتضح لدى مقابلة هذه الترجمات باصولها ان الترجمة السريانية كانت في جميع الحالات اقرب الى الاصل اليوناني ، وان الترجمة العربية كانت شرحاً للترجمة السريانية . ولقد كان حنين يعالج اموراً اخرى غير الترجمة ؛ فقد جعله المتوكل طبيباً الخاص ، وأمر مرة بسجنه لانه أبى ان يركب سماً لقتل احد اعدائه .

وكان يحيى بن عدي (٩٧٤) مترجماً آخر من مشاهير المترجمين . وقد عمل على تهذيب عدد من الكتب المترجمة السابقة ، واخرج ترجمات عديدة لكتاب ارسطو « الشعر » وكتابي افلاطون « النواميس » و « طيماوس » . وكان يحيى هذا تابعاً للملة السريانية الغربية التي انجبت علماء آخرين احتنوا مثال زملائهم ابناء الملة الشرقية . وادخلوا على مترجماتهم تحسينات شتى . ومن عملوا في هذا الحقل من النصارى قسطا ابن لوقا البعلبكي (ت حوالي ٩١٢) الذي اشتهر على الاخص بترجمة المؤلفات الرياضية والفلسفية . وكان قسطا هذا يحسن اليونانية والسريانية والعربية . وكتب يرحل الى بلاد الروم في طلب الكتب ، ويعكف على الاشتغال بها في بغداد . وقد ادركته الوفاة في ارمينيا بعد ان خلف ٦٩ مؤلفاً موضوعاً و ١٧ كتاباً مترجماً ، و اقيم له في مكان وفاته مدفن تذكاري^١ .

على ان السريان لم يلقوا بالاً الى الشعر اليوناني ، وكذلك كان موقف العرب منه . ومع ان مارونيّاً من منجمي المهدي اسمه تاوفيل الرهاوي عمد الى نقل الياذة هوميروس وادسته . فإن البقاء لم يكتب لهما^٢ .

الصابئة

ولم يقتصر الفضل على النصارى من السريان وحدهم ، بل قد كان للوثنيين منهم كذلك فضل كبير على حياة العرب الفكرية . وهؤلاء السريان الوثنيون هم

(١) الفهرست ، ص ٢٩٥ ، القفطي ، ص ٢٦٢ - ٦٣ ؛ G. Gabrieli in *Rendiconti della Reale Accademia dei Lincei*, ser. 5, vol. xxi (Rome, 1912) pp. 361-82.

(٢) 521-22 ؛ Assemani, vol. i pp. ٢٢٠ ؛ يذكر انه كان من اتباع الكنيسة البنتانية ؛ قابل الفزيري ، ص ٤٤ ؛ راجع ص ١٤٢ من هذا الجزء ؛ اللبس ، تاريخ سورية ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ .



ترجمة عربية لكتاب من كتب جالينوس

مثل هذه الصفحة المصورة السطور الأولى من أحد أصول كتاب الصناعة الصغير لجالينوس الذي ترجمه حنين بن اسحق . ويعود تاريخ هذه النسخة الى سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦/٧٧ م) . وهذا المخطوط أقدم من أي مخطوط موجود لهذا الكتاب في اليونانية واللاتينية، وفيه أقسام لم تنشر بعد ولم تترجم الى أية لغة أوروبية حديثة

الصابئة أو على الأصح هم منتحلو الصابئية^١ . وقد كانوا يقيمون في مدينة حران . ولما كان هؤلاء من عبدة النجوم وكانوا ورثة العلوم البابلية، فقد توفروا على الاهتمام بالفلك والعلوم المتصلة به من عهد عريق في القدم . أما في ما يتصل بالاقبال على علوم اليونان فقد كان لهم من الرغبة فيها ما كان لمواطنيهم النصارى . وكان من أبرز علماء الفلك ثابت بن قرة (حوالي ٨٣٦ - ٩٠١) وإليه وإلى تلاميذه يعود الفضل في ترجمة معظم المؤلفات اليونانية في الفلك والرياضيات، لأسباب مؤلفات بطليموس وارشيدس^٢ . هذا عدا تهذيب الترجمات السابقة، نظير ما قام به ثابت بن قرة من

(١) Hitti, *History of the Arabs*, p. 358.

(٢) الفهرست، ص ٢٦٧، ٢٦٨؛ ابن أبي أصيبعة، ج ١، ص ٢١٨ - ٢٢٠.

تهذيب. ترجمة حنين بن اسحق لآثار اقليدس^١. وقد تمهد هذا العمل بعد ثابت ابن له وحفيدان وابن لاحد احفاده، وبني كل منهم شهرة لنفسه في ذلك. وقد حمل احد الخلفاء سنان بن ثابت على اعتناق الاسلام^٢، وكذلك اسحق بن حنين فقد حمل على قبول الاسلام ديناً له^٣.

وكان محمد بن جابر بن سنان البتاني (حوالي ٨٥٨ - ٩٢٩) مسلماً آخر من اصل صابئي، وعالمًا من مشاهير علماء الرقة. قام بالبحاث مبتكرة ادت الى اصلاحات كثيرة في نظام افلاطين، لاسيما في حساب فلك القمر وافلاك بعض الكواكب السيارة الاخرى. وقد جاءت ارساده للخسوف والكسوف رائعة من حيث سعة مداها ومقدار دقتها. ثم اثبت امكان وقوع الكسوف سنوياً وقرر بارقام، ادق بما في الارصاد السابقة، مقدار الانحراف في دائرة الفلك، ومدى طول السنة الاستوائية. وقد عين في احدى نظرياته المبتكرة الاحوال التي يستطاع فيها رؤية الهلال الجديد. واثرة النفيس الباقي، وهو «الزيج الصابئي» ترجم لأول مرة الى اللاتينية في اسبانيا وذلك في القرن الثاني عشر^٤.

على انه من المحتمل ان يكون الاراميون والسريان المقيسون في بلاد بابل قد عملوا على نقل آثار رياضية وفلكية اخرى. ذلك ان الجبر مثلاً يظهر لتوه علماء مستكملًا في كتاب للرياضي الشهير الخوارزمي (ت ٨٥٠). وقد كان لهذا العلم عند البابليين اسم خاص هو هذا الاسم عينه أي «غبرو». لكن حلقات الاتصال المفترضة بين السريانية والبابلية في هذا الموضوع مفقودة تماماً^٥.

(١) ابن خلكان، ج ١، ص ١٧٧، ٢٩٨.

(٢) الفهرست، ص ٣٠٤؛ ابن ابى اصيعة، ج ١، ص ٢٢٠ - ٢١.

(٣) البيهقي، تاريخ حكماء الاسلام، نشر محمد كرد علي، (دمشق، ١٩٤٦) ص ١٩.

(٤) نشره فللينو في ثلاثة مجلدات (روما، ١٨٩٩ - ١٩٠٧). للاستزادة من اخبار البتاني راجع الفهرست، ص ٢٧٩.

(٥) من التعابير العلمية المستعارة من اليونانية واللاتينية مباشرة او بطريق السريانية، والتي لا تزال متداولة في اللغة لفظة: فلسفة، وجغرافية، وموسيقى. وهناك الفاظ يونانية ولاتينية اخرى تعمريت في ازمة مختلفة منها: كورة (منطقة) واسكلة (مرناً) ونوتو (ملاح - قابل باللفظ الانكليزي Nautical) وسيف (سيفوس باليونانية). اما الالفاظ الواردة من اصل فارسي فنما: بستان (حقل) وديدب (حارس) وسراويل (بنطلون) ووجلان (قضيبة السلطة).

المآثر السريانية الاصلية

من الواضح ان معظم النتاج السرياني يتألف من الشروح والتجمات . ولذلك كان يعوزه الكثير من صفة الابتكار والخلق . وعلى ذلك لم يتحدر اليها بما يمثل نتاجهم الاصيل الا الشيء القليل . ذلك ان الكهنة السريان المغرقين في النسك والتقشف لم يكونوا في حقل واحد على الاقل مجرد نقلة ومقلدين . ففي هذا الحقل بالذات جرى تفكيرهم في اتجاه مواز للاتجاه الصوفي ، على نحو يثير الاستغراب . وهذا اسحق النينوي الذي زها في اواخر القرن السادس يحض في رسائله واحاديثه على التأمل ، ويذهب الى انه بمثابة نفس ثانية ، وروح ملهم . ثم يقرر ان هذا الروح لا يمكن ان يتولد في العقل . لذلك يوصي اتباعه بان ينشدوا العزلة ، وينصح لكل منهم ان يتصور في ابان تأمله ان ليس في الدنيا من شيء الا هو نفسه والله الذي هو موضوع تأمله^١ . وكان هنالك ناسك سرياني آخر اسمه سمعان الطيبوثة (ت حوالي ٦٨٠) يعلم بان ضرباً واحداً من المعارف على الاقل لا يدرك عن طريق الالفاظ بل بالحدس الباطني ، وان هذا النوع من العلم هو اسمى ضروب المعرفة لانه يوصل الى كنه الاله^٢ وقد اشتهر ابن العبري (١٢٢٦ - ٨٦) - وكان كاهناً يعقوبياً في حلب - بالتأليف في اللاهوت والتاريخ باللغتين السريانية والعربية ، وقد استعناً ببعض مؤلفاته في اعداد هذا الكتاب .

المآثر الاسلامية - ابو تمام

وفي هذا العصر تجلت ارفع مواهب سورية الاسلامية في ما ظهر فيها من الشعر . فقد برز اثنان من ابناءها هما ابو تمام والبحتري وبلغا من التفوق درجة اهلهما للالتحاق بالبلاط العباسي فصارا من شعراء الخلفاء . ولد حبيب بن اوس^٣ المعروف بابي تمام (حوالي ٨٠٤ - ٨٥٠) في قرية جاسم في حوران . وكان ابوه نصرانياً يتعاطى صناعة العقاقير . اعتنق الاسلام وهو بعد فتى ، والحق نفسه ببني طيء .

(١) للاستزادة من اخبار اسحاق هذا راجع : Assemani, vol. i, p. 444-63

(٢) Margaret Smith, *an Early Mystic of Baghdad*, (London, 1935), P. 101, n.2.

(٣) اوس معروف عن تنبوس (نيودوسيوس ؟) ؛ ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٢١٤ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .

ثم انه قام بجولة في العالم الاسلامي، على جاري عادة الادباء في بلاده، فزار مصر حيث اشغل بسقاية الماء، وقصد الى الحجاز، ثم تحول الى ارمينيا ففارس فالعراق، واستقر اخيراً في بغداد. وقد تيسر له الاتصال بالخليفة المعتصم في عاصمته الجديدة سامراً، ورافقه في حملته المظفرة على عمورية، ووصف هذه الحملة بقصيدة^١، هي الى الآن بما يحفظه احداث الطلاب غيباً. وقد عاش كما عاش شعراء عصره، فشرب الحمرة وسمع الغناء وعاشر الغواني، وكان قليل الاحتفال باوامر الدين ونواهي^٢. على ان مكانته الرفيعة لا تقوم على الشعر الذي نظمه فحسب، بل وعلى كتابه المعروف بديوان الحماسة^٣، والمشتمل على روائع الشعر من زمن الجاهلية حتى العصر الذي عاش فيه. ونحن مدينون في وجود هذا المجموع من الشعر العربي الى حادث بسيط في حد ذاته هو ان الشاعر احتبس في بعض اسفاره في همدان، بسبب تراكم الثلوج وانقطاع الطرق، فنزل على وجيه من ادبائها عثر في مكتبته على عدد وافر من مجموعات الشعر الجاهلي وعلى شيء من شعر بعض الاقطار العربية، فكان يقضي بعض اوقاته في تصفحها^٤. وقد امضى ابو تمام ايامه الاخيرة في الموصل، وفيها دفن.

ابو عبيدة البحري

اما زميله الاصغر ابو عبيدة الوليد، المشهور بالبحري (حوالي ٨٢٠ - ٩٧)، فقد ولد في منبج، وينتهي به النسب الى عشيرة مجتر من بني طي^٥. وفي الاخبار ان ابا تمام صادفه في حمص، وسمعه ينشد قصيدة عصماء، فشهد به لاهل المعرة خير شهادة، فتعاقدا معه على مرتب قدره اربعة الاف درهم. وقد اعجب البحري من جانبه باي تمام واحتذى مثاله في نظم الشعر. وقاده طموحه الى بغداد ففدا فيها

(١) ديوان ابي تمام، نشر شاهين عطية (بيروت، ١٨٨٩) ص ١٥ - ١٨؛ قابل الصولي، اخبار ابي تمام، نشر خليل عساكر (القاهرة، ١٩٣٧)، ص ١٠٩ - ١١٣.

(٢) السعودي، ج ٢، ص ١٥١.

(٣) التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ٣ مجلدات (بولاق، ١٢٩٦)؛ G. G. Freytag, *Hamasa carmina*, 2 vols. (Bonn, 1847-51); Friedrich Rückert, *Hamasa*, 2 vols (Stuttgart, 1846).

(٤) ابن خلكان، ج ١، ص ٤٦٨.

(٥) ياقوت، معجم الادباء، ج ٧، ص ٢٢٦.

شاعر المتوكل ومن تولى بعده من الخلفاء، وحظي بصورة خاصة عند المعتر. وكانت البحتري من البخل بحيث يرتدي الملابس القذرة، ويقتر على غلامه وأخيه حتى ليكاد الجوع يقضي عليهما^١. وكان نظير زملائه، يستخدم شاعريته لاستدراة الاموال من ذوي السلطة واصحاب الثروات، مهدداً — في حال الحرمان — بالتحويل الى الهباء. وفي ديوانه قصائد قالها في بعض الناس مادحاً وهاجياً^٢. وفي ديوانه يتجلى ايضاً حبه للخمرة^٣. وبراعته في وصف القصور والبرك وحيوان الفلاة^٤. وهو بما يندر وجوده في الشعر العربي. وللبحتري غير ديوانه كتاب شعر مجموع هو كتاب الحماسة^٥ لكنه لم يحظَ لدى علماء اللغة بالمنزلة التي كانت لكتاب زميله السابق ابي تمام. ولقد اعتبر نقاد العرب البحتري في ما تلا من العصور، اجد ثلاثة شعراء هم في طليعة الشعراء العباسيين، اما الاثنان الباقيان فهما ابو تمام والمتنبي^٦. «وربما اعتبر اكثر النقاد الاوروبيين البحتري دون المتنبي مكانة»^٧، لكنهم يجعلونه من حيث مواهبه الشعرية فوق ابي تمام بمراحل^٨.

ديك الجن المحصي

ولقد كان دون هذين بمراحل بعيدة شاعر آخر هو عبد السلام بن رغبان (٧٧٧ - ٨٤٩) الملقب بديك الجن لبشاعة سخنته وخضرة عينيه. وهو من ابناء حمص، لزم موطنه طول حياته فلم يبرحه. وكان في الراجح من ذرية نصراني اعتنق الاسلام في موقعة مؤتة^٩. على ان شاعرنا هذا يتمتع باهمية خاصة لانه عمد في شعره — الذي لم يبقَ منه الا القليل — الى تأييد قضية الشعوب المغلوبة في وجه مغاخر العرب، ودافع عن تفوق السريان — اي السريان المستعربين — ضد العرب.

(١) الاغاني، ج ١٨، ص ١٧٠.

(٢) المجلد الاول؛ (القسطنطينية، ١٣٠٠)، ص ٧٥، ٨٧، ١١٧ - ١١٩.

(٣) المجلد الثاني، ص ١٧٦، ١٨٦.

(٤) المجلد الاول، ص ١٠٨، ١٦، ٥١، ١١١.

(٥) نشره: R. Geyer and D. S. Margoliouth (Leiden, 1909).

(٦) انظر ما سيأتي في الفصل ٤٣ في الفقرة عن المتنبي.

(٧) انظر: D. S. Margoliouth, art. «at-Buhturi» *Encyclopedia of Islam*.

(٨) الاغاني، ج ١٢، ص ١٤٢؛ ابن خلكان، ج ٦، ص ٥٢٥؛ راجع ص ٤ من هذا الجزء.

لذلك كان خليقاً بان يعتبر رائداً لتلك الحركة الفكرية الهامة التي عرفت بالشعبوية^١، لاسيما وقد ارتدت طابعاً سياسياً في فارس وفي سواها من البلدان. ولقد كان ذلك الجن شيعياً معتدلاً، ومع اعتداله اقرب الى التهاود، اذ بذر امواله في الناس الطرب والسعي وراء اللذات. وفي ساعة احتياج من ساعات الفيرة الشديدة عمد الى امراته — وكانت قبلاً امة نصرانية عنده — فسد اليها طعنة قاتلة. لكنه تثبت بعدئذ من براءتها، فكان طيفها لا ينفك يعتاده، فيبرح به الالم، على ما وصف في شعره الذي يتدفق عاطفة^٢.

الامام الاوزاعي

اما في غير الشعر، فقد برز الفقيه والمتشرع عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي^٣. ولد في بعلبك سنة ٧٠٧، وزها في بيروت، وفيها ادركته الوفاة سنة ٧٧٤ وهو في الحمام. ولا يزال مقامه يعلو الرمال المنتشرة الى الجنوب من المدينة. اشتهر الامام الاوزاعي بالعلم والزهد وتميز بالجرأة الادبية^٤! وقد قال عنه احد مؤلني التراجم انه «امام اهل الشام، ولم يكن بالشام اعلم منه^٥». ولقد عارض الاوزاعي الامام مالك وابا حنيفة، واستنكر ما اقراءه من تدابير صارمة بحق المشركين، نظير قطع اشجارهم وهدم كنائسهم وتخريب بيوتهم^٦. وعندما قدم المنصور الى سورية سمع الاوزاعي يعظ فاعجب به اعجاباً شديداً. وقد بقي المذهب الفقهي

(١) هي النسبة الى الشعوب والمقصود بها الشعوب غير العربية كما في القرآن سورة الحجرات آية ١٣.

(٢) ابن خلكان، ج ١، ص ٥٢٦ — ٢٧؛ الاغانى، ج ١٢، ص ١٤٣ — ٤٦.

(٣) سمي بذلك اما نسبة الى قبيلة يمنية او الى ضاحية من ضواحي دمشق؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٠٣ — ٤، ابن الاثير، الباب في تهذيب الانساب (القاهرة، ١٣٥٧)، ص ٧٤ — ٧٥؛ الطبري، ج ٣، ص ٢٥١٤؛ ابو الفداء، ج ٢، ص ٧.

(٤) راجع ما سبق، ص ٣٤ من هذا الجزء، ج ٢.

(٥) راجع ص ١٦٧ من هذا الجزء.

(٦) ابن خلكان، ج ١، ص ٤٩٣. وللاستزادة من اخباره راجع: زين الدين الخطيب، محاسن المساعي في مناقب الامام ابى عمرو الاوزاعي، نشر شكيب ارسلان (القاهرة)، ص ٩٤ — ٩٥.

(٧) الطبري، اختلاف الفقهاء، نشر (Joseph Schacht (Leyden, 1933) ص ١٢١، ١٤١.

الذي وضعه هذا المشرع شائعاً في سورية نحواً من قرنين ، قبل ان زحزحه عنها المذهب الحنفي والفقهاء الشافعي ؛ وتوثق كذلك في الاندلس والمغرب نحواً من اربعين سنة ، ثم حل محله المذهب المالكي^١.

ومع اننا لا نعلم اليوم الكثير عن مذهب الاوزاعي ، فان الراجح انه لم يتأثر بالقانون الروماني الذي كان قد شاع آنذاك في سورية حيث كان الاوزاعي يعلم ، والذي كان يدرس على نطاق واسع في بيروت^٢ حيث كان الاوزاعي يقيم . فالقانون الجزائي في الاسلام ، والقانون المدني الذي ينص على قضايا الزواج والارث والربا ونحوها ، وارد في الكتاب المنزل . وليس هنالك من مشابهات بين النظامين الا في العقود والمعاملات . ولئن كانت بعض التعابير القانونية في العربية واللاتينية ذات مدلول واحد ، نظير : فقه و « قضاء » ، وفتوى و « راعي » واجتماع و « اتفاق » وعادة و « عرف » ، ومصلحة العامة و « صالح الجمهور » . فان ذلك لا ينم بالضرورة عن التوكؤ والاستعانة . وليس هنالك الفاظ مستعارة ، ولا كلمات يونانية ولا تينية معربة ؛ ولسنا نعلم — الى ذلك كله — بان كتاباً من كتب القانون الروماني او البيزنطي سبق ان نقل الى العربية .



(١) صالح ، ص ٢٣ .

(٢) راجع الجزء الاول ص ٣٦٠ وما يتبع .

الفصل الثالث والأربعون

سورية اقليم تابع لبعض الدويلات

الطولونيون

كان قيام الحرس التزكي، في عهد خلفاء المأمون (ت ٨٣٣)، اول بادرة من بوادر الانحلال في الحكم العباسي. فقد غدت هذه الجماعة — نظير الانكشارية في التاريخ العثماني — اشد نفوذاً من الخليفة نفسه؛ واستطاعت، بين الحين والحين، ان تحمل الخليفة صاعراً على ما تشاء وتهوى^١. واخذ نفوذ العباسيين، بعد هذا الزمن، ينحل شيئاً فشيئاً، واستمر هذا الانحلال اللهم الا في فترات قليلة قصيرة. وكان ذلك بمثابة انتحار بطيء، دفعت اليه الخلافة تمهيداً لتقبل «الضربة القاضية» من يد هولاء وجماعته من عشائر المغول (١٢٥٨). وفيما كانت الخلافة العباسية تزداد تفسخاً، كانت بعض السلالات المنتفذة الصغرى، وجلها من اصل عربي، تقتطع لنفسها مناطق نفوذ من ممتلكات الخلافة الغربية، وبعضها الآخر — وجلها من الترك والفرس — تفعل مثل ذلك في المناطق الشرقية.

وكانت اولى الدويلات الناشئة المتصلة بسورية، دولة قصيرة العمر هي الدولة الطولونية (٨٦٨ — ٩٠٥)، اسسها احمد بن طولون (٨٦٨ — ٨٨٤)، وكان ابوه مولى تركياً أرسل من بخارى هدية الى الخليفة المأمون^٢. بدأ احمد حياته السياسية، عندما وجهه زوج امه الى مصر، على اثر تعيينه اميراً اقطاعياً وحاكماً عليها؛ وذلك لينوب عنه ريثما يتوجه هو اليها. لكن الشاب الطموح، ما كاد يبلغها حتى بدأ يضع الخطط، مستغلاً تراخي المسافة الفاصلة بينه وبين الحكومة المركزية، ليتصرف بصرفاً مستقلاً^٣. وقد زاد عدد جنوده بناء على ترخيص من الخليفة حتى

(١) راجع ص ١٦٧ من هذا الجزء.

(٢) الطبري، ج ٣، ص ١٦٧٠؛ ابن خلدون، ج ٣، ص ٢٩٥؛ ج ٤، ص ٢٩٧.

(٣) اليعقوبي، ج ٢، ص ٦١٥ وما بعد؛ الطبري، ج ٣، ص ١٦٩٧.

بلغ ، في ما روي ، مئة ألف مقاتل ؛ وسار برجاله الى سورية ليخضع ثائراً كان قد ظهر فيها - وكثيراً ما كانت سورية بلد الثائرين على الحكم العباسي .

واناحت هذه السانحة لابن طولون فرصة الدخول الى هذا البلد المجاور . وما ان توفي حاكم سورية سنة ٨٧٧ ، حتى بدا ان الوقت مؤاتٍ لاحتلالها احتلالاً تاماً . فعبر الجيش المصري الرملة في الجنوب الى دمشق ، وتوجه من ثم الى حمص فحماه ، حتى بلغ حلب بدون مقاومة . لكن انطاكية وحدها اقلت ابوابها في وجهه ، ففتحها عنوة بعد حصار قصير^١ . وفي سنة ٢٦٦ هـ (٨٧٩/٨٨٠ م) اقام ابن طولون نفسه حاكماً على البلدتين ؛ وفي سنة ٨٧٥ وقع حادث كان بمثابة امتحان لقيمة الاستقلال العملية ؛ ذلك ان الخليفة المعتمد وجد نفسه في حاجة ماسة الى النقود ، فارسل الى ابن طولون في طلب المال ، لكن واليه على مصر امتنع عن تلبية هذا الطلب .

وكان هذا الحادث نقطة تحول في تاريخ مصر ؛ اذ دخلت من ثم ، ومنذ ذلك الحين ، في طور جديد من حياتها السياسية غدت بحكمه دولة مستقلة . وقد حافظت على هذا الوضع في غضون القرون التالية الا لفترة واحدة ؛ وكانت سورية في اثناء هذا العهد الطويل تابعة لمصر ، كما كان شأنها في زمن الفراعنة . وهكذا عادت الصلات التي كانت قد انقطعت ، قبل ذلك بنحو من ألف عام ، الى سابق عهدها الوثيق . على ان هذا التحول كان في مصلحة بلاد النيل ، فكان اقل ما انتفعت أن موارد البلاد كانت تنفق برمتها في مصر ، في حين لم يحظ الاقليم السوري التابع بشيء من الاصلاح .

كان احمد بن طولون مثال الحاكم العسكري المستبد ؛ قبض على ازمة الامور بيد من حديد ، وبني جهازاً عسكرياً قوياً كان عليه اعتماده في صيانة سلطانه . وكانت نواة هذا الجهاز فرقة من الحرس تشتمل على ٢٤ ألف تركي ، و ٤٠ ألف زنيجي ، اخذ على كل منهم بمفرده عهد الولاء . ثم انه عمد الى وضع منهمج من المشاريع العمرانية العامة لم يسبق له مثيل منذ عهد الفراعنة . وكأنا اراد بذلك ان يبرر اغتصابه للحكم في عيون رعاياه ؛ فانشأ في عاصمته القسطنطينية ، لاسيا في حياها

(١) ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ ؛ الكندي ، نشر غوست Guest ، ص ٢١٩ وما بعد .

الجديد المعروف بالقطائع^١، مباني فخمة، بينها مستشني ومسجد. اما المستشني^٢ فقد انفق على بنائه ٦٠ ألف دينار، وكان الوحيد من نوعه في مصر، وعين موارد الممتلكات الخاصة في سورية لتغطية نفقاته الجارية. واما المسجد، الذي لا يزال يعرف باسمه، فيعد من افخم المباني التذكارية في مصر الاسلامية. وقد انفق على بنائه ضمني ما انفق على المستشني^٣، وراعى في بعض تفاصيله الهندسية الطراز السامرائي حيث قضى ابن طولون فترة صباه. وجدير بالذكر ان مثذنة هذا المسجد هي اقدم المآذن التي لا تزال قائمة في مصر. على ان ادخال الطراز العراقي في البناء لم يُنحَ عن مصر الطراز السوري اليوناني السابق، ولا قدر له ان ينتشر فيها انتشاراً واسعاً. وعلى ذلك فمسجد ابن طولون هو المثال الوحيد الباقي مما يمثل ذلك الطراز.

اما على الشاطئ السوري، فقد حصّن ابن طولون مدينة عكا، وانشأ فيها قاعدة بحرية. وكان البرج الذي يعاها سورها المزدوج من القوة بحيث صمد، بعد ذلك بثلاثة قرون، في وجه ملكين من ملوك الصليبيين، مدة سنتين؛ وشهد بمناعتها صمودها سنة ١٧٩٩ لمذقية نابوليون البرية^٤. وقد روى العالم الجغرافي السوري (القدس^٥) ان جده استدعي شخصياً من القدس، ليقوم بالعمل الذي طالما قام به وهو بناء مرفأ في الماء. فحقق ذلك بان ضمّ جذوعاً من الحشب الضخم بعضها الى بعض، وحملها بالصخور الثقيلة: ثم جعل في الوسط باباً دلياً منه سلاسل طويلة، فكان بإمكان السفن الداخلة ليلاً ان تجذبها فتشير بذلك الى وصولها.

خارويه

وتولى الحكم، بعد ابن طولون، ابنه المسرف الفاسد خارويه (٨٨٤ - ٩٥)، وهو بعد في العشرين من عمره؛ وكان واحداً من ثلاثة وثلاثين ولداً لآبيه، بينهم

-
- (١) المقرئزي، ج ١، ص ٣١٣ وما يتبع.
 - (٢) الاسم العربي له: بيارستان؛ انظر في الفصل السابع والاربعين الفقرة الخاصة بالمستشفيات، والهامش الاول؛ ابن تقي بري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نشر جوينبول، ج ٢، (لیدن، ١٨٥٥)، ص ١١؛ الكندي، ص ٢١٦.
 - (٣) ابن تقي بري، ج ٢، ص ٨؛ ابن خلكان، ج ١، ص ٩٧.
 - (٤) انظر في الفصل التاسع والاربعين في فقرة عن احمد باشا الجزائر.
 - (٥) ص ١٦٢ - ٦٣؛ كما في ياقوت، ج ٣، ص ٧٠٧ - ٨.

سبعة وعشرون من الذكور^١. وقد بنى قصرًا جعل فيه قاعدة مذهبة الجدران ، زينها بصور ناتئة تمثله وتمثل نساءه وقبائه^٢. اما حديقة القصر ، فكانت حافلة بالاشجار المستوردة المغروسة حول احواض الماء المذهبة ، محفوفة بالرياحين النابتة في خطوط تشكل الفاظاً عربية . وقد اشتمل القصر - الى ذلك - على مأوى للطيور ، وحديقة للحيوانات ، وحوض من زئبق . وكان يطفو على سطح هذا الحوض وسائد من الجلد ، تدلت منها حبال من الحرير ، ربطت الى اعمدة من الفضة : فكان الامير اذ يستلقي عليها ، تهتز به ، حتى يغلبه النعاس فينام^٣.

وقد امتد سلطان الطولونيين في عهد خمارويه من برقة الى الفرات ، بل الى ابعد من ذلك - الى دجلة . وافر المعتمد ، لدى اعتلائه سدة الخلافة سنة ٨٩٢ - وهو اقوى خلفاء فترة الانحلال وامضاهم عزية - الوضع القائم . وثبت سلطة الحاكم وورثائه على هذه الممتلكات الواسعة لمدة ثلاثين سنة ؛ وذلك في مقابل جعالة سنوية مقدارها ثلاث مئة الف دينار . بل ان الخليفة خطب الى خمارويه ابنته الجميلة قطر الندى ؛ وعندما زفت اليه ، اغدق عليها والدها مهرًا بلغ ، في ما روي ، مليون درهم ؛ واهداها الف هاون من الذهب ، وتحفًا اخرى « وجهازها بجهاز لم يعمل مثله » .

على ان تبذير خمارويه ترك الحزينة فارغة . وقد بلغ من الاسراف في معاشره العلمان - على ما في بعض الاخبار^٤ - مبلغاً اثار عليه عبيده ، فانقضوا عليه ذات ليلة وهو في دارة له خارج دمشق وقتلوه . ونقل جثمانه الى مصر ليدفن فيها ، وفيما كان يوارى في التراب ، كان سبعة من القراء يقرأون على قبر والده المجاور . فاذا بهم يرتلون اتفاقاً : « خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم »^٥ . اما ابنه وخلقه « جيش » ،

(١) ابن تغري بردي ، ج ٢ ، ص ٣١ ؛ السبوطي ، ج ٢ ، ص ١١ .

(٢) ابن تغري بردي ، ج ٢ ، ص ٥٧ - ٥٨ ؛ المقرئ ، ج ١ ، ص ٣١٦ - ١٧ .

(٣) ابن تغري بردي ، ج ٢ ، ص ٥٨ - ٥٩ ؛ المقرئ ، ج ١ ، ص ٣١٧ .

(٤) ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٣١٠ ؛ قابل ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٣٠٧ - ٨ ؛ الطبري ، ج ٣ ، ص ٢١٤٥ - ٤٦ ؛ ابن تغري بردي ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(٥) ابن عساكر ، ج ٥ ، ص ١٧٨ .

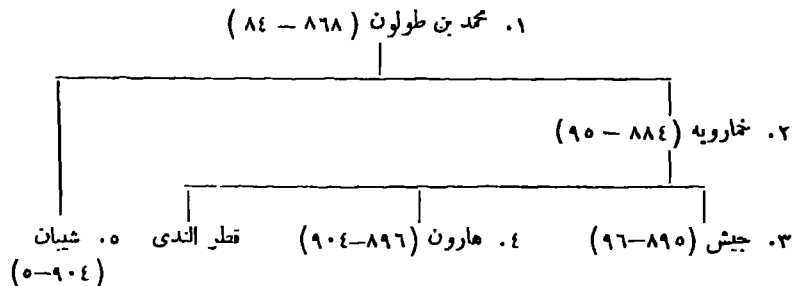
(٦) سورة الدخان . الآية ٤٧ .

فما مضى على ولايته سبعة اشهر ، حتى قتله جماعة من جنده ، كاتب سرهم بداعي الضائقة المالية^١ .

القرامطة

كان عهد هارون (٨٩٦ - ٩٠٤) اخي جيش عهداً مضطرباً ، وبغهور القرامطة غدا اشد اضطراباً . والقرامطة من الشيعة المتطرفة ، تصلهم صلة النسب بالاسماعيلية والفاطميين . وهذا الاسم تحدر اليهم من فلاح عراقي اسمه حمدان قرمط^٢ . اما نظامهم فهو في اساسه نظام جمعية سرية ذات مبادى اشتراكي . ولم يكن الانضمام الى جماعتهم جائزاً الا بشروط معينة ، وبعد اجراء مراسيم خاصة . فحوالي سنة ٨٩٠ احتل زعيمهم حمدان قاعدته الجديدة قرب الكوفة . وبعد مضي تسع سنوات صار اتباعه اسيا د دولة مستقلة ، قائمة على الضفة الغربية من الخليج الفارسي . ومن هذين المركزين نشر القرامطة الحراب في كل صوب . ولقد كانت سورية الاسلامية ، طيلة العهد الاموي ، على مذهب اهل السنة ؛ لكن الضغط الذي تميزت به سياسة العباسيين افسح المجال امام تعاليم العلويين ، وهذه بدورها اعدت الشعب ، في هذه الآونة ، لتقبل آراء القرامطة . وكما حاول الناس ، في سورية البيزنطية ، ان يثبتوا قوميتهم باعتناق التعاليم المسيحية التي اعتبرتها السلطة البيزنطية من قبيل الهرطقة ، هكذا اظهر هؤلاء الآن كل استعداد لقبول المبادئ الشيعة المتطرفة المعادية للعباسيين . وكان قائد القرامطة في زحفهم على سورية ابن زكرويه^٣ . وقد هزم الحامية الطولونية ، وحاصر دمشق (٩٠١) ؛ ثم احتل حمص ،

(١) شكل شجري للسلالة الطولونية :



(٢) راجع : Bernard Lewis, *The Origins of Ismā'ilism* (Cambridge, 1940), pp. 19-22 والراجع ان لفظة « قرمط » سريانية معناها : المعلم السري .

(٣) الطبري ، ج ٢ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

وقضى على عدد كبير من اهالي حماة ، ومعرة النعمان ، وكاد يبيد سكان بعلبك . لكن سلمية القت السلاح ، وهي التي غدت ، في ما بعد ، مركزاً للحشاشين من الاسماعيلية . وقد دعي له في صلاة الجمعة من على عدد من منابر المساجد السوديّة ، كما لو كان المهدي المنتظر .

وفي سنة ٩٠٢ ارسل الخليفة لقتال القرامطة قائداً باسلاً تمكن من قهرهم . وبعد ان اخذ عهد الولاة على حكامها الاقطاعيين سار نحو مصر فاتحاً . وفي هذه الاثناء قتل هارون اغتيالاً ، فولي الحكم بعده عمه شيبان (٩٠٤ - ٩٠٥)^١ . وفي سنة ٩٠٤ بلغ القائد العباسي عاصمة الطولونيين (القطائع) وهدمها الى الارض ، وضرب اعناق عشرين من الطولونيين ، وحمل سائر رجالهم ، مكبلين بالقيود ، الى عاصمة الخلافة . وفي العام الثاني ، عمد آخر سفياني معروف الى رفع العلم الابيض في سورية ، ولكنه اسر بدوره وسبق الى بغداد^٢ . وهكذا ، فان القوم الذين نوهوا سابقاً بانهم لا يقرون بالسلطة الا لبني امية^٣ ، قد تخاذلوا الآن وغنوا للسلطة غريبة .

الاخشيدون

كان القائد الذي دفع القرامطة عن دمشق باسم الطولونيين رجلاً تركياً من فرغانة اسمه طنج^٤ . وقد حاول ابنه محمد ان يجعل من نفسه وريثاً للطولونيين . فاقام نفسه ، بعد عهد قصير من الحكم العباسي الحافل بالمحاذير في مصر وسورية . حاكماً على مصر^٥ ، وذلك سنة ٩٣٥ . وكانت قاعدته مدينة القسطنطينية ، وبعد اربع سنوات ، استجاب الخليفة الراضي الى رغبته ومنحه اللقب التقليدي لامراء ايران ، وهو « الاخشيد » . فارتفع به فوق اقاربه . وفي القرن التاسع عشر . منح احد سلاطين بني عثمان ، واليه على مصر ، لقباً فازسياً بمائلاً هو « الخديوي » . وجرى الاخشيد على الخطط التي رسمها الطولونيون من قبل . فرمق جارة مصر الشمالية بعين

(١) الكندي ، ص ٢٤٧ - ٤٨ .

(٢) الطبري ، ج ٣ ، ص ٢٢٧٧ .

(٣) المقسي ، ص ٢٩٣ - ٩٤ .

(٤) ابن سديد ، المغرب في حلل المغرب ، نشر Tallqvist (ليند ، ١٨٩٩) ، ص ٥٠ .

(٥) مسكويه ، ج ١ ، ص ٣٣٢ ، ٣٦٦ ؛ ابن تقي بريدي ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

طامعة ، وكان معظمها قد وقع في يد مغتصب مغامر هو ابن رائق^١ ؛ لكن الوفاة ادركت ابن رائق سنة ٩٤١ ، فاقر الخليفة للامراء البويهيين بالسلطة على بغداد . وللأشيد على سورية ومصر ومكة والمدينة^٢ . ومضت بعد ذلك قرون عديدة ، ومقدرات الحجاز رهن بمقدرات مصر . وفي سنة ٩٤٤ استحصل الأشيد من الخلافة لاسرته على حقوق وراثية في البلاد التي استولى عليها .

الحاكم الزنجي

ولم يكد الأشيد يستقر في كرسي الحكم ، حتى اخذت ذم المدائين في شمالي سورية يتحدى سلطانه ، على يد ناشئهم النابه سيف الدولة ، في مدينة حلب . اما المعارك الكبرى فقد جرت في عهد ابني الأشيد : انوجور^٣ الذي ولد في دمشق حيث توفي والده ، وسيف الذي تولى بعد اخيه سنة ٩٤٦ ، تحت وصاية عبد خصي اسمه ابو المسك كافور^٤ . وكان سيف الدولة قد قام بمحاولات عديدة للاستيلاء على سائر سورية ، لكن حاكم مصر الداهية افسد خططه ، وهزم جيوشه في اشتباكين كبيرين ، واجبره على الخضوع لسيادة مصر العليا . وظل كافور قابضاً على زمام الحكم في غضون ولاية ابي الحسن علي (٩٦٠ - ٩٦٦)^٥ اخي انوجور . وقد دفن علي

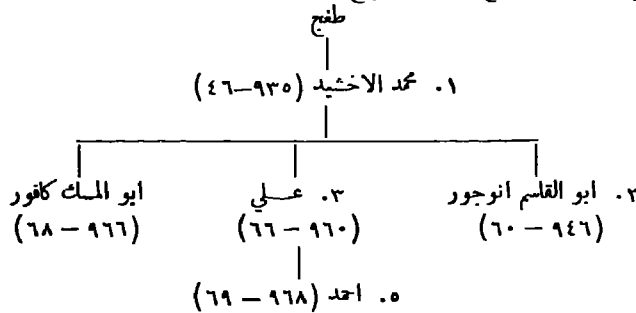
(١) راجع بشأن وقائع الأشيد مع ابن رائق المؤرخ المعاصر الكندي ، ص ٢٨٨ - ٢٩١ ؛ وكذلك مسكويه ، ج ١ ، ص ٤١٤ ؛ ابن سعيد ، ص ٣٧ وما بعد ؛ وابن الاثير ، ج ٨ ، ص ٢٧٢ .

(٢) قابل : سيدة كاشف ، في عصر الأشيديين ، (القاهرة ، ١٩٥٠) ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٣) أيضاً أنجور ، وأنجور ؛ قابل : ابن سعيد ، ص ٤٥ ؛ ابن تقري بردي ، ج ٢ ، ص ٣١٥ ؛ الكندي ، ص ٢٩٤ ؛ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٣١٤ ؛ ابن الاثير ، ج ٨ ، ص ٣٤٣ ؛ مسكويه ، ج ٢ ، ص ١٠٤ ؛ انظر أيضاً F. Wüstenfeld, *Die Statthalter von Agypten zur Zeit der Chalifen*, pt. iv (Göttingen, 1876), p. 37.

(٤) ابن خلكان ، ج ٢ ، ص ١٨٦ .

(٥) رسم شجري لبني طنج ، والخط المتقطع يشير الى صلة العبد بالسيد :



هذا في القدس ، حيث دفن ابوه واخوه من قبله . واستمر العبد في الحكم سنتين بعد ذلك ، وهو منفرد بالسلطة على ولاية ضمت - فضلاً عن مصر وسورية - جانباً من كيليكيّا ، وفيها كبرى مدينتها طرسوس^١ . وكافور هذا ، عبد نجشّي في الاصل ، اعلم مشقوق الشفة ؛ اشتراه الاخشيدي من بائع زيت بثنائية عشر ديناراً . فكان المثل الاول في تاريخ الاسلام لسلاطين ارتفعوا الى اوج الشهرة من اوضاع الاصول . وقد أعتق ، على ما في الرواية ، لان انتباهه كان دائماً موجهاً نحو سيده ، في حين كان اهتمامه من العبيد والخدم منصرفاً الى القليل او الزرافة ، بما اهدي الى اسيادهم . اما العبد هذا ، فلم يدع لحظة تمر دون ان ينتهزها فرصة لخدمة سيده ، وقد كوفي على رعايته هذه مكافأة جزيلة^٢ .

ولقد خلد اسم كافور ، واسم خصمه سيف الدولة ، اعظم شعراء ذلك العصر - المنتهى - بشعر لا يزال طلاب المدارس في العالم العربي ، الى اليوم ، يحفظونه غيباً . وكان الشاعر قد بدأ بنظم المدايح في عاهل مصر^٣ . لانه كان يطمح ان ينال ولاية منه ولكن العبد خيب امل الشاعر فانقلب هذا عليه وصارت اشعاره فيه هجاء .

نهاية الاخشيديين

تولى الحكم بعد كافور احمد ابو الفوارس (٩٦٨ - ٩٦٩) ، وهو غلام في الحادية عشرة من عمره ، عاجز عن مواجهة مشاكل العصر . ذلك ان الحمدانيين كانوا يهددونه من الشمال ، والقرامطة المتحفزون من الشرق ، والفاطميون^٤ - وهم اشد خطراً - من الغرب . وكان الخليفة الفاطمي ، الذي ظهر في تونس سنة ٩٠٩ لسنوات عديدة ، على صلة سرية بالعلويين وسواهم من المواليين في مصر ؛ وكان زمن العمل قد ازف . ففي سنة ٩٦٩ قام القائد جوهر بمحكمة كاسحة ، مكنته من اباد

(١) ابن خلكان ، ج ٢ ، ص ١٨٥ - ٨٩ ؛ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٣١٤ - ١٥ ؛ ابن تغري بردي ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ .

(٢) ابن سعيد ، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٣) انظر ما يتبع في هذا الفصل في فقرة عن المنتهى .

(٤) انظر ما يتبع في الفصل التالي في فقرة عن قيام الخلافة الفاطمية .

الجيش الاخشيدي . واحتلال مدينة القسوط (٦ تموز) ، دون كبير عناء . وعلى الاثر ، دعي للخليفة المعز في الصلاة العامة ، وضربت النقود الجديدة باسمه . وقد حاول والي الاخشيد في دمشق ، وهو ابن عم لابي القوارس ، القيام بمحاولة ضئيلة لانقاذ سورية ، لكن جوهرأ بعث اليه بقائد هزم جيوشه في الرملة واقتاده اسيراً . وعلى هذا النحو التحقت فلسطين وسورية الوسطى بالامبراطورية الفاطمية الناشئة^١ .

كانت السلالة الاخشيدية (٩٣٥ - ٦٩) ، نظير سابقتها الطولونية (٨٦٨ - ٩٠٥) ، ذات حياة قصيرة . وقد كانت منهج حياتها واحداً - ذلك المنهج الذي وسم بسمته عدداً من الولايات الاخرى التي انسلخت في العهد المتفسخ عن السلطة المركزية . فقد عمدت كلتاها الى تبذير المال الوارد من الولايات لاسترضاء الرعايا ، فكان بذلك خراب الحزينة ؛ وكل منهما لم تقم الحكم في الامصار التي استتبعها على اساس قومي ؛ ولا استطاعت ان تعتمد ، في ما بين رعاياها ، على جماعة متجانسة متماسكة من ابناءها المواليين . ولما كان هؤلاء الحكماء دخلاء ، فقد كان عليهم ان يتخذوا حرسهم الخاص - وهم في الوقت نفسه جنودهم - من مصادر غريبة . ومثل هذا الحكم لا يمكن صيانتة الا بان تستمر اليد التي امتشقت السيف قوية ماضية .

الحمدانيون - سيف الدولة

ان الحمدانيين ، الذين حكموا شمالي سورية بعد الاخشيديين ، يعودون بصلته النسب الى حمدان بن حمدون من قبيلة تغلب ، التي كانت قبلاً على النصرانية ؛ ومنها ظهر الشاعر الاموي الشهير : الاخطل^٢ . كان اول ظهور حمدان على مسرح الحرب والسياسة في اواخر القرن التاسع ، عندما استولى على قلعة ماردين^٣ . واستطاع اعقابه بعد كثير من المنازعات والمهادنات مع الخلفاء ، ان يبسطوا سلطانهم على الموصل ، وجانب كبير من العراق وشمالي سورية . وكان ابرزهم ابو العلي حسن ، الذي استطاع في سنة ٩٤٤ ، ان ينتزع من عامل الاخشيد مدينة حلب وانطاكية وحصن^٤ ، وان يحصل

(١) الكندي ، ص ٢٩٧ - ٩٨ .

(٢) راجع ص ٤٠ و ١٠٨ - ١٠٩ من هذا الجزء .

(٣) الطبري ، ج ٣ ، ص ٢١٤١ .

(٤) ابن سعيد ، ص ٤١ .

من الخليفة على القلب المشرف : سيف الدولة (يعني الدولة العباسية ٩٤٤ - ٦٧) . وكان غرض الخليفة من الانعام بمثل هذه الالقاب الطنانة ، ان يوهم الناس بان المنعم عليه - وهو بالفعل مستقل - انما هو مؤتمر بامرهِ . وقد كاث سيف الدولة ، ومن تولى الامارة من بعده ، من الشيعة المتساهلين ، فاستمروا - من ثم - في الدعاء باسم الخليفة العباسي في صلاة الجمعة . وقد اختار سيف الدولة مدينة حلب^١ عاصمة له ؛ اما سبب اختياره لها فربما كان وجود القلعة القديمة فيها ، وقربها من الحصون القائمة على الحدود ؛ اذ كان ينوي ان يدفع عنها تلك الغارات التي اخذ الروم يشنونها عليها . ولاول مرة ، بعد عهد الاموريين^٢ ، غدت المدينة الشمالية قاعدة لحكومة ذات خطر . وقد انشأ الحاكم الجديد في هذه المدينة قصراً فخماً ، جعل فيه ثلاث حمامات فيها مياه جارية ، واطلق حوله جدولاً من الماء ، واقام الى جانبه حديقة غناء ، ومضماراً لسباق الحيل^٣ .

شملت سلطة سيف الدولة شمالي سورية ، وجانباً من كيليكيا ، وجزءاً كبيراً من شمالي العراق . وانتزع مركزاً امامياً في ارمينيا بمساعدة اخواله الاكراد^٤ . وقد اتخذ احدى بنات الاخشيد زوجة له ، على امل ان لا يُنازع في ملكه . وحاول فتح دمشق ففشل^٥ ؛ ولما كانت دولته قائمة على الحدود فقد استنفدت حمايتها من حملات البيزنطيين جل وقته ومعظم جهده . وكان سيف الدولة اول قائد جدد الكفاح ، بعد فترة طويلة من السكون ، في وجه خصوم المسلمين من نصارى الاعاجم . وهذا النزاع الممداني البيزنطي جدير بان يعتبر فصلاً سابقاً لتاريخ الصليبيين .

وكان للامير الممداني من حيث هو بطل محارب ندث مقابل في شخص الامبراطور نقفور^٦ . سجل لها المؤرخون عشرة اشتباكات لم يكن النصر فيها جميعها حليفاً

(١) حلب معروفة ايضاً بالشهباء ودياً لبياس حجرها .

(٢) راجع ص ٧٤ من الجزء الاول .

(٣) ابن الشحنة ، الدر المنتخب في تاريخ حلب (بيروت ، ١٩٠٩) ، ص ٦٠ - ٦١ ، ١٣٣ .

(٤) مسكويه ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

(٥) ابن سعيد ، ص ٤٢ .

(٦) هو : Nicephorus II Phocas (963-9)

لسيف الدولة . ففي سنة ٩٦٢ دارت الدائرة عليه ، وخرجت حتى عاصمته من يده ، ولو الى حين ، وذلك بعد حصار قصير المدى ، هُدم في اثنائه قصره الفخم الذي كان رمزاً لمجده^١ . وكان لهذا الحادث اسوأ الوقع في بغداد ، حيث قام الشعب بمظاهرة طلب فيها من الخليفة ان يقود بنفسه حملة انقاذ سريعة . لكن المظاهرة لم تسفر عن اكثر من دموع ذرفتها عينا الخليفة^٢ . ثم كانت وفاة سيف الدولة سنة ٩٦٧^٣ ، وما تلاها من قن داخلية ، فمكن ذلك نقفور وخلفاءه من ان يتقدموا بجيوشهم ، ويحتلوا جانباً كبيراً من شمالي سورية . وان يفرضوا سلطة بيزنطية موقته على ملك الحمدانيين . وفي سنة ٩٦٨ استولى نقفور ثانية على حلب ، وضم اليها انطاكية وحمص ، والمدن الواقعة بينهما ؛ واستطاع خلفه ابن الشُّشْتِيق (يوحنا زميسيس^٤) ، بعد ذلك بست سنوات ، ان يخضع المدن الساحلية : بيروت وجبيل وعرقه وطرطوس وجبلة واللاذقية ، وبعض المدن الداخلية نظير : صهيون وبعبك . وبقيت انطاكية في يد البيزنطيين ما يزيد على مئة عام (٩٦٨ - ١٠٨٤) .

ولم يسترجع الحمدانيون مدينة حلب حتى سنة ٩٧٥ ، وامتنعت عليهم قلعتهما عامين آخرين . فقد شغل سعد الدولة بن سيف الدولة بمحاربة منافس له في حمص ، هو احد انسابه ، قبل ان تسلم له الولاية . وفي الوقت نفسه عمد عامله على حلب الى خيائنه ، فوقع اتفاقاً مع البيزنطيين تعهد بموجبه ان يدفع لهم جعالة ، الا ان سعد الدولة ابى ذلك . وفي سنة ٩٨٥ حاصر سعد الدولة قلعة سمعان^٥ ، وهي آنذاك في ايدي البيزنطيين ، وانتهبها وقتل بربهاها او باعهم في اسواق العبيد . وفي عهد سعيد

(١) ابن الاثير ، ج ٨ ، ص ٤٠١ - ٢ ؛ مسكويه ، ج ٢ ، ص ١٩٢ - ٩٤ .

(٢) مسكويه ، ج ٢ ، ص ٢٠١ ، هـ .

(٣) القارئ ان يراجع مجموعة النصوص العربية المتعلقة بسيف الدولة في - Marius Canard, *His-toire de la dynastie des Hamdanides*, vol. i. (Paris, 1950), pp. 595 seq; والنص العربي في « سيف الدولة » الجزائر ، ١٩٣٤ .

(٤) ابن القلانسي ، ص ١٢ - ١٤ .

(٥) راجع ص ٤٠٤ من الجزء الاول من هذا الكتاب .

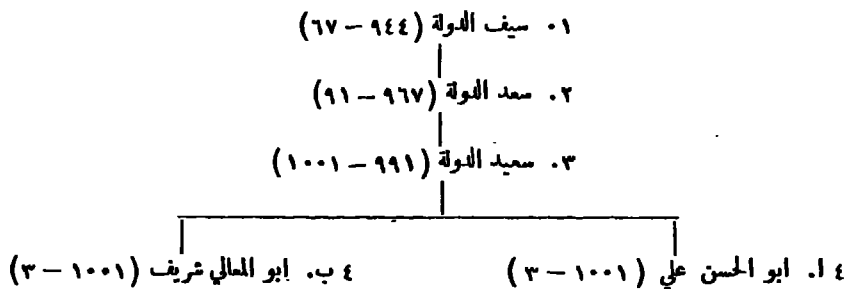
الدولة (٩٩١ - ١٠٠١) ^١ . الذي تولى بعد ابيه سعد ، بدا في الاتق الجنوبي عدو جديد هو الجيش الفاطمي . واذ شعر الامير الحمداني بجراجة الموقف ، ارسل الى الامبراطور باسيل يلتمس نجدة ، فبعث اليه على جناح السرعة بـ ١٧ الف مقاتل . فارتد العدو المدام ، وتربص زمناً ؛ لكن سعيداً اضطر بعد حين الى التسليم بسيادة الفاطميين . وكان سعيد هذا صغير السن ، فعهد وصيه الى ترويجيه من ابنته ، واستأثر بالامر دونه . ثم دس له ولزوجته السم وتخلص منهما . واستمر سنتين بعد ذلك وهو يحكم البلاد باسم الخليفة الفاطمي وصياً على ابني سعيد : علي وشريف (١٠٠١ - ٣) . وفي سنة ١٠٠٣ ارسل بالاميرين الصغيرين ، مع سائر نساء الحمدانيين ، الى القاهرة ؛ وعين ابنه الخاص مساعداً له في الحكم . وكان هذا المشهد هو الاخير في حياة السلالة الحمدانية ، وهي السلالة العربية الثانية والاخيرة ، التي قامت في البلاد السورية .

الحلقة الزاهية في بلاط سيف الدولة

ان دورة الحياة التي عاشتها السلالة الحمدانية لم تختلف ، في جوهرها ، عن دورة حياة السلالتين السابقتين : الاخشيديّة والطولونية — قائد طموح يستأثر بمقاطعة يحكمها حكماً مباشراً ؛ يخلفه حاكم ضعيف يبذر اموال الدولة ؛ ثم خلاف في الداخل ، وعدوات من الخارج ، يكون بها ختام الحكاية . اما في ما يتعلق بالحمدانيين ، فان رعاية سيف الدولة للعلوم والفنون كانت من اهم الدواعي لاستنزاف مال الخزينة .

احاط سيف الدولة نفسه ، في قصره الفخم ، بحلقة من ارباب الادب والفن ، تكاد لا تباريها الا حلقات خلفاء بغداد في ايام عزّهم : فقد ضمّ الفيلسوف الشهير

(١) رسم شجري لسلالة الحمدانيين :



والموسيقى البارع ابا نصر الفارابي ، ومؤرخ الادب العربي اللامع ابا الفرج الاصبهاني . والواعظ البليغ ابن نباته (ت ٩٨٤) ، والعالم اللغوي ابن خالويه ، والنهوي الشهير ابن جني (ت ١٠٠٢) ، والشاعر الفارس ابا فراس ؛ وفوق هؤلاء جميعاً الشاعر المداح الاشهر ابا الطيب المتنبي ؛ قال صاحب يتيمة الدهر :

وسيف الدولة مشهور بسيادتهم وبواسطة قلاذهم ، وكان - رضي الله عنه وارضاءه ، وجعل الجنة مأواه - غرة الزمان ودعامة الاسلام ، وبه سداد الثغور وسداد الامور ... ويقال انه لم يجتمع قط بباب احد من الملوك ، بعد الحلفاء ، ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر . وانما السلطان سوق يجلب اليها ما ينفق لديها . وكان اديباً شاعراً محباً لجيد الشعر^٣ ... !

ابو الطيب المتنبي

وابو الطيب هذا هو احمد بن الحسين ؛ لقب بالمتنبي (٩١٥ - ٦٥) ؛ لانه ادعى النبوة في مطلع شبابه ، وحاول تقليد القرآن ؛ فاتبعه جماعة ممن سحرهم ببيانه في اللاذقية وفي بادية الشام . لكن عامل الاخشيذ في حصص اعتقاله واودعه السجن ، حيث بقي نحواً من عامين . ثم خرج وقد شفي من وهم النبوة . ولكنه لم يبرأ من داء الكبرياء والفطرسه والاعجاب بالنفس ، ذلك الداء الذي رافقه مدى حياته . قال يصف اديه :

انا الذي نظر الاعمى الى اديني واسمعت كلماني من به صمم
انام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصموا
الحيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم!^٤

(طبع خطبه عدة مرات في القاهرة وفي بيروت .

٢) هو ابن عبد تركي اشتهر بشرحه لشعر المتنبي .

٣) التالي ، يتيمة الدهر في شعراء اهل العصر ، (دمشق ، ١٣٠٣) ج ١ ، ص ٨ - ٩ .

٤) اقيم له المهرجان الالفى في سورية ١٩٣٩ (١٣٥٤ هـ) ؛ انظر ؛ *Recueil* ; Al Mutanabbi ; *Publié à l'occasion de son millénaire* (Beirut, 1936): Cf. Blachère, *Un poète arabe: Abou-t-Taggib al-Motanabbi* (Paris, 1935), pp. 69 seq.

٥) الواحدى ، شرح ديوان المتنبي ، نشر ديتريشي (برلين ، ١٨٦٦) ، ص ٨٣ - ٨٤ .

ان الرجل الذي امتدح نفسه ، واشاد بفضائله في هذه الابيات المشرفة ، قد نشأ من اصل وضع . ولد في الكوفة ؛ وكان ابوه سقاءً ، انتقل بأسرته الى سورية وشاعرنا بعدُ فتى . وبعد ان امضى زمناً ، وهو يلتمس اميراً ينحس نفسه به ويعمل في رعايته ، استقرّ في حلب ووقف شعره على سيف الدولة ؛ فاقتزن اسمها منذ ذلك الحين اقتراناً وثيقاً . وقد اشترط الشاعر المتغطرس على الامير ان ينشده الشعر وهو جالس ، وان لا ينحني ويقبل الارض بين يديه . وكان في اثناء التحاقه بكافور يأتي ان يلحج حذاءه لدى المثول في حضرته ، او ان يتزع سيفه من وسطه . وكان يواكبه في تنقلاته اثنان من عبيده بالسلاح الكامل . اما السبب الذي حمله على مغادرة بلاط سيف الدولة ، واينار بلاط كافور ، فهو — على ما ورد — ان جدالاً نشب بين المتنبّي وابن خالويه استاذ سيف الدولة ، عمد ابن خالويه على اثره الى مفتاح رضى به المتنبّي فاصابه في وجهه . وعندما يئس المتنبّي من سيده كافور ، خرج من مصر خفية ، وتوجه الى بغداد ففارس . وفي ما كان عائداً الى الشام ، تصدى له جماعة من الغزاة البدو ، وقتلوه هو وغلّامه ، وفروا بنسخته الخاصة من ديوان شعره^٢.

ومن اروع القصائد في هذا الديوان تلك التي سجل فيها ايجاد سيف الدولة في حروبه مع الروم . وربما كانت هذه القصائد — لا واقع المآتي — هي التي جعلت من سيف الدولة ذلك البطل الاسطوري الذي تحدثت عنه اخبار العرب ، وهي تشهد بان صاحبها ابلغ شاعر انجبته العربية ؛ وزاد في قيمة هذه القصائد ما زدانت به من روائع الحكم . اما حياة الشاعر الخاصة فقد كانت رزينة ، بخلاف المعروف عن افراد هذه الطبقة في عهده . وقد اتسم اسلوبه احياناً بالغلو ، وحفل بالمحسنات البديعية ، وزخر بالزخارف اللفظية وفنون المجاز . على ان ذلك لم يكن غير مستساغ بالنسبة الى الفارسي الشرقي . هذا ما كان لشاعرنا من سلطان على خيال ابناء الضاد ، فكان ذلك داعياً لبقائه ، حتى الآن ، اعظم شعراء الاسلام في نظرهم . وبه وبزميله السابقين : ابي تمام والبحتري ، بلغ الشعر العربي اتم نضجه ، ان لم نقل اسمى اوجه ؛ واخذ من بعد ذلك في طريق الانحدار ، الا في انتفاضات قليلة .

(١) ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٦٤ .

(٢) لديوان المتنبّي طبعة اخرى غير التي اعدّها دبترشي اخرجها ناصيف اليازجي بعنوان : « العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب » (بيروت ، ١٨٨٢) .

ابو فراس الحمداني

كان للمتنبي في ابي فراس ، الحارث بن ابي العلاء الحمداني (٩٣٢ - ٦٨) منافس يباريه ، وهو ابن عم سيف الدولة ورفيقه في الحرب . ويقال ان سيف الدولة اجازته على بيت واحد من الشعر ، اقطاعاً قرب منبج ، بلغ دخله السنوي الف دينار . وفي سنة ٩٦٢ وقع الشاعر الباسل اسيراً بيد الروم ، ونقل على الاثر الى القسطنطينية . وبعد ان مكث في الاسر اربع سنوات دفعت عنه الفدية فعاد الى قومه^١ . وقد نظم ، وهو في الاسر ، جملة من اروع القصائد وارقتها^٢ . وله قصيدة عامرة اطرى بها العلويين ونغمز من العباسيين ، لا تزال من القصائد الاثيرة في اوساط الشيعة^٣ . وهو الذي استأثر بالسلطة على حمص بعد وفاة سيف الدولة . وسقط قتيلًا في معركة نشبت بينه وبين الجيش الذي وجهه ابن سيف الدولة لقتاله^٤ .

وكان دون هذه الطبقة من شعراء العصر شعراء آخرون منهم كشاجم الاديب الفنان ، والوأواء الشاعر البارع بتزويق الكلام . اما الاول فمن اصل هندي^٥ (ت حوالي ٩٧١) ، يتألف اسمه الغريب من الحروف الاولى للالفاظ التالية : كاتب ، شاعر ، اديب ، جدي ، منجم ؛ على اعتبار انه كان جامعاً لهذه المناقب . وكشاجم هذا من ابناء الرملة ؛ بدأ حياته طاهياً عند سيف الدولة ، ونظم ابياتاً وصف فيها بعض الوان الطعام والشراب^٦ . وقد اضاف الى مناقبه الكثيرة علم الطب ، والى كتاباً في علم الحيوان . واما الوأواء (ت ٩٩٩) فدمشقي المنشأ من بني غسان ؛ اشتهر بقصيدة وصف فيها فتاة تبكي ، وقد عضت على شفتها ، بهذا البيت :

(١) ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٢٢٥ - ٢٦ .

(٢) راجع ديوانه نشر نخله قلفاط (بيروت ، ١٩٠٠) ؛ وانظر ايضاً النعماني ، ج ١ ، ص ٢٢ - ٦٢ .

(٣) راجع نص هذه القصيدة في ديوانه ، نشر سامي الدهان (بيروت ١٩٤٤) ج ٣ ، ص ٣٤٨ - ٥٦ ؛ وايضاً Canard, pp. 325-33 .

(٤) راجع ما سبق ص ١٩٣ من هذا الجزء .

(٥) السعودي ، ج ٨ ، ص ٣١٨ .

(٦) السعودي ، ج ٨ ، ص ٣٩٤ - ٣٩٩ ، ٤٠٠ - ٤٠١ ؛ وانظر ايضاً ديوانه (بيروت ،

١٣١٣) ، ص ٤٤ - ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٧٩ - ٨٠ .

واستمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت
ورداً ، وعضت على العناب بالبرد^١

من علماء البلاط الاصبهاني

وقد حظي بلاط سيف الدولة ، الى جانب هؤلاء الشعراء بجملة من العلماء نؤثر بالذكر منهم : مؤرخاً للادب والموسيقى هو الاصبهاني ، وفيلسوفاً موسيقياً هو الفارابي . اما ابو الفرج الاصبهاني (او الاصفهاني ٨٩٧ - ٩٦٧) فسليل البيت الاموي ، لكنه كان شيعي النزعة . ولد في اصبهان ، وتواردت عليه الهدايا من انسابه الحاكمين في الاندلس ، تقديرآ له على ما وضعه من الكتب على شرفهم . وقد اجازته سيف الدولة ، بألف قطعة من الذهب ، على النسخة التي قدمها اليه بخط يده من مؤلفه الضخم « كتاب الاغاني »^٢ . والحق ان هذا الكتاب اجلّ جداً مما يتبادر الى الذهن من اسمه المتواضع . وقد نقل عن وزير معاصر من اهل العلم ، كان يستصحب في اسفاره حمل ثلاثين جلاً من كتب الادب ليطلعها فلما وصل اليه كتاب « الاغاني » استغنى به عنها^٣ .

الفيلسوف الموسيقي الفارابي

واما محمد ابو نصر الفارابي فتركّي من فاراب ، وهي بلدة في تركستان^٤ . عاش في سورية في زي المتصوفين ، قانعاً بمرتب اكرامي ، اجراه عليه سيف الدولة ، مقداره اربعة دراهم في اليوم . وقد صحب سيده سيف الدولة الى دمشق ، وفيها توفي سنة ٩٥٠ عن ثمانين سنة . كان الفارابي من اسبق مفكري الاسلام الى محاولة التوفيق بين الفلسفة اليونانية وتعليم الاسلام . وكان نظامه الفكري نظاماً توفيقياً جامعاً ما بين الفلسفة المشائية ومبادئ الافلاطونية الجديدة وتعاليم الصوفية . وقد اطلق عليه ابناء قومه لقباً تفرد به هو « المعلم الثاني » ، على اعتبار انه ثاني معلم

(١) اللؤلؤ ، ديوانه ، نشر سامي الدهان (دمشق ، ١٩٥٠) ، ص ٨٤ - ٢٦٧ ؛ الكتبي ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .

(٢) نشر عشرون مجلداً منه في بولاق ١٢٨٥ ، ونشر برونو المجلد الحادي والعشرين في ليدن ١٨٨٨ ، ثم وضع له غويدي فهرساً علماً نشر في ليدن ١٩٠٠ .

(٣) ابن خلكان ، ج ٢ ، ص ١١ .

(٤) ابن ابي اصيبعة ، ج ٢ ، ص ١٣٤ ؛ القفطي ، ص ٢٧٧ ؛ ابن حوقل ، ص ٣٩٠ .

للمنطق بعد ارسطو. والفارابي رائد الفكر الفلسفي في الاسلام؛ عنه اخذ ابن سينا وجميع من تلاه من فلاسفة الاسلام. اما مؤلفاته الرئيسية فرسالة فصوص الحكم^١، ورسالة في اراء اهل المدينة الفاضلة^٢، والسياسة (السياسات) المدنية^٣. ويبسط الفارابي في الكتابين الاخيرين رأيه في المدينة المثالية. فاذا هي — كما تخيلها — ذات رئاسة دينية، ونظام عضوي، شبيه بنظام الجسم الانساني؛ ومن الواضح انها قد نسجت على منوال جمهورية افلاطون.

وكان الفارابي — الى ذلك — طبيباً مرموقاً، ورياضياً فلكياً، وموسيقياً من الطبقة الاولى. فقد اهلته كنبه الثلاثة في الموسيقى، التي توجهها به كتاب الموسيقى الكبير^٤، لان يكون بين اعظم العلماء النظريين في الموسيقى العربية، ان لم يكن اعظمهم. وكان، فضلاً عن ذلك، يجيد العزف: فقد استطاع — على ما روي — ان يعزف في البلاط الحمداني على عود اخترعه، فيحمل السامعين على الضحك، فالبكاء، ثم النوم، طبقاً لرغبته^٥.

العالم الجغرافي — المقدسي

وفي العهد الذي تسلط فيه الحمدانيون على شمالي سورية، والفاطميون على جنوبها، زها في فلسطين عالم مبدع، من خيرة علماء الجغرافية، هو المقدسي (المقدسي ٩٤٦ — حوالي ١٠٠٠)؛ ولد في بيت المقدس في العهد الاخشيدي، وعندما بلغ العشرين من العمر بدأ يقوم باسفار حملته الى جميع اقطار العالم الاسلامي، باستثناء اسبانيا والهند وسجستان. وفي سنة ٩٨٥ اخذ يدون ما تجمع لديه في هذه الاسفار في كتاب سماه: احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم^٦. وقد

(١) نشره فردريك ديتريشي في: *Die Philosophie der Araber im IX. und X Jahr-hundert n. Chr.*, vol. XIV (Leyden, 1890), pp. 66-83.

(٢) نشر في القاهرة: ١٣٢٣؛ ونشره ديتريشي في *Philosophie der Araber*, vol. XVI (Leyden, 1900)؛ وترجمه بعنوان *Der Muster staat von Al-Fārābī* (Leyden, 1895).

(٣) (حيدر اباد، ١٣٤٦).

(٤) نشر لاند (J. P. N. Land) مختارات منه في *Actes du Sixième Congrès international des orientalistes*, pt. 2, sec. I (Leyden, 1885), pp. 100-168.

(٥) ابن خلكان، ج ٢، ص ٥٠١.

(٦) نشره دي غويه (ليدن، ١٨٧٧).

ذكر في المقدمة ، انه اعتمد في تأليفه على ملاحظاته الخاصة ، واختباره الشخصي ، اكثر منه على الكتب المدونة . ويتجلى في الكتاب ميل المؤلف نحو الشيعة ، واشاره للفاطميين . وكان الشيعة في عصره يمثلون الجانب الفكري التقدمي في الاسلام .

وبفضل مؤلفات المقدسي وزملائه من علماء الجغرافية ، بمن سلكوا سبيل الشهرة في هذا العصر ، بلغت معارفنا عن الاحوال الاقتصادية والاجتماعية في سورية ، في القرن العاشر ، مستوى لم يسبق له نظير ؛ اذ لم يخلف لنا اي عالم جغرافي - لاتينياً كان او يونانياً او سامياً - من المادة الجغرافية ، ما يعادل المادة العربية ، ان من حيث الكمية ، او من حيث النوع . فالمقدسي يستعرض احوال التجارة والزراعة والصناعة والتربية العامة ؛ ويتحدث عن امور اخرى كثيرة ، منها وجود الحديد الخام في «جبال بيروت»^١ ، وكثرة الاحراج وانتشار النساك في لبنان^٢ ، ومنتجات السكر والزجاج في صور ، ومصنوعات الجبن والقطن في القدس ، ومحاصيل الجبوب والعسل في عمان^٣ . ويصف سورية بانها اقليم مبارك ، بلد الرخص والفواكه والصالحين^٤ . ويشير ابن الفقيه^٥ ، المعاصر الفارسي للمقدسي ، بصورة خاصة الى النساك والاحراج في لبنان ، ويوجّه التفاتة خاصة الى تفاحه . ويعني جغرافي فارسي آخر ، هو ابن خرداذبه (ت حوالي ٩١٢) ، باحصاء اقاليم سورية ، ووصف الطرق ، وتعيين المسافات بين المدن^٦ ؛ ويذكر ان عرقة وطرابلس وبيروت ، وسواها من المدن الساحلية والداخلية ، كانت لا تزال منيعة الحصون . وعلى الجملة ، فان الفكرة العامة التي تعلق في ذهن من مطالعة هذه المؤلفات ، وسواها من المصادر المعاصرة ، عن مستوى المعيشة ، تدعو الى عظيم الارتياح . فقد كان الناس ، في ما بدا لهؤلاء المؤلفين ، يعيشون حياة سعيدة ونافعة . ولا

(١) ص ١٨٤ ؛ الادريسي ، تزهة المشتاق ؛ ذكر الشام ، نشر غلامبايستر (يون ، ١٨٨٥) ، ص ١٦ . راجع الجزء الاول ص ٣٦ ، ٣٠٣ - ٣٠٥ ، والفصل السابع والاربعين ، عن «تيمور» .

(٢) ص ١٨٨ .

(٣) ص ١٨٠ .

(٤) ص ١٧٩ .

(٥) ص ١١٢ ، ١١٧ .

(٦) ص ٧٤ وما بعد ، و ٩٥ وما بعد .

يبدو ان النصارى واليهود كانوا اسوأ حالاً في عهد الدولتين السورية والمصرية، بما كانوا عليه في زمن خضوعهم للعباسيين. فان معظم الكتبة في سورية - ان لم نقل جميعهم - والعدد الاكبر من الاطباء، كانوا بعد من النصارى^١. وفي سنة ٩٩٢ تعرضت سورية لزلزال. لم ينزل فيها من الحراب ما اتزل الزلزال الذي اجتاحتها سنة ٦٠/٨٥٩؛ فان هذا الزلزال كاد يحو اللاذقية وجبله من الوجود؛ وقد هدم في انطاكية وحدها ١٥ الف بيت^٢. وكانت سورية في القرن السابق قد تعرضت لزلزالين، على الاقل، وقع احدهما سنة ٧٣٨، والآخر ٧٤٦.

طلائع العصور المظلمة

وكانت في هذه الاثناء غيوم دكناء تتلبد على الافق، وتندثر بمستقبل قريب حافل بالمكاره. ذلك ان جيوشاً فاطمية مؤلفة من مقاتلين مصريين وبرابرة، اخذت، بعد منتصف القرن العاشر، في شن الغارات من الجنوب؛ وكذلك فان متعصي القرامطة من عشائر العراق وفارس، عاودوا اجتياح البلاد من الشمال الشرقي. ثم لم يلبث السلاجقة، وسوامهم من قبائل الاتراك المتمردين، ان انحدروا من الشمال. فبدأت بذلك عصور الظلمة في تاريخ سورية، وغدت البلاد على شفير القوضى، وجرى النهب والحريق والفتك في اثر الغزاة الغائرين. واذا بكبريات المدن، نظير حلب ودمشق والقدس، كالكرة تتقاذفها الايادي الغريبة. وفي اواخر القرن الحادي عشر، كان اقوام من الفرنج، وفئات اخرى من الصليبيين، ينحدرون من الشمال الغربي الى الجنوب. وعقب امارات الممالك بحكمهم - بل بسوء حكمهم - الذي يتحدى الوصف، سلطة الاتراك العثمانيين. وعندها خيم على البلاد ظلام لم ينقشع عنها حتى اواسط القرن التاسع عشر.

(١) القيسي، ص ١٨٣، ص ٤٤، ٧ - ٨.

(٢) الطبري، ج ٣، ص ١٤٣٩ - ٤٠.

الفصل الرابع والأربعون مابين السلاجقة والفاطميين

لم تكن كبريات الدول، التي نشأت على اثر تجزؤ الخلافة العباسية، هي التي بسطنا شأنها في الفصول السابقة، بل هي التي نحن في صدد معالجتها الآن. أي: دولة السلاجقة، وخلافة الفاطميين. فقد اقتسمت هاتان الدولتان البلاد السورية فيما بينهما، فاستولى السلاجقة على شماليها، وسيطر الفاطميون على جنوبيها؛ وكان الأولون من الترك، وانتسب الآخرون الى العرب.

طغرل بك في بغداد

كان مؤسس السلالة السلجوقية زعيماً من زعماء التركمان، هو امير قبيلة الغز في تركستان. وكان قد تمكن، بمساعدة عشيرته البدوية الجافية، من اجتياح منطقة بخارى^١، حيث تم، في ما يظهر، اعتناقهم للاسلام. ثم استأنف حفيده طغرل هذه الفتوحات غرباً، عبر فارس، حتى وقف سنة ١٠٥٥. في جمع من رجاله، على ابواب بغداد نفسها. ولم يكن امام الخليفة القائم، لفرط عجزه، الا طريق واحد يسلكه هو ان يستبدل سيداً بآخر - ففارق الفرس الشيعة، ليستقبل سلاجقة الاتراك السنيين^٢. وقد ميز الحاكم السلجوقي الجديد نفسه بلقب «سلطان»، وهو اول حاكم مسلم نقش على نقوده هذا اللقب؛ ثم جرى من تلاه في الحكم على مثل ذلك، حتى غدا عرفاً جارياً فيهم. وفي غمرة الانتصارات التي احرزها طغرل، عمد الى ترحيل جموع من الاتراك والسلاجقة وسواهم الى غربي آسيا، فانتشروا في انحاء هذا الاقليم واخذوا في الاستعرا ب واعتناق الاسلام تباعاً.

وفي عهد ابن اخيه وخلفه الب ارسلان (١٠٦٣ - ٧٢). وعهد ملكشاه ابن الب ارسلان (١٠٧٢ - ٧٩)، بلغ سلطان السلاجقة اوسع مداه، بتمدداً من

(١) ابن الاثير، ج ٩، ص ٣٢١ - ٢٢.

(٢) ابن خلكان، ج ١، ص ١٠٧ - ١٠٨؛ ابن قري بردي، نشر بوير، ج ٢، ص ٢ قسم ٢ ص ٢٢٥.

حدود افغانستان الى تخوم امبراطورية الروم في آسية الصغرى . وفي سنة ١٠٧٠ اغار الب ارسلان بجيوشه على الدولة المرداسية في شمالي سورية، واحتل مدينة حلب، واستتبّع حاكمها المرداسي^١. واقتحم اتسيز، قائد جيوش الب - وهو تركماني من خوارزم - فلسطين، وانتزع من يد الفاطميين رام الله والقدس وسواهما من المدن، حتى عسقلان جنوباً، وصمدت في وجهه حامية عسقلان الفاطمية^٢. وفي سنة ١٠٧٦ دخل دمشق، وضيق على اهلها، وانتهب اموالهم. ثم غاد تتش ابن الب ارسلان فاتحها ثانية بعد سنتين، وقتل اتسيز^٣. وفي سنة ١٠٧١ احرز الب ارسلان انتصاراً حاسماً على البيزنطيين في ملازكرت، شمالي بحيرة فان، ووقع الامبراطور نفسه اسيراً في يده، واذا ذاك غدت آسية الصغرى برمتها مكشوفة امام الاتراك، فتدفقت قبائل السلاجقة الرّحل على اناطوليا وشمالي سورية، واندفع قادة الترك حتى هلسبونت. وهكذا وبضربة واحدة دفعت الحدود التقليدية، التي طالما فصلت بين الاسلام والمسيحية، اربع مئة ميل الى الغرب. ولاول مرة استطاع الاتراك ان يحرزوا موطئ قدم في تلك الاصقاع وما زال في يدهم حتى اليوم.

على ان سلطنة السلاجقة الواسعة لم تلبث ان تجزأت، وحكم اجزائها من السلالة السلجوقية. فاستولى على آسية الصغرى (بلاد الروم) سليمان ابن عم الب ارسلان؛ وكان سنة ١٠٧٧. قد ثبت قدميه في نيقيا (ازنيق)، غير بعيد عن القسطنطينية. وفي سنة ١٠٨٤ نقلت العاصمة الى قونيا في الجهة الجنوبية الشرقية؛ وفي العام نفسه استرجع السلاجقة مدينة انطاكية من الروم، وردّوها الى الاسلام؛ اذ لم يكن في احتلال آسية الصغرى امن ولا استقرار ما دام الروم مرابطين من وراء ظهورهم. وكان قلع ارسلان، احد ابناء سليمان، اول من اصطدم بطلائع الحملات الصليبية (١٠٩٦)، وذلك لدى مرورهم في آسية الصغرى، في طريقهم الى

(١) ابن الاثير؛ ج ١٠، ص ٤٣-٤٤؛ انظر الفقرة عن المرداسيين في ما يلي من هذا الفصل؛ وكذلك، Claude Cahen in *Byzantium*, vol. XVIII (1948), pp. 25-90.

(٢) ابن عساكر؛ ج ٢، ص ٣٣٩؛ ابن خلدون، ج ٥، ص ١٤٥ - ٤٦.

(٣) ابن خلكان، ج ١، ص ١٦٨.

(٤) راجع الفصل السابق ص ١٩٣ - ١٩٥.

سورية^١. وكان من بين الدول التركية العديدة التي عقت سلاجقة الروم حوالي سنة ١٣٠٠، دولة العثمانيين، وهم تاريخياً فرع آخر من الفرز^٢.

سلاجقة سورية

اسس دولة سلاجقة سورية تنش بن الب ارسلان. ففي سنة ١٠٩٤ استولى على مدينة حلب^٣، وكانت لا تزال أهم مدن سورية الشمالية، فكانت جديرة بان تغدو قاعدة لهذه الولاية. لكن تنش سقط في احدى المعارك في السنة التالية، فحكم مكانه في حلب ابنه رضوان (١٠٩٥-١١١٣)، وتولى الحكم في دمشق ابنه الآخر دقاق^٤. على ان الخلاف لم يلبث ان نشب في الاسرة بين الاميرين الاخوين^٥، بحيث اضطر دقاق، بعد سنتين من الزمان، الى الاقرار لاختيه بالسيادة العليا. وكان صهر لتنش يتولى اقطاع القدس، فأجبر سنة ١٠٩٨، على التخلي عنه للفاطمين. وعندما بلغ الصليبيون الاراضي المقدسة، كانت خاضعة لسلطة الفاطمين. وكان رضوان موالياً للحشاشين من الاسماعيلية، وكانت أكثر الحليين، على ما يبدو، شيعيين واسماعيلية^٦، فكان اهل السنة والحالة هذه يمتقونهم. وقد بقي رضوان نحرأ من شهر يدعو للخليفة الفاطمي وللملة الاسماعيلية في صلاة الجمعة، لكنه عاد بعده الى الدعاء للخليفة العباسي؛ وكان من جملة القواد الذين اشتبكوا بالصليبيين في معارك عديدة في شمالي سورية. وقد تمكن من صد حملات الفرنجة عن حلب، ومن الاحتفاظ بها في قبضة يده. لكن محاولاته لفك الحصار الذي ضربه على انطاكية سنة ١٠٩٨ باءت بالفشل^٧.

(١) انظر الفصل التالي - الحملة الصليبية الاولى.

(٢) انظر الفصل الثامن والاربعين - الدولة العثمانية.

(٣) ابن الاثير، ج ١٠، ص ١٥٧ - ٥٨.

(٤) ابن خلكان، ج ١، ص ١٦٨.

(٥) ابن القلانسي، ص ١٣٠ - ٣٢؛ ابن الاثير، ج ١٠، ص ١٦٨؛ ابن خلدون، ج ٥، ص ١٤٨.

(٦) ابن الاثير، ج ١٠، ص ٣٤٩؛ ابن القلانسي، ص ١٤٢؛ ابن خلدون، ج ٥، ص ١٥٣ - ٥٤.

(٧) انظر الفصل التالي الفقرة عن انطاكية.

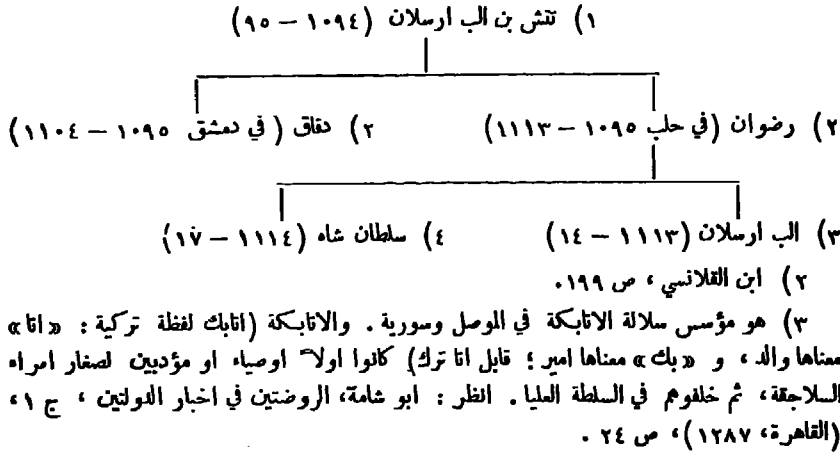
وخلف رضوان على حلب سنة ١١١٣ ابنه الب ارسلان ، وكان فتي في السادسة عشرة من عمره ، فاجراً ضعيف المدارك ؛ فاغتاله الرصي عليه في حلب بعد فترة قصيرة من بدء ولايته^١ . وحكم اخ له اسمه سلطان شاه ، وهو تحت الوصاية ، ثلاث سنوات . وفي سنة ١١١٧ استولى على حلب قائد تركاني من قادة الجيش الملبوقى ، هو ايل غازي بن ارطقى^٢ ، واتخذ مدينة ماردين قاعدة لهذا الفرع الناشئ من السلالة الارطقية . وكان ايل غازي هذا من اشد خصوم الصليبيين .

الانابكة

وفي سنة ١١٢٨ استولى على حلب محارب تركي آخر هو عماد الدين زنكي من الموصل . وكان ابوه في اول امره عبداً . في خدمة ملكشاه ، ثم صار ضابطاً صغيراً في جيش تتش^٣ . وفي السنة التالية ألحقت حماه وحمص وبعلي بك بسلطة زنكي وكان زنكي البطل المقاوم للصليبيين ؛ تمكن سنة ١١٤٤ من انتزاع الرها من يدهم^٤ : واستهل سلسلة

(١) ابن القلانسي ، ص ١٨٩ ، ١٩٨ ؛ كمال الدين ، منتخبات من تاريخ حلب في *Recueil des historiens des Croisades : historiens orientaux*, vol. iii (Paris, 1884), pp. 602-3, 605-6.

وهذا شكل شجري لسلاجقة سورية (١٠٩٤-١١١٧) :



(٤) كمال الدين في : *Recueil*, vol. iii, pp. 703 seq . وابن الاثير ، «تاريخ الدولة الانابكية» في : *Recueil*, vol. ii pt. 2 pp. 10 seq . كمال الدين في : *Recueil*, vol. iii, pp. 685-6 . ابن الاثير في *Recueil*, vol. ii, Pt. 2, pp. 118-9 : ابن خلكان ج ١ ، ص ٣٤٤ ؛ التهي ج ٢ ، ص ٣٨ ، ٤٠ ؛ ابو شامة ج ١ ، ص ٣٣ - ٣٤ ، ٣٦ - ٣٧ .

من الانتصارات عليهم، استأنفها من بعده ابنه نور الدين، وبعده خلفه صلاح الدين^١. وهو الذي بنى مدينة الموصل المعروفة في العصر الوسيط. وكان من أتباعه الأتراك طغتكين^٢، وكان مولى لتتش مكلفاً بتأديب ابنه دقاق. وقد جرى على سيرة سواء من الأوصياء، فعمد إلى اغتصاب السلطة، ثم أقرت سلطته على دمشق بعيد وفاة سيده القاصر، وكان قد تزوج من أمه^٣. وفي سنة ١١١٦ عين كبير سلاطين السلاجقة في بغداد طغتكين حاكماً على سورية، وأولاه حق فرض الضرائب وتجنيد الرجال. وقد حالف طغتكين إيل غازي فاشتركا في القتال ضد الفرنجة^٤. وكان كلاهما من المسرفين في شرب الخمر! وربما بقي إيل غازي أحياناً «عشرين يوماً» تحت تأثير الكحول في سكرة واحدة. وذات يوم أرسل إيل غازي إلى زميله باسير من الفرنجة، هو سيد صهيون، على أمل أن يفزعه فيجمله على تأدية فدية أكبر. لكن، لم يكن من طغتكين، الذي كان قد أكثر من الشرب في خيمته، إلا أن استل سيفه وأطاح به رأس السيد المشؤوم. وقد علل تصرفه هذا، في ما بعد، بأنه اعتقد أنه أشد ما يمكن للأسير^٥. وفي سنة ١١١٢ استنجدت صور، وهي بيد الفاطميين، من الصليبيين بطغتكين، لكن النجدة التي أرسل إليهم بها كانت مدداً مؤقتاً. فاستطاع الصليبيون احتلال هذا الثغر سنة ١١٢٤^٦.

(١) انظر الفصل التالي: بحث «صلاح الدين».

(٢) لفظ تركي معناه «الصقر المفير». وكان لقبه التكريمي ظهير الدين. وقد اتخذ معظم هؤلاء القادة القاباً عربية فخمة: فاختار إيل غازي (أي بطل قومه) لقب نجم الدين، وتتنس، تاج الدولة؛ ورضوان، فخر الملوك.

(٣) ابن القلانسي، ص ١٩٠؛ ابن خلكان، ج ١، ص ١٦٩؛ ابن خلدون، ج ٥، ص ١٥٥؛ ابن تقي بريدي، ج ٢، قسم ٢، ص ٣٨٨.

(٤) كمال الدين في *Recueil*, vol. iii, pp. 620 seq.

(٥) أسامة، ص ١١٩ - ٢٠.

(٦) ابن تقي بريدي، ج ٢، قسم ٢، ص ٣٣٦ - ٣٧.

ان السلالة التي بدأها طفتكين عرفت بعدئذ باسم ابنه وخلفه بوري^١. ثم قام بعدها اتابكة زنكي سنة ١١٥٤، وسيأتي الكلام عن مآثرهم في ما بعد^٢.

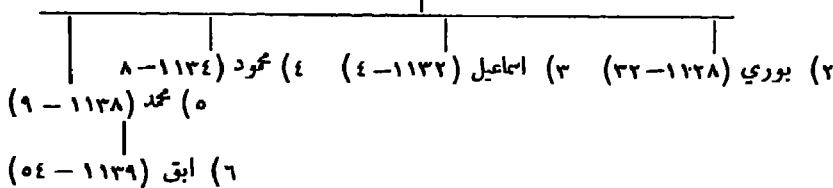
قيام الفاطمين

كان قيام الخلافة الفاطمية، نظير العباسية^٣، وثيق الصلة بسورية. ذلك لان بلدة سَلَمِيَّة^٤ الحاملة المنعزلة، الواقعة الى الجنوب الشرقي من حماة، كانت قد غدت في أواخر القرن التاسع، مقراً لزعم الحشاشين من الاسماعيليه، ومركزاً لنشاطهم. وكان هذا الزعيم يدعى محمداً الحبيب. وكان في ظن اتباعه انه ابن حفيد الامام اسماعيل بن جعفر الصادق، وهذا بدوره سليل علي وفاطمة عن طريق الحسين^٥. وكان الحبيب اميناً لاساليب الاسماعيليه، فعهد من ثم الى بث العملاء سرّاً في انحاء العالم الاسلامي، ليعملوا على تقويض سلطة اهل السنة، واعادة اسلام الشيعة الصحيح الى نصابه. وكانت هذه الدعاية، بعد الدعاية العباسية^٦، اعظم وافعل جهازاً للدعاية في تاريخ الاسلام السياسي.

ذلك ان داعياً مقتدراً من دعائه اسمه ابو عبد الله الحسين الشيعي، من اهل اليمن، التقى في مكة بعدد من الحجاج البرابرة المنتسبين الى قبيلة قطامة في شمالي افريقية، وحلهم على اعتناق ملته. وفي سنة ٨٩٣ رافقهم الى تونس، حيث بذل

(١) شكل شجري لاتابكة دمشق (١١٠٤ - ٥٤)

(١) طفتكين (١١٠٤ - ٢٨)



(٢) الفصل التالي، الفقرة عن نور الدين.

(٣) راجع ص ١٥١ - ١٥٢ من هذا الجزء.

(٤) سلمية بالتخفيف اصح من التشديد سلمية؛ تحريف عن الاصل اليوناني (سلياس)؛ قابل: Canard, p. 235; Dussaud, Topographie, pp. 201, 244, 252.

(٥) راجع شجرة النسب الفاطمي في هامش ص ١٥١ من هذا الجزء.

(٦) راجع ص ١٥١ - ١٥٢ من هذا الجزء.

كل ما أوتي من دهاء، حتى جعل من نفسه زعيماً مرموقاً. ثم اخذ في كفاح شديد متواصل من اجل ان يزيل حكم الاغالبية الذي كان قد توثق في مدى قرن من الزمان. وعندما وثق من الظفر، دعا اليه زعيم ملته من سلمية، وهو آنذاك عبيد الله بن محمد الحبيب. لكن امر عبيد الله هذا افتضح في سجنه فاعتقله حاكم الاغالبية (٩٠٥) واودعه السجن. على ان داعيه الحسين الشيعي تمكن سنة ٩٠٩ من خلع حاكم الاغالبية؛ وعندما اطلق سراح عبيد الله، واقامه في الرقة سيداً على المنطقة^١. ثم اعلن عبيد الله عن نفسه انه المهدي المنتظر، وبذلك نشأت سلالة خلافة جديدة هي السلالة الفاطمية، وتعرف ايضاً بالعلوية والعبيدية. ولم تكن هذه السلالة بالسلالة الحاملة؛ فقد كان ظهورها بمثابة تحدٍ لمدير الزعامة العباسية الراهنة في الاسلام. واتسعت سلطتها في اوج عزها حتى ضمت شمالي افريقية وغربي الجزيرة العربية، والبلاد السورية. وقد كانت الخلافة الشيعية الكبرى الوحيدة، وآخر ما ظهر من خلافات الاسلام في العصر الوسيط.

ولقد حجب التاريخ نسب عبيد الله بحجاب من الابهام الشديد. والمظنون انه ولد في سلمية، غير بعيد عن حمص - وهي التي انجبت للعرش الروماني بعض من تولاه^٢ - وكذلك ابنه وخلفه^٣. ويشير المحققون الى ان سلسلة نسبه الشريف جاءت في المدونات على صور عديدة، فهي والحالة هذه غير حرة بالثقة؛ بل ان البعض يغالي في التخمين حتى ليقول بان المهدي الحقيقي قتل في سجن سجنه، وان «عبيد الله» الذي خرج من السجن لم يكن الا يهودياً تقمص شخصية الزعيم المنشود، ولعب دور المهدي المنتظر. ويؤكد آخرون ان عبيد الله هذا لم يكن علويّاً، حتى ولا عربياً؛ بل كان بواقع الامر سليل الزعيم الفارسي عبد الله ابن ميمون القداح، المؤسس الثاني بعد اسماعيل للفرقة الاسماعيلية؛ وكانت مبادئ هذه الفرقة قد غدت في هذا الزمن مزيجاً غريباً من الافكار الشيعية المتطرفة، والتأملات

(١) القرطبي، ج ٢، ص ١٠-١١؛ ابن خلدون، ج ٤، ص ٣١ وما بعد.

(٢) راجع الجزء الاول ص ٣٧٧.

(٣) ابن حنبل، اخبار ملوك بني عبيد، نشر فخر هيدن، الجزائر (١٩٢٧)، ص ٦، ١٨؛ ابن خلكان، ج ١، ص ٤٨٨.

(٤) ابن خلكان، ج ١، ص ٤٨٧؛ ابن تغري بردي، ج ٢، قسم ٢، ص ١١٢.

الصوفية الفارسية ، والاصول السريانية الغنوسطية والمبادئ العقلية البرهانية . وفيما يبطل المؤرخون المشايخون للعباسيين شرعية الدعوة الفاطمية ، يؤيدها جماعة من العلماء الحديثين في أوروبا ، ويوافقون على صحة النسب السلني^١ .

اتساع ممتلكاتهم

لقد أسس عبيد الله (٩٠٩ - ٣٤) عاصمة جديدة الى الجنوب الشرقي من مدينة القيروان دعاها باسم منسوب الى لقبه هو : « المهدي » . وانتقل خلفه الثالث المعز (٩٥٢ - ٧٥) الى مصر سنة ٩٧٣ ، حيث كان قائده المظفر جوهر قد أسس عاصمة جديدة هي مدينة القاهرة - تلك المدينة التي قدّر لها ان تصير اشهر مدن القارة الافريقية على الاطلاق . ثم بنى فيها المسجد الجامعي المعروف بالازهر ، وهو اقدم المؤسسات الباقية للتعليم العالي ، ومن اوسع المؤسسات التعليمية في العالم حتى الوقت الحاضر . كان جوهر هذا في الاصل عبداً نصرانياً ، والراجح انه من اهل صقلية اشتراه سيد مسلم في مدينة القيروان . فارتفع من هذا الاصل الوضع الى اوج شاق غدا فيه منشيئ امبراطورية عظيمة^٢ . وجوهر هو الذي طرد الاخشيديين سنة ٩٦٩ من مصر وسورية^٣ .

وكان لجوهر في سورية خصوم كثيرون لم يربداً من قتالهم . منهم القرامطة يتزعمهم الحسن ابن احمد الاعصم . وكان يعتمد على مساعدة العباسيين وتأييدهم . وقد لاح الفوز اولاً في جانب الاعصم . فاحتل دمشق ، وحمل الفاطميين على الانسحاب من البلاد برمتها ، واقدم على اللحاق بهم حتى عاصمتهم القاهرة^٤ . ومنهم الروم ، وهم آنذاك يتحينون الفرص لتجديد حملاتهم على الاراضي التي كانت في حوزتهم . ومنهم كذلك الاتراك ، اذ لم يكونوا غافلين عما يجري حولهم . فان احد قوادهم المدعو افتكين استولى على دمشق ، وبدأ يشن الغارات منها على جميع

(١) انظر : P. H. Mamour, *Polemics on the Origin of the Fatimi Caliphs* (London, 1934), pp. 16 seq., 43 seq., 124 seq.; W. Ivanow, *Ismaili Tradition concerning the rise of Fatimids* (Oxford, 1942), pp. XVII-XIX, p. 127 seq. (Eng.); cf. Lewis, p. 22.

(٢) ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٢٠٩ - ١٣ ؛ القريري ، ج ١ ، ص ٣٥٢ ، ٣٧٧ وما بعد .

(٣) راجع ص ١٩٢ من هذا الجزء .

(٤) ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٥٠ - ٥١ .

انحاء البلاد. وكان من الطبيعي ان يتعاون الاتراك والقرامطة ضد العدو المشترك في سنة ٩٧٧ تولى الخليفة الفاطمي الثاني العزيز قيادة الجيش بنفسه، وانزل بجيوش المتحالفين هزيمة نكراء خارج الرملة^١. وقد وسع العزيز ملكه في سورية، لاسيما في المنطقة الساحلية، لكنه اخفق في احتلال حلب لاسباب اهمها تدخل الروم^٢. وقد بلغت الخلافة الفاطمية في عهده اوسع مداها، وخضعت لسلطته البلاد من المحيط الاطلسي الى البحر الاحمر، وعنت له كذلك الحجاز واليمن وسورية، بل والموصل^٣. وقد استخدم حمام الزجل لاقامة مواصلات سريعة مع الاقليم السوري، وعمد مرة الى استخدام ١٢٠ حمامة لنقل الخوخ من دمشق الى قصره في القاهرة، فتم ذلك في غضون ثلاثة ايام او اربعة. وقد كانت جاريته الاثيرة امرأة نصرانية عين احد اخويها رئيس اساقفة في القاهرة، والآخر في القدس. وكان وزيره نصرانياً ايضاً هو عيسى بن نسطوروس، وقد اتاب عنه في سورية رجلاً يهودياً اسمه منشأ (منسّه) ابن ابراهيم. فاتهم كل منهم انه كان يراعي مصالح ابناء ملته. وفيما كان الخليفة يوماً يجري على بغل سريع، القت امرأة في طريقه لوحة كتب عليها: «بالذي اعز اليهود منشأ، والنصارى بابن نسطور، واذل المسلمين بك، الا نظرت في امري»^٤.

وضع سورية القلق

كان حكم الفاطميين في سورية قلقاً مضطرباً. وذلك لانه لم يكن القرامطة والسلاجقة والتوك والروم وحدهم قد تنازعوا عليها، بل لان المواطنين احياناً

(١) ابن القلانسي، ص ١٨-١٩؛ ابن خلدون، ج ٤، ص ٥٢.

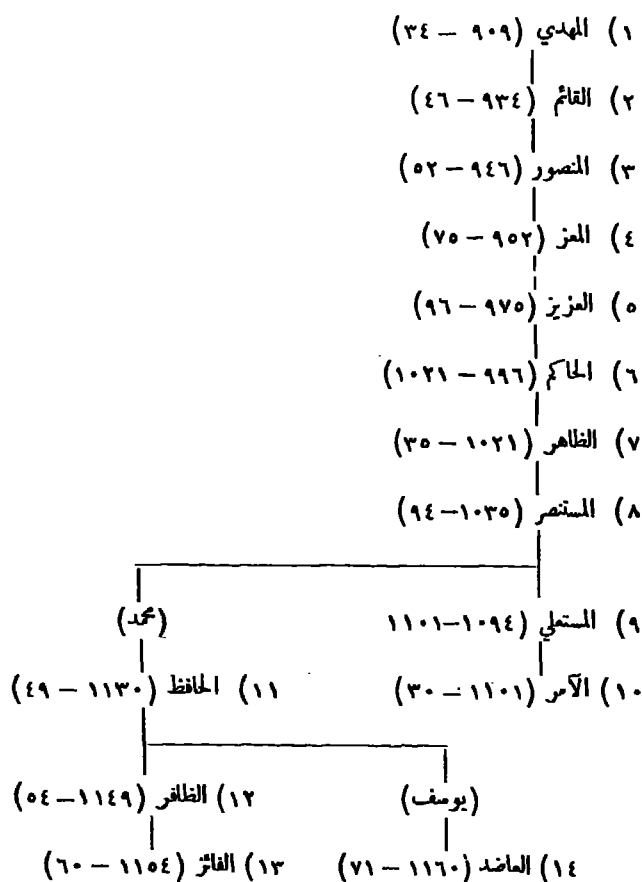
(٢) ابن القلانسي، ص ٢٩.

(٣) ابن تغري بردي، ج ٢، قسم ٢، ص ١٠؛ ابن خلكان، ج ٣، ص ٥٤.

(٤) قابل: ابن القلانسي، ص ٣٣؛ ابن تغري بردي، ج ٢، ق ٢، ص ٤؛ السيوطي، ج ٢، ص ١٤؛ ابو الفداء، ج ٢، ص ١٣٨.

واهل البادية قد اشتركوا في ذلك. فني العام الثاني لخلافة الحاكم (٩٩٦ - ١٠٢١)^١ بلغت الجراءة من ملاح من اهل صور، اسمه علاقة، ان يضرب النقود باسمه، ويعلن استقلال مدينته. وقد صمد في وجه الجيش الفاطمي الى حين، واستعان بعمارة من اسطول الروم للوقوف في وجه الاسطول الفاطمي؛ لكنه اضطر اخيراً الى تسليم المدينة المحاصرة، وتحمل بلاء التنكيل والصلب^٢. ثم حشي جلده بالقش وعرض في القاهرة.

(١) شكل شجري للخلفاء الفاطميين.



(٢) ابن الفلاني، ص ٥٠ - ٥١؛ ابن خلدون ج ٤، ص ٥٦ - ٥٧.

الامراء المرداسيون

ان القوضى التي شاعت في خلافة الحاكم بامرءه قد اغرت اعراب بادية الشام بشن الغارات على سورية ففي سنة ١٠٢٣ تمكن صالح بن مرداس، زعيم بني كلاب من انتزاع عاصمة سورية الشمالية من يد الفاطميين . واستطاعت السلالة المرداسية ان تحتفظ بمدينة حلب، بين شدة ورخاء، اكثر من خمسين سنة (١٠٢٣ - ٧٩) ، عمدوا في غضون ذلك الى محالفة بني كلب وبني طيء؛ فحاصر الكليبيون دمشق (١٠٢٥) واضرم الطائيون النار في الرملة (١٠٢٤). اما اللصوصية وقطع الطرق وحركات التمرد، التي بدأت بقيام القرامطة ، فقد استمرت واسعة الاثر في طول البلاد وعرضها . لكن مدينة حلب نفسها ، على ما يبدو، حافظت على ظاهرة الازدهار. فناصري خسرو^١ الرحالة الاسماعيلي الفارسي الذي قصد حلب سنة ١٠٤٧ ، يذكر ان تجاراً من العراق ومصر وآسيا الصغرى كانوا فيها ، ويتحدث عن المكوس التي كان المرداسيون يتقاضونها عن البضائع . وهناك رسالة ارسل بها طبيب نصراني من اهل بغداد - اسمه ابن بطلان - الى صديق له على امر زيارته للمدينة المذكورة في تلك الاثناء ، تعطي فكرة عامة عن المدينة في عهد السلطة المرداسية : فالمدينة كانت محاطة بسور مبني بالحجر الابيض ، فيه ستة ابواب . وقد قامت قلعتها القديمة الى جانب السور ، وازدانت قمة الرابية بكنيستين ومسجد . وكان في المدينة ست كنائس اخرى ومسجد جامع (بما يشير الى ان جانباً كبيراً من سكانها كانوا من النصارى). وكان هنالك ايضاً مستشفى صغير . وكان اهل المدينة يستقون من احواض تجمع فيها مياه المطر . وكان في بناء واحد من مباني السوق عشرون تاجراً من تجار الالبسة ، كانوا لعشرين سنة يجرون اعمالاً تجارية تقدر بعشرين الف دينار في اليوم الواحد^٢.

المعري - الشاء الفيلسوف الضريف

ان روح العصر ، بكل ما عراه من فوضى سياسية وتفسخ اجتماعي وتشاؤم

(١) سفرنامه، نشر شارل شفر (باريس، ١٨٨١)، ص ١٠ .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ - ٨ .

فكري وتشكك ديني ، قد انعكس بجلاء في شعر شاعر من ابناء سورية الشمالية هو ابو العلاء المعري (٩٧٣ - ١٠٥٧). اما مسقط رأسه فظاهر من اسمه ، وهو معرة النعمان ؛ واما نسب قومه فيعود الى قبيلة تنوخ من عرب اليمن . وعندما بلغ الرابعة من عمره اصابه جدري ذهب باحدى عينيه ، ثم ذهب بعد حين بالعين الاخرى . فزادت هذه النكبة المشؤومة في نقمته على الحياة . ولقد حصل الناشئ الكفيف ما استطاع تحصيله من العلوم في حلب ؛ ثم قصد الى بغداد مرتين^١ . واذ كان فيها في رحلته الثانية ، جرت له احاديث . مع جماعة من المفكرين ، ومنع شيوخ المعتزلة وبعض الفلاسفة المتأثرين بالمذاهب اليونانية . والتحق بملقة ادبية انشأها احد المفكرين الاحرار . لكنه اضطر الى ان يعجل بالعودة الى موطنه سنة ١٠١٠ ، بعد ان امضى في بغداد تسعة عشر شهراً ، وذلك بداعي مرض الم بامه ؛ لكنها ماتت قبل وصوله اليها . والراجح انه اتصل وهو في بغداد بمفكرين من الهنود تمكنوا من حمله على مذهبهم في الاقتصار على الاطعمة النباتية .

وقد امضى الباقي من عمره عازباً في مسقط رأسه ، ويقال انه اوصى ان يكتب^٢ على قبره البيت الذي يقول فيه :

هذا جناه ابي علي م وما جنيت على احد^٣

وكان المعري يعيش على دخل ضئيل يكسبه من تعليمه . وعندما احتل المعرة الخليفة الفاطمي المستنصر ، حفيد الحاكم بامر ، قدم لشاعرها كل ما كان في الحزاة من مال ، فرفضه^٤ . وكان شاعرنا يقضي اكثر اوقاته منفرداً ، فلقلب نفسه برهين المحبسين (البيت والعمى) . وقد خرج مرة الى احدى ضواحي المعرة ليتوسط لدى صالح بن مرداس بشأن ستين من وجهاء بلده كان صالح قد اعتقلهم ، فتزل صالح على طلبه واطلق مراحهم في الحال .

والمعري ، بخلاف شعراء عصره ، لم يقف شاعريته على مدح الامراء وارباب النفوذ رغبة في الكسب ؛ وعليه فالقصيدة التي مدح بها سيف الدولة في عهده الباكر

(١) ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٥٩ ، ياقوت ، معجم الادباء ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

(٢) ياقوت ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

(٣) ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٥٩ .

(٤) ياقوت ، ج ١ ، ص ١٧٨ .

لم ينشدها على مسنعه^١. اما شعره المتأخر فيمن عن فلسفة التشاؤم والشك في الحياة، وعن موقفه العقلافي من مشاكلها. وكان من الذين بادلهم الرسائل داعي دعاة الاسماعيلية. وقد حشد في رسالة الغفران^٢ مشاهير المراطقة واحرار المفكرين بجوار اللجنة. يرفهون عن انفسهم، ويخوضون في مناقشات نقدية تتناول الشعر. وهذه الرسالة، في ظن البعض، هي التي حفزت دائتي على وضع رائعتي المعروفة بالكوميديا الالهية^٣. وتشتمل لزوميات المعري على قصائد هي من اشهر شعره. وقد اشتملت بعضها على معاني^٤ احرز بها شاعر المعرة السابق على زميله عمر الحيام. وحاول ابو العلاء في كتاب الفصول والغايات^٥ ان يقلد القرآن، بما عده المسلمون خرقاً فاضحاً لحرمه الدين. اما الطابع الفلسفي الغالب على هذا الديوان فطابع ابيقوري في الاساس. وفي الابيات التالية ما يشهد على انحرافه هذا؛ قال :

ضحكتنا، وكان الضحك منا سفاهة وحق لابناء البسيطة ان يبكوا
يحطمنا ريب الزمان كأننا زجاج، ولكن لا يعادله سبك^٦
جاءت احاديث، ان صحت فان لها شأنًا، ولكن فيها ضعف اسناد
فاشاور العقل واترك غيره هدرًا، فالعقل خير مشير ضمّه النادي^٧
هفت الحنيفة والنصاري ما اهدت ويهود حارت والمجوس مضله
اثنان اهل الارض: ذو عقل بلا دين، وآخر دين لا عقل له^٨
وكان المعري واحداً من شعراء العرب القليلين الذين تخطوا حدود الزمان

(١) المعري، الديوان: سقط الزند نشر شوكت شقير (بيروت، ١٨٨٤)، ص ٤ وما بعد.

(٢) نشرها كامل كيلاني في مجلدين (القاهرة، ١٩٢٣).

(٣) انظر Miguel Asin, *Islam and the Divine Comedy*; tr. H. Sunderland (London, 1926).

(٤) او لزوم ما لا يلزم، نشرها عزيز زند في مجلدين (القاهرة، ١٨٩١-٩٥)؛ ونقل اقساماً منها

ومن سقط الزند امين ف. ريجاني الى اللغة الانكليزية بعنوان: 'The Quatrains of abu'l-Ala' (London, 1904).

(٥) نشرها محمود ه. زناتي، ج ١ (القاهرة، ١٩٣٨).

(٦) ابو العلاء المعري، رسائل ابى العلاء، نشر مرغوليوث (اكسفورد، ١٨٩٨) ص ١٣١.

(٧) اللزوميات، ج ١، ص ٣٩٤.

(٨) اللزوميات، ج ٢، ص ١٩١.

والمكان، ليرتفعوا الى رحاب الانسانية العالمية . وقد احتفل بمرور الف عام على مولده سنة ١٩٤٤ في بيروت تحت رعاية رئيس الجمهورية اللبنانية وفي دمشق واللاذقية ومعرة النعمان ، تحت رعاية المجمع العلمي العربي في الشام . وساهمت في هذه المهرجانات وفود من سورية ولبنان وشرقي الاردن والعراق ومصر ، واسهم بعض المستشرقين من اوروبا واميركا في كتابة الابحاث المناسبة . وقد وصف المهرجان في دمشق بأنه اعظم احتفال شهدته المدينة في تاريخها الادبي^١ . وبهذه المناسبة عمد اولو الامر الى ترميم مدفنه وحولوه الى مزار عام .

الدروز

نشأت على يد الحاكم بامرہ (٩٩٦-١٠٢١) ملة جديدة في الاسلام هي الطائفة الدرزية . جاءها هذا الاسم من اسم داعٍ تركي من دعاة الباطنية^٢ هو محمد بن اسماعيل الدرزي (الحياط بالفارسية)، وكان اول من جهر بتقديس الخليفة المذكور^٣ . والجدير بالذكر ان المبدأ القاتل بتجسد «مولانا» بصورة انسان، وان الحاكم بامرہ هو اهم مراحل هذا التجسد ومنتهى غايته ، انما هو من التعليم الدرزي في الاساس اما الانبياء فهم - نسبياً - اقل خطراً .

واذ لم يلقَ الدرزي في تعليمه اذنأ صاغية بين المصريين ، رحل الى وادي التيم^٤ عند سفح جبل الشيخ في لبنان . فاستجاب له ابناء ذلك الريف الذين عرفوا بالشجاعة وحب الحرية، اذ كانت بعض الاراء الشيعية المتطرفة قد غشت اوساطهم^٥ . لكنه قتل ههنا سنة ١٠١٩ في بعض المعارك، فخلفه منافسه حمزة بن علي الملقب

(١) المهرجان الالفى لابي الملاء المعري (دمشق، ١٩٤٥ ص ٩) .

(٢) اطلق اهل السنة هذا الاسم على من ذهبوا الى ان القرآن ينبغي ان يفسر تفسيراً مجازياً ، وان الحق انما يوقف عليه باكتشاف المعنى الباطن للنص ، وان الظاهر انما هو حجاب للباطن يراد به اخفاء الحق عن اعين من ليسوا له باهل ؛ وقد كان الاسماعيليه والقرامطة من الفرق الباطنية .

(٣) ابن تغري بردي، ج ٢، ق ٢، ص ٦٩ .

(٤) الاسم مأخوذ من تيم الله (تيم اللات اصلاً) وهو اسم لقبيلة عربية كانت في منطقة الفرات حيث تنصرت ، ثم تحولت الى جنوبي لبنان ؛ الطبري، ج ١، ص ٢٤٨٩ - ٢٩٠ ، ٢٠٣١ .

(٥) ابن تغري بردي، ج ٢، ق ٢، ص ٧٠ .

بالمهدي ، وهو الآخر احد الدعاة الفرس^١. وعندما اغتيل الحاكم بامرء ، انكر المهادي وفاته، واشاع انه تحول الى «غيبه» مؤقتة ، وانه من الواجب ، بالتالي ، تقب «رجعته» المظفرة . وقد كتب بهاء الدين المقتنى (ت يعد ١٠٤٢)، المساعد الاول لحزة في نشر الملة الجديدة ، رسائل دعاوة بلغت حتى الهند والقسطنطينية ، لكنه عمداً بعدئذ الى تدبير جديد هو عدم السماح باقضاء اي جانب من جوانب هذا المذهب في غضون «غيبه» الحاكم بامرء ، وهو تدبير ربما املته رغبة الفئة القليلة في سلامة البقاء . ومنذ ذلك الحين «اقفل الباب» . وحظر على اي كان الدخول الى الملة او الخروج منها . اما فكرة الامام الغائب ، فكان قد قال بها قبل الدروز ، جماعات من غلاة الشيعة في مقدمتهم الاسماعيليه .

وقد جمع بهاء الدين في «الرسالة المسيحية» بين شخصيتي حمزة والمسيح ، وخطب المسيحيين في رسائل اخرى وجهها اليهم «بالقديسين» ، و«بجامع القديسين» راجياً ان يحملهم بذلك على اعتناق تعليمه . وكان يضرب من الامثال ما هو من قبيل الوارد في العهد الجديد من الكتاب المقدس . وفي ذلك ما قد يشير الى سابق صلة له بالتعليم المسيحي^٢.

وقد اقدم حمزة ، بالنيابة عن الحاكم بامرء ، على حل اتباعه من فرائض الاسلام الكبرى ، ومنها الصوم والحج ؛ وسن مكلتها شرائع اوجب بها الصدق في القول ، والعون المتبادل بين ابناء الملة ، ونبتد العقائد الباطلة في جميع اشكالها ، والخضوع التام للارادة الالهية . وقد اصبحت هذه القاعدة الاخيرة ، المشتملة على عقيدة القضاء والقدر ، عاملاً فعلاً في التعليم الدرزي ، كما كانت في مذهب اهل السنة في الاسلام . ومبدأ آخر بما تميزت به هذه الملة هو تناسخ الارواح . وكان هذا المبدأ قد ورد على الاسلام من مصدر هندي ، فاضيفت اليه عناصر اخرى من الفلسفة الافلاطونية . ثم ان المعتزلة وكذلك الباطنية كانت قبل الحاكم بامرء بزم من طويل ، قد اقرت بضرب من تناسخ الارواح لا يزال عليه بعض متصوفة الفرس المعاصرين

(١) ان كتاب ابن حجر العسقلاني ، «رفع الامر عن قضاة مصر» في «الكندي» نشر غوست ، ص ٦١٢ يسميه الروزي (من زوزن في شرقي فارس).

(٢) انظر ، Silvestre de Sacy, *Exposé de la religion des Druzes*, (Paris, 1838), vol. i, p. 83, n. 1.

واعلام البهائية في الوقت الحاضر. اما العمل بالمبدأ الثاني الذي وضعه حمزة، والذي يوجب العون المتبادل، فقد جعل من الدروز جماعة شديدة التماسك مفرطة الانكماش، حتى لتكاد تبدو اقرب الى المنظمة الاخوية الدينية منها الى الملة المذهبية الدينية. والجماعة، مع ذلك، مقسومة الى طبقتين متبايزتين: العقّال والجهّال، وكتبهم المقدسة متاحة لفئة العقّال القليلة العدد لا غير، وجميعها مخطوطة غير مطبوعة. وهم يعقدون اجتماعاتهم مساء كل خميس في خلوات قائمة على التلال خارج القرى.

وعندما حاول الدروز ان يوثقوا امرهم، ويثبتوا اقدمهم في جنوبي لبنان، نشب نزاع بينهم وبين جماعة اخرى هناك، كانت قد انحرفت عن الاسلام، هم النصيرية. وكان من نتيجة هذا النزاع، ان دفع هؤلاء الى شمالي سورية، حيث لا يزال موطنهم حتى اليوم. ولقد كان على الدروز ان يناضلوا غير هؤلاء من المجاورين. بعضهم من الشيعة والبعض من اهل السنة. ثم اخذوا في الانتشار، من موطنهم في جنوبي لبنان، الى منطقة الشوف، الى الشرق من مدينة بيروت، حيث اصابهم الصليبيون، وحيث ما زالوا مزدهرين الى اليوم. على انهم لم يتسنّ لهم الفلاح في مدينة ما. واول ذكر للدروز في المدونات الاوروبية ورد في رحلات بنيامين التودلي^١ (حوالي ١١٦٩)، وهم بعد في وادي التيم. على ان جماعات منهم هاجرت، على اثر المنازعات القبلية الدامية ما بين القيسية واليمينية، في مطلع القرن الثامن عشر، من الشوف الى حوران في سورية^٢. وقد ارتفع معدل هذه الهجرة في القرن التاسع عشر، في اعقاب المضايقات الكثيرة في لبنان. وبلغ عددهم الآن في حوران نحواً من تسعة وثمانين ألفاً، في مقابل تسعة وسبعين ألفاً في لبنان. ولقد اظهروا في جميع مراحل تاريخهم عزيمة حرة بالاعجاب، وكان لهم في الشؤون القومية العامة في لبنان وسورية من النفوذ ما يفوق نسبتهم العددية.

النصيرية

والنصيرية فرع آخر من الفروع الاسماعيلية الباقية. والراجع ان اسمهم متحدر

من محمد بن نصير الكوفي (زها في اواخر القرن التاسع) وهو احد مشايخي الحسن العسكري (ت ٨٧٤)١، الامام الحادي عشر من ائمة العلويين. وقد وردت اقدم اشارة هامة الى ابن نصير واتباعه في بعض اثار حمزة، وغير حمزة من فقهاء الدروز السابقين. على ان آخر مؤسسي هذه الشيعة، على ما في مدوناتهم، هو حسين ابن حمدان الحيصي (ت حوالي ٩٥٧)، وقد كان قبلاً مولى اسماعيلياً من موالي الحمدانيين في حلب٢.

اما المعروف عن مذهبهم فليس بالشيء الكثير: انه مذهب سري الطابع كهنوتي النظام باطني التعليم. ومدوناتهم المقدسة لم يعرف عنها بمقدار ما عرف عن مدونات الدروز. فان الكثير من هذه قد كشف في اعقاب الفتن الاهلية التي نشبت في غضون القرن التاسع عشر. واذا وجدت هذه الملة نفسها جماعة صغيرة خارجة، بين اكثرية معادية، آثرت اللجوء الى العمل في الخفاء؛ وهي الى الآن اللغز الذي لم يحل حللاً كاملاً في الشرق الادنى.

وبعد، فالمعروف من امرهم هو هذا: ان النصيرية، شأن غلاة الشيعة، يؤلهون علياً؛ وهو، في ما يرون، آخر مراحل التجسد الالهي واهمها٣. اما المتأخرون من اتباع هذه الملة فمنهم «التختجية» (الخطابون) في غربي الاناضول، و«القرلباشية» (ذوو الرؤوس الحمراء) في شرقي الاناضول، و«العلي الهية» في فارس وتركستان؛ ولذلك يسنن النصيرية احياناً بالعلويين. وقد اشتهروا بهذا الاسم عندما حول الفرنسيون المنطقة التي تكتنف اللاذقية الى دويلة منفصلة سموها «العلويين». لكنهم سموها في تاريخ الصليبيين «النزري» (Nazarei). ويتمثل مذهب هذه الملة في اراء شيعية متطرفة نابتة في اصل وثني؛ او هو، بتعبير آخر روايب من ملل سورية وثنية مغلفة بغشاء من التعليم الشيعي المنحرف. وينبغي ان يكون اعلامها قد تحولوا من الوثنية الى المذهب الاسماعيلي بصورة

١) راجع ص ٥٥ و ص ١١٩ من هذا الجزء. قابل ابو الفداء، التقويم، ص ٢٣٢، هامش ٣ حيث يذكر ان المؤسس هو نصير احد موالي علي.

٢ انظر L. Massignon in *Actes du XVIII. Congrès international des Orientalistes Leyden, 1931*, p. 212.

٣) الشهرستاني، ص ١٤٣-٤٥.

مباشرة^١، ثم تبنوا بعض الظواهر المسيحية السطحية. فهم مثلاً يحتفلون جماعياً لاداء بعض شعائرهم بما يشبه «القداس»، ويشاركون النصارى في عيد الميلاد^٢ وعيد القيامة، ويستخدمون أسماء انفرد بها النصارى نظير: متى، وجبرائيل، ويوحنا، وهيلانة. أما طبقة الشيوخ التي تقابل «العقال» في نظام الدروز فمنظمة في ثلاث مراتب كهنوتية، وأما سائر الملة فتؤلف طبقة العاميين. والنصيرية يخالفون الدروز في أنهم لا يتبحون للنساء الدخول في طبقة المكرسين. وهم يقيمون اجتماعاتهم ليلاً في أماكن خفية. ولقد اتهموا باتيان بعض المنكرات في مجتمعاتهم الليلية هذه، ونسبوا الى عبادة اشياء غريبة؛ وقد طالما اتهم بمثل ذلك سائر اصحاب المذاهب السرية^٣.

ويبلغ عدد النصيرية اليوم نحواً من اربع مئة الف، اكثرهم من المزارعين. وهم يستوطنون المناطق الريفية في سورية الوسطى والشمالية، وينتشرون متفرقين حتى كيليكيا التركية.

اضطهاد النصارى

كان النصارى واليهود على خير حال في ظل الحكم الفاطمي، الا في عهد الحاكم بامرّه. ذلك لانه عاد فاجرى عليهم التدابير المذلة التي كان عمر بن عبد العزيز والمتوكل قد فرضاها عليهم^٤، ثم اضاف اليها فتناً اخرى من الازدلال، مع ان والدته ووزيره كانا من النصارى. فقد زاد سنة ١٠٠٩ على القيود السابقة المتعلقة بالملابس تمييزاً للذمي من المسلم، فوجب على النصارى، متى دخلوا الحمامات العامة، ان يجعلوا في اعناقهم صلباناً زنة الواحد منها خمسة ارطال نحو كيلو غرامين على ان يرسلوها متدلية على صدورهم. ورتب على اليهود، في مثل هذا الحال، ان يجعلوا في اعناقهم اطاراً من الحشب بالوزن نفسه، شدت اليه الاجراس المجلجلة^٥.

(١) كتاب الاعتبار، نشر حتى، ص ١٥٩ - ٦٠؛ سيد عربي سوري، ص ١٩٠.

(٢) انظر R. Strothman in *Der Islam*, vol. xxvii, No. 3 (1946), p. 175-8.

(٣) انظر: Conder, *Syrian Stone-Lore*, p. 423. n.

(٤) راجع ص ١٠٠ - ١٠١، وص ١٦٧ من هذا الجزء.

(٥) ابن خلكان، ج ٣، ص ١٩٥؛ سعيد بن البطريق، ص ١٩٥؛ المقرئ، ج ٢، ص ٢٨٨؛ ابن حاد، ص ٥٤.

وفي العام نفسه امر بهدم كنائس كثيرة كان من اهمها كنيسة السيدة في دمشق ، وكنيسة القيامة في القدس . وعمد ، تطبيقاً للنصوص القرآنية التي حرمت الخمر ، الى الامر باقتلاع الكرمة ، وهي في مصر من مزروعات النصارى . اما من ابي الخضوع لهذا التدبير من اهل الذمة فقد خيره بين اعتناق الاسلام والرحيل الى بلاد الروم . والظاهر ان عدد النصارى في مصر وسورية في عهد الحاكم — بعد النبي محمد بنحو اربع مئة سنة — كان مساوياً لعدد المواطنين من المسلمين ان لم يفقه . وبعد مضي عشرين سنة ، عمد ابن الحاكم وخلفه الملقب بالظاهر ، بموجب معاهدة عقدها مع امبراطور الروم ، الى اعادة بناء الكنائس التي هدمت ، ومنها كنيسة القيامة . ومع ذلك فان تهديم هذا الاثر من اثار المسيحية قد اسهم في اقدام الفرنجة ، على تجريد الحملات الصليبية على الارض المقدسة .

ان الحاكم بامر ، الازرق العينين ، تولى الخلافة وهو في الحادية عشرة ، وتوفي في السادسة والثلاثين ، ولم تخل سيرته من الغرائب . فقد انشأ معهداً للعلوم العالية في القاهرة ، ولم يمض عليه ثلاث سنوات حتى هدمه وبطش باساتذته . ووضع تشريعاً ضد الدعارة ، وحظر حتى ظهور النساء في شوارع القاهرة . ثم انه سن قوانين منع بموجبها المآدب وحفلات الطرب ، وحرم بعض الوان الطعام ، ولعب الشطرنج . وكان تصرفه الشخصي بحيث اتهمه مدونو الاخبار من خصوم الفاطميين بغرابة الاطوار^١ . على ان تفرد قديسي النصارى او دراويش المسلمين ، وفقراء الهنود في تصرفاتهم امر معروف في اخبار الشرق الادنى .

ولما كان خلفاء الحاكم بامرهم اشد رغبة في خفض العيش منهم في ادارة شؤون الدولة . فقد عجزوا عن توثيق الامن في مصر ، وصون سياحتهم على الامصار . ففي سنة ١٠٢٣ تمكن اعراب بني مرداس من احتلال حلب ، عاصمة سورية الشمالية . وسنة ١٠٧١ سقطت مدينة القدس ، وهي كبرى مدن سورية الجنوبية ، في ايدي السلاجقة ، وتبعتهما بعد اربع سنوات مدينة دمشق^٢ . وما ان استرجعوا القدس سنة ١٠٩٨ من الارتقيين ، عمال السلاجقة ، حتى خرجت في السنة التالية من يدهم ، لتقع في يد اعداء غرباء ، لم يكونوا في الحسبان ، هم الصليبيون .

(١) ابن خلكان ؛ ج ٣ ، ص ٤ - ٧ ؛ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٥٩ - ٦١ ؛ ابن تقي بريدي ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ٦٢ وما بعد ؛ السيوطي حسن المحاضرة ؛ ج ٢ ، ص ١٤ - ١٥ ؛ ابن الغلاني ، ص ٦٦ - ٦٧ ، ٧٩ - ٨٠ ؛ المقرئ ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ - ٨٩ ؛ ابن حداد ص ٥٤ - ٥٥ .
(٢) راجع ص ٢٠٤ و ص ٢١٤ من هذا الجزء .

(٣) بعض المصادر تجعل ذلك سنة ١٠٩٦ ، راجع بهذا الشأن : W. D. Stevenson, *The Crusaders in the East*. (Cambridge, 1905), p. 20.

الفصل الخامس والأربعون ثلاثي الشرق والغرب - الصليبيون

في السادس والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٠٩٥ القى البابا اوربانوس الثاني ،
لفرنسي مولداً ، خطبة نارية في مدينة كلرمونت في جنوبي فرنسا ، حث فيها
المؤمنين على سلوك الطريق الى كنيسة القيامة ، لانتزاعها من ايدي الغاصبين ،
والاحتفاظ بها لانفسهم . ولعل هذه الخطبة ، باعتبار النتائج التي تخلفت عنها ،
اشد الخطب في التاريخ وقعاً وابعدها اثرأ . اذ تنادى الناس ، على الاثر ، بصيحة
هي : « هكذا يريد الله » ، غدت بمثابة نفير تردد صدهاء في اوروبا من ادناها الى
اقصاها ، وسرى في الناس على اختلاف طبقاتهم كلنا بعدوى نفسانية عجيبة .

تعدد البواعث وتشابكها

على ان هذه الاستجابة لم تكن يحملتها وليدة الدافع الديني الذي غذته
الكنيسة ، بل كان هنالك ، فضلاً عن المتعبدين ، القواد العسكريون الطامعون
بالاستيلاء على مناطق جديدة ، والتجار — لاسيما تجار جنوى والبندقية وبيزا —
الذين كانوا اشد اهتماماً بالشؤون التجارية منهم بالامور الروحية ؛ ثم ارباب الحيال
البعيد ، والنفوس المضطربة ، وعشاق المغامرات ، فهؤلاء كانوا على قدم الاستعداد
ابداً للانضمام الى كل حركة بارزة ؛ وكذلك المجرمون والخطاة الذين نشدوا
الغفران بالحج الى الارض المقدسة التي وطئتها قدما المسيح ؛ ومثلهم من منوا
بالسقاء الاقتصادي والاجتماعي ، فكان « حمل الصليب » راحة وتفرجاً لهمومهم اكثر
منه تضحية^١.

وكانت هنالك عوامل اخرى ذات طابع عام ؛ فاختيار البابا لجنوبي فرنسا
مكاناً لبدا دعوته لم يكن من قبيل المصادفة المحض . اذ كانت تلك البقعة من

(١) للاستزادة من العلم عن احوال اوروبا راجع August C. Krey, *The First crusade* (Princeton, 1921), pp. 24-43.

القارة الأوروبية قد اكتسحتها قبائل المسلمين قادمة من اسبانية^١، وكان المسلمون خلال اربعة قرون ونصف القرن يوالون الهجوم على مواطن المسيحية : أولاً عن طريق الامبراطورية البيزنطية ، وثانياً عن طريق اسبانيا وصقلية وايطاليا^٢؛ وكان قد آن للمسيحية ان تبدي ردة ما . وفوق ذلك كله ، فان امبراطور الروم ، الكيسوس كومنينوس ، كان قبل ان القى البابا اوربان خطبته المثيرة ، قد التمس العون منه على السلاجقة الذين اجتاحتها ممتلكاته الآسيوية حتى جوار القسطنطينية^٣. دفعاً للغزو الاسلامي . ورأى البابا في هذا الالتئس فرصة سانحة لتوحيد الكنيسة اليونانية وكنيسة روما ، بعد الانشقاق الذي وقع بين ١٠٠٩ و ١٠٥٤ ، ولإقامة نفسه رئيساً أوحد للمسيحية .

الحملة الصليبية الاولى

وحتى ربيع عام ١٠٩٧ ، كان قد استجاب لنداء البابا نحو من ١٥٠ ألف من الافرنج والنورمانيين ؛ وكان ملتقاهم المتفق عليه مدينة القسطنطينية ، فتقاطروا اليها وقد حملوا الصليب شارةً ، فعرفوا من ثم بالصليبيين . على هذا النحو دفعت الى الميدان الحملة الصليبية الاولى ؛ وكان طريقها الى الارض المقدسة يخرق آسية الصغرى ، وينتهي منها الى بلاد قلع ارسلان . وفي شهر حزيران من تلك السنة احتلوا نيقيا قاعدة السلاجقة ، وفي التالي سقطت في يدهم مدينة دوريلايوم (اسكي شهر حديثاً)^٤. فاعاد هذا الفتح المظفر على امبراطور الروم القسم الأكبر من آسية الصغرى ، اذ كان قد حصل من جميع قواد الصليبيين تقريباً ، على تعهد بالولاء لرابطة العرق التي تجمع بينهم .

(١) راجع ص ٧٢ من هذا الجزء .

(٢) راجع بشأن فتح الاغلبة لصقلية ، Hitti, *History of the Arabs*, pp. 602, 605, 617, 622.

(٣) راجع ص ٢١٤ من هذا الجزء .

(٤) انظر Hein rich *Gesta Francorum et aliorum Hiero soly mita norum*, ed. Hagemeyer (Heidelberg, 1890), pp. 197, 208 seq ; Fulcher *Historia Hierosolymitana*, ed. Hagemeyer (Heidelberg, 1913), p. 192 sep. ١٣٤ ص ابن القلانسي ، للاستزادة من المراجع عن الصليبيين راجع Claude Cahen, *La Syrie du Nord à l'époque des Croisades* (Paris, 1940), pp. 3-104.

الولاية اللاتينية الاولى : الرها

لكن، ما انت عبر قواد الحملات الصليبية جبال طورس ، حتى وقع الخلاف بينهم، واخذ كل منهم يضع خطته الخاصة للتوسع المحلي . فتحول بلدوين شرقاً — وهو احد قادة اللوثريجين القادمين من بلاد الرين — ودخل منطقة اهلها من النصارى ثم احتل الرها ، وهي آنذاك تحت حكم الارمن ، في اوائل سنة ١٠٩٨ . وهكذا نشأت الولاية اللاتينية الاولى — ولاية الرها — وجلس بلدوين اميراً على عرشها . وقد عمد هذا الامير — الذي غدا في ما بعد ملكاً على القدس — الى الزواج من اميرة ارمنية ، واستقر في الشمال الى حين . اما تانكرد ، وهو احد قواد النورمنديين القادمين من جنوبي ايطاليا وصقلية ، فتحول غرباً ، ودخل كيليكية ، وسكانها كذلك من الارمن ، بينهم جماعة من اليونان ؛ واحتل مدينة طرسوس وسائر نواحيها

على ان معظم الجيش الصليبي كاث ، في هذه الاثناء ، يتدفق على سورية ، إذ كانت هدفه الاول . وكان يحكم سورية الشمالية ، كما ألمعنا سابقاً ، امراء من السلاجقة مستقلون عملياً ؛ فيما كان جنوبها تابعاً للخلافة الفاطمية^٢ . وقد كانت البلاد بمجملتها لسنوات كثيرة ، موضوع نزاع بين الاتراك السنيين والمصريين المتشيعين . وكانت اقسام اخرى منها في عمدة زعماء محليين من العرب . فطرابلس وجوارها مثلاً ، كانت منذ سنة ١٠٦٩ تحت سلطة بني عمار ، وهم من الشيعة^٣ ؛ وشيزر في منطقة العاصي كانت منذ ١٠٨١ تحت حكم بني منقذ^٤ . ثم ان المنازعات المحلية ، والتحاسد الاخوي ، ومشكلات الولاية السلاجقية ، كانت قد ولدت حالة مزمنة من الوضع القلق . اما اهل البلاد فقد كانوا بعينين من تكوين جبهة موحدة ؛ وذلك لأن الفرق العديدة التي تفرقت من الاسلام اخذت في اقتسام البلاد ؛ فاعتصم الدروز في جنوبي لبنان ، واستوطن النصارى في جبال سورية الشمالية ، واستقر الاسماعيليه ثم الحشاشون الى

(١) انظر Matthew of Edessa, *Chronique*, ed. E. Dulaurier (Paris, 1858) p. 218

(٢) راجع ص ٢١١ و ٢١٢ من هذا الجزء .

(٣) راجع : G. Wiet in *Mémorial Henri Basset* (Paris, 1928) vol. ii, pp. 279-84

ابن تغري بردي ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ٢٦٧ .

(٤) انظر الفصل التالي تحت شهادة اسامة .

الشرق من مواطن النصيرية^١. وكان موارد لبنان الشمالي، من بين نصارى لبنان، لا يزالون يتكلمون السريانية^٢.

الولاية اللاتينية الثانية : انطاكية

كانت انطاكية المدينة السورية الاولى في طريق الجيش الصليبي. وكان حاكمها اميراً سلجوقياً اسمه ياغي سيان^٣؛ عينه عليها ملكشاه في بغداد، وهو الثالث من كبار ملوك السلاجقة (بعد طغرل وألب ارسلان) واذ كانت هذه المدينة مهداً للكنيسة المسيحية المنظمة الاولى^٤، فقد كانت بالنسبة الى الصليبيين ذات خطر خاص. وكان حصارها طويل الأمد، شديد الرطوبة، (من ٢ تشرين الاول ١٠٩٧ الى ٣ حزيران ١٠٩٨). وقام رضوان صاحب حلب، ودقاق صاحب دمشق، بمحاولات يائسة لفك الحصار عنها، لكن الامداد التي ارسلت ردت على اعقابها^٥. وكان القائد الصليبي الذي تولى هذه العمليات الحربية بوهمند نسيب تانكرد، وقائد الحملة النورمندية. وكان الاسطول الايطالي يسانده من البحر، في هذه المعركة، وفي ما تلاها من المعارك، وذلك بتوفير المؤن وآلات الحصار، لاستخدامها ضد المدن المحصنة القائمة على الساحل او قريباً منه. لكن خيانة صدرت من قائد ارمني ناظم، كان يتولى الدفاع عن احد ابراجها، أدت الى سقوط المدينة^٦.

وما كاد المحاصرون يدخلون المدينة، حتى وجدوا انفسهم محاصرين بدورهم. ذلك ان كربوقا، المغامر السلجوقي، كان قد انتزع الموصل من اعراب بني عقيل^٧، فسار من عاصمته الى المكان بامداد وافرة. فكان ما قاساه الفرنج^٨ على اثر ذلك من

(١) راجع ص ٢١٧ وص ٢٢٠ من هذا الجزء.

(٢) راجع ص ١٤٠ من هذا الجزء.

(٣) ورد هذا الاسم محرفاً في ابن الاثير، ج ١٠، ص ١٨٧؛ ابو الفداء، ج ٢، ص ٢٢٠ ابن خلدون، ج ٥، ص ٢٠.

(٤) اعمال الرسل، ١١ : ٢٦.

(٥) راجع ص ٢٠٦ - ٢٠٨ من هذا الجزء.

(٦) كمال الدين، *Recueil*, vol. iii, pp. 580 seq. ; ابن القلانسي، ص ١٣٥.

(٧) كان بنو عقيل تابعين للحمندانين (راجع ص ١٩٣ وما بعدها من هذا الجزء) ثم حكموا بدمشق في الموصل.

(٨) او الافرنج، وقد اطلقت منذ عهد الصليبيين على الاوربيين بلاميز.

الرباء والجماعة مدة خمسة وعشرين يوماً من أشد ما سبق لهم ان عانوه^١. ولم يعد بالامكان رفع حالتهم المعنوية وكسب الوقت الا بالعجوبة. وقد تحققت هذه الاعجوبة باكتشاف «الحربة المقدسة» التي طعن بها جنب السيد المخلص وهو معلق على الصليب، اذ عثر عليها دفينة في احدى كنائس انطاكية. فاندفع الصليبيون على الاثر بجراحة بالغة، استطاعوا بها ان يردوا المحاصرين عن المدينة. وظل بوهمند، وهو أدهى قواد النصاري وامضام عزيمة، حاكماً على هذه الولاية الجديدة مضموماً اليها انطاكية وجوارها. وقد كان امبراطور الروم يأمل إعادة انطاكية اليه، لكنه مني بخيبة الامل. وكانت اشد منه خيبة ريموند صاحب تولوز، زعيم اغنياء جنوبي فرنسا، وهو الذي تحقق الاكتشاف المدهش على يد رجاله، اذ كان يطمح بان تكون اماره انطاكية له. ويتصل هذا النضال من اجل انطاكية باسطورة اخرى تدور حول القديس جاورجيوس؛ وهو على ما في الاخبار المحلية، من اللد^٢، قتل في عهد ديوكليتيان (٣٠٣)، فخف الآن لمساعدة الصليبيين المضطحين^٣.

الزحف على الساحل

دفع الكونت ريموند جيوشه في اتجاه جنوبي، مضرماً النار في معرة النعمان، بلدة ابي العلاء، ومنزلاً الدمار بسكانها^٤. ثم استأنف سيره في وادي العاصي، محتلاً في طريقه حصن الاكراد^٥، ذي الموقع الحصين، المسيطر على الممر الخطير الذي يصل بين السهول الساحلية وسهول العاصي. لكن مدينة عرقه،

(١) حتى انهم نبشوا جثث الحيوانات الميتة واكلوها؛ William of Tyre, vol. i p. 271. ابن القلانسي، ص ١٣٦.

(٢) صالح ص ١٦؛ William of Tyre, vol. i, p. 332.

(٣) لقد نقل النورمنديون هذه الاسطورة الى اوربا وغدا القديس جاورجيوس من ثم قديس انكلترا المحافظ. اما في الكنائس السورية، حيث اتصل اسمه بقتل تين وانقاذ اميرة من الاسيرة المالكة، فانه ينافس القديس سرجيوس في الشهرة (راجع الجزء الاول ص ٤٣٦) ولا يزال خليج بيروت، حيث قيل انه فُك بالوحش، يحمل اسمه فيعرف بخليج مار جرجس.

(٤) ابن الاثير، ج ١٠، ص ١٩٠، واليه استند ابو الفداء، ج ٢، ص ٢٢١. قابل: Gesta Francorum, p. 387; Kamāl-al-Din in Recueil, vol. iii, pp. 586-7.

(٥) يعرف اليوم بقلة الحصن؛ وقد قامت على انقاض قلعة قديمة بناها احد امراء حمص سنة ١٠٣١ وجعل فيها جامعة من الاكراد.

مسقط رأس أحد امبراطرة الرومان المتحدر من سلالة سورية^١ وهي آنثذ^٢ تابعة لامارة طرابلس - صمدت للحصار بفضل حصونها المنيعة ، وذلك من شهر شباط الى اواسط ايار . وكان غودفري دي بويون (عاصمة اللورين الادنى) ، اخو بولوين ، قد انجدر بقواته جنوباً بحاذة الساحل وحاصر جبلة ، فالتقى الآن بريمند . لكنه نزولاً عند إلحاح رجاله بالاسراع نحو القدس - اذ كان صبرهم عنها قد نفذ - ومراعاة لابن عمار امير طرابلس ، في مقابل ما كان ارسل اليه من الهدايا ، عمد الى رفع الحصار عنها . ولم تبد انطرطوس^٣ ، حيث بلغ الشاطئ^٤ ، اية مقاومة ، وغدا الاتصال بالاسطول الايطالي بعد الآن مستطاعاً ؛ فسارت الحملة من هنا على الطريق الساحلي ، وهو الطريق الذي سلكها قبله الاسكندر^٥ وسواه من الفاتحين . وقد عرج من اللاذقية لانها كانت بيد القوى البحرية البيزنطية التي كانت تعمل مستقلة عن الحملات اللاتينية^٦ . وعندما بلغ الصليبيون البترون اتصلوا بالموارنة ، وهم قوم اشداء ومقاتلون بواسل فأسدى هؤلاء اليهم خدمات جليلة ، لمعرفة تلك المنطقة فكانوا الادلاء لهم^٧ . وجرى امير بيروت على الحطة التي انتهجها امير طرابلس ، فقدم لهم مالاً ومقداراً سخياً من المؤن^٨ . وبعد ان ضربوا خيامهم بضعة ايام في بناتين صيدا ، قرب المياه الجارية ، استأنفوا السير ، فبلغوا عكا في فترة لم تتجاوز ٢٤ ايار . والظاهر ان بعض المدن الكبرى فقط كانت مجهزة بالحاميات المدفعة ، ولذلك لم يتعرض الفرنجة للمواطنين ولا تعرض لهم المواطنون . فكان الزحف في ما يبدو اشبه شيء بنزعه . وبعد ان مروا بقيسارية وارسوف ، تحولوا نحو الداخل واجتازوا الرملة ، وفي السابع من حزيران وقفوا امام الهدف الذي كانت الحملة يرمتها ترمي الى بلوغه ، وهو مدينة القدس .

احتلال القدس

كانت حملة الصليبيين آنثذ^٩ تبلغ نحواً من اربعين الف مقاتل نصفهم تقريباً من

(١) راجع الجزء الاول ص ٣٨١ .

(٢) هي طرطوسا في التاريخ اللاتيني ؛ انظر الفقرة عن يبرس والصليبين في هذا الفصل .

(٣) راجع ص ٢٥٤ من الجزء الاول .

(٤) Cahen, p. 222.

(٥) انظر William of Tyre, vol. ii, p. 459; vol. i, p. 330; Ludolph von Suchem, p. 135.

(٦) William of Tyre, vol. i, p. 331 .

الجنود النظاميين^١. اما الحامية المصرية فتقدر بنحو الف رجل . وبعد حصار القاء على المدينة غودفري وريمند وتنكرد استمر شهراً من الزمان ، اطبقوا عليها (١٥ تموز) وفتكوا بأهلها على اختلاف السن والجنس ، بلا تمييز ولا مراعاة . وفي احد المصادر العربية^٢ ان عدد الضحايا بلغ نحواً من ٧٠ ألفاً ، وقدره مصدر ارمني^٣ ٦٥ ألفاً ؛ ويذكر مصدر لاتيني ان النظر كان يقع على اكوام من الرؤوس والأيدي والاقدام في الطرق وفي الساحات العامة^٤ . وهكذا برزت الى الوجود دولة لاتينية ثالثة في سورية هي اهمها على الاطلاق ؛ تولى الحكم فيها غودفري الزعيم المدفع والمقاتل الباسل . وقد قيل انه امتنع عن ان يضع على رأسه تاجاً من ذهب ، حيث حمل السيد المخلص تاجاً من شوك ، واختار ان يلقب بـ « حامي القبر المقدس »^٥ .

على ان حكم غودفري كان قصير الامد ، فهو لم يتجاوز العام الواحد ؛ لكنه احرز في خلاله انتصاراً على الجيش المصري قرب عسقلان ، جعل مركز اللاتين في مدينة القدس اكثر حصانة واوفر أمناً . لكن هذا المرفأ ظل مركزاً للحامية الفاطمية ، وقاعدة لاسطولها^٦ اما مدينة يافا ، التي جاوزها الصليبيون بعد ان تركوها خراباً ، فقد احتلوها الآن ، واعطي فيها لابناء بيزا امتيازات خاصة . وتم احتلال مدينة جيفا بعدها بمساعدة اسطول البندقية^٧ . وكان تنكرد ، في الوقت نفسه ، يوغل في داخل البلاد نحو منطقة الاردن . ذلك لأن مركز القدس اللاتينية يظل معرّضاً للخطر ما لم يُستولَ على الاراضي الداخلية المجاورة ، وعلى المناطق الساحلية . وكانت بيسان الواقعة على الطريق بين المتوسط ومدينة دمشق ، من المدن الاولى التي كسبها . واما نابلس فقد خضعت بلا مقاومة . ولقد استقر تنكرد في طبرية

(١) « Annales de Terre Sainte », *Archives de l'Orient Latin*, vol. ii (Paris 1884), pt. 2, p. 429 ; Raimundus de Agiles, « Historia Francorum qui ceperunt Jerusalem », in Migne, *Patrologia Latina*, vol. clv, p. 657 ; *William of Tyre*, vol. i, p. 349.

(٢) ابن الاثير ، ج ١٠ ، ص ١٩٤ .

(٣) *Matthew of Edessa*, p. 226 .

(٤) Agiles, p. 659 ; cf. *William of Tyre*, vol. i pp. 370-72 .

(٥) Agiles, p. 654 .

(٦) ابن ميسر ، اخبار مصر ، نشر هنري ملي (القاهرة ، ١٩١٩) ، ص ٣٩ وما بعد .

(٧) ابن القلانسي ، ص ١٣٩ : ابن خلكان ، ج ١ ، ص ١٠١ .

يعمل بامرة غودفري ، لكنه تخلى عن هذا الاقليم في آذار سنة ١١٠١ ليخلف عمه بوهند حاكم انطاكية ، اذ كان هذا قد وقع اسيراً بيد قائد تركي في بعض المعارك التي جرت في شمالي البلاد .

بلدوين اول ملوك الصليبيين

ثم استدعي بلدوين اخو غودفري وأمير الرها ، وتوج ملكاً على هذه المنطقة يوم عيد الميلاد سنة ١١٠٠ . اذ كان المؤسس الحقيقي للمملكة اللاتينية . وكان همه الاول ان يخضع مدن الساحل ، فيؤمن المواصلات البحرية بالوطن الاول ، ويقطع الطريق على الاسطول الفاطمي واعماله العدائية . وقد وجد في ملاحي الجمهوريات الايطالية حلفاء مندفعين ، لكنه الفاهم شديدي الطمع ، اذ اشترطوا الحصول على نصيب من الغنائم ، والاستيلاء على مناطق خاصة من المدن المحتلة ، تجعلها تابعة لتشريع جمهورياتهم ثم إعفاء البضائع التي يسوردونها ويبيعونها من كافة الرسوم^١ ، فيتمتعون بالامتيازات التي تمنح على اثر الخضوع والتسليم . وعلى ذلك فقد سقطت ارسوف وقيسارية سنة ١١٠١ بمساعدة اسطول جنوى ، ووافقنا على دفع الجزية بعد فترة الهدنة^٢ . وسقطت عكا ذات الاسوار الحصينة بعد ثلاث سنوات ، وذلك على اثر هجوم كاسح من بوارج بيزا وجنوى . وفي سنة ١١١٠ ضرب على بيروت حصار من البر والبحر استمر احد عشر اسبوعاً ، انتهى في ١٣ ايار بهجوم عليها قتل فيه كثيرون من سكانها . وقد أمدتهم غابات الصنوبر التي لا تزال في جوار المدينة بالخشب اللازم لبناء الابراج وقذف القذائف وتقويض الاسوار^٣ . وفي السنة نفسها سقطت صيدا بمساعدة اسطول نرويجي مؤلف من ستين بارجة^٤ .

وقد عمل بلدوين على توسيع ممتلكاته جنوباً ايضاً ، على امل الاستيلاء — ولو جزئياً — على تجارة البحر الاحمر والمحيط الهندي . وبني (١١١٥) جنوباً من البحر

(١) انظر *William of Tyre*, vol. i pp. 434, 455 .

(٢) انظر *Albert of Aix, « Historia Hierosolymitanae expeditionis » Migne*, vol. cixvi, p. 575.

(٣) انظر *W. B. Stevenson, Crusaders*, pp. 58-9; *William of Tyre*, vol. i, pp. 484-5 : ابن القلانسي ، ص ١٦٧-٦٨ ؛ صالح ، ص ٢٨ - ٢٩ .

(٤) ابن الاثير ، ج ١٠ ، ص ٣٣٦-٣٧ ؛ ابن القلانسي ، ص ١٧١ .

الميت، قلعة الشوبك^١، وذلك لحراسة طريق القوافل من دمشق الى مصر والحجاز. وسار خلفاؤه على خطته، فشددوا قبضتهم على مقاليد الامور بانشاء الحصون في كل بلد استولوا عليه. وكانت قلعة الشوبك وحصن الكوك، بحكم موقعهما، امنع الحصون السبعة التي اقاموها في تلك المنطقة^٢. وعندما مات بلدوين سنة ١١١٨، كانت مملكته قد بلغت اوج مجدها، فكانت تمتد من العقبة الى بيروت. الا ان صور بقيت بيد المسلمين حتى سنة ١١٢٤^٣، وذلك بفضل قيامها على شبه جزيرة حصينة؛ وكذلك عسقلان فقد بقيت بيدهم حتى سنة ١١٥٣. اما من حيث الاتساع شرقاً فان المملكة لم تتجاوز وادي الاردن بعيداً.

التوسع في الشمال

وكذلك الاقاليم اللاتينية في الشمال، فانها اخذت في التوسع. ذلك ان عين ريمند^٤ كانت على مدينة طرابلس منذ ان تخطاها في حملته الساحلية، فعاد اليها بعد فتح القدس، ووالقى عليها الحصار. وقد عمد سنة ١١٠٣، رغبةً منه في ان يعزلها تماماً عما حولها، الى بناء قلعة^٥ — هي قلعة طرابلس — على تـل مجاور يُعرف بـ «تل الحجاج»، ثم غدا هذا الموقع نواة لحي لاتيني. وطال امر الحصار على الرغم من الامدادات التي كانت تصل من الجبال المجاورة^٦. وكان عدد سكان المدينة ٢٠ الفاً، وكانت أهم صناعاتها صناعة الزجاج وصناعة الورق. وقد عمد ريمند بين الفينة والفينة الى مهاجمة بعض المدن المجاورة، وقد تم له إخضاعها، وكان ذلك في الغالب بمساعدة اسطول جنوى. وكانت «المرقب» الحد الشمالي لمنطقة طرابلس،

١) سماها اللاتين Mons Regalis (الجبل الملكي) لكن نقوصاً قديمة تشير الى ان هذا الاسم اطلق على قلعة شبيبة الى الشمال الشرقي هي قلعة الكرك بنيت حوالي ١١٤٠. ولفظه كرك العربية عرفة عن الارامية كركا ومعناها «بلدة».

٢) للاستزادة عن هذه الحصون راجع Camille Enlart, *Les Monuments Croisés* 2 vols. (Paris, 1925-8).

٣) راجع ص ٢٠٧ و ٢٠٨ من هذا الجزء.

٤) لما كان يلقب بـ Saint-Gilles فقد دعاه العرب صنجيل او ابن صنجيل.

٥) ولقد رمى الاتراك واغتنوها سجنًا، ثم استخدمها الانكليز في الحرب العالمية الثانية مركزاً لغذف الطائرات المهاجمة.

٦) ابن خلدون، ج ٥، ص ١٨٦.

و «جيبيل» حدها الجنوبي، اما طرابلس نفسها فلم تسقط حتى سنة ١١٠٤، اي بعد مضي اربع سنوات على وفاة ريمند. والظاهر ان المدينة كانت قد غدت، تحت حكم بني عمار، مركزاً للتعليم الشيعي، فكثرت فيها المدارس والمكاتب. لكن هذه المعالم زالت في اعقاب تلك الكوارث^١. وكان المعري بين كبار الادباء الذين افادوا من مكتبة طرابلس.

ثم ان اللاذقية الى الشمال، سقطت بيد تانكرد سنة ١١٠٣ وكذلك سقطت افامية، بعد ذلك بثلاث سنوات. ثم الحقت كلتا المدينتين بولاية انطاكية، وقد كانت تضم بعض الاحيان اقساماً من كيليكيا.

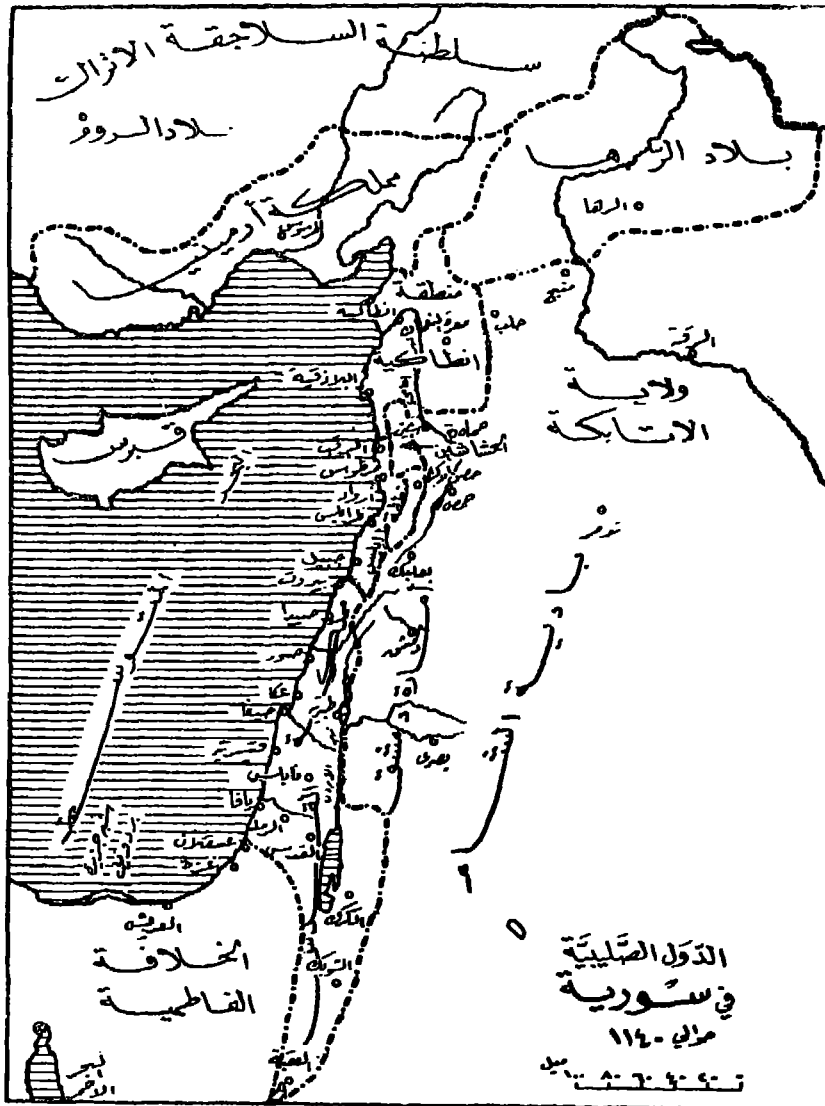
ولدى وفاة بلدوين الثاني (١١٨٠ - ٣١)، كانت المملكة اللاتينية مع اقطاعاتها قد اكتملت. فإن الدول اللاتينية الثلاث في الشمال - طرابلس، وانطاكية، والرها - كانت تدين بالولاء الاسمي للملك القدس. لقد كان الانتصار باهراً، ولا ريب في انه ألهم الفرنج بالثقة في النفس، وعمر صدورهم بالأمل في المستقبل. على ان الشيء الذي ارتقبوه لم يكن، بواقع الامر، براقاً الى هذا الحد. فباستثناء الشمال الاقصى والجنوب الاقصى، فان باقي المنطقة الوسطى لم يكن سوى ساحل ضيق، وهو منطقة مسيحية صغيرة في متسع من البلاد الاسلامية مترامي الاطراف. ولم يكن بين منها ما يبعد عن العدو اكثر من مسيرة يوم واحد. اما المدن الداخلية نظير حلب^٢ وحماة وحمص وبعبلبك^٣ ودمشق، فلم تقع بيد الفرنج، مع انها كانت هدفاً لغارات شنت عليها بين الجين والحين. وقد اجبرت احياناً على دفع الجزية، شأن دمشق، إذ أدتها الى بلدوين الثاني سنة ١١٢٦^٤. وكان سهل البقاع الحبيب تابعاً لهذه المدينة، وكان الافرنج قليلي العدد في ولايتهم الخاصة. ولم يكونوا يوماً حتى في القدس وسواها من المدن المحتلة، اكثر من اقلية ضئيلة. ذلك ان كثيرين

(١) ابن القلانسي، ص ١٦٣: ابن الاثير، ج ١٠، ص ٣٣٣ - ٣٤؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، نشر جيمس جويت (شيكاغو، ١٩٠٧)، ص ١٧؛ William of Tyre, vol. i, pp. 477-8.

(٢) انظر William of Tyre, vol. ii, p. 22.

(٣) انظر William of Tyre, vol. ii, p. 413.

(٤) في السنة التي بدأت في ايلول ١١٥٦ دفع حاكمها نور الدين ٨٠٠٠ دينار؛ ابن القلانسي، ص ٣٣٦.



منهم، بعد ان تحقق الاستيلاء على القدس، اعتبروا ان تعهدهم قد انجز، وعادوا ادراجهم إلى أوطانهم. ولا يخفى ان بقاء مثل هذه الدول الغريبة كان رهناً بوصول امدادات جديدة من المجندين بصورة متواصلة من الوطن الاول، وببقاء الاعداء مفكرين لا تجمعهم قيادة قوية موحدة.

الردة الاسلامية على يد زنكي

بقيام اتابك زنكي (١١٢٧ - ١١٤٦) - التركي الازرق العينين - امير حلب والموصل^١، أخذت بوادر التوحيد والزعامة في الظهور. وكان زنكي هو الاول بين عدد من الابطال، تعاقبوا على مناجزة الصليبيين. وكانت ضرباته المسددة هي اولى الضربات التي زعزت الدول اللاتينية، فزحمت تحتها في ما بعد. كانت حملته الاولى على الرها، وهي الحصن الشمالي لهذه الدول. فقد ألقى حولها حصاراً سنة ١١٤٤ استمر اربعة أسابيع، وانتهى بانتزاعها من يد جوسلين الثاني^٢. فكانت اسبق الولايات الصليبية إلى الظهور اسبقها إلى السقوط؛ وكان سقوطها نذيراً بتحول مجرى الحوادث في مصلحة المسلمين. أما وقع الخبر في اوربا فكان باعثاً على تجهيز ما يعرف بالحملة الصليبية الثانية (١١٤٧ - ٤٩).

على ان التقسيم التقليدي للحركة الصليبية الى عدد معين من الحملات، لا يخلو من تكلف وافتعال، لأن سيل الامدادات كاد يكون متواصلاً، فالخط الفاصل بينها لا يبدو بجلاء. ولعل الاولى بنا ان نجعل هذه الحركة في ثلاث فترات، الاولى تشمل عصر الفتح اللاتيني، وتمتد الى سنة ١١٤٤؛ والثانية تضم عهد الردة الاسلامية، التي استهلها زنكي واختتمها صلاح الدين بانتصاراته الباهرة؛ والثالثة تجمع عهد الحروب الصغيرة، التي رافقت بوجه عام، القرن الثالث عشر، وبرزت فيها بطولة الايوبيين والمماليك، وانتهت باخواجه باقي الصليبيين من البلاد.

نور الدين زنكي

لقد انتقلت بطولة القضية الاسلامية من زنكي الى ابنه نور الدين محمود. وقد كان نور الدين يفوق اياه مقدرة، فتمكن سنة ١١٥٤ من انتزاع دمشق من احد خلفاء طغتكين^٣، مزيلاً بذلك العقبة الاخيرة القائمة بين المنطقة الخاضعة لزنكي

(١) راجع ص ٢٠٧ - ٢٠٨ من هذا الجزء.

(٢) ابو شلعة، ج ١، ص ٣٦ - ٣٧؛ ابن الاثير في *Recueil* ج ٢، ق ٢، ص ١١٨ وما بعد.

(٣) راجع ص ٢٠٧ - ٢٠٨ من هذا الجزء؛ ابن الاثير، ج ١١، ص ١٣٠ - ٣١.

ومدينة القدس . وقد كانت دمشق ، لسنين كثيرة ، حليفة فعلية للقدس^١ ؛ أما صرخد (صلخد) ، وبصرى ، وبانياس — التي كانت خاضعة للاسماعيلية — وغيرها من المدن في منطقة دمشق . فربما عمدت أحياناً الى التماس العون من اللاتين لمواصلة كفاحها ضد المسلمين الآخرين^٢ . وكذلك بنو فضل المتحدرين من طي — ولعلمهم اوسع القبائل سلطاناً في بادية الشام — فانهم ربما حالفوا الافرنج آنأً ، والفاطمييين آنأً آخر^٣ . وقد كان لدى اللاتين في القدس فرقة خفيفة من الفرسان عرفت بأبناء الاتراك^٤ ، كان جلها من المسلمين المدربين ؛ ثم فرقة من الارمن المشاة ، واخرى من النبالة الموارنة^٥ . وباستيلاء نور الدين على دمشق ، امتد سلطانه من الموصل الى حوران ، واخذ قرن « الهلال » يمتد جنوباً .

وكان نور الدين عالماً باحوال الفاطميين الواهنة ، فرغبةً منه في تحقيق الفائدة المرجوة من وضع القدس بين حجري رحي — من الشمال ومن الجنوب — بعث بقائد باسل من قواده ، هو اسد الدين شيركوه الى مصر . ففاز هذا سنة ١١٦٩ ، بعد انتصارات حققها في ميدان السياسة والقتال ، بتولي الوزارة للخليفة العاضد (١١٦٠ — ٧٠) ؛ لكنه قضى نجه بعد شهرين من تقلد الوزارة ، فانتقلت شارتها من بعده الى ابن اخيه صلاح الدين بن ايوب^٦ .

ظهور صلاح الدين

ولد الملك الناصر صلاح الدين يوسف في تكريت على نهر دجلة سنة ١١٣٨ من ابوين كرديين . وبعد سنة من مولده انتقل به ابواه الى بعلبك ؛ وكان زنكي قد

(١) ابن القلانسي (الذي كان يشغل في هذا الوقت مركزاً هاماً في حكومة دمشق) ، من ٣٠٨ — ٩ ؛ ابو شامة ، ج ١ ، ص ٧٧ ؛ William of Tyre, vol. ii, pp. 76-7, 105-6, 147-8, 224

(٢) ابن القلانسي ، ص ٢٨٩ — ٩٠ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ؛ ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢ — ٣ .

(٣) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٦ وما بعد ؛ A. S. Tritton in *Bulletin, School of Oriental and African Studies*, vol. xii (1948), p. 567.

(٤) عماد الدين الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القسي ، نشر دي لاند برغ (ليندن ، ١٨٨٢) ، ص ٤٢٥ ؛ اسامة ، ص ٥١ .

(٥) قابل Jacques de Vitry. *The History of Jerusalem*, tr. Aubrey Stewart (London, 1896), p. 79 ; Dib, p. 94.

(٦) ابو شامة ، ج ١ ، ص ١٦٠ — ٦١ ؛ سبط بن الجوزي ، ص ١٧٥ .

عين اباه ايوب قائداً لحاميتها . وكان صلاح الدين ، فيما يبدو ، اكثر نزوعاً الى العلوم الدينية منه الى الشؤون العسكرية . ولذلك لم يرافق عمه في حملته على مصر سنة ١١٦٤ ، إلا بعد تردد وتمنع^١ . على ان هذه الرحلة كانت طليعة اتجاه جديد في حياته - اتجاه يرسي الى السعي وراء ثلاثة اهداف هي : احلال التعليم السني مكان التعليم الشيعي في مصر ، وتوحيد مصر وسورية تحت سلطة واحدة ، ثم مواصلة الجهاد ضد الافرنج . وقد كان الهدف الاول اسهلها تحقيقاً ؛ ذلك ان صلاح الدين عمد ، والخليفة العاضد مسجى على فراش الموت سنة ١١٧١ - وهو آنشد وزيره - الى جعل اسم الخليفة العباسي المعاصر « المستضي » في صلاة الجمعة مكان « العاضد » ، وعلى هذه الصورة كان ختام الخلافة الفاطمية . ومهما كان من غرابة هذا الامر وصعوبة تصديقه ، فواقع الامر ان التغيير الفوري هذا قد تم « ولم ينتطح فيه عنزان »^٢ ، وبه غدا صلاح الدين الحاكم الفردي في مصر . واما هدفه الثاني ، فقد حققه سنة ١١٧٤ ، عندما توفي سيده نور الدين حاكم سورية ؛ إذ تمكن ، بعد بضعة اشتباكات طفيفة ، من انتزاع سورية من ابن نور الدين ، اسماعيل وهو بعد في الجادية عشرة من عمره . وكان تحقيق الهدفين الاولين مما جعل الثالث في حكم المتوقع .

واذ كانت القيروان والحجاز متاحيتين لمصر ، فقد انضمتا فوراً اليها . واصبحتا جزءاً من الدولة السورية المصرية الناشئة . ثم الحق ظوران شاه أخو صلاح الدين الاكبر بهذه الدولة النوبة واليمن . وفي سنة ١١٧٥ اسند الخليفة العباسي الى صلاح الدين ، بناء على طلبه الخاص ، السلطة على جميع هذه المناطق ، مانحاً بذلك ما لم يكن يملك فعلاً ، ولكن ما اتاح له ان يعتزّ بعدم رفضه . وكان الحاق العراق الاعلى ، باستثناء الموصل نفسه ، بما استكمل الوضع الجغرافي لهذه السلطنة^٣ . وهكذا فإن ما حلم به نور الدين من محاصرة الافرنج وسحقهم وقطع دابرهم ، بدأ يتحقق بما تم من جليل الاعمال على يد خلفه الذي فاقه مهارة .

(١) ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ٢٢٣ : ابو شامة ، ج ١ ، ص ١٥٥ ؛ ابو الفداء ج ٣ ، ص ٤٧ .

(٢) ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ٢٤٢ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٥٣ ؛ قابل : ابو شامة ج ١ ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٣) ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ٢٧٤ - ٧٥ .

(٤) ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ٣١٩ - ٢١ .

معركة حطين الفاصلة

واخيراً تفرغ صلاح الدين لتركيز قواه ضد الافرنج ؛ ودقت ساعة الخطر المؤذنة بزوال المملكة اللاتينية ، عندما سقطت طبرية ، بعد حصار دام ستة ايام . وتحول من ثم جيش المسلمين نحو حطين^١ في جوار طبرية ، وهناك نشبت المعركة في الثالث والرابع من تموز سنة ١١٨٧ . وكان الحر شديداً للغاية ؛ وكان السير الطويل قد انهمك جيوش الافرنج المدججين بالسلاح الثقيل ، والعطش قد خلبهم . فأحاط بهم المسلمون بسلاحهم الخفيف ، وامطروهم بوابل من النبال لم يسبق لهم ان تعرضوا لنظيره . ولم يسلم من العشرين الغاء ، بين فارس^٢ وراجل ، إلا من ارتد أو لاذ بالفرار ؛ اما الباقون فقد سقطوا في المعركة ، او وقعوا في الاسر . وكان على رأس موكب الاسرى ملك القدس بذاته ، غي ده لوسينيان . وقد استقبله السلطان الكبير الباسل بما يليق برتبته الرفيعة . لكن رفيقه رجينالد الشاتيونى، حاكم الكرك^٣، عومل معاملة أخرى استحقها ، ذلك لأنه عمد مراراً عديدة الى خرق الاتفاقات المعقودة ، وهاجم الحجاج وقوافل التجار لذى مروهم بحصنه ، على الطريق الرئيسي ، الى الجنوب من مدينة القدس ؛ وقد كانت اخت السلطان مرة في احدى هذه القوافل . وكان رجنالد هذا مغامراً بمقدار ما كان اهوج ، فكان يوالي التعديت على الساحلين التوبي والعربي ، حتى انه انزل قواه على ارض الحجاز المقدسة ، واتجه صوب المدينة . واذ غدا على مسيرة يوم او بعض يوم من المدينة المقدسة نفسها ، صده فرقة مصرية كانت قد نقلت الى هناك على جناح السرعة ، في اسطول جهز بعجلة . وقد شاع انه كان ينوي نقل جثمان محمد الى الكرك ، وفرض رسوم فادحة على حجاج المسلمين في مقابل مشاهدته^٤ . وكان صلاح الدين قد اقسم على ان ينحره

(١) ترتفع قرون حطين ١٧٠٠ قدم فوق سطح بحر الجليل وهي فوهة بركان خامد . وفي الاخبار ان عظة السيد المسيح على الجبل انما كانت في هذا المكان .

(٢) من الهيكليين والاسيتاريين ؛ فالهيكليون دعوا كذلك لان مقامهم الاول كان قرب موقع هيكل سليمان ، وقد نظمو احوالي ١١١٩ لتأمين الحجاج في طريقهم الى الارض المقدسة . اما الاسيتاريون او فرسان القديس يوحنا القلبي فقد تمردوا من مؤسسة سابقة كان هدفها اعداد المآوي للحجاج لكنهم تحولوا في ما بعد الى اغراض عسكرية . وقد تقيد الفريقان باليهود الرهبانية .

(٣) راجع ص ٢٣٠ . في ما سبق من هذا الفصل .

(٤) شاهد ابن جبير (ص ٥٨ - ٦٠) في الاسكندرية بقايا جيشه مشهودين الى الجمال يواجهون انفلها وهم يقادون الى الاعدام على صوت الطبول . ابو الداء ؛ ج ٣ ، ص ٦٨ - ٦٩ .

بيده ، وقد حان الوقت للبر بالقسم . ولم ينجه ، وهو اسير مكبّل بالاصفاد ، ان شرب الماء في خيمة أسره ، بحكم التقليد العربي في امان الضيف ، لأن الماء طلب ولم يقدم . وارنعد غي اذ هوى صلاح الدين بالسيف على عنق اسيره ، لكن صلاح الدين ردّ الايمان الى نفسه بقوله « ان الملك لا يقتل الملك » .

كان القضاء ، في يوم حطين ، على جيش الافرنج ، وفيه مغارز من الولايات الاخرى ، منذراً بمصير المملكة اللاتينية المحتوم . فبعد حصار دام اسبوعاً واحداً استسلمت القدس في الثاني من تشرين الاول . وكان الفرق جلياً بين معاملة صلاح الدين للمدنيين من الافرنج ، ومعاملة الافرنج للمسلمين قبل ذلك بثمانين سنة . فمن استطاع ان يؤدي الفدية عن نفسه فقد فعل ؛ وسمح للفقراء منهم بفرصة عشرين يوماً يجمعون خلالها مبلغاً يفتدون به نفوسهم ؛ وبيع الباقون عبيداً . أما الاراضي التي اخلاها الافرنج ، فقد ابتاعها الجنود والنصارى من المواطنين^٢ . واتجهت موجة الفتح بعد القدس نحو الحصون الباقية ، فجرفت في طريقها الشوبك والكرك الى الجنوب ، وقلعة كوكب^٣ والشقيف^٤ وصهيون الى الشمال . ثم سقطت عسقلان وعكا وصفد وطرطوس وجبله واللاذقية جميعها قبل نهاية سنة ١١٨٩^٥ ؛ ولم يبقَ في يد الافرنج إلا صور وطرابلس وانطاكية وبعض المدن والحصون الصغيرة^٦ .

عكا مركز النشاط الحربي

إن خروج المدينة المقدسة من يد الصليبيين أثار أوروبا ، ودفعها إلى إعداد حملة

(١) ابو شامة ، ج ٢ ، ص ٧٥ وما بعد ، وهو ينقل عن شاهد عيان ؛ ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ٣٥٢ - ٥٥ ؛ بهاء الدين ابن شداد ، سيرة صلاح الدين (القاهرة ، ١٣١٧) ، ص ٢٧ - ٦٠ - ٦٥ ، عماد الدين الاصفهاني ، ص ٢٢ - ٢٨ ؛ Ernoul and Bernard le Tresorier, *Chronique*, ed. M. L. de Mas Latrie (Paris, 1871), pp. 172-4.

(٢) ابن خلدون ، ج ٥ ، ص ٣١١ .

(٣) حصن جديد بناه الصليبيون على الاردن الى الشمال من بيسان وكان اسمه التلم « كوكب الهوا » .

(٤) قلعة على صخر شاهق يعلو ١٥٠٠ قدم عن نهر الليطاني وكانت عسقلان . وهي تسيطر على الممر الجبلي من دمشق الى صيدا واسمها التام شقيف ارنون (شقيف من لفظة سريانية معناها الصخر العظيم ؛ ارنون كذلك بمعنى السيل المنفج) .

(٥) القريري ، كتاب السلوك لمعرفة الملوك ، نشر مصطفى زيادة ، ج ١ ، ق ١ (القاهرة ١٩٣٤) ، ص ٩٩ - ١٠١ .

(٦) ابن شداد ، ص ٦٥ وما بعد ؛ عماد الدين ، ص ١٣٦ وما بعد ؛ Ernoul and Bernard, pp. 179 seq. 251.

صليبية ثالثة ، ، ساهم فيها اقوى الملوك في اوربا الغربية آنذاك وهم ثلاثة : فردريك بارباروسا ملك المانيا ، وفيليب اوغسطس ملك فرنسا ، وريكاردرس الاول ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد . وقد التقت الاسطورة بالتاريخ لتجعل من هذه المعركة التي تقابل فيها البطلان : ريكاردرس وصلاح الدين ، حقبة من أروع الحقب وأشدها اثارة في تاريخ الغرب والشرق .

سلك ملك المانيا طريق البر ، لكنه غرق وهو يعبر نهراً في كيليكيا ، فادرك الحور والتخاذل الكثيرين من اتباعه وعادوا أدراجهم . اما اللاتين المقيمون في سورية ، فقد ايقنوا ان مدينة عكا هي المفتاح لاستعادة الملك المفقود . وعليه فقد وجهوا نحوها جميع القوى المقاتلة ، سواء منها ما كان في حوزتهم ، وما تقاطر من اوربا على صورة إمدادات . وقد تولى قيادة هذه الحملة الملك غي ، مع انه كان قد اقسام بشرفه لصلاح الدين ، بعد معركة حطين ، انه لا يعود الى شهر السلاح في وجهه . لكنه سار نحو القدس والقي عليها الحصار . وعندها خف صلاح الدين لانقاذها وضرب بنيامه في مقابل تخيم العدو .

وكان للافرنج على العرب افضلية اكيدة هي مؤازرة الاسطول ومعدات الحصار الحديثة . وقد استمرت العمليات الحربية سنتين (من ٢٧ آب ١١٨٩ الى ١٢ تموز ١١٩١) ، وتعتبر من اعظم المواقع التي دارت في تاريخ القرون الوسطى . عمد فيها صلاح الدين الى جماعة من الملاحين المسلمين في بيروت ، فألبسهم ملابس الافرنج ، وارسل معهم الخنازير ، وكلفهم بنقل المؤن بجرأ الى المدينة المحاصرة^١ . وسجل فيها التاريخ اعمالاً من البطولة النادرة جرت في كلا المعسكرين ، منها ان نحاساً دمشقياً أثر نيل الاجر من الله على كسب مكافأة من السلطان لاحراقه ثلاثة من ابراج المحاصرين بمتفجرات زكبتها هول هذه الغاية^٢ . وكان ريكاردرس قد استقدم من صقلية حجراً كبيراً من الصوان ليرميه بالمنجنيق ففعل وقتل به ، في ما يروي ، ثلاثة عشر من اهل عكا ، فحمل الى صلاح الدين كتخفة نادرة . وقد استعين بالسباحين والحمام الزاجل لتأمين الصلات بين صلاح الدين والمدينة المحاصرة . وحدث مرة ان احد السباحين غرق ، وكان يحمل مالا ورسائل الى المحاصرين ، فذفت الامواج

(١) ابو شامة ، ج ٢ ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٢) ابن خلدون ، ج ٥ ، ص ٣٢١ .

بجثمانه الى الشاطئ حيث تلقاه ابناء عكا، واخذوا ما كان يحمله من مال ورسائل . وقد أوحى هذه الحادثة لمدون سيرة صلاح الدين^١ ان يسجل : « فما رؤي من اخذ الامانة في حال حياته وقد ردها في مماته إلا هذا الرجل » . واذا أخفق صلاح الدين في الحصول على نجدة من الخليفة ، اضطرت حامية المدينة الى الاستسلام .

وكان من شروط الاستسلام اعادة « الصليب الحقيقي » الذي انتهب في حطين ، واخلاء سبيل الحامية ، في مقابل اداء ٢٠٠ الف قطعة من الذهب^٢ . واذا لم يدفع المال بعد مضي شهر أمر قلب الاسد بالآلفين والسبع مئة اسير فقتلوا عن آخرهم^٣ .

وكان ريكاردوس وجداني الحيال ، فاقترح على صلاح الدين ، حسماً للزراع ، ان تزف اخت ريكاردوس الى اخ صلاح الدين الاصغر ، الملك العادل ، وان تقدم عكا والقدس للعروسين هدية زفاف ؛ فيكون بذلك ختام النضال المسيحي الاسلامي^٤ . وفي ايار سنة ١١٩٢ قام ريكاردوس بمنح الملك الكامل ابن الملك العادل رتبة الفروسية في احتفال رسمي مهيب ، وكان عمه صلاح الدين قد منح ، قبل ذلك بسنين عديدة ، هذه الرتبة السامية من رتب الفروسية المسيحية . وقد تبادل ريكاردوس وصلاح الدين الهدايا لكن لم يقدر لهما ان يلتقيا . وفي ٢ أيلول من سنة ١١٩٢ تم الصلح بينهما على ان يكون الساحل من مدينة صور الى الجنوب تابعاً للاتين ، وان يبقى الداخل بيد المسلمين ، وان لا يعترض احد سبيل الحجاج الوافدين على القدس . وهكذا قسمت فلسطين ، وودع ريكاردوس سورية ، وعاد ادراجه الى وطنه . وفي مستهل شهر آذار من العام التالي توفي صلاح الدين على اثر حمى اصابته ، وله من العمر خمس وخمسون سنة . ولا يزال قبره القائم الى جانب المسجد الاموي من اجل المزارات في العاصمة السورية .

لم يكن صلاح الدين بطلاً من ابطال الحروب ، وعلماء من اعلام اهل السنة فحسب ، بل كان - الى ذلك - من بناء النهضة العلمية وحماة اربابها . فقد أنشأ

(١) ابن شداد ، ص ١٢٠ .

(٢) ابو شامة ، ج ٢ ، ص ١٨٨ ؛ عماد الدين ، ص ٣٥٧ ؛ ابن العبري ، ص ٣٨٦ - ٨٧ ؛ ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٨٣ - ٨٤ .

(٣) ابن شداد ، ص ١٦٤ - ٦٥ ؛ Benedict of Peterboroug, ed. W. Stubbs (London, 1867), vol. ii. p. 189.

(٤) قابل : ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٨٤ .

المدارس ومعاهد البحث، وبنى المساجد في مصر وفي سورية. وكانت بطانته الخاصة تشتمل على الوزير الاديب، القاضي الفاضل^١، والمؤرخ الانتيق الاسلوب عماد الدين الاصفهانى^٢، ثم كاتبه الخاص ومدون اخباره، بهاء الدين بن شداد^٣. وقد وزع على اتباعه الكنوز التي وقعت في يده عند اكتساح الخلافة الفاطمية^٤، ولم يترك لنفسه شيئاً منها. وكان من هذه النفائس حجر من الباقوت وزنه ابن الاثير بنفسه^٥ فاذا زنته ١٧ درهماً. وقد عرف هذا الحجر الثمين بالجبل وكان يشرق في الليل كأنه المصباح. وقد كان في ما روي للسلاجقة، وقبلهم في حوزة العباسيين، فسقط يوماً من الرشيد في نهر دجلة؛ وقد سبق ان كان قبل ذلك عند الاكاسرة^٦.

اما املاك نور الدين فقد عفت عنها صلاح الدين وتركها لابن الفقيده. واما الارث الذي خلفه هو فقد بلغ سبعة واربعين درهماً. وقطعة واحدة من الذهب^٧. لكن الذكرى التي خلفها لا تزال كترأ يفوق كل تقدير في تراث الشرق العربي. ويتمتع صلاح الدين في اوربا بما يقرب مما يتمتع به في الشرق من ذكرى المروءة والبسالة. وقد هممت ذكراء خيال الشعراء الانكليز، وغذت خواطر الروائيين الحديثين^٨.

-
- (١) ابن خلكان، ج ١، ص ٥٠٩ وما بعد؛ السيكي، طبقات الشافعية الكبرى (القاهرة، ١٣٢٤) ج ٤، ص ٢٥٣ - ٥٤.
- (٢) ابن خلكان، ج ٢، ص ٤٩٥ وما بعد؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٢٧٠. وقد اعتمد في مادة هذا الفصل على كتابه: «الفتح».
- (٣) ابن خلكان، ج ٣، ص ٤٢٨ وما بعد. وقد اعتمد في هذا الفصل على كتابه: «السيرة» الى مدى بعيد.
- (٤) القريري، ج ١، ص ٤١٤ - ١٦؛ ابن تفردي، نشر پوپر، ج ٣، ق ١، ص ٨٥ - ٨٦.
- (٥) المجلد ١١، ص ٢٤٢.
- (٦) ابن الاثير، ج ٦، ص ٧٤؛ ج ١٠، ص ٢٦٦؛ السمودي، ج ٧، ص ٣٧٦؛ الطبري، ج ٣، ص ١٦٤٧، ١٦٠٢.
- (٧) ابو الفداء، ج ٨، ص ٩.

(٨) هنالك شاعر دمشقي عرف صلاح الدين معرفة شخصية هجاء بمروجه. وذكره كذلك ابن عنين في ديوانه، نشر خليل مردم (دمشق، ١٩٤٦)، ص ٢١٠ - ٢١١؛ اما ابن الساعاتي وهو شاعر معاصر آخر فقد امتدحه بقصائد عديدة وحيا بطولته، نشر الديوان انيس المقدسي، (بيروت، ١٩٣٨) ج ١، ص ١٩ - ٢١.

بعد وفاة صلاح الدين

تبدأ بموت صلاح الدين، بطل الاسلام العظيم، الحقبة الثالثة في تاريخ الصليبيين، وهي فترة من التفسخ والفتن استمرت قرناً من الزمان. ولم يكن الجمهور في اوربا، طيلة القرن الثالث عشر، ليلقي بالاً الى هذه الحروب، ولم يجهز منها ما هو شبيه بالحملة الصليبية الاولى، من حيث انها تخلفت عن دوافع دينية، الاحتمالات القديس لويس ملك فرنسا، وذلك في اواسط ذلك القرن. على ان عدداً من الحملات الصليبية التي جهزت في هذا العصر قد وجهت الى مصر على امل ان تبلغ البحر الاحمر، وتساهم في النشاط التجاري العابر في المحيط الهندي، على افتراض ان احتلال دمياط او الاسكندرية - مثلاً - قد يمكن من استبدال القدس باحدهما. وكان المسلمون، الى ذلك، قد فقدوا روح الجهاد، ولم تكن اضافة الزعامة الموحدة والممتلكات الموحدة باقل خطورة. فقد انقسمت سورية بين ابني صلاح الدين، على ان الملك العادل اخو صلاح الدين احرز بعد ذلك بامد قصير، السيادة على مصر وعلى جزء كبير من سورية. وقد حاول الملك العادل، طيلة عهد ولايته (١١٩٩ - ١٢١٨)، ان يحافظ على الصلات الودية مع الافرنج. وكان هدف هذه السياسة تحقيق السلام وتنمية الصلات التجارية مع الايطاليين.

وقد نشأت بعد العادل اسر ايوبية عديدة تولت الحكم في مصر ودمشق والعراق، وظهرت منها فروع اخرى في حمص وحماة واليمن^٢. وفي خلال الاضطرابات التي نشبت ما بين فروع هذه السلالة، اخذت المدن التي احتلها صلاح الدين، نظير بيروت وصفد وطبرية، بل والقدس (١٢٢٩)، تعود تبعاً الى ايدي الافرنج. فقد تخلى الملك الكامل ابن العادل عن القدس لفردريك الثاني ملك صقلية، بموجب معاهدة عقدت لعشر سنوات، تعهد بها فردريك ان يقدم العون للكامل على اعدائه، وجلهم من الايوبيين^٣. لكن الملك الصالح، نجم الدين ابن اخي الكامل، عمد سنة ١٢٤٤ الى استخدام مفرزة من اترك خوارزم، الذين اخرجهم

(١) انظر الفصل السابع والاربعين الصفحة الاولى.

(٢) انظر جداول انساب الايوبيين في الفصل السابع والاربعين.

(٣) ابو الفداء، ج ٣، ص ١٤٨؛ ابن الاثير، ج ١٢، ص ٣١٥.

جنكيز خان من موطنهم في آسيا الوسطى، ليعيد المدينة الى حوزة الاسلام . على ان الافرنج لم يكن بوسعهم ان يستولوا هذا التفسخ، لان الشقاق كان قد دب ايضاً في صفوفهم، فاشتدت المنافسة بين اهل جنوى منهم واهل البندقية، واستحكم التعاسد بين الفرسان الميكلين والفرسان الاسبتاريين، فنشب النزاع بين زعمائهم؛ ولم يكن حصول احد الجانبين، في هذه الخصومات، على تأييد من المسلمين ضد الجانب الآخر، باغرب من فوز بعض المسلمين بالتأييد من بعض النصارى، ضد مسلمين آخرين^١.

القديس لويس

كان الحدث البارز في اواسط القرن الثالث عشر قدوم لويس ملك فرنسا، قائداً «الحملة الصليبية السادسة» (وهي الاولى الموجهة ضد مصر). وقد قضى اربع سنوات في سورية (١٢٥٠ - ١٢٥٤) حصن في أنثانها يافا وقيسارية وعكا وصيدا^٢. وخرائب الحصن الذي اتخذ مركزاً في صيدا، وقام الفرسان الميكلون على حمايته، لا تزال قائمة الى اليوم. وكان لويس، بالنسبة الى سائر قواد الصليبيين، اطهرهم قلباً واسماهم خلقاً - بل لقد كان له شخصية القديس الحقيقي^٣.

بيبرس قائد المقاومة ضد الصليبيين

على ان خطراً جديداً مداماً اخذ ينذر بسوء العاقبة من الشرق: هو غزو التتر. فقد كانت قبائل المغول تجتاح شمالي سورية وتتقدم جنوباً. وكان الايوبيون في الوقت نفسه، يتراجعون امام المماليك^٤. وكان رابع هؤلاء الملك الظاهر بيبرس (١٢٦٠ - ٧٧)، وقد جاء على رأس سلسلة من السلاطين الذين سدوا الى سورية اللاتينية الضربات القاضية الاخيرة، وقضوا تماماً على مملكة كيليكية الارمنية. ولقد فاز بيبرس بايقاف زحف المغول الاول في فلسطين^٥، واسترجع

(١) راجع القطعة عن ردة المسلمين على يد زنكي في هذا الفصل .

(٢) Joinville, ss 406-595.

(٣) انظر الفصل السابع والاربعين حول المماليك بعد الايوبيين .

(٤) انظر الفصل السابع والاربعين حول الفتح المغولي .

ما اخضعوه من سورية، وأعاد توحيد مصر وسورية؛ وغدا من ثم قادراً على مواصلة الحرب المقدسة. وعليه فقد شنّ بين سنتي ١٢٦٣ و ١٢٧١ غارات سنوية على معاقل الافرنج حتى عنت له تبعاً. ومع ان الفرسان الميكلين والاسبتاريين كانوا معتصمين في حصون منيعه، كانت للدول اللاتينية بمثابة المتراس، فقد عجزوا عن الصمود لضربات المتتالية. ففي سنة ١٢٦٣ احتل بيبوس الكرك، وهدم كنيسة الناصرة الجليلية، وبعد ذلك بسنتين ظفر بقيسارية على أثر هجوم مفاجئ. وبعد حصار دام اربعين يوماً تسلم ارضوف من يد الفرسان الاسبتاريين^١. وفي سنة ١٢٦٦ اُلفت صفد السلاح وأبيدت غدراً حاميتها التي بلغت الالفين عدداً بعد ان منحوا الأمان^٢. ولا تزال أسوار المدينة تحمل العبارة المنقوشة: «اسكندر زمانه وعماذ دينه». وعلى الجسر الذي بناه عبر الاردن كتابة نقش على كل من جانبيها رسم أسد. وفي سنة ١٢٦٨ سقطت يافا واستسلمت شقيف ارنون. وأهم من ذلك كله ان انطاكية نفسها اُلفت سلاحها. وقد سقط من حامية انطاكية وسكاتها ١٦ الف تحت حد السيف، ووقع ١٠٠ الف منهم - على ما في الرواية - في الاسر؛ فبيع الصبي منهم باثني عشر درهماً، والبنت بخمسة دراهم. اما المدينة نفسها بقلعتها القديمة وكنائسها الشهيرة، فقد جعلت طعاماً للنار. وهي ضربة لم تصح منها انطاكية حتى الآن^٣.

سقطت انطاكية، وهي الدولة اللاتينية الثانية التي برزت الى الوجود، فكان سقوطها هادماً لمعنويات اللاتين. وعليه فقد سارعوا الى إخلاء عتد من الحصون الصغرى. وفي سنة ١٢٧١ استسلم حصن الاكراد المنيع، بعد حصار قصير (من ٢٤ اذار الى ٨ نيسان)، وهو الحصن الخلفي الرئيسي للفرسان الاسبتاريين، وأروع ما خلفته لنا العصور الوسطى من الحصون. وقد كان هذا الحصن تابعاً لحاكم طرابلس. وكان يتسع لألفين من الجنود في آن واحد. وقد حى لسنين عديدة الممر الذي يصل ساحل لبنان الشمالي بسورية، كما حرس قلعة الشقيف الممر الجنوبي. وكلفت

(١) ابن الفرات، التاريخ، نشر قسطنطين زريق، ج ٧، (بيروت، ١٩٤٢)، ص ٨٢.

(٢) المقريزي، كتاب السلوك في معرفة دول الملوك ترجمة كاترمير (باريس، ١٨٥٤) ج ١، ق ٢ ص ٢٩ - ٣٠؛ ابو الفداء، ج ٤، ص ٣.

(٣) ابن العبري، ص ٥٠٠، المقريزي، ترجمة كاترمير، ج ١ (ق ٢)، ص ٥٢ - ٥٤؛ ابو الفداء، ج ٤، ص ٤ - ٥.

حصن الاكراد في طليعة الحصون الجبلية التي بنيت لتسيطر على الممرات التي امتدت بين الاقاليم الاسلامية الداخلية والمناطق الافرنجية الساحلية . وكان من هذا النوع من الحصون : مصياف^١ والقدموس، والكهف، والحوايي؛ وكانت جميعها بيد الحشاشين احلاف الاستباريين . وهذه الحصون — وأمنعها قلعة مصياف — تقع في منطقة التصيرية وقد قهرت في هذه الآونة، فسارعت طرطوس^٢ وهي حصن الهيكليين الرئيسي^٣، وقلعة المرقب، وهي بيد الاستباريين، الى عقد الصلح . وهذان الحصنان الاخيران يمثلان طراز الحصون الساحلية التي اقيمت لتسيطر على الطريق البحري، ولتحمي المرافئ من الاسطول المرباط في مصر . أما قلعة طرطوس فلم يبقَ منها شيء كثير، لكن المرقب لا تزال جاثمة وكأنها مدرعة على رابية . وقد احصى الادريسي^٤ العالم الجغرافي الشهير، الذي زار سورية قبل هذا الوقت بقليل، ما لا يقل عن ستين حصناً ما بين بيروت واللاذقية . وتشير الابحاث الحديثة الى ان المباني الحربية الصليبية، في ظواهرها المسيحية والاسلامية، انما تقوم على اساس من فن التحصين البيزنطي^٥.

الحشاشون

هم فرقة اسماعيلية متجددة، أسسها الحسن بن الصباح، وجعل مقره الرئيسي، سنة ١٠٩٠، قلعة الموت^٦ في جبل ألبرز . اما اسمهم فمشتق من لفظة « حشيش »

(١) ورد الاسم كذلك : مصياف، ومصّياد، ومصّيات، ومصّيات، راجع الموسوعة الاسلامية مادة مصياد؛ اسامة، ص ١٤٨، Dussaud, et al., *Syrie antique* ; pl. 128, حيث لا يزال الاسماعيلية يقيمون .

(٢) هي طرطوس الحديثة (واقعة في مقابل جزيرة ارادوس)، وهي في ياقوت طرطوس، ج ٣ ص ٥٢٩ .

(٣) اما حصنهم الداخلي الرئيسي فهو المعروف اليوم ببرج صافيتا وكان كنيسة للروم الارثوذكس .

(٤) نشر كتابه غولدمستر، انظر ص ١٨، ٣٠، ٢٢ .

(٥) Paul Deschamps, *le Crac des Chevaliers* (Paris, 1934), vol. I, pp. 43 seq. (cf. T. E. Lawrence, *Crusader Castles* (London, 1936), vol. i, pp. 13-15.

(٦) ترتفع القلعة كأنها عرش النسر ولعل هذا معنى الاسم، وذلك على الطريق الوعرة بين شواطئ قزوين ومرقعات ايران .

(٧) عشبة تعرف بالهندية بـ « بهانغ » معربها بنج، وقد ورد في المدونات البابلية ذكر عقار من قبيل الترياق « سالب العقل » يزيل الهموم .

العربية، وهو عشب خدّر كانوا - في ما يظن - يعمدون الى تخدير انفسهم به، عند الاقدام على أعمالهم. وهذه الجماعة عبارة عن منظمة سرية يرئسها سيد كبير هو «داعي الدعاة» يليه جماعة من الزعماء هم «كبار الدعاة»، ويلي هؤلاء «الدعاة العاملون» واخيراً جماعة «الفدائيين»^١، المستعدين ابدأ لتنفيذ اوامر داعي الدعاة، فهم لا يتخرجون عن اغتيال خصومهم بالخناجر، نصارى كانوا او مسلمين، حتى انهم اتخذوا الاغتيال فناً.

وحوالي الوقت الذي كان فيه الصليبيون يدخلون سورية من الشمال الغربي، كان الحشاشون يدخلونها من الشمال الشرقي. وكان اول رجل بارز انقاد اليهم واعتنق مذهبهم الامير السلجوقي رضوان^٢ (ت ١١١٣)؛ وأول معقل المخنوخه مدينة بانياس^٣. وفي غضون سنة ١١٤٠ استولوا على عدد من المعاقل في المنطقة الجبلية في شمالي سورية. وهو بدير ساروا فيه على خطى انسابهم القرس. وكان اول ما وقع منها في ايديهم قدموس. وقد قدر وليم الصوري^٤ عددهم بـ ٦٠ ألفاً. اما الأوربيون فقد عرفوا داعي الدعاة بـ «شيخ الجبل»، وكان مقره في مصياف^٥. شغل هذا المنصب الرفيع راشد الدين^٦ سنان، مدة ثلاثين سنة، ابتداءً من سنة ١١٦٢، ورجاله هم الذين قاموا بمحاولتين فاشلتين لاغتيال صلاح الدين^٧. فابت وزيراً دمشقاً كان قد اغرى راشد الدين بالمال من اجل القيام بذلك، وفاء منه لذكرى نور الدين الزنكي. وقد هاجم صلاح الدين قلعة مصياف، لكنه لم يتمكن من قهرها. واتجه اليه الظن بانه استخدم الحشاشين ضد كوتراود مونتفرات ملك

(١) قابل ابن بطوطة، ج ١، ص ١٦٦ - ٦٧.

(٢) راجع ص ٣٠٦ من هذا الجزء.

(٣) راجع ص ٢٣٤ من هذا الجزء.

(٤) المجلد الثاني، ص ٦٩١؛ قابل Burchard of Mount Zion, fr. Aubrey Stewart, (London, 1896), p. 105 حيث ورد ان عددهم كان ٤٠ ألفاً.

(٥) يذكر، Benjamin of Tudela (ca. 1169), vol. I, p. 59، ان قاعدته كانت القمموس.

(٦) راشد وليس رشيد، ابو الفداء، ج ٣، ص ٨٩؛ ابن خلكان، ج ٢، ص ٥٢١.

(٧) ابو الفداء، ج ٣، ص ٦٠، ٦١.

آخر المستعمرات الصليبية

. Joinville, pp. 250 seq (t

١٥ نيسان سنة ١٢٨٢ جدد الهدنة التي كان يبرس قد عقدها مع الفرسان الهيكليين في طرطوس، لعشر سنوات اخرى وعشرة اشهر. وبعد ثلاث سنوات عقد معاهدة بمائلة مع أميرة صور، وكانت بيروت في حوزتها^١. وقد حاصر قلعة المرقب ثمانية وثلاثين يوماً استسلمت بعدها، وكان استسلامها في ٢٥ ايار سنة ١٢٨٥. ولا يزال عدد كبير من رؤوس النبال مغروساً ما بين الاحجار في اسوارها الخارجية. وكان المؤرخ الايوبي الامير ابو الفداء^٢ آتئذ ناشئاً في الثانية عشرة من عمره، وكانت هذه المناسبة هي المرة الاولى التي عرف بها الحرب. وقد سيقحت حاميتها من فرسان الاسبتاريين مخفورة الى طرابلس^٣. وكانت طرابلس اكبر مدينة لا تزال في يد الافرنج، فسقطت بعد ذلك باربعة سنوات، ودكت معالمها الى الارض. وقد كانت الروائح النتنة المنبعثة من الجثث المتراكمة على الجزيرة القائمة خارج المرفأ، من القوة بحيث لم يستطع ابو الفداء احتلالها. وأعيد بناء طرابلس بعد ذلك بعدة سنوات ولكن ليس على موقعها الاول، بل على مسافة عدة اميال من البحر، حيث تقوم الآن. ثم ان عقيلة «الأمان» وراء الحصون المنيعه التي اعتمدها الهيكليون، قد خائنهم، وكانت عكا الموقع الحربي الخطير الباقي بيد الافرنج. وفيما كان قلاوون يعد هجومًا عليها أدركته الوفاة، فتسلم الامر من بعده ابنه الاشرف (١٢٩٠-٩٣)، فسار نحوها؛ وبعد قتال دام اكثر من شهر، استخدم فيه ٩٢ منجنيقاً، انقض عليها في ١٨ ايار ١٢٩١ واحتلها. ولم يراع عهد الأمان الذي قطعه على نفسه للهيكليين، بل فتك بهم اشد الفتك. وقد كان ابو الفداء في عداد المحاصرين، أما المدينة فغدت بحكم الزائلة من الوجود^٤.

- (١) لقد حفظ القريري نص المعاهدتين ونشرهما كترميم ج ٢ (ق ٣) ص ١٧٢ - ٧٦، ١٧٧ - ٧٨؛ قابل النص كما في ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٠٤ - ٢٦٢، ٢٦٢ - ٧٢.
- (٢) المجلد الرابع، ص ٢٢.
- (٣) ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧ - ١٨.
- (٤) المجلد الرابع، ص ٢٤؛ قابل ابن الفرات، ج ٨، ص ٨٠ - ٨١. ويشير الادريسي ص ١٨ الى وجود اربع جزر في مرفأ طرابلس، وما يرى منها اليوم لا يكاد يسمى بالجزر.
- (٥) المجلد الرابع، ص ٢٥ - ٢٦؛ القريري ترجمة كترميم، ج ٢ (ق ٣) ص ١٢٥ - ٢٩.
- (٦) اعيد بناؤها في القرن الثامن عشر اما القلعة فقد جعلها الاتكليز سجنًا لكن الارهابيين الصهيونيين نسفوه في ايار ١٩٤٧.

ثم ان سقط عكا قرر مصير المدن الساحلية القليلة الباقية . فاخليت صور في اليوم نفسه ، وحيدا في ١٤ تموز ، واستسلمت بيروت في ٢١ تموز ، وانطرطوس في ٣ آب . وكان الهيكليون قد هجروا عثليث ، فهدمت في اواسط آب^١ . لكنهم صمدوا في جزيرة ارواد احدى عشرة سنة . ولا يزال ظاهراً فوق باب القلعة الحربة في هذه الجزيرة ، الشعار اللوسيني الحربي وهو اسد ونخلة . وبسقوط ارواد أسدل الستار على المشهد الاخير من فصل هو من اروع الفصول في تاريخ النضال بين الشرق والغرب .

(١) صالح ، ص ٤٢ ؛ ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٢٦ ؛ Sanuto in Bongars, vol. ii, pp. 231 seq.

الفصل السادس والتسعون

التفاعل الحضاري

لقد ابدع الصليبيون حقاً في روائع الاحداث وغرائب الوقائع ، الا انهم كانوا مدعاة لحية الامل في ما آتي الفكر وماثر الحضارة ؛ فكانوا ، من حيث فاعليتهم الحضارية ، ابعد تأثيراً في الغرب منهم في الشرق . ذلك لأنهم فتحوا امام بصائر الاوربيين آفاقاً جديدة — صناعية وتجارية واستعمارية ؛ فكانت الدول التي اقاموها في سورية من قبيل الممالك الاستعمارية الحديثة ، وكان التاجر او الحاج آنذاك ، في مقام الجندي المسرح اليوم — اداة فعالة في نقل الحضارة . على انهم تركوا في الشرق من النفور بين المسلمين والنصارى ، ما هو باق الاثر حتى اليوم .

تأثيرهم في الغرب : العلم والادب

كانت الحضارة الاسلامية في العصر الصليبي آخذة في الانحلال في الشرق ، فقوة الابتكار كانت قد غدت اثرأ بعد عين^١ ، قبل ذلك بزمن يسير ، وانوار العلم والادب والفلسفة قد خبت ؛ هذا مع العلم بان الافرنج كانوا اصلاً دون الشرقيين حضارة . فلقد حال العداء القومي والتعصب الديني ، دون التفاعل الحضاري الطليق ، بينهم وبين المسلمين ؛ وخلقاً جواً تعذرت فيه الاستجابة للمؤثرات . فلا غرابة إذن في اننا لا نعلم إلا بكتاب علمي واحد ذي خطر ، نقل من العربية الى اللاتينية ، في هذا العصر بطوله ، هو كتاب المجوسي^٢ « كامل الصناعة الطبية » المعروف بـ « الكتاب الملكي » ؛ ترجمه سنة ١١٢٧ في انطاكية عالم من علماء بيزا اسمه اسطفان . ونقل بعده في انطاكية ايضاً (١٢٤٧) كتاب آخر اقل منه خطراً هو كتاب « سر الاسرار » ، وهو رسالة منسوبة الى ارسطو في علم السحر احرزت شهرة واسعة

(١) راجع ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

(٢) اسمه الاول علي بن العباس توفي سنة ٩٩٤ .

في اواخر العصر الوسيط . وغالب الظن ان تدابير الاستشفاء إنما انتظمت في الغرب بجوافز تسربت من الشرق الادنى ، فإذا عدد من المستشفيات ودور الصحة ، لاسيا محاجر الامراض السارية^١، يظهر في اوربا في القرن الثاني عشر، بحيث يسوغ اعتبار المستشفيات الاوربية وليدة محاجر الجذام السورية .

وكان التأثير الادبي اضعف وأخفى ؛ فقد نقلت قصص يعود بعضها الى اصل فارسي او هندي ؛ فاذا هي ، كما وردت في « جستاروماتوروم » ومجموعات اخرى ، قد اجري فيها تبديل غريب . فقصة تشوسر : « سكويرز » (Squieres) لها سابقة في الف ليلة وليلة ، وكذلك قصة بوكاتشيو : « ديكاميون » (Decameron) ، فإنها تشمل على عدد من الحكايات ، نقلت شفاهاً من اصول تعود الى الشرق الادنى . اما اسطورة « الكأس المقدس » (Holy Grail) فقد احتفظت بعناصر لا شك في انها ذات اصل سوري .

الفنون الحربية

لقد تعلم الافرنج في سورية استخدام القوس المصلبة^٢، وارتداء الدروع الثقيلة ، يلبسها فرسانهم ويلبسونها خيولهم ؛ ومارسوا النقر على الطنبور والنقارة في جوقة الجيش ، واستعانوا بالهامم الزاجل لنقل المعلومات العسكرية ، وعمدوا الى إرسال الاشارات ليلاً بايقاد النار^٣؛ واقتبسوا كذلك عادة ايقاد المشاعل ابتهاجاً بالانتصارات . وقد عرفوا في الشرق مباريات البطولة بين الفرسان ؛ إذ ان نظام الفروسية بجملمته نشأ على الارض السورية . وكان احتكاكهم بفرسان المسلمين مما اغراهم باتخاذ الاوسمة وشارات البطولة ؛ مثال ذلك ان النسر ذا الرأسين ، الذي تحدر من اصل سومري قديم ، فنقشه زكي على النقود التي ضربها ، ثم اتخذها الارتقيون شارة مميزة لهم قد انتقل الى فرسان المائدة المستديرة وإلى المملكة البيزنطية ،

(١) راجع ص ١١٣ من هذا الجزء .

(٢) انظر Ludolph von Suchem, p. 135.

(٣) راجع : صالح ، ص ٦٠ - ٦١ ؛ الظاهري ، زبدة كشف المالك ، نشر رافيس (باريس ، ١٨٩٤) ، ص ١١٦ - ١٧ ؛ القلقشندي ، ج ٨ ، ص ٣٩٢ - ٩٤ ؛ العمري ، ص ١٩٦ - ٩٧ ؛ قابل : السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٨٦ .

واتخذته اباطرة المانيا سنة ١٣٤٥ شارة لهم . وأخيراً وصل هذا الرمز من رموز البطولة الى الولايات المتحدة فاتخذت النسر شعاراً لها . اما زهرة الزنبق ، التي اشتهر امرها عند العيلاميين والاشوريين ، فأول من أتبنتها من المسلمين شعاراً على الدروع نور الدين ابن زنكي ؛ وكثيراً ما تجدها على النقود التي ضربها الايوبيون والمماليك . ثم اقتبسها الافرنج ؛ ومنهم تسربت الى الفرنسيين ، وانتهت بعد ذلك الى كندا . وكان للوردة مكانتها لدى الايوبيين والمماليك ايضاً . وكان كثير من المماليك يتسمون باسم بعض الحيوانات ، ويجعلون صورها على دروعهم شعاراً . فاتخذ بيبرس رسم الاسد شارة^١ ، وهذه لفظة ازور azure (من لازورد العربية) وسواها من اسماء الشارات ، تشهد للتأثير الراسخ الذي تركته الفروسية الاسلامية في النظام الافرنجي .

ان منظمة الفرسان الهيكلين ، نظير زميلتها الاستبارية ، كانت اقرب المنظمات الى مبدأ الجمع بين دوافع الحرب واهداف الدين — وهو المبدأ الذي سبق ان تحقق في الاسلام قديماً — وقد سارت في تصرفها على منهج شبيه بمنهج الجشاشين ، دون ان يقتضي ذلك افتراض صلة بين الفريقين . ففي ادنى مراتب المنظمة المسيحية كان : الاخوة العلمانيون ، والاسياد ، والفرسان ؛ في مقابل : اللصقاء ، والغدائين ، والرفقاء في نظام الجشاشين . وكان الفارس يلبس معطفاً ابيض موسوماً بصليب احمر ؛ ويرتدي الرفيق معطفاً ابيض وقبعة حمراء ؛ وكانت الرتب العليا ثلاثاً ايضاً ، هي : المدبر ، والمدبر الاعظم ، والسيد الاعظم ، في مقابل : الداعي ، والداعي الكبير ، وشيخ الجبل^٢ . وكان هنالك منظمة سرية اخرى تعرف بالفتوة ، وهي المنظمة التي تجلت فيها روح الفروسية العربية . وقد عمل الناصر العباسي (١١٨٠ — ١٢٢٥) على اصلاح هذه المنظمة ورعايتها ، متأثراً — في الراجح — بالمنظمات الصليبية . وكان المبتدئ فيها يدعى ايضاً بالرفيق ، ويرتدي طرازاً خاصاً من السراويل ، وقد لبسه العادل اخو صلاح الدين ، وابن العادل ايضاً . وكان لهذه المنظمة في سورية فرع عامل عرف بالنوبوة^٣ .

(١) انظر : L. A. Mayer, *Saracenic Heraldry* (Oxford, 1933), pp. 7, 26, 107 .

(٢) راجع ص ٢٤٥ — ٢٤٦ من هذا الجزء .

(٣) ابن الاثير ، ج ١٢ ، ص ٢٦٨ ؛ الفخري ، ص ٤٣٤ ؛ ابن جبير ، ص ٢٨٠ .

هندسة البناء

ان ابرز ما خلفه الصليبيون من الآثار في سورية تلك الحصون العديدة التي لا تزال تتوّج روابيها؛ وتجيء من بعد الحصون الكنائس . ولقد اعتمد الافرنج في بناء الكنائس الطراز الروماني والطراز القوطي، لكنهم اتخذوا لتزيينها الزخارف البيزنطية والسورية . وقد قلّدوا كنيسة القيامة وقبة الصخرة في كثير من مبانيهم الكنسية لا سيما في ما اقيم منها على طراز « الهيكل المستدير » في انكلترا وفرنسا واسبانيا والمانيا . ثم تحول كثير من كنائس الصليبيين ، بعد ذلك العهد ، الى مساجد ، منها الكاتدرائية العظمى المبنية باسم السيدة في صور^١ حيث كان المؤرخ وليم الصوري^٢ رئيساً للاساقفة (١١٧٥ - ١٢٠٥) ؛ وكنيسة صيدا التي بناها الاسبتاريون ، فتحوّلت الى ما هو معروف بالجامع الكبير ، وكاتدرائية القديس يوحنا التي بناها الملك بلدوين^٣ سنة ١١١٠ في بيروت ، فعدت بعدئذ الجامع العمري ؛ وكاتدرائية السيدة في انطربطوس وهي اجمهون واسلهون من عاديّات الزمن - وكانت منسكاً من منسك الحج . شرع في بنائها سنة ١١٣٠ . وكانت تشتمل على صورة رسمها - في ما يظن - القديس لوقا ، وعلى مذبح اجري عليه بطرس ، فيما قيل ، القديس الاحتفالي الاول^٤ . ثم اضيفت الى هذا البناء مئذنة حديثة تقوم ولا شك على انقاض كنيسة سابقة . واخيراً كنيسة البلمند على مقربة من طرابلس ، بناها رهبان الافرنج سنة ١١٥٧^٥ وهي الآن دير للروم الارثوذكس .

الزراعة والصناعة

كان الحجاج يترددون على الاراضي المقدسة ، والتجار يرتادون شواطئ المتوسط الشرقية . قبل مجيء الصليبيين باجيال متطاولة . لكن الحركة الصليبية زادت في نشاط القوى العاملة ، وعممت في اوروبا منتجات الشرق الادنى ، التي كان

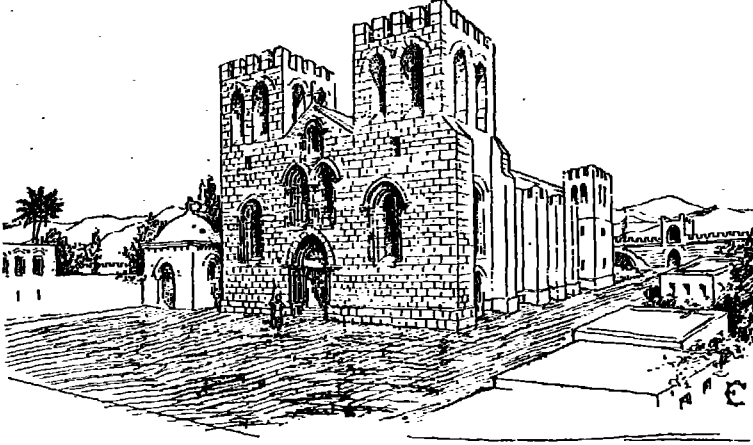
(١) المجلد الثاني ، ص ٤١١ ؛ Enlart, vol. ii, pp. 353 seq.

(٢) صالح ، ص ٥٨ ؛ Enlart, vol. ii, pp. 69 seq.

(٣) Joinville, § 597 ; Jacques de Vitry, pp. 20-21 ; Dussaud et al., *Syrie Antique* (٣ pls. 117, 118 ; Enlart, vol. ii, pp. 403 seq.

(٤) Enlart, vol. ii, pp. 45 seq.

بعضها ولا بد معروفاً قبل ذلك . على ان الذي يزيد في صعوبة تعيين اصول الاشياء ومصادرها ، ان سورية لم تكن الجسر الوحيد الجامع بين الشرق والغرب ، بل



رسم ترميمي لكنيسة السيدة التي بناها الصليبيون في انطربوس (المعروفة اليوم بطربوس)

كان هنالك جسران آخران يؤمنان هذه الصلة ، هما صقلية واسبانيا . لذلك كان من الصعب ان نعين بالضبط الطريق الذي سلكته السلع التجارية .

ففي اثناء اقامة الافرنج في سورية ألقت اذواقهم بعض المنتجات المحلية ، وبعض حاصلات الاقليم الحار ، التي كانت تملأ اسواق سورية في ذلك العهد ؛ نذكر منها : السمسم والحروب^١ والذرة والارز والليمون والبطيخ والشمس^٢ وبصل عسقلان^٣ ؛ وكان الشمس يدعى احياناً بنجوخ دمشق . وقد أختصت عاصمة سورية بالروائح العطرية وماء للورد ؛ وغدت العطور ، والزيت الزكية الخفيفة الواردة من فارس ، وبحور الجزيرة العربية ، وصموغها الطيبة الشذا ، وسوى ذلك

(١) من اصل اشوري : راجع الجزء الاول ص ١٤٩ ج ٢ .

(٢) الاسم القديم برقوق ، وهو من اصل لاتيني معناه التضيق البكر .

(٣) اسمه بالافرنجية مشتق من عسقلان فهو معروف بـ shalloots, scallions

من التوابل والعطور والحلويات ، اثيرة عندهم ؛ وكذلك كبش القرنفل وما شابه من العطور ، والفلفل ونظيره من التوابل ، والشبة وعود الند ، وكثير من العقاقير ؛ فانها تسربت الى مطابخ الاوربيين ومستودعاتهم في الشرق أولاً ثم في الغرب . وقد تقبلوا بلا تردد غرائب المزاعم عن التوابل الغوالي ، التي تنشأ في الفردوس ، وتنحدر طافية على صفحة النيل ، فتنتشل عند مصبه^١ . وفي مصر اضاف الصليبيون الى الوان طعامهم الزنجبيل . واهم من هذه الاصناف جميعها السكر ؛ وكانوا قد عرفوا قصب السكر في سهول لبنان الساحلية . اذ كان تجار العرب قد استحضروه من الهند ، او من جنوبي شرقي آسيا ، حيث يظن انه كان ينمو برياً . وكان الاوربيون ، الى ذلك الحين ، يستخدمون العسل لتحلية الطعام وتركيب الادوية . وكانت صور وجوارها - وهي موطن وليم^٢ (ت حوالي ١١٩٠) اعظم مؤرخي الصليبيين - حافلة بزراع قصب السكر . وقد اقترنت بالسكر انواع عديدة من الشراب والحلويات والسكريات . واول ما ظهرت نواير الهواء في اوربا سنة ١١٨٠ ، وذلك في نورمنديا ، حيث دعت «بالتركية» . ونواير الماء في اوربا اقدم من نواير الهواء ، لكن الذي ينتشر منها في جوار بايروت ، في المانيا ، قد بني على الطراز السوري . وكان هذا الاستبطان قد استخدم في سورية منذ العهد الروماني .

اما في ما يتصل بالازياء والملابس والرياش المنزلية ، فقد ادهفت كذلك رغائب جديدة ، ان لم نقل تولدت اذواق جديدة . فقد اقتنع الافرنج اخيراً بان الملابس الاهلية ، فضلاً عن الوان الطعام المحلي ، هي خير من ملابسهم ، فآخذ الرجال منهم في ارتداء لحاهم ، وارتداء الجلب الفضفاضة ، وستر رؤوسهم بالكوفية ؛ وعمدت النساء الى لبس الشغوف المطرزة بالسكة (سقع) ، والجلوس على الدواوين مصفيات الى الحان العود وانغام الرباب ؛ بل لقد عمدن الى اتخاذ الحجاب في المجتمعات العامة^٣ . وكان المحاربون والحجاج والملاحون والتجار ، يعودون الى اوطانهم حاملين السجاد والبسط والمزركشات ، وهي من ضروب الزخارف البيتية

(١) انظر. Joinville, § 104.

(٢) المجلد الثاني ، ص ٦ ؛ Joinville, § 310.

(٣) ابن جبير ، ص ٣٣٣ .

التي كانت المنازل في الشرق الأدنى تحف بها منذ عهد عريق في القدم . وقد غدا اقبالهم على المنسوجات ، نظير الأقمشة الدمشقية والموصلية والبغدادية^١ والشرقية ، وعلى الأطلس والتفتان^٢ والمحمل والحرير والساتان^٣ ، أشد منه في أي وقت مضى . وشاع استعمال الخلة وأنواع الفراء ؛ وازداد الطلب على المجوهرات التي اشتهر أمرها في دمشق والقاهرة ، حتى ليقال عن العادل أخي صلاح الدين أنه كان يرشوها زوجات الأفرنج من أجل أن يحملن أزواجهن على الامتناع عن الحرب . وهكذا غدت الكماليات الشرقية ضروريات غربية . ثم إن المرايا الزجاجية حلت محل المعدنية ؛ وكان النصارى السوريون وبعدهم المتصوفة المسلمون ، قد اقتبسوا استخدام المسبحة في الصلاة وهي من أصل هندي ، قبل أن تقع في يد الرومان الكاثوليك . وكان الحجاج يرسلون إلى أوطانهم بالصناديق المزخرفة المصنوعة محلياً ، كنماذج لأرباب الصناعات من الأوروبيين ، يصنعون على غرارها . ثم أخذت أراس ، وسواها من مراكز الصناعة الأوروبية ، تقلد ما في الشرق الأدنى من صناعات الخزف والسجاد والانسجة . وقد رافق الأقمشة والمصنوعات المعدنية ما اتصل بها من الأصباغ لاسيما الألوان الجديدة نظير الليمكي والاحمر القرمزي . وقلدوا كذلك صناعات الخزف والذهب والفضة والمينا والزجاج الملون^٤ .

التجارة العالمية

بلغت حركة الملاحة والتجارة العالمية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من النشاط درجة لم تعرف منذ العهد الروماني . وكانت البوصلة ، التي يظن أن المسلمين أول من انتفع عملياً باستخدامها ، مما ساعد كثيراً في تسهيل شؤون الملاحة . وكان الصينيون قد اهتموا قبل المسلمين إلى سر الأبرة المغناطيسية في اتخاذ اتجاه معين ؛ أما في أوروبا فإن الملاحين الإيطاليين كانوا اسبق الأمم إلى استخدام البوصلة^٥ . وكان

(١) هذه الاسماء الثلاثة قد خللت أسماء المدن التي نسبت إليها : دمشق والموصل وبغداد .

(٢) اللفظة العربية من أصل فارسي هو « تافته » .

(٣) عرف بالزيتوني ، وهو تحريف لاسم المدينة الصينية التي أتى منها هذا الحرير في الأصل .

(٤) انظر الفصل التالي : التجارة والصناعة .

(٥) راجع جورج سارطن ، *George Sarton, Introduction to the History of Science*, vol. iii (Baltimore, 1947), pp. 714-15.

من تضخم سيل التجارة نشوء ضرورات جديدة ، منها حاجة الحجاج والصليبيين الى التقد . وهذه الحاجة ساعدت على إنشاء ادارة مالية ، وأدت الى زيادة كمية النقد ، وارتفاع نسبة تداوله . وقد أنشئت مؤسسات في جمهوريات المدن الايطالية فتحت مكاتب فرعية لها في الشرق الادنى . ومست الحاجة كذلك الى تدبير مالي آخر هو فتح الاعتمادات المالية ^١ . ولعل « الدينار البيزنطي العربي » (Byzantinius Sara cenatus) الموسوم بكتابة عربية ، اقدم ما سكّه اللاتين من النقود الذهبية . أما اقدم من أتى التاريخ على ذكرهم من القناصل ، فأولئك الذين عينتهم جمهورية جنوى لها في مدينة عكا ، وذلك سنة ١١٨٠ . وقد كان هؤلاء القناصل يرئسون المحاكم الجنوية المحلية ، ويصادقون على توقيعات العقود والوصايا والوثائق والصكوك ، ويتثبتون من هوية الوافدين الجدد من مواطنيهم ، ويحسمون الخلافات التي تنشأ بينهم ، ويعالجون — على العموم — شؤوناً هي من قبيل ما يعالجه قناصل الدول الغربية اليوم في الشرق الادنى .

الصلات الاجتماعية

ينبغي ان لا يغرب عن البال ان فترات السلم ، في غضون العهد الصليبي ، كانت اطول مدى من فترات الحرب ؛ فكان هنالك مجال واسع لنشوء روابط المودة وصلات المجاورة بين الشرقيين والغربيين . فالأفريقي ، لدى زوال الحاجز اللغوي بينه وبين المواطن ، قد بان له ولا شك ان المسلم ، بعد كل حساب ، ليس ذلك الملحد الذي كان يتصوره ، بل انه ذو صلة بالارث اليهودي المسيحي واليوناني الروماني الذي عرف به الاوروبيون . ان التاريخ ليحدثنا عن كثيرين من الصليبيين ، نظير رجينالد الشاتيويني ووليم السوري ، ممن كانوا يتقنون العربية ^٢ ، لكنه لا يشير الى عربي واحد تكلم الفرنسية او اللاتينية . فالتسامح وسعة الصدر وتقدير العامل المدني على كل اعتبار — بما ينجم عادة عن اختلاط ارباب العقائد المختلفة والحضارات المتباينة — قد كان في هذه الحالة وليد المجتمع العربي لا الشرقي ، وفضلاً عن ذلك

(١) عبر عنها « بالصك » ومنها لفظة تشك cheque الانكليزية ، وقد استعيرت اللفظة العربية في القرن الثامن عشر في الهند .

(٢) راجع ص ٢٤٧ من هذا الجزء .

فقد كان في البلاد المقدسة مزارات يكرمها النصارى والمسلمون واليهود على السواء. أما على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، فقد كان النصارى والمسلمون يختلطون بلا حرج^١، فكانوا يتاجرون بالحيل وكلاب الصيد وطيور القنص، ويتبادلون تأمين المصالح، بل ربما عمدوا الى التزاوج. وقد نجد من بعض الامهات المواطنات ذرية جديدة عرفت بـ «البولاني»^٢. ويكثر بين اللبنانيين والفلسطينيين اليوم، لاسيما في اهدن (لبنان) وبيت لحم، اصحاب العيون الزرقاء والشعر الاشقر. وقد بقي من تقاليد بعض الاسر ومن اسمائها ما يدل على اصلها الاوربي، نذكر منها: فرنجية (Frankish) وصلبي (Crusading) ودويهي (d: Douai) وبردويل (Baldwin)^٣ وصوايا (Savoie). ويصدق ذلك ايضاً على قريتي سنجيل (Saint Gilles) والرينه (Reynaud) في فلسطين.

شهادة اسامة

أثبت اسامة بن منقذ (١٠٩٥-١١١٨) في مذكراته اوضح صورة لشاهد عيان عن اختلاط الشعوب المختلفة. وكان اسامة صديقاً لصلاح الدين، وقد دافع عن قصر شيزر - وهو قصر لأسرته قائم على ضفة العاصي - ضد الحشاشين والافرنج، فلم يقع يوماً في يد الصليبيين. ولقد كانت اسامة وثيق الصلة بالافرنج في فترات السلم، لكن حرية الاختلاط الجنسي التي عاينها في اوساطهم قد بدت له في غاية القذاعة، وغدوا في حكمه «خالين من الحمية والغيرة»^٤، وقد وجد اساليبهم في معاقبة المجرمين بالماء او المبارزة^٥ في غاية الانحطاط، بالنسبة الى ما جرى عليه المسلمون آنذاك من اللجوء الى احكام القضاء المدني. وكذلك اساليبهم في معالجة المرض فقد كانت، إذا قورنت بتطبيب العرب، سقيمة للغاية. مثال ذلك ان احد الاطباء من النصارى المواطنين كان يتعهد مريضين، في عائلة افرنجية بالمنيطرة؛ الى

(١) ابن جبير: ص ٢٨٧ - ٢٨٨، ٢٩٨، ٣٠٢: اسامة، الاعتبار، ص ١٣١، ١٣٤.

(٢) من لفظة: Poulains ومعناها الاحداث الصغار.

(٣) انظر Marino Sanuto, *Secrets, for True Crusaders to Help Them to Recover the Holy Land*, tr. Aubrey Stewart (London, 1896).

(٤) الاعتبار، ص ١٣٥.

(٥) الاعتبار، ص ١٣٨ - ٣٩.

ان استدعي طبيب اوربي ، فأمر بأن توضع الساق العليلّة لاحد المريّضين على خشبة ضخمة ، ثم اشار الى فارس ان يهوي عليها بفأسه . ففعل وقطعها بضربة واحدة . ثم تحوّل الى المريّض الآخر - وهو امرأة - فأمر بأن يخلق رأسها ، ثم عمد اليه فجرحه جرحاً صليبيّاً عميقاً ، وذلك الجرح بالملح رجاء ان يطرد من رأسها الشيطان ، ففارق كلاهما الحياة في الحال . وقد ختم الطبيب المواطن الذي روى عنه اسامة هذه الحادثة بقوله : « فقلت لهم : أبتى لكم إلى حاجة ؟ فقالوا : لا ! . فبحثت وقد تعلمت من طبّهم ما لم اكن أعرفه »^١ .

عواقب الحملات الصليبية على سورية

وعلى العموم ، فان عواقب الحملات الصليبية على سورية كانت مفاجئة . فقد خشي المالك من رجوع الافرنج ، اذ كان بعضهم قد تحوّل الى جزيرة قبرص . فعمدوا الى تخريب المرافق^٢ ؛ بعد ان كان الايوبيون قد هدموا عسقلان^٣ . وكانت عكا ، بعد صور ، أشدّ المدن ازدهاراً في سورية الافرنجية ، وقد ألّفها ابن جبير^٤ مدينة منقطعة النظير بمصونها ، فإذا ابو الفداء^٥ يمجدها ، بعد ذلك بقرن ، خراباً يباباً . ثم ان العناصر الاسلامية المنشقة ، من شيعة واسماعيلية ونصيرية - وكانوا على ما ذكر ابن جبير^٦ اوفر عدداً من السنة - عمدوا في مناسبات عديدة الى نقض ولائهم بتقديم العون الى الافرنج فتعرّضوا الآن لفتك ذريع ولجأ من بقي منهم الى لبنان الاوسط والبقاع . وكان المملوك الاشرف قبل ذلك قد فرض على الدروز التقيّد بفرائض الاسلام اهل السنة ، لكن هذه المراجعة لم تدم طويلاً . وكان بيبرس قد اجبر النصيرية على بناء المساجد في قراهم ، لكنه لم يتمكن من حملهم على تأدية الصلاة

(١) الاعتبار ، ص ١٣٢ - ٣٣ .

(٢) راجع : ابو الفداء ، التقويم ، ص ٢٣٩ ؛ ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار ،

ج ١ ، ص ١٢٩ - ٣٠ : قابل : الادريسي ، ص ١١ .

(٣) راجع ابن بطوطة ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

(٤) راجع رحلته ص ٣٠٤ .

(٥) التقويم ، ص ٢٤٣ .

(٦) راجع رحلته ص ٢٨٠ .

فيها؛ فبدلاً من ان تكون معابد للصلاة جعلوها زرائب للمواشي والدواب^١. وقد عمد سلاطين المماليك، استثناءً لسياسة التخريب، الى تدمير لبنان تدميراً منظماً. وكانت حملة الناصر سنة ١٣٠٦ أشد الحملات فجيعة، اذ اسفرت عن ابادته اهل كسروان إبادة تامة^٢. فأحلّ الاكراد والتركمان في محل الشيعة من سكانها ثم انحدروا من الشمال ليملاؤا باقي الفراغ. اما الدفاع عن بيروت ضد الغارات البحرية المتتابعة فقد اقاموا عليه اسيرة من آل بختر كانت قد وليت اماره الغرب؛ والى هذه الاسيرة ينتسب المؤرخ صالح بن يحيى^٣. وأخذ لبناني، من ثم، يتحوّل عن الغرب الاوربي. وبقي على ذلك حتى مستهلّ العصر الحاضر. والواقع ان سورية يجملتها قد وعت، منذ ذلك الوقت، جميع العناصر الحضارية التي احرزتها حتى مستهل القرن التاسع عشر. وعندها اخذت موجة جديدة من الافكار الاوربية والعناصر الحضارية تتكسر على شطآنها.

ولم يكن ما قاساه النصارى المواطنون، اقلّ مما تحمّله المسلمون المنشقون. فبعد أحداث تدابير اذكت العداء بين النصارى السوريين وجيرانهم المسلمين، حتى بلغ من الشدة حدّاً لم يبلغه من قبل، بل هو الى الآن لم يخمد تماماً. فقد تخوّف حكام القدس المسلمون من التأييد الذي أبداه نصارى الرها وانطاكية للصليبيين، فعبدوا الى ابتزاز «جميع الاموال والسلع التي كانت في حوزة النصارى»^٤ من اهل هذه المدينة، وعملوا على تشريدكم باستثناء العاجزين والمرضى والنساء والاطفال. وعندما دخل الصليبيون المدينة لم يجدوا الا القليلين منهم في قيد الحياة. وقد منح اللاتين موارنة لبنان جميع الحقوق الكنسية والمدينة التي كانت لابناء الكنيسة الرومانية الكاثوليكية^٥، لكن الوفاً منهم هاجروا، بعد استيلاء صلاح الدين على بيروت سنة ١١٩١، الى قبرص حيث لا يزال من ذريتهم نحو الفين من المواطنين.

(١) ابن بطوطة، ج ١، ص ١٧٧.

(٢) صالح، ص ١٣٦. الروايات المحلية تعيد هذا الاسم الى اسم قائد من المردة؛ شدياق، ص ٢١٠.

(٣) ص ٦٣ من مؤلفه.

(٤) ولم الصوري. William of Tyre, vol. i, p. 334.

(٥) راجع ص ١٤٠ من هذا الجزء: وانظر ديب: ج ١، ص ١٨٦ - ٩٠.

ثم ان روح الجهاد الذي اثاره المالك على الصليبيين اخذوا الآن يسددونه ضد القبط. ونصارى سورية. فقد أصدر قلاوون (١٢٧٩ - ٩٠) في اواخر عهده مراسيم تحرّم على النصارى من رعاياه تولي الوظائف الحكومية . وأعاد السلطان الناصر في سنة ١٣٠١ تطبيق التدابير القديمة بحق اهل الذمة - تلك التدابير التي اوجبت على النصارى واليهود ان يرتدوا ملابس خاصة يُعرفون بها، وان يمتنعوا من ركوب الخيل والبغال.^٢ وجرى السلطان الصالح على مثل ذلك سنة ١٣٥٤.^٣ بل ان الناصر قد فعل اكثر من ذلك، فأمر بإلغاء عيد قومي من اعياد القبط، وأقفل الكثير من كنائس النصارى في مصر. وهذه الموجة العاطفية العارمة، الموجهة ضد النصارى، تنعكس بجلاء في ادب العصر، فإذا الاحاديث والفتاوي والخطب المثيرة تلهب الجماهير، ومؤلفات الفقيه السوري ابن تيمية (١٢٦٣ - ١٣٢٨) ترخر بروح العصر الرجعية.^٤ وابن تيمية هذا وُلد في حرّان، وكان من اخلص اتباع ابن حنبل وأشدّهم اندفاعاً وراءه. زها في دمشق، وفيها رفع صوته مسقهاً عبادة القديسين، وتقديم الذور، والتردد على المزارات. وقد انتصر لمبادئه هذه، في ما بعد، الزهابيون الذين يسيطرون اليوم سلطانهم على الحياة السياسية والدينية في نجد والحجاز. ويستطيع الزاؤون اليوم ان يروا مدفنه، وكذلك مدفن ابن عساكر، في باحة الجامعة السورية. وازدهر نوع آخر من الادب يسوغ اعتباره «دعاية مضادة» ادب يطري فضائل القدس، ويوصي الحجاج بزيارتها، ويؤكد ان النبي قد ذكر ان تأدية الصلاة في مسجد خيبر ألف مرة من تأديتها في اي مسجد آخر، إلا مسجد مكة والمدينة. بل ان خطيباً من خطباء المسجد الاموي في دمشق، هو ابن الفرّاح (ت ١٣٢٩)،^٥

(١) انظر بشأنه الفصل التالي : الفتح المنولي .

(٢) راجع ص ١٦٧ من هذا الجزء .

(٣) القلقشندي ، ج ١٣ ، ص ٣٧٧ - ٨١ ؛ ابن تفرّج بردي ، نشر پوپر ، ج ٥ ، ص ١٣٣ .

(٤) القرّبي ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٥) راجع الكتي ، ج ١ ، ص ٤٨ - ٤٩ : Henri Laoust, *Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki-d-Din Ahmad b. Taimiya* (Cairo, 1939) pp. 634-9.

(٦) « باعث النفوس لزيارة القدس المحروس ». وقد كتب ابن الجوزي (ت ١٢٠٠) البغدادى رسالة « فضائل القدس وصفها فيليب حتي ونيه فارس وبطرس عبد الملك في فهرس المخطوطات العربية في مكتبة جامعة برنستون (برنستون، ١٩٣٨) تحت رقم ٥٨٦ .

أيد هذا الاتجاه كل التأييد. وظهر الى جانب هذا الادب نوع آخر هو ادب السيرة؛ وهو ضرب من الحكاية التاريخية يمتدح مآتي أبطال العرب، حقيقية كانت ام خيالية. وكان من أبطال هذه السير صلاح الدين والملوك الظاهر وعنترة بن شداد. وعنترة هذا شاعر جاهلي من الشعراء الفرسان، لكن روايته (سيرة عنترة)، كما يبدو لنا اليوم من قرائنها التاريخية، كان اول ظهورها في سورية، وذلك في اوائل القرن الثاني عشر. والناس اليوم اشد إقبالاً في مقاهي القاهرة وبيروت وبغداد، على قراء القصص، وهم يتلون حكاية عنترة وسيرة الظاهر (بيبرس)، منهم على القصصين وهم يروون حكايات من الف ليلة وليلة.

النظام الاقطاعي

إن الدول الافرنجية في سورية قامت على المبادئ الاقطاعية التي كانت شائعة في اوربا، مع ان بعض متعهدي الاقطاعات كانوا من المواطنين. ولما كانت سورية بلداً إسلامياً فقد نشأ فيها، منذ الفتح العربي، نظام اقطاعي من نوع خاص. فقد كان الفاتحون، من خلفاء وسلاطين وأمرأ، يهبون قوادهم وكبار موظفيهم الاقطاعات، فيعبد هؤلاء بدورهم الى تقسيمها الى مناطق يوزعونها على الاتباع والمتعهدين. وكان الارقاء والعبيد - وهم الطبقة الاجتماعية السفلى - يتولون حرايتها. اما جباية الخراج^١ من غير المسلمين، فكان يعهد بها الى بعض التنفيذيين على سبيل «الضمان». لكن الخلفاء العباسيين ابطلوا ضمان المزارع بالزيادة، واستبدلوا به نظاماً من الزراعة الوراثية، يؤدي المزارعون بموجبه ايجاراً معيناً ثابتاً؛ في حين استمر القاطميون والمماليك على الغرف الاسلامي^٢. اما في اوربا، فان طبقة من الارستقراطيين، اصحاب الاراضي، ظهرت في العصر الوسيط، اقام افرادها لانفسهم المساكن الحصينة في الارياف، وانشأوا صلات متبادلة مع افراد الاسرة المالكة او سيطروا عملياً وبصور مباشرة على من هم دونهم. ولم يظهر مثل هذا النظام الارستقراطي في المجتمع العربي الاسلامي. اذ كانت متعهدي الاقطاعات يقيمون على العموم في المدن، ويكتفون باستدراار الدخل الضروري من اقطاعاتهم

(١) راجع ص ١٩ - ٢٠ من هذا الجزء.

(٢) الفلشندي، ج ١٣، ص ١٢٣، وما بعد. و ١٣٩، وما بعد؛ راجع A. N. Poliak, *Fet-dalism in Egypt, Syria, Palestine, and the Lebanon* (London, 1939), pp. 18 seq.

الريفية . ولم يتروك النظام الاقطاعي الذي ادخله الافرنج الى سورية اي تأثير في النظام المحلي لضمان الاراضي ، الا ما كان من جعل الاقطاع العسكري ، الى حين وفي ظل الابوبيين ، النظام الرئيسي المتبع في تحديد العلاقات الزراعية . وكذلك النظام الملكي الافرنجي ، فانه لم يخلف أثراً راسخاً في منظمات سورية السياسية ، يستثنى من ذلك ان الكنيسة التي ظهرت الملكية لا تزال بمثابة بشخص البطريرك اللاتيني في مدينة القدس .

نشاط الارساليات

ومن النتائج الفرعية الهامة التي تخلفت عن الحملات الصليبية انشاء الارساليات المسيحية للتبشير بين المسلمين . فقد اقتنع رجال الفكر بفشل هذه الحروب ، واخلق الوسائل العسكرية في معاملة المسلمين ؛ فاحذوا يدعون الى تركيز الاهتمام على الوسائل السلمية . وكان الكاهن القطلاني ريمند لال (ت ١٣١٥) اول اوريي شدد على اهمية الدراسات الشرقية كأداة فعالة لتضالٍ سلمي يعتمد الاقتناع وسيلة بدلاً من الاكراه . وكان قد تعلم العربية على يد عبدٍ ، ثم اشتغل في تعليمها . وبتأثير ريمند هذا جرى الروح الصليبي في مجرى جديد هو اقناع المسلمين باعتناق المسيحية بدلاً من محاولة ابادتهم .

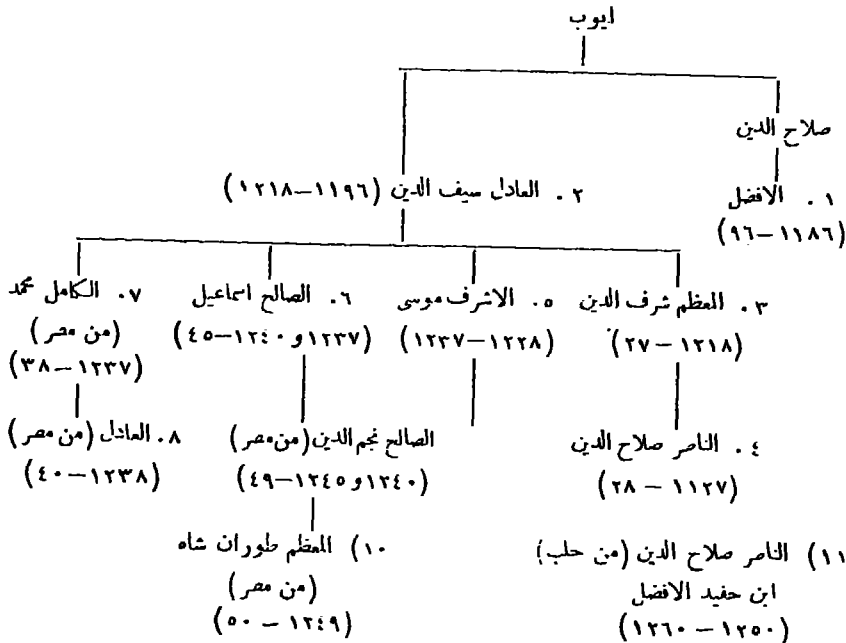
اما الاخوية الكرملية التي لا تزال عاملة في سورية ، فقد اسسها في هذا البلد احد الصليبيين سنة ١١٥٧ ، وسماها باسم احد جباله . وفي اوائل القرن الثالث عشر نشأت اثنتان من الاخويات الرهبانية هما الفرنسيسكان والدومينيكان ؛ وانشأت كل منهما لنفسها فروعاً في كثير من المدن السورية . وفي السنوات الاخيرة من ذلك القرن كان للفرنسيسكان في بيروت كنيسة كبيرة^١ . وفي سنة ١٢١٩ زار مؤسس الاخوية الفرنسيسكانية ، القديس فرنسيس الاسيسي ، بلاط الابوبيين في مصر ، واجرى مناقشة دينية عقيدة مع الكامل . وكتب اسقف دومينيكاني - هو وليم الطرابلسي - رسالة من اوفى رسائل العصور الوسطى بشؤون المسلمين ، موضحاً المواطن التي يتفق فيها الاسلام مع المسيحية ، وموصياً باستخدام المرسلين بدلاً من الجنود ، لاستعادة البلاد المقدسة . وكان نظير زميله وليم الصوري مولوداً في هذه البلاد لكن من ابوين اوريين .

الفصل السابع والاربعون

الايوبيون والمماليك

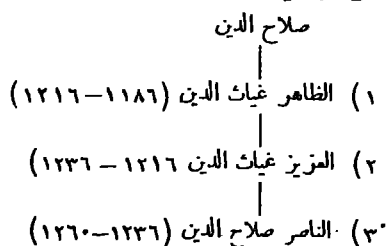
ان السلطنة التي انشأها صلاح الدين ووسعها حتى بلغت من النيل الى نهر الدجلة، تجزأت من بعده بين ابنائه؛ ولم يكن لأيّ منهم ما كان له من النبوغ. فقد خلفه في دمشق ابنه الملك الافضل، لكن ملّكه آل سنة ١١٩٦ الى عمه العادل حاكم مصر. وعاد الفرع الدمشقي سنة ١٢٥٠ فانضم الى فرع حلب، لكن حملة هولاكو الجارفة لم تلبث ان اكتسحته بعد عقد من الزمان^١. وجلس على عرش مصر بعد صلاح الدين ابنه الثاني العزيز، لكن العادل نفسه لم يلبث ان أزال ابن العزيز سنة ١١٩٨. ففي كلتا الحالتين استغل العادل فرصة الخلاف الذي شجر بين ابناء أخيه واعتصب الامر لنفسه. وهذه المنازعات السلالية بين افراد الاسرة الحاكمة، هي التي أتاحت للافرنج الفرصة لاسترداد بعض ما كانوا قد فقدوه من ممتلكاتهم.

(١) شكل شجري لسلالة الايوبية في دمشق:



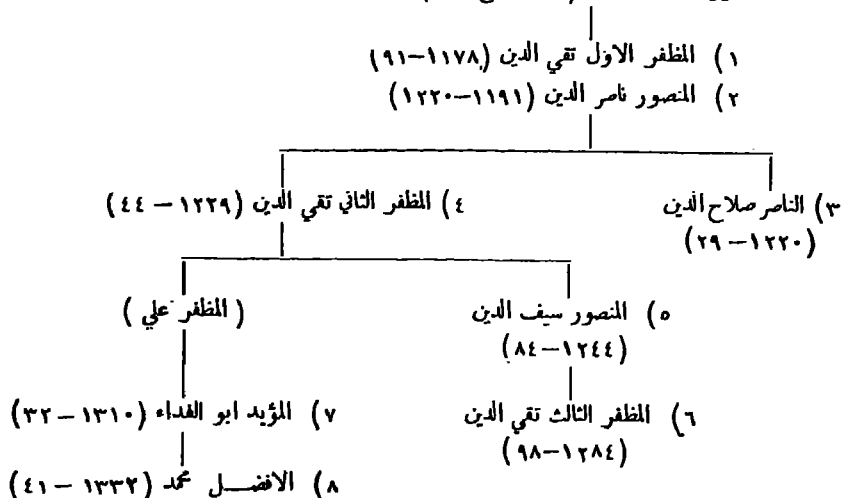
وفي سنة ١٢٠٠ عين العادل احد ابنائه حاكماً على بلاد ما بين النهرين ؛ وكان الظاهر، وهو الابن الثالث لصلاح الدين ، قد خلف اياه على حلب^١، وكان الفرع الايوبي الصغير الذي أسسه في حماة واحداً من ابناء اخي صلاح الدين قد نجح سنة ١٢٦٠ من الفتح المغولي الذي اكتسح الخلافة العباسية في بغداد قبل ذلك بعامين ، واستمر في ظل المليك حتى سنة ١٣٤١ ؛ فهو اطول فروع هذه الاسرة حياة^٢، وكان من افراده الملك المؤرخ ابو الفداء (ت ١٣٣٢)^٣. وكانت هنالك فروع اخرى من السلالة الايوبية أقل شأناً من هذا الفرع ، بينها فرع حمص المتحد من احد اعمام

(١) شكل شجري للسلالة الايوبية في حلب :



(٢) كانت هنالك فترة قصيرة (١٢٩٨-١٣١٠) تولى الحكم للماليك فيها حكام آخرون .

(٣) شكل شجري للسلالة الايوبية في حماة .
نور الدين شاهنشاه (اخو صلاح الدين)



صلاح الدين ، وقد اباداه المملوك بيبرس سنة ١٢٦٢ ، وفرع بعلبك المتحدر من طوران شاه اخي صلاح الدين ٢ .

المالِك يَخلفون الايوبيين

كان الفرع المصري من السلالة الايوبية هو الرئيسي بين فروعها الكثيرة . وقد تسلط عدد من افراده على القاهرة ودمشق . وكانت من هؤلاء الصالح نجم الدين ايوب ٣ ، الذي توفي في تشرين الثاني سنة ١٢٤٩ ، تاركاً وراءه ارملة هي (شجر الدر) . وكانت شجر الدر ، في اول امرها ، جارية تركية او ارمنية في حريم الخليفة العباسي المستعصم في بغداد . ثم اعتقها الصالح بعد ان رزق منها صيماً . على انها كتبت موت زوجها مدة ثلاثة اشهر ، ريثما عاد ابنه طوران شاه من رحلة قام بها الى مدين النهرين . وإذ لم يحسن طوران شاه الى مالك ابيه ، تأمروا عليه بالاشتراك مع زوجة ابيه واغتالوه . وعندها عمدت هذه المرأة الجريئة النشيطة الى تنصيب نفسها ملكة على المسلمين ٤ . وقد منح شرف مشاركتها في الملك طفل له من العمر ست سنوات ، هو الأشرف موسى سليل الفرع الايوبي في دمشق . وكانت شجر الدر هذه ، المرأة المسلمة الوحيدة التي سادت بلداً في شمالي افريقيا وغربي آسيا . وقد استمرت في الحكم ثمانين يوماً تتولى منفردة السلطة المطلقة في البلاد التي انجبت

(١) شكل شجري للسلالة الايوبية في حمص :

شركوه (عم صلاح الدين)

(١) القاهرة ناصر الدين (١١٧٨-٨٥)

(٢) المجاهد صلاح الدين (١١٨٥-١٢٣٩)

(٣) النصور ناصر الدين (١٢٣٩-٤٥)

(٤) الأشرف مظفر الدين (١٢٤٥-٦٢)

(٢) راجع بشأن اسماء افراد هذا الفرع وفرع الكرك : Zambaur, Manuel de généalogie et de chronologie (Paris, 1927), p. 98.

(٣) راجع شجرة الانساب في ص ٢٦٤ من هذا الجزء .

(٤) ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٩٠ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ .

قبلها زنوبيا و كليوباترا وقد ضربت النقود باسمها^١، وأمرت ان ينوه باسمها في صلاة الجمعة . وعندما وليت الحكم وجه الخليفة العباسي ، سيدها السابق ، رسالة جارحة الى امراء مصر يقول فيها : « ان كان ما بقي عندكم رجل تولونه فقولوا لنا نرسل اليكم رجلاً »^٢. فوقع اختيارهم على قائد جيوشها عز الدين ، يبك^٣ فنصبوه سلطاناً ؛ اما هي ففقتت بافضل شيء بعد الملك ، ورضيت به زوجاً . وقد قضى ايبيك السنين الاولى من حكمه في سحق الحزب الايوبي المطالب بالسيادة في سورية ، وكان افراده يعتبرون انفسهم ورثة انسابهم المصريين . ثم انه خلع الاشرف الطفل المشارك في الملك ، وتخلص من قائده الخاص الذي كان قد برز في حروبه ضد لويس التاسع ، واذ بلغ الملكة انه ينوي الزواج من امرأة اخرى ارسلت اليه من قتله ، وهو يستحم ، بعد الفراغ من لعب الكرة . ثم جاء دورها هي فعمدت جارية لقريبة زوجها الاولى الى قبقاب انهالت به عليها ضرباً حتى اوردتها خنقها . وطرح جسدها من احد ابراج قلعة القاهرة^٤ .

المماليك البحرية

كان ايبيك (١٢٥٠ - ٥٧) اول سلاطين المماليك ؛ وسلسلة المماليك ؛ هذه ذات وضع غريب في تاريخ السلالات ، لأنها - إذا صح اعتبارها سلالة - كانت كما يستدل من اسمها^٥ سلالة عبيد - عبيد من اجناس مختلفة وقوميات متباينة ، اقامت دولة عسكرية في بلاد غريبة . فاذا مات احدهم كان الذي يتولى الحكم من بعده ، في الغالب ، ليس ابنه بل احد عبيده او بعض المرتقة من اتباعه ، ممن تميزوا بعمل عظيم ، او احرزوا شهرة بعيدة . وهكذا فان العبد بالأمس ، كثيراً ما كان يصبح قائد جيش في الحال ، ليفقد في المستقبل السلطان الحاكم . وبقي السلاطين العبيد نحواً من قرنين وثلاثة ارباع القرن ، يحكمون بالسيف بقعة من اشد بقاع الارض اضطراباً . ومع انهم كانوا ، بوجه العموم ، سفاكين وغير مثقفين ، فإنهم اتفقوا

(١) هذا هو النقد الوحيد الذي يحمل اسم امرأة مسلمة باستثناء بعض النقود التي ضربت في الهند وفارس .

(٢) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

(٣) يستفاد من اسمه انه كان تركياً : « اي » معناها قر ، و « بك » معناها : امير .

(٤) قلعة الجبل . ابن خلكان ، ج ٤ ، ص ٦٤ ؛ ابن الاثير ، ج ١٠ ، ص ٦٠ ، ١٦٠ .

(٥) الملوك عبيد ، ويطلق بصورة خاصة على من لم يكن اسود البشرة .

القاهرة بجان هندسية لا تزال تفخر بها بحق . وقد أدتوا الى الاسلام خدمتين
اخرين : الاولى انهم حرروا سورية ومصر من بقايا الصليبيين ؛ والثانية انهم اوقفوا
الزحف الخيف الذي قامت به قبائل المغول والتتر، بقيادة هولاكو وتيمورلنك^١ .
ولولا ذلك لجاز ان يكون سبيل الحضارة والتاريخ ، في غربي آسيا ومصر ، برمتها ،
غيره اليوم .

كان اول المماليك عبداً اشترى من سوق العبيد في روسيا الاسلامية وبلاد
القوقاز ، ليكون المرافق الخاص للصالح الايوبي^٢ . فخلف سلسلة من الحكم جرى
العرف الى تقسيمهم الى سلالتين هما : المماليك البحرية (١٢٥٠ - ١٣٩٠) ، والمماليك
البرجية (١٣٨٢ - ١٥١٧) . فالبحرية سمووا بذلك نسبة الى النيل^٣ ، إذ كانت
ثكناتهم تقوم على جزيرة صغيرة في نهر النيل ؛ وكانوا في اكثرهم ، من الترك والمغول .
أما البرجية فكانوا في الغالب من الجراكسة^٤ . وقد جاءت حملة المغول بعد ظهورهم
بقرن من الزمان . وهكذا عادت سورية ، مرة اخرى ، ميداناً تطاحنت فيه
تحتان متنافستان .

٢٦٨

الغزو المغولي

ماكادت قبائل المغول تقضي على الخلافة العباسية في بغداد ، وتخرب وكر
الحشاشين في قلعة ألموت بقيادة هولاكو حفيد جنكيزخان ، حتى كان ظهورهم
المشؤوم في شمالي سورية . وكانت مدينة حلب ضحيتهم الاولى ، حيث سقط خمسون
الفاً من اهلها بحد السيف ، وكان ذلك ثورة مصفرة لما سيجيء . وسقطت بعد
حلب ، حارم وحماة ؛ ووجه هولاكو احده قواده لحصار دمشق بينما عاد هو الى
فارس بداعي وفاة اخيه الخازن الكبير . ولم تليث انطاكية اللاتينية ان التحقت
بالمغول . وقد خطر للويس التاسع والبابا ان عقد ميثاق مع الغزاة قد يساعد في

(١) انظر ما يلي من هذا الفصل في موضوع « التاريخ والجغرافية »

(٢) ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٨٨ ؛ ابن خلدون ، ج ٥ ، ص ٣٧٣ .

(٣) يدعى نهر النيل عندهم بالبحر .

(٤) ابن خلدون ، ج ٥ ، ص ٣٦٩ ، والسيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٨٠ يعتبر انهم
سلالة تركية .

النضال ضد المسلمين، إذ كانت ديانة الفاتحين الرسمية هي الشامانية، وهي ديانة انسابهم الاتراك كذلك . وكان بينهم بعض النصارى الذين تحدروا من أسلاف لهم اعتنقوا المسيحية على يد جماعة من قدماء المرسلين السوريين^١ . وكان القائد الذي اجتاح معظم سورية ودكّ معالمها قائداً مسيحياً هو كتبغا ؛ وكان المملوك الحاكم آنذاك قطز (١٢٥٩ - ٦١) ، وهو الذي اهلك رسل هولاء^٢ . وكانت نهاية هذا النزاع في وقعة عين جالوت قرب الناصرة . ففي هذه المعركة تولى بيبرس قيادة الطليعة تحت امره قطز ، وألحق بالغازين هزيمة منكرة . وسقط كتبغا في هذه المعركة قتيلًا^٣ ، وهزم جيشه ، وفرّ من بقي منه الى خارج سورية . وقد توقع بيبرس ، مكافأة له على خدماته الحربية ، ان يقطعه قطز مدينة حلب ، لكن السلطان خيَّب أمله . وفيما كان عائداً من سورية إلى مقره في مصر تأمر بيبرس وزميل له على حياة السلطان ، وإذ اخذ هذا في مخاطبته ، وأكسب على يده يقبلها ، اهوى بيبرس على عنقه بالسيف فأورده حنقه ، واستولى على الحكم في مكانه .

وكان بيبرس^٤ الرابع من سلسلة المالكيك ، والاول من عظماء السلاطين ، والمؤسس الحقيقي لسلطة المالكيك . ولئن كان قد كسب مفازة الاولى في رد المغول، فانه قد نال تاج المجد بفضل انتصاره على الصليبيين^٥ . ولم يكن بيبرس رجل حرب فحسب، بل كان إلى ذلك من كبار رجال الادارة . فقد شق الاقنية وأصلح المرافئ، ووصل ما بين عاصمته في مصر وبين سورية ببريد سريع ، نظّمه على الطراز الفارسي العباسي . فكان باستطاعته ان يلعب بالكرة والصولجان في كلتا المدينتين في غضون اسبوع واحد^٦ . وقد انشأ مشاريع عامة ، وجدد المساجد - ومنها قبة

(١) راجع ص ١٣٧ - ١٣٨ من هذا الجزء .

(٢) ان نص الرسالة التي كانوا يحملونها محفوظة في المخطوطات القبطية (١٣) ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٣) ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ - ١٩ ؛ المخطوطات القبطية ، ج ١ ، (١٣) ، ص ٩٨ ، ١٠٤ وما بعد ؛ ابن خلدون ، ج ٥ ، ص ٥٤٤ .

(٤) راجع بشأن المالكيك البحرية شجرة الانساب في ما يلي من هذا البحث .

(٥) راجع ص ٢٤٣ من هذا الجزء .

(٦) ابن الفرات ، ج ٧ ، ص ٨٢ .

الصخرة ، ورمم الحصون - ومنها قلعة حلب ؛ وأنشأ الاوقاف الدينية والوقفيات الخيرية^١ . ومدفته في دمشق اليوم بمثابة مكتبة تحمل لقبه وتعرف بالظاهرية وفيها مخطوطة من اقدم المخطوطات المكتوبة على الورق ، هي كتاب « مسائل الامام احمد بن حنبل » يعود تاريخها الى سنة ٢٦٦ هجرية (٨٠/٨٧٩ م)^٢ .

على ان تفادي الخطر المغولي آنذاك كان امراً مؤقتاً . فقد اندفعوا من موطنهم في آسيا الوسطى في اتجاه غير معين تماماً ؛ وبعد ان جالوا جولات اوصلتهم الى حدود الامبراطورية الصينية ، اخذوا يتدفعون في موجات تشبه ، من بعض الوجوه ، الموجات السامية ، وموجات الغزو الجرمانى في العهود السابقة . فان اباقا ابن هولاكو خليفته ، اتخذ مدينة تبريز قاعدة له ، وجدد منها الهجوم على سورية . وكان المغول آنئذ يتوددون الى النصارى . فدخل اباقا في مفاوضات مع البابا وادورد الاول ملك انكلترا ، وسواهما من اصحاب السلطة في اوربا ، وحثهم على إرسال حملة صليبية جديدة لطرد المماليك من سورية . ومع ان جيش المغول كان اوفر عدداً ، وقد عزز بفرق من الارمن والجورجيين والفرس ، فانه هزم في حمص سنة ١٢٨٠ شر هزيمة^٣ . على ان المغول لم يلبثوا ان ذلوا الحواجز ، وتحولوا نهائياً الى الجانب الاسلامي . وقع هذا الفتح في عهد قلاوون (١٢٧٩ - ٩٠) ، وهو اعظم المماليك بعد بيبرس . وكان في الاصل ، نظير سلفه ، عبداً تركياً يلقب بـ « الالني » كناية عن الثمن الباهظ الذي شري به ، وهو الف دينار^٤ .

ولقد عمد الاليخان السابع ، غازان محمود ، الذي نشأ على دين بوذا ، الى اتخاذ الاسلام ديناً للدولة ؛ لكن ذلك لم يرد عن سورية غارات اخرى ، بل قد تعرضت على الأثر لغارتين كانتا الاخيرتين في هذا الزحف ؛ حدثت الاولى في اواخر سنة ١٢٩٩ ، وكان عدد الجيش الفاتح ، على ما قيل ، مئة الف مقاتل فيهم الارمن والجورجيون والافرنج والقبصيون ، فتمكنوا من إبادة الجيش المصري الذي

(١) في الكتي ، ج ١ ، ص ١١٣ - ١٥ جدول يبيح جلائل اعماله ذات المنفعة العامة .

(٢) قابل : Hitti, History of the Arabs, p. 347.

(٣) ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ١٥ - ١٦ ؛ ابن خلدون ، ج ٥ ، ص ٥٤٥ - ٤٦ .

(٤) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٨٠ .

المالئك البحرية

الصالح ابوب

✱✱

✱	✱	✱	✱	✱	✱
✱	✱	✱	✱	✱	✱
✱	✱	✱	✱	✱	✱
✱	✱	✱	✱	✱	✱
✱	✱	✱	✱	✱	✱
✱	✱	✱	✱	✱	✱

شجر الدر + ٠١ أيتك (١٢٥٠ - ٥٧) ٠٢ نور الدين (١٢٥٧ - ٥٩)

٠٣ قنطر (١٢٥٩ - ٦٠) ٠٤ بيترس (١٢٦٠ - ٧٧)

٠٥ برك (١٢٧٧ - ٧٩) ٠٦ سلامش (١٢٧٩) ٠٧ فلاون (١٢٧٩ - ٩٠)

٠٨ الاشراف خليل ٧٠ (١٢٦٠ - ٩٣) ٠٩ الناصر (١٢٦٣ - ٩٤) ١٠ كتينا (١٢٩٤ - ٩٦)

١١ لاجين (١٢٩٦ - ٩٨) ١٢ بيترس الثاني (١٣٠٨ - ٩٠)

١٣ ابو بكر ٠١٢ (١٣٤١ - ٤١) ٠١٤ فوجوف ٠١٥ (١٣٤٢ - ٤٣) ٠١٦ احمد ٠١٧ (١٣٤٣ - ٤٤) ٠١٨ اسماعيل ٠١٩ (١٣٤٤ - ٤٥) ٠٢٠ الكامل شيمان ٧١٠ (١٣٤٦ - ٤٦) ٧١٠ المنظر صديقي (١٣٤٧ - ٤٦) ٧١٠ الحسن ٦٩٠ (١٣٤٨ - ٤٧) ٦٩٠ الصالح ٠٢٠ (١٣٤٩ - ٤٨)

١٢٠ محمد ١٢٠ (١٣٤٩ - ٤٨) ١٢٠ الاشراف شيمان (١٣٤٩ - ٤٨)

١٢٠ علاء الدين علي (١٣٧٦ - ٨١) ١٢٠ الصالح حاجي (١٣٧٦ - ٨٢) ١٢٠ (١٣٨٩ - ٩٠)

هذه اللامه تشير الى صلة الصند بنسبه

(✱✱)

قدر بنحو ثلث الجيش المهاجم ، وذلك شرقاً من حصص^١ . وكان الملوك الحاكم ابن قلاوون ، وخليفته الثاني الناصر وهو الذي تميز بانه تولى السلطة ثلاث مرات (١٢٩٣ - ٩٤ ، ١٢٩٨ - ١٣٠٨ ، ١٣١٦ - ٤٠) ، فكان عهد ولايته اطول العهود في تاريخ المماليك . واستمر المغول في زحفهم المظفر ، واجتاحوا شمالي سورية ناشرين الوبل والحراب اتى توجهوا . وفي اوائل سنة ١٣٠٠ احتلوا دمشق . وقد صمدت قلعتها لكن اقساماً كبيرة من المدينة ، بينها حي الصالحية ، أُحيل الى خراب تام . وهنا اضطر غازان للعودة الى فارس بداعي ثورة نشبت فيها ، لكن جيشه استمر في زحفه جنوباً حتى بلغ غزة . وهنا انتزع الجيش المصري المبادرة ، ورد الغازين على أعقابهم ، وانزل بهم سنة ١٣٠٣ شزيمة وذلك في ميدان الحرب التاريخي : مرج الصفر^٢ ، جنوباً من دمشق . وكان ابو الفداء^٣ في مدينة حماة عين الجيش المصري على المغول ، يرقب حركاتهم ويرسل التقارير عن تحركاتهم . فأعاد اليه صديقه الناصر ، في ما بعد ، اماره اسرته التقليدية على حماة . وهكذا فشلت ثالث محاولات المغول لاختضاع سورية ، وتمكن المماليك من قهر اخطر وأشد عدو واجهته مصر منذ ظهور الاسلام .

ولقد اورث الفتح المغولي الاقليات من الكوارث نظير ما اورثتها حملات الصليبيين^٤ . فدروز لبنان الذين ارسلوا ١٢ الف مقاتل لمطاردة الجيش المصري ، بينما كان يتراجع امام المغول سنة ١٣٠٠ ، قد حوسبوا على ذلك حساباً صارماً . والارمن عاينوا الناصر يعمل في بلادهم الحراب ، مراراً وتكراراً ، في سنة ١٣٠٢ وما بعد . وكذلك النصارى واليهود من رعاياه ، فقد قاسوا الامرين .

المماليك البرجية

تولى الحكم بعد الناصر في مدة اثنتين واربعين سنة (١٣٤٠ - ١٣٨٢) اثنا عشر سلطاناً من سلالة ، لم يتميز احد منهم بأي لون من ألوان النشاط . وكان

(١) صالح ، ص ١٧٤ .

(٢) راجع ص ٩ من هذا الجزء .

(٣) المجلد الرابع ، ص ٥٠ ؛ ابن خلدون ، ج ٥ ، ص ٥٤٨ - ٤٩ .

(٤) راجع ص ٢٥٩ من هذا الجزء .

الايوبيون والمماليك

٢٧٣

آخرهم الصالح حاجي (١٣٨١ - ١٣٨٩، ٨٢ - ٩٠) ، وكان طفلاً ضعيفاً ، فقد تولى السلطة زمناً ، ثم انتزعها منه كردي هو برقوق . وبرقوق هذا انشأ سلسلة جديدة من المماليك عرفت بالبرجية (١٣٨٢ - ١٥١٧) ، نسبة الى برج القلعة في القاهرة ، حيث اقاموا أولاً بوصفهم عبيداً^١ . وقد كان جميع المماليك البرجية اكراداً الا اثنين منهم كانا يونانيين . وقد رفضوا باشد مما رفض اسلافهم المماليك البحرية مبدأ الوراثة في الولاية . فقد كانوا بجمعهم ثلاثة وعشرين مملوكاً ، لكن اربعة عشر منهم لم يكونوا ذوي خطر . وقد توالى ثلاثة منهم على الحكم في سنة واحدة هي السنة الـ ١٤٢١ ، وقلَّ منهم من مات ميتة ربه . وكان اطولهم عهداً قاثبائي (١٤٦٨ - ٩٥) ، وكان عهده ، من بعض الوجوه ، ازهى عهودهم^٢ .

(١) المقرئ ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

(٢) جدول المماليك البرجية :

١٣٨٢	١	الظاهر سيف الدين برقوق
	(٢)	استأثر بالحكم دونه حاجي البحري (١٣٨٩ - ٩٠)
١٣٩٨	٢	الناصر ناصر الدين فرج
١٤٠٥	٣	الناصر عز الدين عبد العزيز
١٤٠٦		ثم الناصر فرج ثانية
١٤١٢	٤	الخليفة المادل المستعين
١٤١٢	٥	المؤيد شيخ
١٤٢١	٦	المظفر احمد
١٤٢١	٧	الظاهر سيف الدين ططر
١٤٢١	٨	الصالح ناصر الدين محمد
١٤٢٢	٩	الاشرف سيف الدين برسباي
١٤٣٨	١٠	العزيز جمال الدين يوسف
١٤٣٨	١١	الظاهر سيف الدين جقق
١٤٥٣	١٢	الناصر فخر الدين عثمان
١٤٥٣	١٣	الاشرف سيف الدين اينال
١٤٦٠	١٤	المؤيد شهاب الدين احمد
١٤٦١	١٥	الظاهر سيف الدين خشقم
١٤٦٧	١٦	الظاهر سيف الدين يلبي
١٤٦٧	١٧	الظاهر قمرنا
١٤٦٨	١٨	الاشرف سيف الدين قاثبائي
١٤٩٥	١٩	الناصر محمد
١٤٩٨	٢٠	الظاهر قانصوه
١٤٩٩	٢١	الاشرف جان بلاط
١٥٠٠	٢٢	الاشرف قانصوه النوري
١٥١٦ - ١٧	٢٣	الاشرف طومان باي

على ان الوضع الجديد لم يكن خيراً من القديم . فقد استمر الفساد والفساد والاعتقال والشغب في نشاط ؛ فكان عدد من السلاطين عاجزين وخونة ؛ وكانت بعضهم فاسدين بل ساقطين ؛ وكان اكثرهم غير مثقفين . وقد ادعى واحد منهم فقط ، هو برقوق ، بانه تحدر من والد مسلم^١ . اما برسباي (١٤٢٢ - ٣٨) ، وكان اولاً عبداً من عبيد برقوق ، فلم يكن يحسن العربية^٢ ؛ ولم يتخرج من ان يصدر امراً بان يقطع رأس كل من طبيبه لانها اخفقا في شفائه من علة قاتلة . وكان عبد آخر لبرقوق اسمه اينال (١٤٥٣ - ٦٠) لا يحسن توقيع اسمه على الوثائق الرسمية ، الا اذا رسمه فوق كتابة امين سره ، على ما ذكر معاصره ابن تغري بردي^٣ . وقد عاد نظام تسري العلمان الى مثل ما كان عليه من الشيوع في ايام العباسيين ، واتهم عدد من المالك ، اولهم بيبس ، باللواط . ولم يكن السلاطين وحدهم فاسدين ، بل ان الامراء ايضاً ، وسائر من في الحكم ، كانوا على جانب من الفساد . ولم يستطع اقدر الموظفين ان يستمروا في وظائفهم اكثر من ثلاث سنوات ، الا في ما قل وندر . وقد عين احد القضاة وعزل عشر مرات .

الادارة في سورية

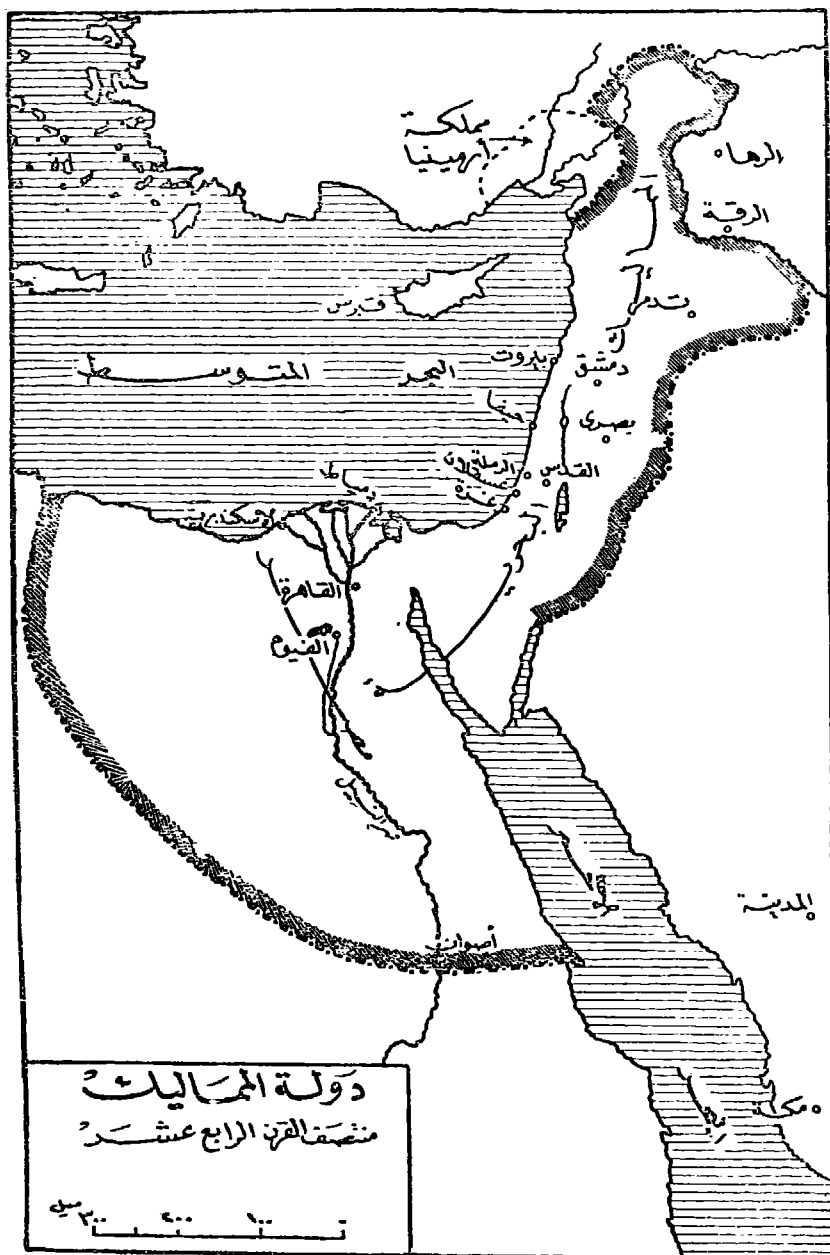
ومع ان حكومة المالك كانت غريبة الوضع ، فان ادارتهم لم تكن الا امتداداً للنظام الفاطمي العباسي . فقد كانت سورية مقسمة الى بضعة اقاليم عرفت « بالنيابات » ، وذلك تبعاً للتقسيم العام الذي اعتمد في عهد الايوبيين ، وهي نيابة حلب ، وحماة ، ودمشق ، وطرابلس ، وصفد ، والكرك . وحكام هذه النيابات — وهم من ماليك السلاطين — كانوا يختارون عادة من ارباب السيف^٤ ، تمييزاً لهم عن اهل القلم المتصفين بالعلم . وكانوا بوجه العموم مستقلين الواحد عن الآخر ، وكان لكل حاكم قصر هو صورة مصغرة عن بلاط القاهرة . وكانت الحصومات والفتن في العاصمة الاقطاعية كثيراً ما تتمثل في قواعد النيابات . وكان انتقال الحكم من

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٨٨ .

(٢) لم يكن هذا الوضع فريداً في تاريخ المالك ؛ راجع الاسحاق ، اخبار الاول في من تصرف في مصر من الدول (القاهرة ، ١٢٩٦) ، ص ٢١٠ .

(٣) المجلد السابع ، ص ٥٥٩ .

(٤) الفلقشدي ، ج ٩ ، ص ٢٥٣ .



أحد سلاطين المماليك إلى آخره، في دمشق وسواها من الأقاليم^١، يدعو إلى إثارة الفتنة. أما غربي لبنان، فكان قد أقطع إلى زعماء من أهله البحريين من بني تنوخ^٢. ولما كانت دمشق ذات إجماع قديمة، وقد اختارها بيبرس - منظم سلطة المماليك - مقرّاً له، فقد صار لها بذلك الفضل على سائر الأقاليم الأخرى. وقد عيّن تنغيز (١٣١٢ - ٣٩)، أحد حكامها، نائباً للسلطان على سورية، وذلك في غضون العهد الثالث من ولاية الناصر. وكان إقليمه هذا، أي «مملكة دمشق»^٣، يشمل على فلسطين - باستثناء منطقتين صغيرتين هما صفد والكرك - ويمتد شمالاً إلى بيروت وحمص وتدمر. وتنغيز هذا جرّ المياه إلى مدينة القدس، ورمم برج بيروت، وبني فيها الخانات والحمامات العامة^٤. وبعد ولاية تميزت بطول الامد، وكثرة أعمال الاحسان، ارتكب امرأ شائناً فقتل في سجن من سجون الاسكندرية^٥.

الجوع والطاعون

تخلل عهد المماليك بجملة فترات من الجذب والمجاعة والوباء؛ ووقعت فيه زلازل زادت في أسباب الخراب؛ وقد حفلت صفحات تاريخه بأخبار الولايات والكوارث^٦. فالمقرزي^٧، وهو زعيم مؤرخي هذا العصر، يخصص كتاباً بكامله لوصف المجاعات التي وقعت في مصر سنة ١٤٠٥، وهي السنة التي وضع مؤلفه فيها. ويتحدث ابن تغري بردي^٨ عن أربعة أوبئة، شديدة الوطأة، اجتاحت مصر في

(١) للاستزادة عن حكومة سورية راجع: Gaudefroy-Demembynes, pp. xix seq., 29, seq.; Walther Bjorkman, *Beitrage zur Geschichte der Staatskanzlei im islamischen Agypten* (Hamburg, 1928), pp. 101 seq., 157 seq.; دراسات: علي إبراهيم حسن، في تاريخ المماليك البحرية (القاهرة، ١٩٤٤) ص ٢٤٨ - ٥٣.

(٢) صالح، ٨١ وما بعد.

(٣) العمري، ص ١٧٦؛ قابل: الظاهري، ص ١٣١.

(٤) ابن بطوطة، ج ١، ص ١٢١؛ صالح، ص ١٥٥ - ٥٦.

(٥) ابن أبياس، بدائع الزهور في تاريخ الدهور، ج ١، (القاهرة ١٨٩٣)، ص ١٧٢؛ المقرزي، الحخطط، ج ٢، ص ٥٤ - ٥٥.

(٦) صالح، ص ١٤٤؛ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٩، ٢١٢؛ ابن تغري بردي، ج ٧، ص ٥٢٨ - ٤٢؛ حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، نشر وليم بوبر (بركلي، ١٩٤٢)، ص ١١، ٧٣، ٣١٢، ٣١٩. أما في ما يتصل بالابوين فينبغي مراجعة المقرزي: السلوك، نشر زيادة، ج ١، ق ١، ص ١٣٠ - ٣٣، ١٥٦ - ٥٨، ٢٤٨.

(٧) اغاثة الامة بكشف النعمة نشر محمد زياده وجمال الدين شيال (القاهرة، ١٩٤٠).

(٨) المجلد الخامس، ص ٧٠ - ٧٦، ١٥٤، ١٨٥، ٤٠٨، ٥٠٧.

غضون القرن الرابع عشر (١٣٤٨ - ٤٩، ١٣٥٩ - ٦١، ١٣٦٢ - ٦٣) . وفي مختلف المدونات التاريخية ذكر لما لا يقل عن اربع عشرة فتنة خطيرة وقعت في خلال القرن الخامس عشر ، اي بمعدل واحدة كل سبع سنوات . اما « الموت الاسود » او « الفناء الكبير » الذي اجتاح اوربا بين سنة ١٣٤٨ و ١٣٤٩ ، وقتك باهلها فتكاً ذريعاً ، فقد استطال في مصر سبع سنوات ، وبلغ عدد ضحاياه في العاصمة ، على ما قدر ابن اياس^١ ، رقماً يصعب تصديقه هو ٩٠٠ الف . وفي الاخبار ان غزوة فقدت ٢٢ الفاً في شهر واحد ، وكان معدل خسارة حلب خمس مئة ضحية في اليوم الواحد . وكان عدد كبير من هؤلاء الضحايا من الاغراب ، ومن الاولاد الذين لم يكن عندهم مقدار كافٍ من المناعة . وكان من هذه الكوارث ومن سوء ادارة المماليك ، ان هبط عدد السكان في مصر وسورية الى نحو الثلث مما كان عليه سابقاً .

التجارة والصناعة

وبما زاد الوضع الاقتصادي سوءاً الضرائب الفادحة والسياسات التي قامت على اسس فاسدة ، ان لم نقل استغلالية نفعية . فالجروب ضد الافرنج والمغول دعت الى فرض الضرائب الفادحة في مصر وسورية ، منها فرض ١/٣ ٣٣ بالمئة على قيمة الايجار ، فكان ذلك باعثاً على سيل من الاحتجاجات لانهاية له . ولم تكن هذه الرسوم الثقيلة على الحيل والقوارب فحسب ، بل على ضروريات الحياة ايضاً نظير الملح والسكر . وقد احتكر بعض السلاطين سلعاً معينة ، وتلاعبوا بأسعارها تبعاً لمصلحتهم الخاصة . وعمد سواهم الى تحفيض قيمة النقد بحيث ادى الى احداث تضخم لولي^٢ . وكانت كلما ازدادت حالة الشعب فاقة ، نمت ثروات الحكام وانتفعت جيوبهم . ولولا تجمع الاموال الكثيرة لما تمكن السلاطين من اقامة تلك المباني الهندسية الفخمة التي لا تزال مصر تفخر بها بحق^٣ .

على ان ازدياد النشاط التجاري ، الذي عقب المشاريع الصليبية عوضاً ، لحسن الطالع ، عن بعض التأخر الاقتصادي . فان الامتيازات التي اولاهها العادل^٤

(١) المجلد الاول، ص ١٩١ ؛ قابل : ابن تقي بري ، ج ٥ ، ص ٧١ .

(٢) القريري ، الاغاة ، ص ٧٠ - ٧٢ ؛ ابن تقي بري ، الحوادث ، ص ٣١٠ - ١٢ .

(٣) انظر ص ٢٨٦ من هذا الجزء .

(٤) راجع ص ٢٤٢ من هذا الجزء .

وبيبرس ، لتجار البندقية وسواهم من تجار اوربا، نشطت تبادل السلع ، وجعلت من القاهرة مستودعاً تجارياً هاماً ما بين الشرق والغرب . فالحرير السوري شارك العطور والتوابل في احتلال المركز الاول في حركة التصدير . وجاء بعده في جدول الصادرات الزجاج ، والادوات المصنوعة^١ . وكانت دمشق وطرابلس وانطاكية وصور في طليعة المراكز الصناعية الكبرى . وكان بعض الحرير في اسواق سورية مستورداً من الصين . وكانت التوابل ترد من الجزيرة العربية وسواها من البلاد الاستوائية . وكانت اللآلئ تجلب من خليج العجم الى مرقاي يافا وطرابلس^٢ . وعندما ارسل احد حكام دمشق عملاءه الى ناحية الشوف في لبنان ليدرس امكانية صنع النبال من اغصان شجر التوت ، اضطرب اللبنانيون اضطراباً شديداً^٣ . وكان باستطاعة الشاري ان يتناع من اسواق حلب ودمشق وبيروت مصنوعات العاج والحديد ، والنسيج المصبوغ ، والسجاد والخزف المطلي بالميثاء . وكانت ضواحي بيروت تنتج الزيت والزيتون والصابون ، شأنها اليوم . ولا تزال احواض صناعة الملح ترى في عثليت ، وفي مواضع اخرى على طول الشاطئ^٤ .

على ان السوريين لم يعتمدوا على الاغراب اعتماداً كلياً في حركة التصدير فان تجارهم كانوا من عهد صلاح الدين قد انشأوا لانفسهم قواعد في القسطنطينية ، حيث كان الامبراطور - نزولاً على رغبة صلاح الدين - قد بنى مسجداً لهم ولزملائهم المصريين ؛ وذلك في مقابل الامتيازات التي نعم بها تجار الروم في سورية ومصر . ولم يكن يسمح لسواهم من التجار الاغراب بالاقامة الدائمة في عاصمة الروم . وقد قام قسيس الماني اسمه لودوف فون سوخم بزيارة الى الاراضي المقدسة ، ما بين سنة ١٣٣٦ و ١٣٤١ ، فراقه ما شاهد من دلائل الرخاء في دمشق^٥ ، وفي «مدينة عكا المجيدة» ، وسواها من مدن سورية فقال واصفاً عكا :

(١) E. Rey, *Les Colonies franques de Syrie* (Paris, 1883), pp. 204, 214-34. راجع

(٢) Hilmar C. Krueger, «The Wares of Exchange in the Genoese-African Traffic of the Twelfth Century», *Speculum*, vol. xii (1937), pp. 64, 71.

(٣) صالح ، ص ٢٢٥ .

(٤) صالح ، ص ٢٢٩ .

(٥) Conder, p. 451 .

(٦) ص ١٢٩-٣٢ .

كانت الشوارع داخل المدينة [عكا] نظيفة للغاية ، فجردان البيوت جميعها ذات ارتفاع واحد ، وهي مبنية بالحجر المنحوت . وقد ازدادت بالتواقد الزجاجية والرسوم الملونة . وكذلك سائر قصور المدينة وبيوتها ، فانها لم تبني لتكون مجرد مأوى لاصحابها ، بل لتوفر لهم اسباب الراحة والبخ . وكانت طرق المدينة مظلة بالحريز المنسوج ، ويسواه من ضروب السقائف المظلة الجميلة ، دفعا لاشعة الشمس . وكان يقوم عند كل منعطف برج حصين للغاية ، مسيج بباب حديدي وسلاسل من حديد . وكان جميع الاشراف يقيمون في قلاع حصينة وقصور منيعة تمتد على طول حدود المدينة الخارجية . أما المال والتجار فقد اقلع كل منهم في السوق الخاص بنوع عمله ١ .

وزار ابن جبير^٢ دمشق في عهد صلاح الدين ، ومكث فيها فترة من الزمان ، ولقبها «بعروس المدن» . ووصف مطولا ساعة كانت تقوم في باحة مسجدتها يشير فيها الى مرور الوقت نهرا نسران من النحاس ، وليلا جهاز خاص من الانوار . وقد ذكر هذه الساعة بالذات بنيامين التودلي^٣ .

في لبنان

ولقد عمّد زعماء لبنان الاقطاعيون الى مزاوله الفن السياسي المكيفلي ببراعة فائقة ، قبل ظهور ساسة البندقية بزمان طويل . فلعبوا لعبتهم هذه في غضون القلاقل التي ادت الى قيام الفاطميين والايوبيين والافرنج والمماليك والتتر اساءداً عليهم . وعندما احتل الصليبيون بيروت وصيدا ، استولى امراء الغرب من بني مجتر على بعض الاراضي المجاورة واتبعوها في قطاعاتهم ، وقدموا خدمات عسكرية للافرنج^٤ . ولم يترددوا مع ذلك في انشاء علاقات بمائلة مع المماليك^٥ . وكان بين اقطاعات البحريين قرى صغيرة نظير شملان وعيناب وبيصور ، لم يسبق لها ذكر في التاريخ ، وهي معروفة الى اليوم^٦ . وفي غضون النزاع الذي نشب بين التتر والمماليك ، كان

(١) Ludolph von Suchem, p. 51 .

(٢) ص ٢٦٠ ، ٢٧٠ - ٧١ .

(٣) المجلد الاول ، ص ٨٤ - ٨٥ .

(٤) صالح ، ص ٧٤ - ٧٥ ، ٨٣ - ٨٤ ، ١١١ - ١٢ ؛ راجع ص ٢٣٥ من هذا الجزء .

(٥) صالح ، ص ٨١ .

(٦) صالح ، ص ٨١ ، ١٢٨ ، ١٩٧ ، ١٩٨ - ٩٩ ، ٢٣٤ - ٣٥ ؛ راجع ٢٧٥ - ٢٧٦ من هذا الجزء .

لهؤلاء الامراء احياناً يمثلون في الجبهتين - وهو موقف يضمن لهم ان يكونوا في الجانب الفائز، ايأ كان هذا الجانب^١. وهكذا فان سياسة الانتظار والحذر والمداهنة، التي زاولها ابناء هذه السواحل في القرن الرابع عشر قبل الميلاد^٢، استمروا عليها حتى عهد فخر الدين والامير بشير^٣.

وكان عدد من القبائل العربية قد اوغل في هذا الجبل لا سيما من الجنوب^٤. ومع ذلك فقد بقيت منه غابات كثيرة. وكان المسافر، حتى اواخر القرن الرابع عشر، يصادف فيها الدببة والاسود والخنازير البرية والحمر الوحشية^٥. وكان في سورية ايضاً مثل هذه الوحوش كما يشهد بذلك اسامة^٦. وقد ذكر منها الحمر والغزلان والاسود والخنازير والضباع والتمور. ونظراً لكثرة الفواكه البرية والبقول الصالحة للطعام وغزارة المياه العذبة، غدا ملجأً مستحباً لرهبان النصارى ومتصوفة المسلمين. وقد خصص احد المؤرخين في اواخر القرن الثاني عشر^٧ فصولاً طوالاً للكلام عن مثل هؤلاء الرجال والنساء في جبال لبنان وسورية. وهذا ابن جبير^٨، يشير اشارة مفعمة بالسرور والاستغراب، الى العطف الذي يبديه السكان

(١) صالح، ص ٩٣ - ٩٤؛ قابل ٢٤٧ - ٤٨.

(٢) راجع ص ٧٦ من الجزء الاول من هذا الكتاب.

(٣) انظر الفصل التالي «وضع لبنان الخاص».

(٤) راجع ص ٩٤ - ٩٥ من هذا الجزء؛ Lammens, *Syrie*, vol. ii, pp. 8-14. دعي العرب الذين حلوا في سورية ومصر في ادب العصر بولاد العرب (ابن تغري بردي، ج ٥، ص ٣٦٧، س ١٠؛ راجع ص ١٧٢ من هذا الجزء) : اما لفظة «العرب» فقد استعملت بصورة خاصة للاشارة الى البدو (ابن تغري بردي، الحوادث ص ١٣، س ٣، ص ٤٧، س ١٥، ص ١٩٣، س ٢١)، هذا مع ان اللفظة القرآنية «عربان» لم تكن قد هجرت تماماً (ابن تغري بردي، الحوادث، ص ١٢، س ٢٠، ص ١٩٠، س ٣، ص ٦٩٢، س ١٥، ١٧؛ وكذلك، ج ٦، ص ٧٤٩، س ١، ج ٣؛ الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والاخبار (القاهرة، ١٢٩٧)، ج ١، ص ٣٧٩، س ٩، ص ٤١٧، س ٣٠؛ ابن الفرات، ج ٧، ص ١٧٨، س ١١؛ القلقشندي ج ١٣، ص ٥، ج ٩، ص ٢٥٤؛ الظاهري، ص ١٣٦.

(٥) صالح، ص ١١٣، ١٩٣؛ ابن بطوطة، ج ١، ص ١٧٥.

(٦) الاعتبار، ص ٢٢٠، ٢١٨، ١٩٣، ٢٢٣ - ٢٤٤، ٤٥، ١٢٦، ١٠٣ - ١٢.

(٧) ابن الجوزي. صفوة الصفوة، ج ٦ (حيدر اباد، ١٣٥٦) ص ٣١٤ - ٢١، ٣٢٣ - ٢٧، راجع ص ٢٠١ - ٢٠٢ من هذا الجزء.

(٨) ص ٢٨٧.

النصارى الى هؤلاء النساك . وقد حفظ لنا الادب الصوفي عدداً من القصص الاسطورية عن امثال هؤلاء الرجال ؛ منها ان متصوفاً مسلماً لبنانياً اضاع زاد يومه ، وهو رغيغ حصل عليه من مصدر مجهول . فقصده الى اقرب بيت في المزرعة المجاورة والتمس صدقة . فاعطاه الفلاح النصراني رغيغين من الشعير . لكن الكلب جرى في اثره ، وما زال ينبج حتى انتزع منه الرغيغين وسلبه ثوبه . وعندما عجب الصوفي من فرط طمع الكلب ، انطق الله الكلب بما مؤداه : انا احمي بيت سيدي وماشيته وكثيراً ما أبيت على الطوى إذا لم يكن هناك من طعام له او لي ولكنك انت وقد أضعت زاد يومك اتيتنا تطلب غوثنا . آيتنا أشد طمعاً انا ام انت ؟

النشاط الثقافي : العناية الطبية

ان سورية مع كل ما قاسته من الاضطرابات السياسية والازمات الاقتصادية ، لاقت في عهد الزنكيين والصلاحيين - لاسيما في زمن نور الدين وصلاح الدين - ازهى العصور من حيث النشاط الفنى والتربوي . ولا تزال المباني الهندسية في عاصمتها دمشق تشهد للنهضة العمرانية التي تحققت على يد هذين الحاكمين . فقد رمم صلاح الدين اسوار المدينة ، بما فيها من ابراج وابواب . ثم اقام مباني عامة بقي بعضها الى عهد قريب ، من اهمها المستشفى الذي يسمى باسمه^٢ . وقد تحول الآن دار مدرسة تجارية . اما نفقات بنائه فقد اخذت من فدية اداها احد اسرى الافرنج^٣ . وقد زار ابن جبير هذا المستشفى سنة ١١٨٤ ، فوجده ذا دخل يدرّ عليه يومياً خمسة عشر ديناراً ، وألنى القيميين عليه يعنون بتسجيل الاصابات المرضية المنقولة اليه والاموال التي تنفق فيه ؛ ولاحظ ان الاطباء يهتمون جدياً بالمرضى ، فيعينون لهم الطعام المناسب ؛ ويعطونهم الدواء من غير مقابل . وقد عولج في هذا المستشفى المؤرخ المعروف ابن الاثير ، وعندما احتج على بجانة المعالجة بانه ميسور ، وقادر على دفع ثمن الدواء ، قيل له ان احداً لم يرفض بعد نعمة نور الدين . وقد ذكر هذا

(١) المكى ، تذهة الجليس ومنية الاديب الاليس (القاهرة ، ١٢٩٣) ، ٥٨ - ٥٩ .

(٢) المارستان النوري ؛ ابن جبير ، ص ٢٨٣ . والمارستان « العربية معرفة عن الاصل الفارسي بيارستان معناه دار المرضى . فان جبير يشير على ما يبدو الى مستشفى اقدم ربما بناء دقاق ابن ططش السليوني (راجع ص ٢٠٦ من هذا الجزء) لا الوليد (راجع ص ١١٣ من هذا الجزء) .

(٣) القبريزي ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ .

(٤) ص ٢٨٣ .

المؤرخ^١ ان نور الدين بنى مستشفيات اخرى وخانات عديدة في انحاء البلاد. وقد جرى اختيار الموقع لمستشفى حلب^٢ بان ذبح ضأن، وقسم اربعة اقسام علق كل منها في ناحية من نواحي المدينة الرابع. واختبر الموقع الذي وجدت فيه قطعة اللحم، في الصباح التالي، «اجود رائحة». وقد نسب مثل هذا التدبير الى الرازي، عند اختيار الموقع الملائم لمستشفى بغداد، قبل ذلك بنحو قرنين ونصف القرن^٣. وفي الاخبار ان الموظف المصري والمؤلف المعروف الظاهري^٤ زار مستشفى دمشق حوالي سنة ١٤٢٨، وكان برفقته حاج فارسي ظريف، ادهشه ما اتبع المرضى من اسباب الراحة، فتظاهر بالمرض، وقبل حالاً في عداد المرضى. لكن رئيس الاطباء، لدى جس نبضه، وبعد فحصه فحصاً مدققاً، وجد انه سليم معافى! ومع ذلك فقد وصف له الدجاج المسمن، والاشربة الزكية، والفواكه النضية، واقراص الحلوى، وغير ذلك من الاطياب. وعندما حل الوقت كتب له وصفة اخرى هي: «ان حد الضافة ثلاثة ايام».

الطباية

كان هذا المستشفى مجهزاً فوق ذلك بمكتبة، فكان في الوقت نفسه معهداً لدرس الطب. وقد حفظ لنا ابن ابي اصيبعة^٥ اسم استاذ الطب الاول في هذه المؤسسة، وهو ابو المجد بن ابي الحكم، وترجمة طويلة لحياة عميدها الممتاز، في عهد العادل الايوبي، وهو مهذب الدين بن الدخوار (١١٦٩/١١٧٠ - ١٢٣٠). وهنالك بيانات تشهد على ان الطبيب والصيدلي والكحالي، كانوا يخضعون لنظام امتحان، لينالوا اجازة عمل قبل ان يسمح لهم بممارسة حرفتهم. وفي الدليل الذي يسترشد به المحتسب - وهو الموظف الموكل بتطبيق القوانين - نص واضح يعين واجبات المحتسب نحو القصادين والحجامين والاطباء والجراحين والمجبرين والصيدالة. وهو يشير الى مدى صلاحية السلطة في مراقبة هذه الاعمال^٦. وكان بين تلامذة ابن

(١) المجلد الحادي عشر، ص ٢٦٧.

(٢) ابن الشحنة، ص ٢٣٠ - ٣١؛ للاستزادة عن هذا المستشفى راجع: احمد عيسى *Histoire des bimaristans à l'époque islamique* (Cairo, 1928), pp. 203-5.

(٣) ابن ابي اصيبعة، ج ١، ص ٣٠٩ - ١٠.

(٤) ص ٤٤ - ٤٥.

(٥) المجلد الثاني، ص ٢٣٩، ١٥٥ - ٤٣.

(٦) ابن الاخوة، معالم القرن في احكام الحسبة، نشر روبرت لثي (كامبردج، ١٩٣٨)، ص ١٥٩ - ١٧٠.

الدخوار التجباء ابن النفيس^١ الطبيب الذي تولى ادارة مستشفى قلاوون^٢ في القاهرة، ثم تحول الى دمشق وفيها توفي سنة ٨٩/١٢٨٨ وقد عرف عنه انه كان لا يصف دواء متى كان الغذاء وافياً بالعرض. وقد اورد ابن النفيس، في كتابه «شرح تشريح القانون» الذي شرح فيه قانون ابن سينا، رأياً له في دوران الدم في الرئة، وذلك قبل سرفقتوس الاسباني الذي يقرن هذا الاكتشاف باسمه، بثلاثة قرون. وكان اهم ما ظهر من المؤلفات في طب العيون في القرن الثالث عشر كتابان لكحالين سوريين اولهما «الكافي في الكحل» لخليفة بن ابي المحاسن، الذي زها في حلب حوالي سنة ١٢٥٦، والثاني «نور العيون وجامع الفنون» لصالح الدين بن يوسف، الذي مارس التطبيب في حماة حوالي سنة ١٢٩٦. وقد كان خليفة بن ابي المحاسن هذا من الثقة بمحذقه الجراحي بحيث لم يتردد في ازالة الماء الازرق لمريض كان ذا عين واحدة^٣. على ان هؤلاء جميعاً قد عاشوا في الفسق المتأخر من عهد العلوم الاسلامية.

وفي هذا العصر ظهر ابرز من انجبتهم دنيا العرب من مؤرخي الطب، وهو موفق الدين احمد بن ابي اصيبعة (١٢٠٣ - ٧٠). وقد كان هو نفسه طبيباً، وابن كحال شامي. حصل الطب على ابن ابي دخوار في القاهرة. ولازم ابن البيطار، العالم الاسباني المسلم الشهير، في ابحاثه النباتية. وهذا كتابه الرائع «عيون الانباء في طبقات الاطباء»^٤ منقطع النظير في اثار العرب، وهو موسوعة متقنة تضم نحواً من اربع مئة من سير الاطباء العرب واليونان، قل منهم من لم يكن، الى طبه، فيلسوفاً او فلكياً او طبيعياً او رياضياً. وكان اقرب المؤلفات اليه كتاب لمعاصر له مصري هو القفطي (١١٧٢ - ١٢٤٨)^٥. والقفطي هذا قضى الشطر الثاني من حياته في حلب، حيث تقلد الوزارة لحكامها الاوييين. وكان بمن اعتمد

(١) السبكي، ج ٥ ص ١٢٩.

(٢) راجع ص ٢٦٨ من هذا الجزء.

(٣) راجع سارطن 2-1101, vol. ii, Sarton.

(٤) نشره اولاً «امرؤ القيس ابن الطحان» [اوغست مولر August Müller] في مجلدين (القاهرة، ١٨٨٢)، ثم طبع ثالثة مع صفحات اضافية وتصحيحات وغرس بعناية اوغست مولر في مجلدين (كونسبرغ، ١٨٨٤).

(٥) اخبار العلماء باخبار الحكاه (تاريخ الحكاه) نشر جوليوس ليرت (ليبتزغ، ١٩٠٣).

ابن ابي اصيبعة^١ في تحصيل فلسفة اليونان عالم مصري من اصل شامي هو ابو الرفاء مبشر بن فانتك^٢. وكان في سنة ١٠٣٥ قد الف كتاباً سماه «مختار الحكم ومحاسن الكلم»، ترجم الى الاسبانية في النصف الاول من القرن الثالث عشر ثم الى اللاتينية فالفرنسية فالانكليزية. وقد كانت طبعته الانكليزية، التي اخرجها وليم كاستون سنة ١٤٧٧، اول كتاب طبع بتلك اللغة مهوراً بتاريخ الطبع وموضعه. وقد ظلت المؤلفات التي غذاها هذا الكتاب العربي ذات اثر في عالم الفكر والتأليف في اوربا الغربية، اكثر من اربعة قرون.

المدارس

وجرت المدارس والمساجد مجرى المستشفيات. فقد عمل النوريون في سورية على انهاض نوع من المعاهد عرف بال مدرسة «هو مسجد جامعي» والمدرسة هذه لم تكن وليدة بيت الحكمة الذي انشأه المأمون في بغداد سنة ٨٣٠ ليكون ندوة عامة للعلوم والفنون، بل لعلها اقرب لان تكون وليدة النظامية التي تأسست في بغداد سنة ١٠٦٧ واتخذت اسمها من الوزير الفارسي. نظام الملك الذي استوزره سلاطين السلاجقة الاولون. كانت هذه المدارس معاهد مسجدية، وحلقات فقهية، ومجامع شرعية. انشأتها الدولة من اجل ان تثبت مذهب اصل السنة وتعمل على نشره. وكانت تعنى بالتعاليم التي اقربتها السنة وايدها الفقه الاسلامي درساً وتدريباً. وكان الاساتذة والطلاب يتناولون مرتباتهم من وقفيات^٣ لهذه المؤسسات، ويقيمون في اماكن مهيئة لهم فيها. وكان المدرسون من جماعة الفقهاء والعلماء والمحدثين. ولم تكن الوظائف المدنية متاحة بحسب العرف الجاري، لغير من طلبوا العلم في احدي هذه المدارس. واذا لمس النوريون وبعدهم الايوبيون الفائدة التي تعود على الدولة من مثل هذه المدارس، عمدوا الى الانتفاع بها قدر المستطاع؛ فبنى نور الدين مثل هذه المدارس، ليس في دمشق وحدها، بل وفي حلب وحمص وحماة وسواها من المدن السورية^٤. وفي دمشق اليوم ثلاث من مدارسه هي اقدم ما بقي

(١) المجلد الاول، ص ٩، ١٦، ٢١، ٢٨، ٣٠، ٣٨، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٥٠.

(٢) ياقوت، ارشاد الاريب، ج ٦، ص ٢٤١؛ القفطي، ص ٢٦٩.

(٣) راجع ص ٨٨ من هذا الجزء.

(٤) ابن خلكان، ج ٢، ص ٥٢١؛ ابن الاثير، ج ١١، ص ٢٦٧. للاستزادة عن المدارس

في حلب راجع: J. Sauvaget, *Alep* (Paris, 1941), pp. 122-4, 148.

من هذا النوع من المباني ؛ وهي ذات شكل هندسي مصلب منقول عن اصل فارسي . وقد دفن نور الدين في احداها . وهي المدرسة التورية التي قال ابن جبير^١ في وصفها انها من اجل المباني المدرسية في العالم . وقد نقش على الحجر كتابة بسيطة لا تزال تقرأ بسهولة هي « هذا قبر الشهيد نور الدين بن زنكي رحمه الله » وما زال الدمشقيون يكرمون هذا الضريح الى اليوم . اما قبله فمن الطراز المعروف بالقرنص^٢ . وقد اعتبره الكثيرون من الرواشح ، بينما هو على الاصح من الرفارف . وعن طريق هذا البناء توثقت الصلة بين المدرسة والتربة والمسجد في سورية .

وكان نور الدين سخيّاً في بناء المساجد ، شأنه في بناء المدارس . وهوذا مسجد حماة لا يزال يحمل اسمه فيعرف بالنوري . مجهز بالماء الجاري ، كما كانت سائر المساجد الكبرى والمستشفيات والمدارس التي انشأها . وقد عمل كذلك على ترميم المساجد القديمة في عدد من المدن اخصها حلب حيث جدد بناء القلعة الشهيرة . ولا تزال نقوشه ظاهرة على الجانب الغربي من برج القلعة . وهذه النقوش النورية تمثل نقطة تحول في علم الخطوط العربية ، اذ بها يتعين العهد الذي حل فيه الخط النسخي العادي المستدير محل الخط الكوفي الحاد الزوايا .

وقد سلك الايوبيون في التهج الذي اختطه النوريون قبلهم ، فاستأنف العادل اخو صلاح الدين بناء مدرسة كان نور الدين قد شرع ببنائها قبله ، فدفن فيها ؛ وهي المعروفة اليوم بالعدلية . والتي يشغلها في الوقت الحاضر المجمع العلمي العربي في دمشق^٣ .

وكان صلاح الدين منافساً لنور الدين في رعاية المشاريع الانشائية والتعليمية . فقد عرف معاصره ابن جبير^٤ في دمشق عشرين مدرسة ، ومئة حمام عمومي ، واربعين داراً للوضوء ، وعدداً كبيراً من تكايا الدراويش^٥ ، جلها مجهز بالماء الجاري . وصلاح

(١) ص ٢٨٤ . راجع النعمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، نشر جعفر الحسني (دمشق ، ١٩٤٨) ، ص ٦٠٦ - ٧ .

(٢) اللفظة تحريف للغة يونانية الاصل ؛ انظر Herzfeld in *Ars Islamica*, vol. ix (1942), p. 11.

(٣) النعمي ، ص ٣٥٩ .

(٤) ص ٢٨٨ ، ٢٨٣ .

(٥) يعرف واحداً بالخانقاه ، واللفظة فارسية .

الدين هو الذي ادخل تكية الدراويش ونظام المدرسة الى مصر ؛ وكان غرضه من انشاء نظام المدرسة فيها محاربة التعليم الشيعي^١ . ثم بنى في مدينة القدس مستشفى ومدرسة وتكية نسب كل منها اليه وعرف باسمه^٢ .

الهندسة المعمارية وفن الزخرفة في عهد المماليك

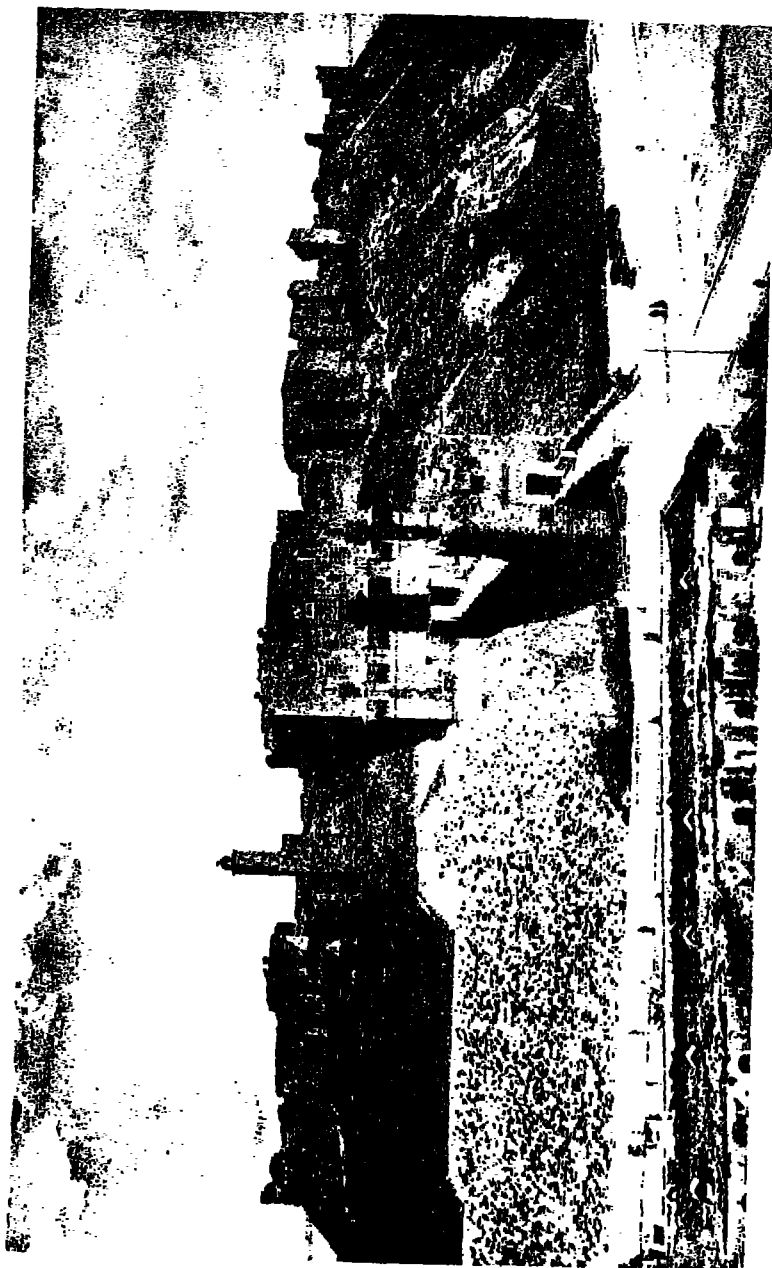
ولقد اتبع المماليك في مصر الطراز الايوبي السوري في الهندسة المعمارية . ويتمثل هذا الطراز في مصر اليوم في عدد من اروع المباني التي اخرجها الفن العربي على الاطلاق . وتتميز هذه المدرسة المعمارية بقوة البناء ومناعته ، وفرة الزخارف فيه . وتبدو الرسوم الزخرفية التي يزدان بها بالغة الاناقة ، راسخة في الحجر الصلد الناعم الذي نقش فيه . وفي القرن الثالث عشر استقبلت مصر مؤثرات جديدة سورية عراقية ، وذلك على يد الفنانين من ارباب الصناعة الذين لجأوا اليها من دمشق وبغداد والموصل ، فارين من وجه الغارات المغولية . وهي ظاهرة في مباني المدارس والمساجد والمستشفيات والقصور وتكايا الدراويش . فقصر « الابلق » المشهور الذي بناه الملك الناصر سنة ١٣١٤ اختار له طراز احد قصور دمشق ، والزخارف التي ازدانت بها مباني الايوبيين والمماليك قد زادت في روعتها الهندسية زيادة عظيمة . وكان مما ابتدعه الايوبيون الحرص على إتقان التفاصيل ، والمزيد من الدقة في مراعاة النسبة القياسية ، والاكتثار من الرواشح السقفية . وحصل ، إلى ذلك ، تحول عن الشكل المربع المستوي الجوانب ، الذي كان متبعاً في بناء البروج . وكذلك المآذن المتقنة ، فقد نشأت في عهد المماليك البحرية من اصول ايوبية . على ان اروع المآذن إنما تعود إلى العهد البرجي ، الذي بلغ فيه فن الهندسة المعمارية العربية ، كما يتجلى في المباني المسجدية ، أقصى روعته ومنتهى رقيه^٣ .

وقد تحدر البناء من العهد الايوبي المملوكي نماذج رائعة من المصنوعات الفنية

(١) ابن خلكان ، ج ٣ ، ص ٥٢١ ؛ السيوطي ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، ١٥٨ ؛ قابل : القريري ، ج ٢ ص ٣٦٣ .

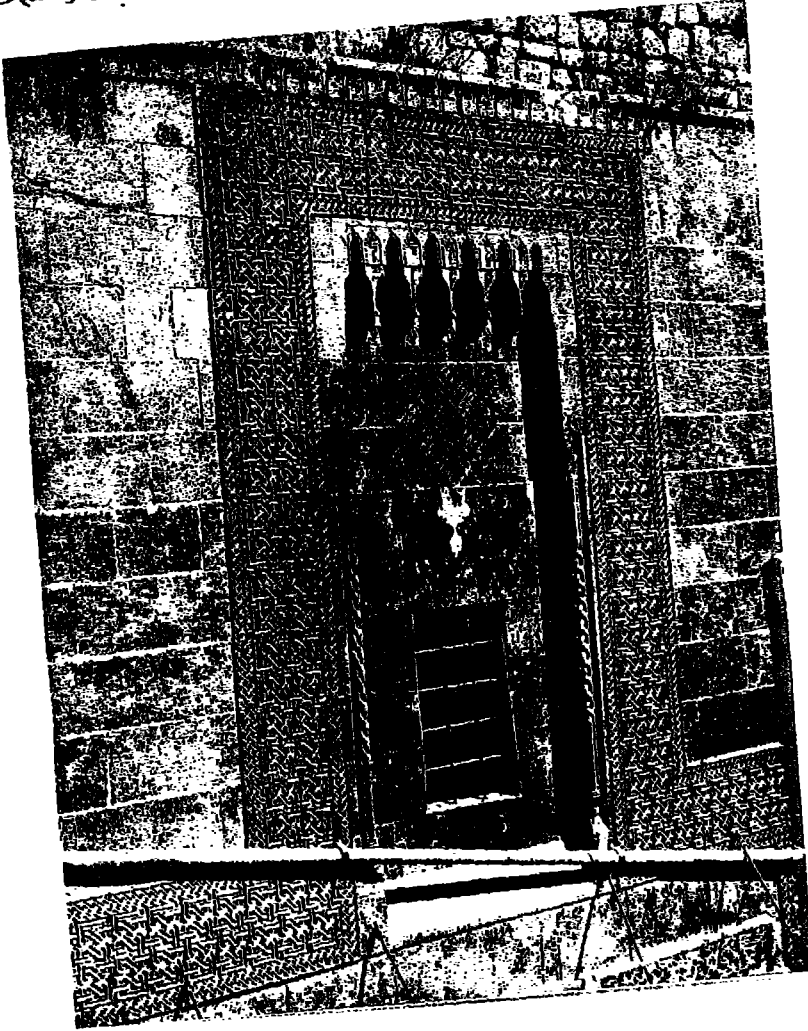
(٢) ابن خلكان ، ج ٣ ، ص ٥١٦ ؛ القريري ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .

(٣) انظر : René Grousset, *the Civilizations of the East*, vol. i, *The Near and Middle East*, tr. Catherine A. Phillips (New York, 1931), p. 235 ; M. van Berchem, *Matériaux pour un corpus inscriptionum Arabicarum*, pt. 2, vol. i (Cairo, 1922) p. 87 seq.



قلعة حلب القديمة وقد رُمّها نور الدين والى يسار الدخول برج بيزنطي اصله السلجوقي وجعلوه مثانة

الحديدية والادوات النحاسية والاواني الزجاجية والمحفورات الحشوية . وبما يستحق إشارة خاصة من الادوات النحاسية ، المزهريات والاباريق والاطباق والشماعد



خان العابون في حلب — بناء اتيق من عهد المالك

والمباخر وغلافات القرآن ؛ وجميعها زاهرة بضروب الزركشة والتزويق . قال احد المعاصرين في وصفها :

ومع هذا الاسراف الباهر في الرسوم ، فان الزخرفة ، مع ما يتخللها من كتابة كوفية بارزة ، واوراق نباتية متلاحقة ، واشكال فنية متشابكة ، وغاذج زهرية الصورة ، وزخارف عربية الطراز ، وشمائر

ترمز الى البطولة ؛ فقد احتفظت بما يوحي العزم والثقة بالنفس ، فإذا هي تدعو الى اغتباط الدهن فضلاً عن ارتياح البصر . وذلك في رأينا هو السر الكامن في فن الزخرفة العربية ^١ .

أما دمشق فقد احرزت شهرة خاصة بصناعة المراكن والاطباق الذهبية ، المنزلة بالزخارف الفضية ذات الاشكال الهندسية والرسوم النباتية ، وغير ذلك من الزخارف الدقيقة . وقد ذكر رحالة ايطالي ^٢ زار دمشق سنة ٨٥٠/١٣٨٤ « ان الوالد إذا كان جوهرياً تعذر على الابن ان يمارس حرفة اخرى » . وهكذا قضت الظروف على ابناء الحرفة ان يتقنوها إتقاناً تاماً . ثم ان الزخارف التي تزدان بها ابواب المساجد البرنزية تشهد لذوق العصر الرفيع ، وكذلك المحفورات الحشوية الحافلة بالرسوم النباتية والاشكال الهندسية ، فانها تنبئ بالتححرر من قواعد الفن الفاطمي . وفي المتحف العربي في القاهرة زجاجة عليها اسم الناصر صلاح الدين سلطان دمشق وحلب (١٢٥٠-٦٠) هي من اقدم عينات الزجاج المطلي بالمينا . وتشهد مصابيح المساجد المحفوظة في هذا المتحف وفي سواء من المتاحف بات سورية ظلت الى ذلك الحين متفوقة على جميع البلدان الاوربية في فن صناعة الزجاج ^٣ .

المجهود الفكري

أما على الصعيد الفكري فإن العصر الايوبي المملوكي كان عصر تجميع وتقليد أكثر منه عصر توليد وإبداع . ومع هذا فقد بقيت دمشق والقاهرة ، لاسيما بعد خراب بغداد وانهار الحكم الاسلامي في اسبانيا ، المركزين المقدمين في شؤون التعليم والفكر في العالم العربي . فقد كان من شأن المدارس التي أسست في هاتين المدينتين ، ورصدت لها الاموال الطائلة ، ان تعمل على حفظ العلوم العربية ، والاجتهاد في بثها ونشرها .

التصوف الاشراقي

وقد ظهرت في التصوف اتجاهات جديدة هامة ؛ وكانت حلب قد غدت في عهد

(١) Grousset, p. 234

(٢) Simone Sigoli in Cesare Angelini, *Viaggi in Terrasanta* (Florence, 1944), p. 227.

(٣) Sartou, vol. iii, p. 173 انظر

الملك الظاهر ابن صلاح الدين مسرحاً لنشاط أحد المتصوفين البارزين ، هو شهاب الدين السهروردي (١١٥٥ - ٩١) ، مؤسس مذهب التصوف الاشراقي^١ ، ومنشئ إحدى



طبق من نحاس منزل بنوع آخر من المعادن وهو يمثل الفن في عهد المايك في دمشق في القرن الرابع عشر

طرق الدراويش ، ويقوم هذا المذهب على ان التور جوهر الله وحقيقة الاشياء الاساسية ، وانه يمثل المعرفة الصحيحة والطهارة التامة والمحبة الخالصة والخير المحض . وبين ان هذه النظرية تضم آراء من الزرادشتية - لاسيا المانوية - والافلاطونية الجديدة والتعليم الاسلامي . ومعلوم كذلك ان الاشراق إنما هو وليد التعليمين الافلوطيني والماني^٢ ، وان السهروردي نفسه ولد في فارس . وجدير بالذكر ان

(١) راجع الحلبي خليفة ، ج ٣ ، ص ٨٧ وما بعد .

(٢) راجع Arthur. J. Arberry, *An Introduction to the History of Sufism*, (London, 1942), p. 32.

مبادئ الافلاطونية الجديدة قد نُسرت، ولو جزئياً، من مصادر مسيحية غلب فيها الاصل السرياني، وان القرآن نفسه يشتمل على آيات نصف الله بانه نور (سورة النور، الآية ٣٥). وقد خصص الغزالي، قبل السهروردي بزمان طويل، رسالة كاملة هي «مشكاة الانوار» لمعالجة هذه الفكرة^١. وهو ايضاً يرى ان الله إنما هو النور الحقيقي الاوحد، وان سائر الانوار لا تعدو كونها اشعاعات منه او انعكاسات عنه. وكان نساك النصارى قد سبقوه الى الامناع بأن هنالك نوراً روحانيا يتخلل الكون، وان هذا النور إنما هو إشعاع من الذات الالهية، وجوهر الكائنات مجملتها فالغزالي، في ما يظهر، قد اتصل اثناء مروره في سورية بتعاليم بعض نساك النصارى التابعين للكنيسة اليونانية؛ بحيث غدا غرضه الاول، التوفيق بين السنة الاسلامية والتعليم الصوفي. وقد خلف السهروردي عدة مؤلفات^٢ اهمها كتاب «حكمة الاشراق»^٣ وكان لهذا الناشئ الصوفي من الحمية الصوفية المتقدمة ما هاج الفقهاء المحافظين عليه، ودعاهم الى الاحاح على الظاهر ابن صلاح الدين، بان يأمر باعدامه جوعاً او خنقاً^٤. وجاء من ثم لقبه «بالشيخ المقتول». ومدفنه قائم الى اليوم قرب دار البريد في حلب.

ابن عربي

وهناك علم آخر من اعلام التصوف الاشراقي هو محيي الدين ابن عربي (١١٦٥ - ١٢٤٠)^٥. ولد في الإندلس، وقضى ايامه الاخيرة في سورية. وابن عربي هذا لم يكن فيلسوفاً شمولياً فحسب، بل يعتبر صاحب اعظم عبقرية تأملية في التصوف الاسلامي. ولعله غادر موطنه في الاندلس فراراً من القيود التي كانت آنذاك مفروضة على التفكير الحر، في ذلك الصقع الذي احرقت فيه مؤلفات

(١) (القاهرة، ١٣٢٢).

(٢) راجع جدول مؤلفاته في ابن خلكان، ج ٣، ص ٢٥٧ - ٥٨؛ ابن ابى اصيعة، ج ٢، ص ١٧٠ - ٧١. واحدى القصائد التي اثبتها له ابن خلكان لا تزال تنشد لاسياً في الحلقات الصوفية.

(٣) (طهران، ١٣١٦).

(٤) ابن شداد، ص ٣٠٢ - ٣٠٣؛ السهروردي، ثلاث رسائل، نشر وترجمة Otto Spies and S. K. Khatak (Stuttgart, 1935), p. 98؛ ابن خلكان، ج ٣، ص ٢٦٠.

A. E. Affifi, *The Mystical Philosophy of Muhyid Din-Ibnul 'Arabi* (Cambridge, 1930), pp. 3, 5, 47, 108, 183-4.

الغزالي؛ وتوجه سنة ١٢٠٢ إلى مكة حاجاً، ثم اختار دمشق موطناً. وفيها مدفنه الذي بنى حوله السلطان العثماني سليم الاول مسجداً، والذي لا يزال مقصد الزائرين الى اليوم. ويذهب ابن عربي الى ان الصوفي الحقيقي يستشدد بأمر واحد هو النور الباطني، ويحمد الله في جميع الاديان^١. وفي تعاليم ريمند لال^٢، وسواه من متصوفة النصاري، بقايا من تأثير ابن عربي. ويتبسط ابن عربي في كتابه «الفتوحات المكية»^٣ وفي كتاب «الاسراء الى مقام الاسرى»^٤ في موضوعه الاثير الذي يعالج فيه صعود محمد الى السماء السابعة^٥. وجدير بالذكر ان الكثير من الدقائق المتصلة بالمشاهد والاحداث والمواقع والمباني، المعروفة في كوميدية دانتي الالهية، لها سابقات في كتابي ابن عربي هذين، وفي سواهما من المدونات الاسلامية^٦.

كتابة السير

كان من اوائل الاساتذة في دار الحديث النورية في دمشق ابن عساكر^٧ (١١٠٥ - ١١٧٦)، مؤلف «التاريخ الكبير»، الذي اوجز فيه سير جميع الوجهاء الذين سبقت لهم صلة ما بهذه المدينة؛ لكن لم يبقَ لنا من اجزائه الثنتين إلا عدد قليل^٨. على ان شهرة ابن عساكر في كتابة السيرة لم تلبث ان كسفتها شهرة علم آخر من اعلام مدارس دمشق^٩ هو شمس الدين احمد ابن خلكان، ابرز مؤلفي السير على الاطلاق في الاسلام. وُلد في اربل، وعين قاضي قضاة في سورية سنة ١٢٦١، وشغل هذا المنصب في دمشق حتى قبيل وفاته سنة ١٣٨٢، لم ينقطع عنه إلا فترة

- (١) ابن عربي ترجمان الاشواق، نشر وترجمة نيكلسون (لندن، ١٩١١)، ص ١٩، ٦٧.
- (٢) راجع ص ٢٦٣ من هذا الجزء.
- (٣) الطبعة الثانية اربعة اجزاء (القاهرة، ١٢٩٣).
- (٤) (القاهرة، ١٢٥٢).
- (٥) القرآن ١٧: ١.
- (٦) راجع ص ٢١٦ من هذا الجزء.
- (٧) الكتبي، ج ١، ص ٣٣٣؛ ياقوت، ارشاد الارب، ج ٥، ص ١٣٩ - ٤٦؛ السبكي، ج ٤، ص ٢٧٣ - ٧٧، التميمي، ص ١٠٠ - ١٠٤، ١٠٥.
- (٨) نشر منه عبد القادر ابن بدران سبعة اجزاء (دمشق، ١٣٢٩/٥١).
- (٩) راجع ص ٢٨٤ من هذا الجزء.
- (١٠) السبكي، ج ٥، ص ١٤ - ١٥، السيوطي، ج ١، ص ٢٦٥ - ٦٦.

دامت سبع سنوات . وضع ابن خلكان أول معجم لاعلام المواطنين باللغة العربية ، وهو مجموعة كبيرة من السير سماها «وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان»^١ وكلف نفسه غناء ايراد الاسماء بالشكل الصحيح ، وتعيين التواريخ وسرد الانساب والتحقق من الحوادث الهامة ؛ كل ذلك رغبة منه في ان يجيء تراجمه من الدقة واناقة الاخراج على خير ما يستطيع . واستأنف من بعده هذا العمل الجبار الكتبي الحلبي (ت ١٣٦٣) في مؤلف سماه «وفات الوفيات»^٢ .

وهناك اديب آخر من مؤلفي السير كان اضخم إنتاجاً من ابن خلكان ، لكن اقل منه تدقيقاً ، هو صلاح الدين خليل بن ايبك المعروف بالصفدي ، نسبة الى صفد مسقط رأسه (١٢٩٦ - ١٣٦٣)^٣ . وكان الصفدي ابن عبد تركي ، درس في دمشق على النحوي المشهور ابي حيان التوحيدي ، ثم رافق المؤرخ المحدث الحافظ الذهبي (١٢٧٤ - ١٣٤٨)^٤ ، والفقير المشرع تاج الدين السبكي (حوالي ١٣٢٧ - ٧٠)^٥ . وضع الذهبي مؤلفاً في تاريخ الاسلام كان من الضخامة بحيث تهيب منه النساخ ، فظهر في اعداد دورية يفصل بين الواحد منها وما يليه عشر سنوات ؛ الامر الذي اعيا جامعي الكتب . وكان الصفدي يشغل منصب خازن في مدينة دمشق ؛ واكثر ما اشتهر بمؤلفه الضخم «الوافي بالوفيات»^٦ ، الذي ارتقى عدد اجزائه الى الثلاثين ، وفي الاجزاء التي وصلت اليها منه نحو من اربعة عشر الف سيرة من سير الحكام والقضاة والادباء . وهو اضخم موسوعة للاعلام في الاسلام . ففي «وفيات» ابن خلكان ٨٦٥ ترجمة ، وفي «وفات» السبكي ٥٠٦ ترجمات ، وفي «عيون» ابن ابي اصيبعة حوالي ٤٠٠ . وقد قدّم الصفدي لمعجمه ببحث في النهج التاريخي هو الاول

(١) نشر مرات عديدة ، والمعمدة هنا تقع في ثلاثة اجزاء (القاهرة ، ١٢٩٩) .

(٢) في مجلدين (القاهرة ، ١٢٨٣) . ولغوستاف فون غرولباوم نقد لطريقة ابن خلكان لدى مقارنتها بأسلوب بلوتارش وذلك في كتابه (Chicago, 1946), pp. 279-80 *Medieval Islam* .

(٣) السبكي ، ج ٦ ، ص ٩٤ - ١٠٣ .

(٤) لقد رجحنا من مؤلفاته العديدة الى كتابه «دول الاسلام» فقط وهو يقع في مجلدين طبع في حيدر اباد سنة ١٣٣٧ هـ .

(٥) اعتمدنا كتابه «طبقات الصوفية الكبرى» في كتابة هذه النبهة وهو يقع في ستة اجزاء وقد طبع في القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ .

(٦) نشره رتر H. Ritter II. المجلد الاول في اسطنبول ، ١٩٣١ .

من نوعه في العالم بأسره^١. وقد جاء كتابه تكملة لمؤلفات زملائه السابقين، لا سيما «وفيات» ابن خلكان و«معجم» ياقوت. وكانت ياقوت هذا في اول امره عبداً رومياً، وضع مؤلفاً هاماً في سير الادباء هو «معجم الادباء» (او إرشاد الاريب)، لكنه نال شهرة اوسع بمعجمه الجغرافي «معجم البلدان»^٢ الذي فرغ من وضعه سنة ١٢٢٨ في مدينة حلب وقدمه لوزيرها القفطي^٣، وفي حلب قضى ياقوت نفيه.

التاريخ والجغرافيا

وبما يتصل بالسيرة والجغرافية اتصالاً وثيقاً موضوع التاريخ؛ وبين المؤرخين السوريين الذين عرضوا لنا في الصفحات السابقة ابو شامة (١٢٠٣ - ٦٨)^٤ صاحب كتاب «الروضتين في اخبار الدولتين»^٥، وجله في تاريخ نور الدين وصلاح الدين، ثم ابو الفداء (١٢٧٣ - ١٣٣٢)، احد المتأخرين من حكام حماة^٦ الايوبيين؛ ويعتبر تاريخه^٧ خلاصة وتكملة لتاريخ ابن الاثير (ت ١٢٣٤)، الا ان هذا الاخير يفوقه ضخامة. ولد ابو الفداء في دمشق حيث استقر اهله بعد فرارهم من وجه المغول. وقد حظي تاريخه من الاعجاب بما حمل الكثيرين من المؤلفين المتأخرين على اكماله وتلخيصه واختصاره. ولم يكن مؤلفه الجغرافي «تقويم البلدان»^٨ اقل خطراً، فقد صدره بمقدمة دافع فيها عن فكرة كروية الارض، واستشهد على صحتها بزيادة نهار او نقص آخر لدى السفر حولها في اتجاه معين. وربما صح اعتبار هذا المؤلف السوري «اعظم مؤرخ جغرافي في ذلك العصر على اختلاف الاوطان والاديان»^٩. وكان لابي الفداء مواطن معاصر هو شمس الدين الدمشقي (ت ١٣٢٦)،

(١) راجع: Sarton, vol. iii, p. 309.

(٢) نشره وستيفيلد في ستة اجزاء (ليبتزغ، ٧٣/١٨٦٦)؛ وقد ظهر في بيروت سنة ١٩٥٧ بطبعة جديدة في خمسة اجزاء.

(٣) راجع ص ٢٨٢ من هذا الجزء.

(٤) الكتي، ج ١، ص ٣٢٢ - ٢٥.

(٥) في مجلدين (القاهرة ١٢٨٧ - ٨٨).

(٦) راجع ص ٢٦٥ من هذا الجزء.

(٧) في اربعة مجلدات (القسطنطينية، ١٢٨٦).

(٨) نشره M. Reinaud and MacGuckin de Slane (Paris, 1840).

(٩) راجع: Sarton, vol. iii, p. 308.

وضع رسالة في الجغرافيا الفلكية هي «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر»^١. ومع ان هذه الرسالة اقل شأنًا من «التقويم» من الناحية الرياضية، فانها اجل منه شأنًا من حيث المعلومات المتعلقة بالظواهر الطبيعية والثروة المعدنية والشؤون السلافية. وقد اشتهر في هذا الموضوع عالم آخر هو ابن فضل الله العمري. شغل منصب صاحب الخاتم في بلاط المماليك في القاهرة، ثم عاد الى مسقط رأسه دمشق، وفيها مات بالطاعون سنة ١٣٤٩. وضع العمري مؤلفين هامين: الاول «مسالك الابصار في ممالك الامصار»^٢، والثاني «التعريف بالمصطلح الشريف»^٣ والثاني دليل ينتفع به رجال الادارة والسياسة.

ولقد برز بين المؤرخين في عصر المماليك اثنان: مصري هو المقرئزي، وتونسي هو ابن خلدون. وكان لكل منهما صلة وثيقة تربطه بسورية. اما المقرئزي (١٣٦٤ - ١٤٤٢)، صاحب الكتاب القيم المعروف بالخطط^٤ - وقد ذكرناه تكررًا في ما سبق - فمتحدر من اصل بعلبكي، وشغل كرسي استاذ في دمشق بعد ان تلمذ على ابن خلدون. وكان ابن خلدون قاضي قضاة في مصر؛ وقد رافق المملوك السلطان الناصر فرج الى دمشق في حملته لوقف زحف تيمور، وحل ضيفًا مكرمًا على قائد المغول الخيف^٥. «ومقدمة ابن خلدون»^٦ هي الجزء الاول من تاريخه الشامل^٧، وقد اهلته لان يعتبر اعظم من انجبههم الاسلام من فلاسفة التاريخ. فشرحه للاحداث التاريخية والخصائص القومية، على اساس اقتصادية وجغرافية وعضوية، واعتبارات مدنية اخرى، محاولة لم يسبقه الى مثلها احد من علماء الاسلام، ولم يخلفه فيها زميل جدير باستئناف جهده.

(١) نشره. A. F. Mehren (St. Petersburg, 1865).

(٢) نشر احمد زكي المجلد الاول (القاهرة، ١٩٢٤) وقرظه عبد الطيف حمزة في كتابه: الحركة الفكرية في مصر في العصور الايوبية والمملوكية الاول (القاهرة ١٩٤٧)، ص ٣٢٤ - ٢٧.

(٣) (القاهرة، ١٣١٤).

(٤) في مجلدين (القاهرة، ١٢٧٠).

(٥) ابن خلدون، التعريف، نشر محمد الطنجي (القاهرة، ١٩٥١) ص ٣٦٦ - ٨٣.

(٦) نشرها كاترمير في ثلاثة مجلدات (باريس، ١٨٥٨) قبل الطبعة المصرية (القاهرة، ١٢٨٤).

(٧) في المجلد السادس (القاهرة، ١٢٨٤)، ص ٣٧٩ وما بعد ترجمة وافية كتبها هو عن نفسه هي خير مصدر لحياته.

هذه السلسلة من اصحاب التراجم والجغرافيين والمؤرخين ، والعلماء الافذاذ الموسوعيين ، التي بدأت بآبن عساكر وختمت بآبن خلدون ، جعلت لسورية ومصر ، في عصر الايوبيين والمماليك ، مكانة منقطعة النظير بين البلدان الاسلامية .

تيمورلنك

كانت حملة تيمورلنك على سورية آخر الحملات المغولية . وتيمور هذا يدعي انه سليل جنكيزخان^١ ؛ انطلق بجموع قبائله كالعاصفة الهوجاء من اواسط آسيا ، واكتسح غربي آسيا تاركاً في اثره الدمار والحراب . وللمرة الرابعة او الخامسة وجدت سورية نفسها طريحة عند اقدام المغول^٢ . ففي تشرين الاول سنة ١٤٠٠ ابيحت مدينة حلب مدة ثلاثة ايام للنهب والسلب ؛ ولعلها المرة الاولى التي اخذت فيها قلعتها عنوة ، ولكن بعد ان ضحى الغزاة من رجالهم بما كان كافياً لان يملأ الحندق المحيط بها ببحث القتلى ، وبلغ عدد القتلى من الاهلين نحواً من عشرين الفا . وقد نضدت رؤوس القتلى في كومة بلغ ارتفاعها عشر اذرع ومدارها عشرين ذراعاً^٣ . اما المدارس والمساجد التي انشأها النوريون والايوبيون ، والتي فاقت كل تقدير ، فقد عفا اثرها الى الابد . وبعد ان اباد الغزاة طلائع جيش السلطان فرج ، خلت امامهم السبيل المؤدية الى دمشق ، لكن قلعتها صمدت في وجههم مدة شهر استسلمت المدينة بعد انقضائه ؛ غير ان الفاتحين اخلوا بشروط التسليم ، فتعرضت المدينة للنهب واضرمت فيها النيران . فقد حصر ثلاثون الفا من سكانها ، رجالاً ونساء واطفالاً ، في جامعها الكبير ؛ ثم اضرمت فيه النار ، فلم يبق قائماً من بنائه الا الجدران . وعلى الاثر نقل خيرة من كان فيها من علماء ومحترفين وفنانين وحدادين^٤ وصانعي الاسلحة والادوات الزجاجية الى سمرقند ، عاصمة تيمور ، من اجل ان ينشئوا فيها هذه الصناعات ، وسواها من الفنون الفرجية . وبذلك فقدت

(١) قابل : ابن عربشاه عجائب المقرور في اخبار تيمور (القاهرة ، ١٢٨٥) ص ٦ .

(٢) راجع ص ٢٦٨ من هذا الجزء .

(٣) ابن تقي بريدي ، ج ٦ ، ق ٢ ، ٥٢ ؛ قابل ابن اباس ، ج ١ ، ص ٣٢٧ .

(٤) لعل الحديد الخام كان يستورد من جبال لبنان . راجع ص ٣٦ و ص ٣٠٥ من الجزء الاول ، و ص ٢٠٢ من هذا الجزء من الكتاب .

دمشق القيادة في فنون الزخرفة الدمشقية. وقد خلف لنا ابن تغري بردي^١ - وكان ابوه المرافق الاول للسلطان فرج - وصفاً مفصلاً للحملة السورية بكاملها. وربما كانت هذه الحملة اشد صدمة عانتها المدينة ان لم نقل البلاد بأسرها.

وكان الفاتح الجامع قد سحق الجيش العثماني عند انقرة، واجتاح بروسيا وازمير، واسر بايزيد الاول^٢. على انه كان من حسن حظ المماليك ان لاقى تيمور حقه سنة ١٤٠٤؛ ونشب على اثر ذلك نزاع بين خلفائه انتهى الى فتنة داخلية، استنفدت قواهم جميعاً. فأتاح ذلك للسلطة العثمانية ان تستعيد سيادتها على آسية الصغرى، وسهل السلالة الصفوية بعد ذلك، ان تفرض سلطتها على فارس

العثمانيون يناضلون المماليك والصفوية

هذه المنافسة بين المماليك والسلطنة العثمانية على السيادة في آسية الغربية بلغت حدتها في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، ثم لم تلبث الدولة الصفوية ان تورطت في هذه المشادة في اوائل القرن السادس عشر. واشد ما تأزمت العلاقات بين العثمانيين والمماليك في عهد خشتقدم (١٤٦١ - ٦٧) الذي كان، خلافاً لسابقه الاتراك والجراسكة، مملوكاً رومياً^٣، وفي عهد محمد الثاني فاتح القسطنطينية. لكن القتال لم ينشب، حتى سنة ١٤٨٦، عندما عمد قانئتباي الى منازعة بايزيد الثاني السلطة على ادنا وطروطوس وسواهما من الثغور. فقد ارسل هذا المملوك، في اواخر عهد سلطته، رسالة الى البابا انذره فيها باتخاذ تدابير انتقامية بحق نصارى سورية، اذا استمر فرديناند في اباداة ما بقي للمسلمين من سلطة في اسبانيا. وبعد ذلك بقليل نشب ما بين العثمانيين والفرس، نزاع انتهى بالقضاء السريع على الجيش الصفوي، وباكتساح سليم الاول (١٥١٢ - ٢٠) للعراق. والصفويون من غلاة الشيعة، وكانوا قد جعلوا مذهبهم الدين الرسمي للدولة. وقد اتهم سليم الاول المملوك قانصوه الغوري (١٥٠٠ - ١٦) بعقد معاهدة مع شاه الصفوية ضده، وبانه آوى بعض اللاجئين السياسيين.

(١) المجلد السادس، القسم الثاني من ٥، ص ١٤، ص ٥٠ وما بعد. قابل: ميخوند، تاريخ روضة الصفاء (طهران، ١٢٧٠) الكتاب السادس؛ المقرئ: ج ٢، ص ٢٤١.
(٢) ابن عربشاه، ص ٦، ابن اياس، ج ١، ص ٣٣٤؛ ج ٣، ص ٤٨.
(٣) ابن تغري بردي، ج ٧، ص ٦٨٥.

النصر الحاسم في مرج دابق

وكان قانصوه في هذه الاثناء قد اتجه شمالاً بحجة عزمه على التوسط بين المتخاصمين^١. وكان في موكبه قاضي قضاة مملكته والخليفة بالذات، وهو آنذاك المتوكل سليل المستنصر (عم آخر الخلفاء في بغداد)، وخليفته. وكان يبهرس قد اقام المستنصر في مصر سنة ١٢٦١ من اجل ان يجعل لسلطته طابعاً شرعياً، ويضفي على بلاطه سمة السيادة العليا في نظر المسلمين^٢. فارسل قانصوه الى سليم الاول رسولاً خاصاً، لكن سليماً لم يجد وسيلة لاذلاله خيراً من ان يأمر بخلق لحينه، وباعادته على حمار اعرج، يحمل الى سيده علماً باعلان الحرب. والتحم الجيشان يوم ٢٤ آب سنة ١٥١٦ في مرج دابق الملطخ بالدم، شمالاً من مدينة حلب. وكان قانصوه في اول امره عبداً لقائتابي؛ وقاتل الآن، وهو في اواسط العقد الثامن، قتال الابطال لكن بغير جدوى. ولم يكن باستطاعته ان يعتمد على اخلاص ولائه السوريين، ولا ان يقف بجيوشه في وجه جيش الانكشارية^٣ الخفيف، المتفوق بعدده الحربية. فان خائر بك حاكم حلب الخائن، الذي عهد اليه بقيادة الجناح الاليسر، انهزم هو ورجاله عند الهجوم الاول^٤. وقد استخدم الجيش التركي المدافع والبنادق وسواها من الاسلحة ذات المرمى البعيد. وكانت الجيش المصري يضم جماعات من البدو والسوريين لا عهد لهم بمثل هذا السلاح، متشبثين بالنظرية القديمة التي تعتبر البطولة الشخصية العامل الفاصل في القتال. واستخدم الاتراك كذلك البارود^٥، والمدافع الكبار على عجل تجرها خيول^٦. وفي غمرة القتال اصيب

(١) القرمانلي، اخبار النول وآثار الاول (بغداد، ١٢٨٢) ص ٢١٩ - ٢٠.

(٢) القريري، ترجمة Quatremère, vol. i (p. t. 1) pp. 146-68؛ ابن خلدون، ج ٥، ص ٣٨٢ - ٨٣، ابو الفداء، ج ٣، ص ٢٢٢؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٤٩ - ٥٢؛ ابن اياس، ج ١، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٣) من التركية بمعنى الجيوش الجديدة، ويطلق على فرق المشاة النظامية المؤلفة بالاكث من فتيان النصارى المأسورين وعلى يدم تمت اكثر الفتوحات.

(٤) ابن اياس، ج ٣، ص ٤٦، ٥١.

(٥) يبدو ان البارود اختراع صيني. ادخله المغول الى اوربا سنة ١٢٤٠ وتم به بعدئذ اختراع الاسلحة النارية. قابل: Sarton, vol. iii, pp. 722-23. ولعل اول من عرض لتذكر المدفعية يمي، ص ٢٢٩، حيث ذكر ان ملاحي جنوى قذفوا بيروت بالمدافع سنة ١٣٨٢.

(٦) القرمانلي، ص ٢٢٠.

قانسوه بسكتة قلبية، سقط على أثرها عن صهوة حصانه، فتم بذلك النصر للسلطان سليم، واعتقل الخليفة، ثم أخذه إلى القسطنطينية. أما الادعاء بأن الخليفة أوصى بمنصبه الرفيع إلى السلطان العثماني، فحكاية من مولدات القرن التاسع عشر. وقد عثر السلطان سليم في قلعة حلب على كنوز للمماليك قدرت بملايين الدنانير. وفي أواسط تشرين الأول اتجه نحو دمشق، فانتقلت سورية ببسر إلى أيدي الاتراك، وقدر لها أن تبقى بيدهم أربعة قرون كاملة. وقد رحب أهلها بسيادهم الجدد على اعتبار أنهم منقذون من الأسياذ السابقين، شأنهم في كثير من المناسبات السابقة المماثلة.

خاتمة حكم المماليك

زحف الجيش العثماني من سورية جنوباً نحو مصر، وكان قد نودي بطومان باي سلطاناً عليها، وكان في أول أمره عبداً لقانسوه. والتقى الجيشان في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٥١٧ خارج القاهرة. فانهزم الجيش المصري، بعد أن «اثخته القذائف»^١. وهرب طومان باي إلى مضرب من مضارب البدو. لكنه سلم غدرًا ثم شق في ١٧ نيسان على باب من أبواب القاهرة الرئيسية^٢، ولم تعد مصر بعد ذلك دولة ذات سيادة.

أما الحجاز بدينتيه المقدستين، فقد غدا بحكم الواقع جزءاً من الامبراطورية العثمانية الناشئة. وفي صلاة الجمعة الأولى بعد الحدث ابتهل الواعظون إلى الله أن يضي بروكته على السلطان الفاتح بهذه الالفاظ:

انصر اللهم السلطان ابن السلطان، مالك البرين والبحرين، وكسر الجيشين، وسلطان العراقين، وخدام الحرمين الشريفين، الملك المظفر سليم شاه؛ اللهم انصره نصرًا عزيزًا، وافتح له فتحاً مميّناً، يا مالك الدنيا والآخرة، يا رب العالمين (٣).

وبذلك بدأ عهد جديد في تاريخ العرب، هو عهد سلطة الاتراك العثمانيين.

(١) ابن اياس، ج ٣، ص ٩٧.

(٢) ابن اياس، ج ٣، ص ١١٥؛ السيوطي، ج ٢، ص ٩٠؛ القرماني، ص ٢٢٠؛ قابل سعد الدين، تاج التواريخ، ج ٢، (القسطنطينية، ١٢٨٠) ص ٣٦١.

(٣) ابن اياس، ج ٣، ص ٩٨.

القسمُ الخامس
تحت الحكم العثماني

الفصل الثامن والأربعون سُورِيَّةُ قِسْمِ تَرْكِي

الدولة العثمانية

إن الدولة التركية في غربي آسيا الصغرى قد نهضت ، من نشأة وضیعة في أوائل القرن الرابع عشر ، الى مركز شامخ في آسيا الغربية وجنوبي شرقي أوربا وشمالی شرقي إفريقيا ، وذلك في خلال القرنين التاليين ؛ وكان قيامها على هذا النحو من أبرز الأحداث في التاريخ الحديث . عُرفت لفظة «ترك» لأول مرة اسماً لاقوام من بداية آسيا الوسطى^١ سنة ٥٠٠ م . وفي خلال القرن السادس تمكنت الشعوب التركية من انشاء دويلات بدوية انتشرت في منغوليا وحدود الصين الشمالية حتى البحر الاسود . وكما عاش الاعراب على الجمال كذلك عاش الاتراك على الخيل ، فشرّبوا البانها واكلوا لحومها وامتطوها في طلب النصر . وقد استخدموا الركاب والقوس والنبال ، وكانت الميزة التي تفوقوا بها على خصومهم سرعة الانتقال . كان اول اتصالهم بالشعوب الهندية الاوربية في تركستان ، وفي هذا البلد واجههم العرب الفاتحون للمرة الاولى ، وذلك في اواخر القرن السابع واولائل الثامن^٢ . فعندما بلغ آسيا الصغرى بعد ذلك ، من عرف منهم بالعثمانيين وجدوا البلاد قد تتركت جزئياً على يد انسابهم السلاجقة^٣ . ويعود السلاجقة والعثمانيون بالنسب الى قبيلة الغز ، او الاتحاد القبلي المعروف بهذا الاسم .

اما المؤسس الذي تسمت باسمه الدولة والسلالة التي عرفت بالعثمانية فزعيم شبه تاريخي اسمه عثمان^٤ (١٢٩٩ - ١٣٢٦) ويستدل من اسمه هذا - اذا صح - ان

(١) راجع ص ٣٨ من هذا الجزء .

(٢) راجع ص ٦٥ - ٦٦ من هذا الجزء .

(٣) راجع ص ٢٠٤ - ٢٠٥ من هذا الجزء .

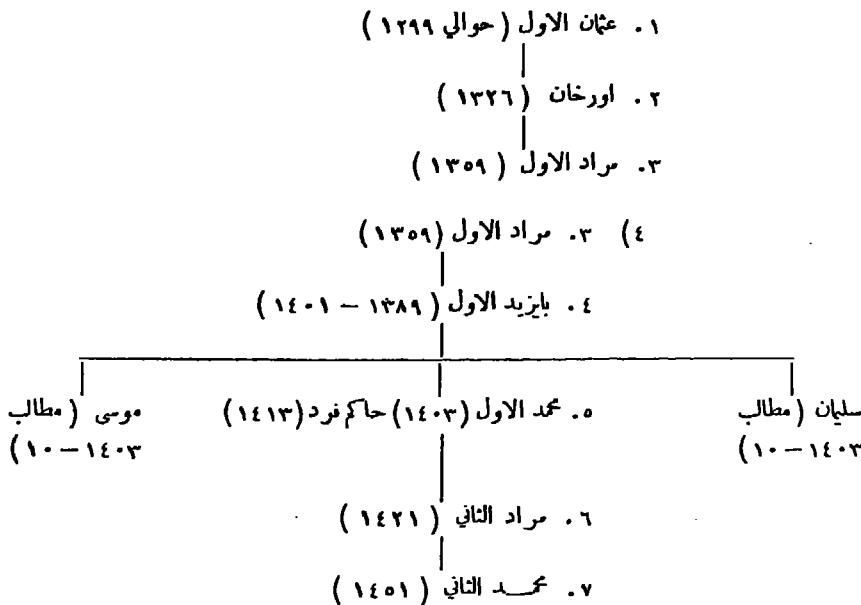
(٤) راجع بشأنه : Mehmed Fuad Koprulü, *Les Origines de l'empire ottoman*, (Paris, 1935) pp. 87 seq. ; Paul Wittek, *The Rise of the Ottoman Empire* (London, 1938) pp. 7 seq. ; Joseph von Hammer, *Geschichte des osmanischen Reiches*, vol. i (Pest, 1827), pp. 40 seq.

عشيرة كانت آخذة في اعتناق الاسلام او قد اعتنقته نهائياً^١ . وعلى اثر اتباعهم للدين الجديد تسربت الى لغتهم التركية الوف التعابير الدينية والعلمية والادبية العربية ، وبعض الالفاظ الفارسية . ولما لم يكن للغة التركية الا القليل من الادب المدون^٢ ، عمدوا الى اقتباس الحرف العربي ، واستمروا عليه في مدوناتهم حتى كان الاصلاح الذي قام به مصطفى كمال سنة ١٩٢٨ . وقد بقيت الدولة العثمانية ، بعد ان تأسست حوالي سنة ١٣٠٠ ، نحواً من ست وستين سنة مجرد امانة قائمة على الحدود ، واتخذت بعد سنة ١٣٣٦ مدينة بروسا قاعدة لها . ثم غدت بين سنة ١٣٦٦ وسنة ١٤٥٣ بملكة عاصمتها مدينة ادرنة . وكان استيلاء محمد الثاني الفاتح (١٤٥١ - ١٤٨١) على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ فاتحة عهدها الامبراطوري . وبذلك غدت هذه الدولة الاسلامية التركية وريثة للامبراطورية البيزنطية ، وظفرت في ما بعد بضم عدد من الدول العربية ، تمكنت من سلخها عن الخلافة العباسية . وقد

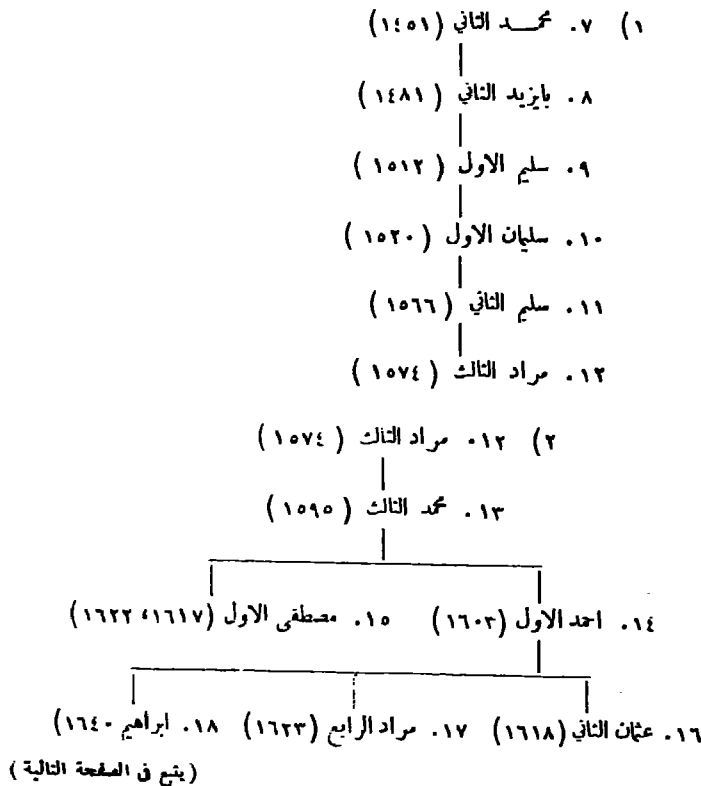
(١) راجع ص ٢٦٨ - ٢٧٠ من هذا الجزء .

(٢) استخدم الاتراك في آسيا الوسطى الحرف السرياني ، راجع ص ١٣٨ وقابل ص ١٨٣ من هذا الجزء .

(٣) شكل شجري لسلاطة الحكم الاتراك الاولين .

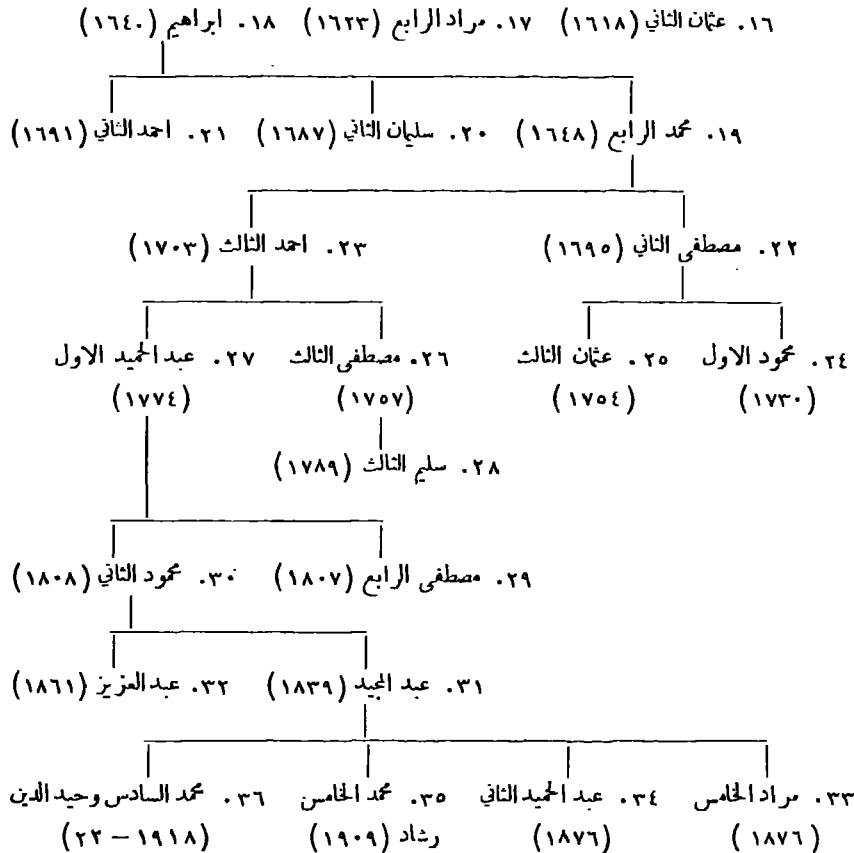


بلغت الامبراطورية التركية اوج عزتها في عهد سليمان الاول الملقب بالقانوني (١٥٢٠ - ١٦٠٦)، وهو ابن سليم الاول فاتح سورية ومصر. وتم في عهده الاستيلاء على الجانب الاكبر من هنغاريا، والقاء الحصار على مدينة فيينا، واحتلال جزيرة رودس؛ واقرت شمالي افريقيا - باستثناء مراكش - بالسيادة السياسية عليها للباب العالي في القسطنطينية^١. على ان إخفاقهم في محاولتهم الثانية لفتح فيينا سنة ١٦٨٣ كان مؤذناً ببداية النهاية. وقد امتدت الامبراطورية في عهد سليمان الاول من بودابست على نهر الدانيوب الى بغداد على نهر الدجلة، ومن بلاد القرم الى شلال النيل الاول. ولم ينشئ المسلمون في العصر الحديث دولة هذا مداها؛ وكانت الى ذلك من اطول الدول الاسلامية عمراً؛ فقد توالى على عرشها، من سنة ١٣٠٠ حتى ١٩٢٢، عندما انحلت الامبراطورية، ستة وثلاثون سلطاناً كلهم متحدرين عصباً من عثمان، المؤسس الاول^٢.



الدوائر الادارية في سورية

ان السلطان سليم الاول (١٥١٢ - ٢٠) هو الذي ضمّ العالم العربي الى الامبراطورية العثمانية^١. فعلى اثر انتصاره في مرج دابق، استسلمت حماة وحمص، فدخلها دخول الفاتحين. ولم تلبث طرابلس وصفد ونابلس والقدس وغزة ان ألقت سلاحها، ولم تعد الى اية مقاومة^٢. ولدى عودته من مصر، توقف طويلاً في سورية من اجل ان يثبت فيها مركزه، ويعمل على تنظيم شؤونها. ورغبة منه في تنظيم الضرائب، عين مجلساً واناط به مهمة مسح جميع الاراضي، على ان يحتفظ



(١ راجع ص ٢٩٨ من هذا الجزء .

(٢ ابن اياس . نشر بول كهلي ومحمد مصطفى، ج ٥، ص ١٤٩ .

للتاج بقسم كبير من سهل البقاع الخصب ، ووادي العاصي المشرف^١. لكنه استمر على التدبير الذي اعتمده المالك في تلزيم الضرائب على سبيل المزايدة. ثم انه جعل المذهب الحنفي - وهو الذي اختاره العثمانيون - المذهب الفقهي الرسمي في سورية^٢. وقد وضع احد فقهاء حلب المعروف براهيم الحلبي (ت ١٥٩٤) ، كتاباً في الفقه الحنفي هو « ملتقى البحار » ، غدا مرجعاً للتشريع الحنفي في الامبراطورية جملة . وقد طبع للمرة الاولى في القسطنطينية سنة ١٨٩٢/١٣٠٩ .

أبقى الترك الدوائر الادارية^٣ في سورية على نحو ما كانت عليه في عهد المالك ؛ لكنهم بدلوا بعض الشيء في نظام التسمية : فدعيت « النيابة » « ولاية » ، وعرف « النائب » بـ « الوالي »^٤. وصار لقب التعظيم الذي يلي اسم الوالي « باشا » ، فصار « للباشوية » و « الولاية » مدلول واحد . وكانت ولاية حلب في وقت ما تشمل على سبعة سناجق^٥. اما ولاية دمشق ، التي اتسعت باضافة القدس وصفد وغزة اليها ، فقد انبسطت بجان بردي الغزالي . وهو نائب دمشق الحائ الذي توطأ مع زميله نائب حلب على القدر بالغوري^٦. بحيث غدا الغزالي هذا النائب الفعلي للسلطان في سورية . اما سائر الدوائر الادارية فقد اسندت الى حكام من الترك . وعلى اثر حركة التمرد التي قام بها الغزالي قسمت سورية الى ثلاث ولايات هي : دمشق ، مشتملة على عشرة سناجق اهمها : القدس ونابلس وغزة وتدمر وصيدا وبيروت ؛ ثم حلب وفيها تسعة سناجق بينها شمالي سورية ؛ ثم طرابلس ، وفيها خمسة سناجق منها :

(١) للزبد عن الضرائب راجع ، Omer Lütfi Barakan, *Kanunlar* (Istanbul, 1945), pp. 206 seq.

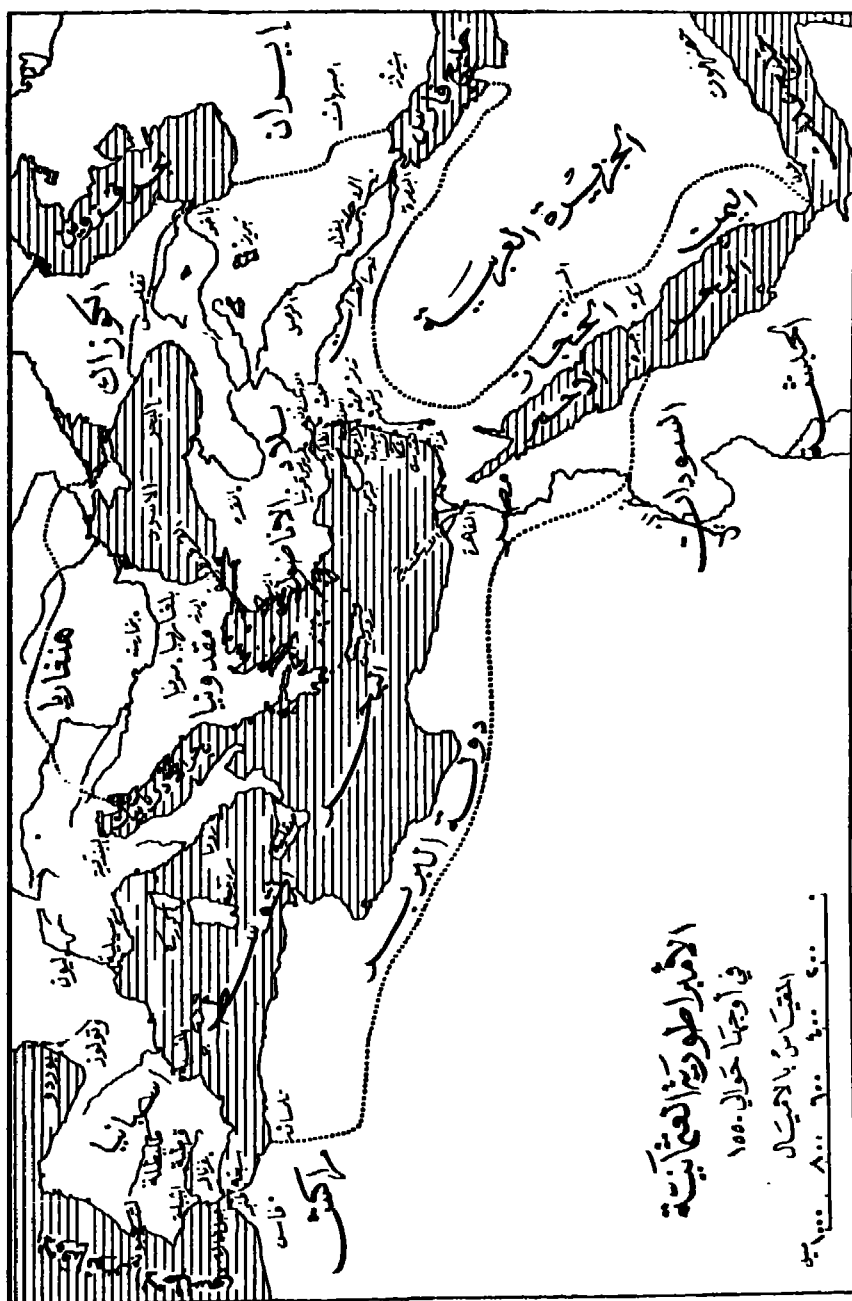
(٢) ابن اياس ، ج ٥ ، ص ٢٣٨ ، الفزي : الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة ، نشر جبرائيل جبور (بيروت، ١٩٤٥) ج ١ ، ص ٢١٠ .

(٣) راجع ص ٢٧٤ من هذا الجزء .

(٤) لم يصطلح على « التصريف » و « التصرف » الا في ما بعد .

(٥) انظر : Von Hammer, vol. ii, p. 477, n. d. ان اللفظة التركية « سناجق » المحورية « سنجق » هي ترجمة للفظة العربية « لواء » بمعنى العسكر . وهذه التباير جميعها كانت في ما يبدو ما استخدمه السلاجقة قبلاً .

(٦) فريدون بك ، مجموعة منشآت السلاطين ، الطبعة الثانية (اسطنبول ١٢٧٤) ، ص ٤٥٥ ؛ ابن اياس ، ج ٥ ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ ؛ سعد الدين ، ج ٢ ، ص ٣٦٤ - ٦٥ .



حمص وحماة وجبله وسلمية . وقد جعلت صيدا سنة ١٦٦٠ ولاية من اجل ان تكون مركزاً للرقابة على لبنان^١.

وفي سنة ١٧٢٤ استندت ولاية دمشق الى اسماعيل باشا العظم ، كبير هذه الاسرة البارزة في دمشق ؛ وكان ابنه اسعد ، الذي بدأ حياته السياسية حاكماً على صيدا ثم على حماة ، خير وال عرفته دمشق ابان الحكم العثماني . وقد تولى كذلك شؤون الحج المقدس ، ولا ريب في انه جنى منه ثروة طائلة . ولا يزال قصره في مدينة حماة ، الذي تشغله الآن مدرسة اهلية ، من روائع الآثار المقصودة على نهر العاصي . وافخم منه القصر الذي بناه في دمشق سنة ١٧٤٩ ، والذي يعتبر أروع أثر عربي ظهر في هذا القرن . فطرازه الهندسي ، وما اشتمل عليه من فنون الفسيفساء والحفر في الحشب ، تمثل اروع ما بلغه الفن الاسلامي في عهد انحلاله . وقد جلب من ايطاليا كل ما فيه من رخام . وكانت التيران قد ألحقت به بعض الاضرار في ابان الثورة على الانتداب الفرنسي سنة ١٩٢٥ ، لكنه رمم بعد ذلك ، واتخذ مقراً للمعهد الفرنسي في دمشق . وقد عين افراد آخرون من هذه الاسرة حكاماً على دمشق وصيدا وطرابلس فكانوا اطلاقاً — بخلاف حكام لبنان — أوفياء لسلطين بني عثمان ، مع ان منهم من عزلوا وصودرت املاكهم . فان اسماعيل نفسه قضى بعض ايامه الاخيرة في السجن ، وابنه اسعد اغتيل بأمر من القسطنطينية وهو في الحمام^٢.

وضع لبنان الخاص

على ان لبنان ، بمن فيه من الدروز الاشداء والموارنة المعتصمين بالجبال ، كان حرياً بمعاملة خاصة . فقد قضت الضرورة على السلطة بوجوب اعترافها بمكانة الامراء الاقطاعيين من اهله^٣ ، لاسيما والخطر الحقيقي إنما كان مبعثه مصر وفارس . وكانت السلطان سليم قد استقبل ، وهو في دمشق ، وفداً من امراء لبنان على رأسه فخر الدين

(١) راجع Lammens, *Syrie*, vol. ii, p. 60. G. Berchet *Relazioni dei consoli venete nella Siria* (Turin, 1866), pp. 89, 126.

(٢) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٢ ، (دمشق ، ١٩٢٥) ص ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٩١ ؛ حيدر الشهابي ، تاريخ ، نشر نعيم منقب (القاهرة ، ١٩٠٠) ، ص ٧٦٩ ؛ *Les Guides bleus : Syrie — Palestine — Iraq — Transjordanie* (Paris, 1932), pp. 124, 303-4.

(٣) راجع ص ٢٧٤ و ٢٧٩ من هذا الجزء .

الاول المعني^١ من اهل الشوف ، وجمال الدين التنوخي^٢ من الغرب ، وعساف التركماني من كسروان^٣ . وكلف فخر الدين ، على ما ذكر مؤرخ لبناني^٤ ، قد نصح لأصحابه في معركة مرج دابق ان يترشوا ، ريثما يتبين الجانب المنتصر فينضموا اليه . وعندما مثل الآن في حضرة السلطان العثماني قُبل الارض بين يديه وألقى خطبة بليغة قال فيها :

اللهم ادم دوام من اخترته للملك ، وجعلته خليفة عهدك ، وسلطته على عبادك وارضك ، وقلدته ستك وفرضك . ناصر الشريعة النيرة الغراء ، وقائد الامة الطاهرة الظاهرية ، سيدنا وولي نعمتنا امير المؤمنين ، الامام العادل ، والذكي الفاضل ، الذي بيده ازمة الامر بادشاه ، ادام الله بقاءه ، وفي العز الدائم ابقاه ، وخلص في الدنيا مجده ونمائه . ورفع الى القيامة طالع سعده ، وبلغه مأموه وقصده . من ملك الملك بالمقل والتدقيق ، ومدته الله بالانبال والتوفيق . أعاننا الله بالدعاء لدوام دولته بالسعد والتخليد ، بأنعم العز والتمهيد ، آمين .

فتأثر السلطان سليم بلسانه البليغ وصدقه الظاهر ، وثبته وباقي الامراء اللبنانيين في اقطاعاتهم ، وترك لهم الامتيازات الاستغلاية التي طالما نعموا بها في عهد المماليك ، ورتب عليهم جزية خفيفة نسبياً^٥ . واعتبر فخر الدين ، من ثم ، الزعيم الاكبر في الجبل ، حتى عرف بـ «سلطان البر» . ودرج سلاطين بني عثمان بعد ذلك على حكم الجبل ، اما مباشرة بالاعتماد على اتباعهم فن حكامه الاهليين ، او بواسطة احد الولاة السوريين المجاورين . وكان هؤلاء الحكام ، بوجه العموم ، مستقلين استقلالاً داخلياً ، يخلفون اقطاعاتهم اراثاً لبنيهم ، ويمارسون السلطة المطلقة على رعاياهم . ويجبون الرسوم والضرائب على هواهم ، ولا يلزمون مع ذلك بتأدية أية خدمة عسكرية الى السلطان ؛ بل قد عمدوا احياناً إلى عقد المعاهدات مع الدول الاجنبية .

(١) بشأن منشأ هذه الاسرة راجع شدياق ، ص ٢٤٧ - ٤٨ .

(٢) حيدر ، ص ٥٦١ ؛ راجع بشأن اسرة ارسلان ص ١٧٠ من هذا الجزء وجمال من البيعة التنوخيين الذين كانوا بالاكتر من القيسية .

(٣) راجع الفصل ٤٦ ص ٢٦٠ من هذا الجزء .

(٤) هو حيدر ، ص ٥٦٠ .

(٥) حيدر ، ص ٥٦١ ؛ قابل : الدويهي ، ١٥٢ ؛ شدياق ٢٥١ .

(٦) كان نصيب كسروان منه ٤٢٠٠ غرش ذهباً لا غير ؛ الدويهي ، ص ١٥٢ ؛ عيسو اسكندر الملوغ ، تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني (جونه ، ١٩٣٤) ، ص ٩ ، ج ١ .

الغزالي

وقد دلل الغزالي على وفائه للعهد الجديد بالتنكر لزعماء العرب التتوحيين من بني مجتر، الذين بقوا على ولائهم للمالك، وسجنهم في قلعة دمشق. وإذا امتنع ابن الحنش، وهو الزعيم العربي في صيدا والبقاع، عن تقديم خضوعه^٢، احتز رأسه ورأس ابن الحرفوش، وهو زعيم اسرة شيعية في البقاع، وأرسل الرأسين مع رؤوس زعماء آخرين من البدو المعتصين في جبال نابلس، إلى القسطنطينية. على ان الذي خان أسياده الاولين، لم يستطع ان يبتى طويلاً على الولاء لأسياده الجدد. وعليه فقد انتهز الغزالي فرصة وفاة السلطان سليم سنة ١٥٢٠، وأعلن نفسه في المسجد الاموي حاكماً مستقلاً بلقب الملك الاشرف^٣، وضرب النقود باسمه. ثم انه زين لزميله السابق، خاثر بيك، الذي كان السلطان سليم قد كافأه بأن اقامه نائباً عنه على مصر، ان يقتدي به. لكن مدينة حلب لم تجاهر بتأييد الغزالي. فأرسل السلطان سليمان لمحاربه جيشاً أباد العصاة السوريين في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٥٢١، وقتل الغزالي في قابون قرب دمشق. وكان العقاب الذي نزل بالعاصمة السورية وضواحيها اشد وأدهى مما قاسته سابقاً من تيسور^٤. فقد أريد ثلث المدينة وقراها ابادة تامة^٥، ومنذ ذلك الحين غدا اسم الانكشارية مقروناً في ذاكرة السوريين بالدمار والارهاب.

الجهاز الاداري

ان فلسفة العثمانيين السياسية، كما فهمها الوالي العادي على الاقل، كانت تقوم على ان الشعوب المغلوبة، من غير المسلمين، كانوا «رعية»^٦ «يتعهدهم الراعي»

(١) راجع ص ١٧٠ و ص ٢٧٤ و ص ٢٧٩ من هذا الجزء. وقد زار احد هؤلاء الامراء السلطان سليم في دمشق واهدى اليه جياداً عربية؛ ابن سباط، الملحق بتاريخ حيدر، ص ٥٩٧، و بتاريخ صالح، ص ٢٦٩؛ قابل: شدياق ص ٢٤٦.

(٢) حيدر ص ٥٩٦.

(٣) صلاح الدين المنجد، ولاية دمشق (دمشق، ١٩٤٩) ص ٣.

(٤) راجع ص ٢٩٧ من هذا الجزء.

(٥) ابن ايس، ج ٥، ص ٣٦٣، ٣٧١، ٣٧٦ - ٣٧٨، ٤١٨ - ٤١٩؛ القرمانلي، ص ٣١٦ - ١٧.

(٦) استبدل هذه اللفظة سنة ١٨٥٦ لفظة الطف هي التبعة.

لمنفعة الفاتح . وهذا التعبير المستعار من حياة البدو في الجزيرة العربية ، كان يعبر كذلك عن المدارك التقليدية التي جالت في اذهان الاجيال التي تحدت من القبائل البدوية في آسيا الوسطى . فالشعوب المغلوبة في رأيهم بمثابة المواشي الانسانية ، ولذلك اقتضى ان «يُحلبوا» و «يُجزوا» ، وانما تيسر لهم ان يعيشوا كما يبتغون ، ما داموا لا يسبون المتاعب . ولما كان اكثرهم من الفلاحين والصناعيين والتجار ، لم يطمحوا الى الانخراط في سلك الجندية ، ولا نزعوا الى تولي المناصب المدنية . لكن «القطيع» كان بحاجة الى «كلاب حراسة» . وكان هؤلاء يجندون بالاكثر من اسرى الحرب ، والرقيق الذي في حوزتهم ، واولاد النصارى الذين يؤخذون في مقابل الضرائب ثم يدربون ويربون كسليين . وكان هؤلاء المجندون يخضعون لمنهج عنيف من التدريب في العاصمة يستغرق سنين كثيرة ، ويمرون في مباريات شاقة وغربة دقيقة . فمن اُبان عن فطنة وتوقد ذهن ، أُعِد من جديد لتولي المناصب الحكومية ، ومن تميز بالقوة الجسدية وجه الى الخدمة العسكرية . وكان اصلهم يحولون الى فرقة المشاة المعروفة بالانكشارية . وكانت طبقة الحكام وطبقة الجند في الامبراطورية ، في اول الامر ، تنتقيان منهم على سبيل الحصر^١ . فرؤساء الوزارة ، والوزراء ، وأمرأء البحر ، والقواد ، وحكام الاقاليم ، جميعهم كانوا في ما سبق عبيداً ، وكذلك بقوا . فكانت ارواحهم وأملأهم في كل آن تحت رحمة سيدهم السلطان الذي ما تردد يوماً في ممارسة حقه في هذه الملكية . وليس في التاريخ المدون جهاز اداري آخر مواز لهذا الجهاز القريب ، فقد جعل بيت عثمان الاسرة الارستقراطية الوحيدة في الامبراطورية ، ووضع في يدهم سلطة مطلقة لادارة الدولة والدود عن حياضها .

وقد اعتمد العثمانيون اساساً آخر للتقسيم الاداري هو التابعة الدينية . ذلك ان المجتمع في الشرق الادنى كان ، منذ عصور عريقة في القدم ، يقسم على اساس الملة بدلاً من العرق او العنصر . وكانت نواة الملة في التنظيم الاداري الاسرة ، لا الاعتبار الجغرافي . ومن هنا كانت العقيدة والقومية في اذهان الناس اعتبارين متشابهين

(١) انظر : Albert H. Lybyer, *The Government of the Ottoman Empire in the Time of Suleiman the Magnificent*. (Cambridge, Mass., 1913) pp. 45 seq. ; Barnette Miller, *The Palace School of Muhammad the Conqueror*, (Cambridge, Mass., 1941), pp. 6 seq., 81-82, 94-96.

يتعذر الفصل بينهما . وكانت كل من الفئات الدينية في الامبراطورية العثمانية تسمى ملة . وكانت اكبر الملل اثنتان هما ملة الاسلام وملة الروم (الارثوذكس)^١ وكان الارمن واليهود يعدون في جملة الملل . وكانت جميع الملل غير المسلمة ، تبعاً لهذا النظام ، مقسمة الى طوائف دينية يرأس كلأ منها رئيس من ابناء الطائفة ، يمارس بعض المهام المدنية الخطيرة ، بحيث أدى هذا الوضع إلى إنشاء نظام خاص بحكومات الاقليات الخاضعة . وكان الاوربيون المقيمون في البلاد : من بندقين وألمان وفرنسيين وانكليز ، يعاملون كسائر الملل . ففي سنة ١٥٢١ عقد السلطان سليمان معاهدة مع البندقين في ثلاثين فصلاً ، ثبت فيها الامتيازات التي كانت لهم في ابان الحكم البيزنطي . وحصل الفرنسيون على امتيازاتهم الاولى بعد ذلك بأربع عشرة سنة^٢ ؛ والانكليز سنة ١٥٨٠ . ومع ان المقصود اصلاً من هذه المعاهدات انها امتيازات منحها حاكم ذو سلطان ، لا انها حقوق انتزعت من سيد ضعيف ، فقد 'منح' الاجانب بموجبها امتيازات إقليمية كانت شيئاً مذكراً للترك حتى انحلال الامبراطورية .

سوء الادارة ومحاولات الاصلاح

ولم يكن الوالي في النظام العثماني اصلياً من النائب في حكم المالك ، اذ كان — نظير سلفه — مجتهداً من طبقة العبيد ؛ يضاف الى ذلك انه كان ابعد عن السلطة المركزية ، وبالتالي ، اكثر تحملاً من سلطانها . على ان هذا الامر لم يدخل تبديلاً هاماً على الاوضاع ، اذ كان الفساد متفشياً في العاصمة كما كان في الامصار . فكثيراً ما كان الولا يشترط تعيينهم في الامصار بالمال ، ويتولون مهام وظائفهم ، وهدفهم الاول تحقيق أطماعهم الخاصة . وربما عاد بعضهم الى القسطنطينية ليلاقوا حتفهم ، او يعاقبوا بمصادرة املاكهم . وكان الاستغلال يسير في ركاب القوضى ؛ فقد تقلب

(١) اطلق الترك لفظه « روم » التي اقتطعها العرب من « رومان » على جميع رعاياهم من ابناء الملة الارثوذكسية ، من غير اعتبار العرق او اللغة . وقد حفظت هذه التسمية الى اليوم ، مع ان الروم الارثوذكس لا يخضعون للسلطة روما الدينية . وقد سمي السلاجقة سلطنتهم في اناضوليا « سلاجقة الروم » (راجع ص ٢٠٤ من هذا الجزء) لانهم انتزعوها من الامبراطورية الرومانية الشرقية .

(٢) راجع بشأن مواد المعاهدة ، I. de Testa, *Recueil des traités de la porte ottomane*, vol. i (Paris, 1864), pp. 15, seq.

على دمشق في السنين المئة والاربع والثمانين ، من بدء خضوعها للعثمانيين ، ما لا يقل عن مئة وثلاثة وثلاثين والياً ، لم يثبت في وظيفته منهم مدة سنتين^١ الا ثلاثة وثلاثون لا غير . وفي أحد سجلات الدولة جدول بأسماء ٦١ والياً عُيّنوا في غضون ثمانين عاماً اولها عام ١٨١٥^٢ . ولم تكن حلب ، في ما يظهر ، ارقى حالاً ، فان قنصلًا من قناصل البندقية ، ذكر في تقرير له ، ان تسعة من الباشوات توالوا على المدينة في ثلاث سنوات^٣ . وربما نشب بينهم خصومات دامية تورطوا فيها متجاهلين تماماً وجود الحكومة المركزية . وزاد في شقاء الناس تردد الجنود الانكشارية على المدينة من وقت الى آخر ليقودوا الكثيرين جهاراً الى حتوفهم . وكان الشعب ازاء ذلك يعتصم بالاستكانة والحيلة والتنكر للسلطة والتشاؤم من نتائج الجهود . والظاهر ان روح الانتفاض القديمة ، التي طالما ثارت على مساوى الحكم العباسي والفاطمي ، كانت قد تلاشت . ومن هنا يتضح ان العصور التي بدأت « مظلمة » في عهد الاتراك السلاجقة^٤ ، زادت ظلمتها « حاوكة » في ظل الاتراك العثمانيين ؛ وفي ما كانت اوربا تلج عصر الاستنارة ، كانت سورية تتلمس طريقها في الظلام العثماني الدامس .

كان من اول من تحسسوا الحاجة الى إدخال اصلاحات جارية ، والحد من استغلال الموظفين ، مصطفى كبرولو ، الوزير الاعظم بين سنتي ١٦٨٩ و ١٦٩١ . فقد وضع من التدابير الجديدة ، لتحسين معاملة غير المسلمين من الرعايا ، ما تخطى المحاولات الاصلاحية السابقة ، التي قام بها ثلاثة من بواسل السلاطين هم : سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧) ومحمود الثاني (١٨٠٨ - ٣٩) وعبد المجيد الاول (١٨٣٩ - ٦١) . ذلك ان جميع هذه التدابير الاصلاحية بقيت حبراً على ورق ؛ فما اصدره منها السلطان سليم تحت عنوان « نظامي جديد » (النظام الجديد) قاومه الانكشاريون والموظفون الفاسدون ؛ وتلك التي وضعها السلطان عبد المجيد تحت عنوان « خطي شريف » (١٨٣٩) و « خطي همايون » (١٨٥٦) كان القرض منها إزالة الظروف المعجزة التي عملت الرعاية تحت وطأتها ، وتأمين جميع الرعايا على حياتهم واموالهم

(١) Lammens, Syrie, vol. ii, p. 62.

(٢) النجد ، ص ٩١ - ٩٤ .

(٣) Relazione, p. 121.

(٤) راجع ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

وكرامتهم ، على اختلاف ملهم وعناصرهم ؛ وإلغاء تلزيم الضرائب ، واعتبار جميع الناس — على اختلاف لغاتهم وأديانهم — متساوين أمام القانون. إننا لم نتخذ التدابير المناسبة لوضع هذه « التنظيمات » موضع التنفيذ ؛ وقد كانت على كل حال سابقة لأوانها ^١ ، وعارضها فوق ذلك كله جماعة من الفقهاء والمحافظين المتنفذين ، ولم يرض عنها الأجانب الذين كانوا يتمتعون بامتيازات اقليمية اضافية ؛ حتى ان صيرافة اليهود والنصارى عارضوا إبطال تلزيم الضرائب . ولئن كان السلطان سليم لم يدفن حياً ، شأن سلفه عبد الحميد الاول ^٢ ، فقد كان عرشه الخاص ثمناً لمحاولته الاصلاحية هذه . وقد أدى السلطان محمود خلفه الثاني ، وأعظم سلاطين بني عثمان في العصر الحديث ، خدمة قومية جلي عندما أمر ، في يوم مشهود من أيام حزيران سنة ١٨٢٦ ، بأن تطلق المدافع المصوبة نحو الثكنات التي احتشد فيها الانكشارية ، فكانت بذلك نهايتهم . ومحمود هذا هو الذي اتخذ الطربوش لباساً للرأس ، فدعاه رعاياه — وبالفراية — بالسلطان الكافر ^٣ .

تدابير دستورية عقيمة

كان البطل التالي الذي ناضل من اجل قضية التحرير والاصلاح مدحت باشا كبير وزراء الدولة . بدأ مدحت حياته العسكرية موظفاً حكومياً في دمشق ، وله من العمر ٢٢ سنة ، وقضى من ثم سنوات كثيرة يعمل جاهداً ، ولكن طي الحقائق ، بالاشتراك مع بعض الذين تجاوبت روحه معهم ، ليهيئ لبلاده وضعاً دستورياً .

(١) راجع بشأن النص التركي : لطفي ، تاريخ (القسطنطينية ، ١٣٠٣) ، ج ٦ ، ص ٦١ — ٦٤ ؛ Enver Z. Karal, *Osmanlı Tarihi*, V, *Nizam-i Cedid ve Tanzimat Devirleri* (Ankara: de Testa, vol v, pp. 140-43, 132-37, 1947) ؛ وراجع النص الفرنسي في : Edward Hertslet, *The Map of Europe*, (London, 1875) pp. 1002-5, 1245-49.

(٢) ان سلفه عبد الحميد الاول (١٧٧٤ — ١٨٩٠) ابى ان يراعي العرف الذي كان يوجبه بختنجر المرسح لولاية العهد في مقصورة (كشتك) في السراي السلطانية . ولفظه « سراي » فارسية الاصل معناها الدار او الخان .

(٣) اطلق الاتراك لفظه « غيور » (كافر) على غير المسلمين ، لا سيما النصارى احتقاراً ، وهي من اصل فارسي « غاور » بمعنى جاحد او كافر .

(٤) ان الزقاق الذي كان يعرف بـ « المستقيم » (اعمال : ٩ : ١١) يحمل اسمه الآن « شارع مدحت باشا » .

وتجلت النتائج الاولى لجواحه في بلاغ اذاعه السلطان مراد الخامس في ١٥ تموز سنة ١٨٧٦، وردت فيه لفظة قانون اساسي^١ لأول مرة في الوثائق السياسية . وبعد حكم دام ثلاثة اشهر أصيب السلطان مراد بخلل عقلي ، فتولى السلطة مكانه اخوه عبد الحميد الثاني ، وهو الذي اعلن رسمياً ، في ٢٣ كانون الاول ، صدور دستور وإنشاء مجلس نيابي . وكان مدحت ، بوصفه كبير الوزراء ، هو الذي اقترح نص الدستور ، وجرى في وضعه على سياق الدستور الفرنسي والدستور البلجيكي . وقد نصّ على ان جميع الرعايا ينبغي ان يدعوا عثمانين ، وان يتستعوا بالحرية الشخصية ، واعتبر الاسلام دين الدولة الرسمي . وقد اشتمل كذلك على التدابير اللازمة للمحافظة على جميع الاديان المعترف بها، وضمن حرية الصحافة في نطاق القانون، وأقرّ مبدأ التمثيل الشعبي عن طريق هيئة ذات مجلسين : الاول مجلس نيابي ، والثاني مجلس شيوخ . على ان تكون ولاية الاول اربع سنوات ، وان يكون الممثل الواحد عن كل ٥٠ ألف ناخب . لكن عبد الحميد، كما دلت الحوادث في ما بعد ، كان يرمي من ادخال هذا التدبير السماح الى تغادي النيل من سلطته ، والى كسب عطف الساسة في دول اوربا الغربية ، اكثر مما كان يرمي الى تحسين اوضاع رعاياه . ففي شباط التالي نني مدحت باشا ، وفي السنة التي تلت حل الهيئة التمثيلية . على ان ضغط الانكليز حمل السلطان على استدعاء مدحت ثانية ، وتعيينه حاكماً على سورية . لكنه عاد فنفاه الى الطائف في الحجاز ، حيث يظن ان عملاء الباب العالي اغتالوه سنة ١٨٨٣^٢ .

الظواهر الاجتماعية والاقتصادية

لم يتأثر وضع سورية السياسي ، ولا تركيبها العنصري ، تأثراً بالغاً بالفتح العثماني . فالتغير العنصري الوحيد الذي حدث في العهد العثماني كان طارئاً عابراً ، وقد تناول سكان البادية لا غير^٣ . فقد كان الترك يجيئون ويذهبون بحكم وظائفهم ، دون ان يستعمروا الارض ؛ فكانوا من ثم ، ورعاياهم السوريين ، غرباء روحياً بعضهم عن بعض . ثم تسرب الى شمالي سورية وشرقي الاردن بضعة آلاف من الجراكسة

(١) وقد استخدمها من بعده خلفه عبد الحميد ؛ انظر : *Ilmiya Sâlnâmehsi*, (Constantinople, 1334), pp. 20-50.

(٢) نشر ترجمة حياته ابنه علي حيدر مدحت بك في لندن ١٩٠٣ .

(٣) راجع ص ٩٤ وما بعدها من هذا الجزء .

المسلمين ، وذلك على اثر الحرب الروسية التركية سنة ١٨٧٧ ، وقصد لبنان بضعة الوف اخرى من اللاجئين الارمن بعد الحرب العالمية الاولى ؛ فالتوه جنة من جنات الله . وقد بقيت العربية لغة الشعب ، ولم تستمد من التركية الا الفاظاً قليلة جلها يتصل بالسياسة او الجيش او الطعام^١

وكانت حياة سورية الاقتصادية عرضة لتدهور متواصل لم تكن الادارة العثمانية الفاسدة سببها الوحيد ، اذ عاصر اكتساح العثمانيين للشرق العربي تحول في خطوط التجارة العالمية ذهب باهمية البلد الاقتصادية . لقد كان ازدهار هذه المنطقة قائماً ، كما اشرنا تكررأ في ما سبق^٢ ، على التجارة لاسيما الخط الواصل بين الهند واوربا . على ان اكتشاف الملاح البرتغالي فاسكو داغاما للطريق البحري بين اوربا والهند حول رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٧ ، ثم سفر فرديناند مغلان البرتغالي الى الشرق بمروره حول رأس اميركا الجنوبية سنة ١٥٢٠ ، مكتشفاً في طريقه جزر الفلبين ، بعد المغامرة البحرية الشهيرة التي قام بها خريستفوروس كولمبوس الجنوبي ، في رحلته^٣ ربية التي انتهت به سنة ١٤٩٢ الى اكتشاف اميركا ، جميع هذه ، وما شابهها من الاحداث ، ادخلت تعديلاً عظيماً على المسالك التي سلكتها طرق التجارة الكبرى . بحيث انزاح مركز النشاط العالمي والحضارة الانسانية نحو الغرب . فعصر الريادة والاستكشاف الذي بزغ في هذه الاثناء لم يسهم العرب في قيامه . وعلى ذلك فقد عمد القائد البرتغالي افونسو البوكركي الى سحب السفن من البحار الشرقية ، وتيسر له بين سنتي ١٥٠٣ و ١٥١٥ ان يسطر سيادة بلاده على تجارة خليج الفارسي وجزر اندونيسيا . واستطاع البرتغاليون بذلك ان يتفادوا قرصان المتوسط ، ويتجاوزوا عن البلدان العربية التي دان اهلها بغير دينهم ، وتقاضي تجارها رسوماً باهظة على السلع العابرة . وهكذا ، فالمتوسط الذي كان بالمعنى الصحيح ، حتى آنشد مجراً متوسطاً ، لم يعد الآن بلاء هذا الموقع الهام ، وكان لا بد من ان يمر عليه ثلاثة قرون ونصف القرن حتى تشق قناة السويس ، ويعود كما كان طريقاً للتجارة وميداناً للحرب .

(١) منها : باشا ، وبيروق ، وبلطة ، وجلوش ، وبرغل ، وقاورمه . وبعض الالفاظ التركية المتبسة ترجع الى اصل يوناني او فارسي .

(٢) راجع الصفحات ٣٨٩ وما بعدها من الجزء الاول ومن ٢٥٦ و ٢٧٧-٢٧٨ من هذا الجزء .

وعلى ذلك فقد اضطر التجار السوريون بعد الآن ان يجعلوا جلّ اعتمادهم على التجارة البرية. وأخذت من ثم مدينة حلب في طريق الازدهار، اذ كانت رأس الحط التجاري الذي ينتهي الى بغداد فالبصرة. وصارت مركز التجارة المحلية في الامبراطورية، ومنتهى خط التجارة العالمية الممتد بين اوربا وآسيا. وهكذا تمكنت حلب من التفوق على دمشق الى حين، بينما استطاعت الاسكندرون وطرابلس ان تنزعا من بيروت مكانة مرفأها التجاري^١؛ بل ان حلب بقيت حتى منتصف القرن السابع عشر السوق الرئيسية للشرق الادنى جملة^٢. وقد نشأ في مدينة حلب مستعمرة من اهل البندقية ذات شأن، تحدثت تقاريرهم القنصلية عن وصول قوافل محملة بالتوابل الى حلب ودمشق من الهند لحسابهم الخاص. وكانت الحاجة ماسة الى التوابل في تلك العهود التي سبقت عصر التبريد الصناعي.

وسرعان ما ظهر للتجار البندقيين، في المدن والمرافئ السورية، مزاحمون من الفرنسيين الذين كانوا قد سبقوا الى انشاء قنصلية لهم في حلب. وقد زعم احد قناصلهم سنة ١٦٨٣ ان هذه المدينة «اكبر المدن في الامبراطورية التركية جملة، وأنجلها وأغناها بعد القسطنطينية والقاهرة»^٣. وعلى اساس معاهدة الصلح، التي عقدها السلطان سليمان مع فرنسيس الاول سنة ١٥٣٥^٤، نشطت التجارة الفرنسية وأدت الى اتساع النفوذ الفرنسي في الشرق الادنى. وفي سنة ١٧٤٠ وقع محمود الاول معاهدة مع لويس الخامس عشر فتحت بموجبها البلدان المقدسة، ليس للحجاج الفرنسيين وحدهم، بل لجميع المسيحيين الذين وفدوا على الامبراطورية العثمانية تحت حماية العلم الفرنسي. ثم اتخذ الفرنسيون هذه الامتيازات اساساً لحق حماية جميع المسيحيين الكاثوليك في سورية^٥. وكان للفرنسيين في غير حلب جاليات، في الاسكندرون واللاذقية وطرابلس وصيدا وعكا والرملة. ولم يعم التجار الانكليز ان جروا في اثر

(١) راجع بشأن هذه المرافئ F. Charles-Roux, *Les Échelles de Syrie et de Pales-tine au XVII^e siècle* (Paris, 1928), pp. 5 seq.

(٢) انظر: Sauvaget, *Alep*, p. 201.

(٣) انظر: D'Arvieux, *Memoires* (Paris, 1735), vol. vi, p. 411.

(٤) راجع ص ٣١٣ من هذا الجزء.

(٥) انظر: De Testa, vol. i, pp. 186 seq.; F. Charles-Roux, *France et chrétiens d'orient*, (Paris, 1939), pp. 68-77.

الفرنسيين ، واخذوا يحلون تباعاً محل تجار البندقية وجنوى ، في المدن والمرافىء السورية. وما ان تأسست شركة الشرق الادنى سنة ١٥٨١ ، في عهد الملكة اليبابا ، حتى اخذ رجال الاعمال الانكليز يتدفقون على سورية ، في حين ظلت حلب مركز الحركة الرئيسي^١. ويستدل من التقارير القنصلية انه كان في حلب سنة ١٦٦٢ نحو من ستين تاجراً انكليزياً. ويذكر شكسبير^٢ ، عن قرينة احد الملاحين ، « ان زوجها ارتحل الى حلب ». وكانت الجوالي الاوربية يجملتها تعد نحواً من ٢٠٠ نفس^٣. وكان هؤلاء التجار يحاولون ان يشبعوا الذوق الغربي للكماليات الشرقية الذي توثق ابان العصر الصليبي. وتخلف عن نشاطهم هذا عودة الحيوية الى الطريق البرية القديمة. اما جدول المنتجات المحلية فقد كان في رأسه الحرير من لبنان؛ والقطن من فلسطين ، ثم الصوف والزيت. وكانت المنافسة بينهم وبين تجار البحار شديدة ، لكن حرص التجار البرتغاليين على ابقاء الاسعار عالية بحيث كاد الامر يكون احتكاراً ترك للتجار السوريين مجالاً رحيماً للاستفادة .

وكان لكل من الجوالي التجارية خان خاص تعينه لهم الحكومة . وكان الخان النموذجي بناءً مربعاً ذا دورين ، في وسطه ساحة واسعة مكشوفة . يستخدم الدور الاسفل منه مستودعات للبضائع ، ويشتمل الاعلى على غرف يأوي اليها التجار. وكان هؤلاء التجار ، بوجه العموم ، عازبين ؛ وكانوا يرتدون الملابس الاقليمية . ولم يكن يسمح لهم — حفاظاً عليهم — بالبقاء خارج المدينة بعد غياب الشمس ، الا ان احكام القضاء المحلي ، عملاً ببنود الاتفاق ، لم تكن تطبق بحقهم ولا يزال بعض هذه الخانات قائماً الى الآن؛ فالخان الذي بني في عهد فخر الدين الثاني (ت ١٦٣٥) في صيدا للفرنسيين — مثلاً — تشغله اليوم راهبات القديس يوسف .

والذي يبدو ، ان سورية لم تجن ، من هذا التوسع التجاري الجديد منافع دائمة ، اذ كان معظمه في يد التجار الاوربيين . واما ابناء البلاد فقد استمروا في طريق الانحدار ثروة وعدداً . وهذا قولني^٤ ، الذي زار حلب سنة ١٧٨٤ او ١٧٨٥ ، يقدر

(١) انظر : Alfred C. Wood, *A History of the Levant Company* (Oxford, 1935) pp. 11, 75 seq.

(٢) في مسرحية مكبث ، الفصل الاول ، المشهد الثالث .

(٣) انظر : Grant, *Syrian Desert*, p. 93

(٤) كتابه. *Voyage en Syrie et en Egypte* 2nd ed. (Paris, 1787), vol. ii, p. 135.

انه لم يبقَ هناك من القرى الثلاثة الاف والمئتين ، التي كانت تدفع الضرائب في ولاية حلب ، في مستهل العهد العثماني سوى نحو اربع مئة وهو امر يكاد لا يصدق . ويحسب ان عدد سكان المدينة لم يزد عن مئة الف^١ . في حين ان التقارير القنصلية العائدة الى اواخر القرن السادس عشر تجعله بين ضعفي هذا العدد واربعة اضعافه^٢ . بل ان مؤرخاً تركياً مشهوراً^٣ قد ذكر ان مصلحة الجباية في حلب كانت ، حتى سنة ١٧٤٠ ، من المناصب المرغوب فيها جداً ، اذ كان بإمكان صاحبها ان يجمع من المال ما يكفيه لشراء وزارة ، لدى عودته الى العاصمة .

وفي اثر التجار الاوربيين ، جاء المرسلون والمعلمون والسائحون والمستكشفون ، وهكذا فتحت الابواب في وجه المؤثرات الحديثة ، وهي ظاهرة من اخصب الظواهر في تاريخ سورية العثمانية . وكان هؤلاء المرسلون جماعات من الجزويت والكبوشيين والعاذاريين ، وافراداً من بعض الرهبنات الكاثوليكية الاخرى . وكان مركز نشاطهم في الاوساط المسيحية الاهلية ، وانتهى بهم الى تأسيس الكنائس المعروفة « بالاتحادية » التابعة للكرسي الرسولي من سريان كاثوليك وروم كاثوليك وذلك في غضون القرن السابع عشر والثامن عشر^٤ . وقد تقبل لبنان ، في عهد فخر الدين الثاني وخلفائه المؤثرات الثقافية الغربية ، بصورة خاصة^٥ . فاقدم الجزويت ، الذين يعود نشاطهم في المنطقة الى سنة ١٦٢٥ ، بالاشتراك مع الموارنة ، على انشاء اول مدرسة يجوز اعتبارها حديثة ، وذلك سنة ١٧٣٤ في قرية عين طورا من قرى لبنان . وعندما تحولوا على ايقاف عملهم ، الى حين ، بعد ذلك بربعين سنة ، حلّ العازاريون في مراكزهم .

الظواهر الثقافية

كان هذا العصر ، من الوجهة الثقافية ، عصر جمود وعقم . ولا بدع فالحكم

(١) Volney, vol. ii, p. 139.

(٢) Berchet, pp. 59, 102. راجع :

(٣) جوت ، تاريخ ، ج ٣ ، (القسطنطينية ، ١٣٠٩) ، ص ٢٦٩ .

(٤) راجع ص ١٣٩ و ١٤٢ من هذا الجزء ؛ راجع ايضاً « لبنان » . (بيروت ، ١٣٣٤) ، ص ٤٦٥ وما بعد .

(٥) انظر الفصل التالي : « فخر الدين الثاني » .

(٦) راجع بعض تقاريرم الاولى في مؤلف انطوان رباط Rubbath, Documents inédits pour servir à l'histoire du Christianisme en orient, vol. i (Paris, 1905), pp. 38 seq.

الاعتباطي، والضرائب الفاحشة، والتدهور الاقتصادي، والانهيار الاجتماعي، لا تغري بالابتكار الشخصي او الانتاج الخلاق في الفن والعلم والادب. فعصر الجمع والتعليق والاختصار والتقليد، الذي بدأ قبل ذلك بقرون عديدة، استمر في هذه الاثناء؛ لكن النتائج التي اعطاها كانت اقل واضعف. فالعصر العثماني بمجملته لم ينجب شاعراً سورياً واحداً ولا فيلسوفاً، ولا فنانياً، ولا عالماً، ولا منشئاً، من الطبقة الاولى. وكانت الامية واسعة الانتشار، بل كادت تكون جارقة. وقد عيّن من القضاة من لم يكن يجيد الكتابة الصحيحة.

ولم تستطع عاصمة الامبراطورية الا جذب قليل من المفكرين، كاللورخ نعيم الحلبي (حوالي ١٦٦٥ - ١٧١٦) ليصبحوا عثماني الصبغة.

فمن المؤرخين واصحاب السير، الذين اعتمدناهم في اعداد هذا الفصل، احمد بن سنان القرماني (١٥٣٢ - ١٦١٠) ^١، وكان موظفاً في حكومة دمشق؛ ونجم الدين الغزي (١٥٧٠ - ١٦٥١) ^٢ المحدث والاستاذ في دمشق؛ ومحمد المحيي (١٦٥١ - ١٦٩٩) الذي كان كذلك استاذاً مرموقاً في دمشق. والظاهر ان دمشق كانت، حتى اوائل القرن الثامن عشر، مركزاً فكرياً، في حين كانت حلب مركزاً مالياً. حصل المحيي علومه في الاستانة، وعمل الى حين مساعداً قضائياً في مكة. وكان مؤلفه الرئيسي كتاب سير جمع فيه ألفاً ومئتين وتسعين سيرة من سير اعلام الرجال الذين توفوا في القرن الحادي عشر الهجري (١٥٩١ - ١٦٨٨). وفي دمشق وضع المقرئ التلساني (ت ١٦٣٢)، ما بين ١٦٢٨ - ١٦٣٠، مؤلفه الضخم الذي يعتبر المصدر الرئيسي لتاريخ الاندلس الادبي ^٣، من مواد كان قد احضرها معه من مراکش. ومن اعلام دمشق الجديدين بالذكر عبد الغني النابلسي (١٦٤١ - ١٧٣١)، العالم الصوفي والسائح الجوال، الذي لا تزال معظم مؤلفاته غير منشورة ^٤.

-
- (١) راجع ترجمته في كتاب محمد المحيي؛ خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر (القاهرة، ١٢٨٤) ج ١، ص ٢٠٩ - ١٠.
- (٢) المحيي، ج ٤؛ ص ١٨٩ - ٢٠٠.
- (٣) هو كتاب نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب، نشره دوزي في ٣ اجزاء (لندن، ١٨٥٥ - ٦٠).
- (٤) ذخائر الوارث في الدلالة على مواضع الحديث ٤ اجزاء (القاهرة، ١٩٣٤).

ومن الاخباريين الذين استندنا اليهم في هذا الفصل ثلاثة من موارنة لبنان :
الطبريك اسطفان الدويهي (١٦٣٠ - ١٧٠٤) وقد التحق ، وهو في السادسة
عشرة من عمره ، بدائرة اللاهوت المارونية في روما التي كان البابا غريغوريوس
الثالث عشر قد انشأها سنة ١٥٨٤ لاعداد الطلاب الموارنة للحياة الكليريكية ؛
والامير حيدر الشهابي (حوالي ١٧٦١ - ١٨٣٥)^١ ، وقد كان يقيم في دارته في
قرية شملان الصغيرة التي تشرف على مدينة بيروت ؛ ثم طنوس الشدياق (ت ١٨٦١)
من ابناء الحدث المجاورة بيروت . وكان قاضيا تابعا للامراء الشهابيين ، فدوّن
اخبار الاسر الاقطاعية في لبنان .

وكانت دائرة اللاهوت المارونية في روما تتيح لنصارى لبنان هؤلاء فرصة
نادرة لتحصيل العلم . فقد كان المتفوقون منهم على اقراهم يختارون ليدربوا في
تلك الدائرة ؛ وبعد ان ينهوا دروسهم يعود بعضهم الى وطنهم ليشغلوا مراكز
الكليريكية رفيعة ، ويبقى آخرون في روما يكتبون على الدرس والتأليف . وكان
من اوائل المتخرجين الممتازين جبرائيل الصهيوني (عرفه اللاتين بـ سيونيتا ،
١٥٧٧ - ١٦٤٨) . علّم السريانية والعربية في روما ، ثم عيّن استاذاً للغات
السامية في مدرسة السربون في باريس . وهناك ساهم في اعداد نسخة التوراة ذات
اللغات العديدة . ثم خلفه في عمله هذا مواطنه اللبناني ابراهيم الحاقلافي (او الحاقلي
١٦٠٠ - ٦٤) الذي كان قد تعلم في روما كذلك ، وكان استاذاً للغة العربية
والسريانية في كلية الارسالية التبشيرية هنالك . وفي سنة ١٦٤٦ عيّن الحاقلافي في
منصب رفيع في « لية فرنسا » . وكانت توراة باريس ذات اللغات العديدة اول
توراة من نوعها اشتملت على النص السرياني والنص العربي . وهناك عالم آخر من
خريجي الدائرة المارونية ، لعله اشتهر وانبلهم على الاطلاق ، هو يوسف سمعان
السعائي (١٦٨٧ - ١٧٦٨) ، الذي اتحف مكتبة الفاتيكان بعدد من خيرة
المخطوطات الموجودة في مجموعتها الشرقية . فالمباحث التي انشأها السعائي على هذه
المخطوطات السريانية والعربية والعبرية والفارسية والتركية والحبشية والارمنية ،

(١) راجع حيدر ، لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، نشر اسد رستم وفؤاد البستاني (بيروت ،
١٩٣٣) قسم ١ ، ص ٥ - ٨ من المقدمة ؛ راجع ص ٩٥ من هذا الجزء الحاشية رقم ١ .

والتي اقتضته القيام برحلتين الى الشرق، قد جمعت في موسوعته الكبيرة «الموسوعة الشرقية» Bibliotheca Orientalis (اربعة مجلدات، روما ١٧١٩ - ٢٨) التي لا تزال مصدراً رئيسياً لمعارفنا عن كنائس الشرق. وفي سنة ١٧٣٦ اوفد البابا السمعاني الى السينودس الماروني الذي عقد في اللوزة في لبنان، ليعمل على توثيق الصلة بينهم وبين الكرسي البابوي^١. وكان من اللبنانيين الذين تعلموا ايضاً في روما، ودرّسوا العربية فيها، ميخائيل الغزيري (١٧١٠ - ٩١). فقد ترأس ادارة مكتبة الاسكوريال في اسبانيا، وفهرس فيها المخطوطات العربية البالغة ألفاً وثمان مئة عدداً. وقد كانت مآثر هؤلاء العلماء الموارنة من خريجي روما، هي التي اوقفت اوربا الحديثة للمرة الاولى، على اهمية اللغات والآداب الشرقية، ولا سيما من وجهاتها المسيحية.

الآلة الطابعة

تميز دير قزحيا في لبنان بأنه اقتنى اول مطبعة في الشرق العربي. واصل هذه المطبعة غير معروف على وجه التحقيق، لكن الراجح ان احداً من اللبنانيين الذين درسوا في روما احضرها معه الى هذا الدير. وقد اخرجت هذه المطبعة سنة ١٦١٠ سفر المزامير مطبوعاً باللغة السريانية، وباللغة العربية مكتوبة بالحرف السرياني^٢. وكانت اللغة السريانية لا تزال رائجة في اوساط الموارنة، كما شهد بذلك السائحون من الاوربيين، والمقيمون منهم. فقد ورد في ما كتبه دافنيو^٣ على اثر زيارته الى لبنان سنة ١٦٦٠، ان اسقف اهدن كان يتكلم السريانية والعربية بطلاقة تامة. على انه، ما كاد القرن ينصرم، حتى كانت اللغة السريانية قد مانت كلغة محكية. وقد تبين لقولني^٤، من الاستقصاء الذي قام به، ان

(١) راجع بشأن تأثير السمعاني في التقريب بين الموارنة وروما تاريخ الدبس ج ٨ ص ٥٦٤ - ٦٨؛ Rabbath, vol. i, pp. 181-82.

(٢) تعرف هذه الكتابة بـ الكرشوني، راجع ص ١٧٢ من هذا الجزء. راجع ايضاً Joseph Nasrallah, *L'Imprimerie au Liban*, (Harissa, 1949), pp. 2-6؛ وراجع ايضاً، لويس شيخو، تاريخ فن الطباعة في الشرق، مجلة الشرق ج ٣ (١٩٠٠) ص ٢٥١ - ٣٥٥ - ٦٢.

(٣) المجلد، ص ٤٠٧.

(٤) المجلد الاول، ص ٣٣١ - ٣٢.

السريانية كانت لا تزال الى عهده لغة محكية في قرينتين من قرى لبنان الشرقي، وهي في الواقع لا تزال حتى الآن تحكى في ثلاثٍ منها^١.

واول آلة طباعة استخدمت الحروف العربية ظهرت في حلب سنة ١٧٠٢، وذلك بفضل البطريك اثناسيوس دباس الذي تنقل ما بين المذاهب الارثوذكسي والكاثوليكي. اما الآلة الطباعة نفسها فالراجح انها استقدمت من ولاخيا، لكن الفضل في اعداد امات الحروف، انما يعود الى عبدالله زاخر، الذي ارتحل الى الشوير من قرى لبنان. وانشأ سنة ١٧٣٣ مطبعة جديدة. وكانت الاناجيل من الكتب الاولى التي طبعت بالعربية، وذلك سنة ١٧٠٨ في مطبعة جلب^٢. واصل مطبعة ولاخيا كذلك شديد الغموض. فقد جاءت بعد المطبعة العربية الاولى في العالم، التي كانت قد ظهرت في فانو بايطاليا، قبل ذلك بنحو من مئة وثمانين سنة^٣. والراجح ان الفضل في اختراع هذه المطبعة عائد الى الرغبة البابوية. وربما كانت ام المطبعة الحلبية. ثم تبع هذه المطبعة مؤسسات طباعية اخرى في لبنان، كان جل انتاجها كتباً دينية ومدرسية، استخدمت لاستكمال المهام المدرسية. وعلى هذا النحو جرى ببطء، ولكن بعزم اكيد، اعداد الوسائل اللازمة، واستخدامها في انشاء حياة ثقافية جديدة.

(١) راجع ص ١٧١ - ١٧٢ من هذا الجزء.

(٢) نصر الله، ص ١٧-٣٢.

(٣) راجع حتي *The Princeton University Library Chronicle*, vol. iv (1942), pp. 5-9.

الفصل التاسع والاربعون

أمرأ لبسنان المعنويون والشهابيون

ان ما عالجناه في الفصل السابق من انكشاف البلد السوري باجمعه لمؤثرات الحضارة الغربية ، وما نحن في صده هنا من تحول لبنان الى وحدة سياسية قائمة بنفسها، هما حدثان من ابرز الاحداث التي استجذت في العصر العثماني . وحول هذين الحدثين ، وما رافقهما من مساوئ الحكم العثماني ، يسوغ تركيز اكثر الحوادث التي وقعت في هذا العصر .

فقد بدأ المعنويون ، على اثر الفتح العثماني ، يحلون محل التنوخيين^١ في السيطرة على لبنان الاوسط والجنوبي . والى الشمال بسط بنو عساف نفوذهم ، وكان السلطان سليم قد ثبت زعيمهم على كسروان بعد ان ألحق بها جيل^٢ . وبلغ بنو عساف اوج عزمهم في ابان اماره منصور (١٥٢٢ - ٨٠) الطويلة ؛ وكانت مقاطعته تمتد من جوار بيروت جنوباً حتى عرقة ، الى الشمال من مدينة طرابلس . واتخذ بنو عساف بلدة غزير قاعدة لامراتهم ، ولا تزال بقايا مبانيهم بارزة للعيان حتى اليوم . وفي سنة ١٥٩٠ انتقل تراث هذه الاسرة السياسي الى اسرة منافسة لها هم بنو سيف في طرابلس ، وكانوا من اصل كردي . وهم الذين عدوا على آخر حاكم من بني عساف^٣ فقتلوه . وكان العرف الذي جرت عليه جميع هذه الاسر الاقطاعية يقضي ، في الغالب ، بان يقسم اميرها الاكبر ممتلكات الامارة الى اقطاعات يوزعها على من دونه من « المقدمين » او « المشايخ » . وعلى هذا النحو كان الشهابيون - وهم

(١) لا تزال بعض مبانيهم قائمة في عبيه بينها منمن السيد عبد الله التنوخي (ت ١٤٨٠) الذي لا يزال حجاج الدروز يترددون اليه حتى الآن .

(٢) راجع ص ٣٠٨ من هذا الجزء .

(٣) اللويحي ص ١٨١ ، حيدر ، تاريخ ص ٦٠٢ ؛ شدياق ص ٣٥٠ .

خلفاء المعنيين - قد اقاموا في اوائل القرن الثامن عشر، آل جنبلاط على الشوف^١ وآل ابي اللع على المتن، وآل تلحوق على الغرب الاعلى، وآل ارسلان على الغرب الادنى، وآل الخازن على كسروان^٢. وكان للموارنة مقدمهم، وكان على هؤلاء المقدمين ان يجلبوا الجزية المستحقة عليهم ويؤدوها الى الحكومة العثمانية. وكان من ابرزهم مقدمو بشري والبترون وجبيل^٣. ولما كان اكثر اللبنانيين من الموارنة والدروز، فقد كانوا يخضعون، بوجه العموم، لشرائع طوائفهم، فيتولى الرؤساء الدينيون تطبيق هذه الشرائع، كل في ملته الخاصة تبعاً للنظام المالي.

والذي يشهد على ان لبنان كان في حكم الامراء الاقطاعيين الاهليين اشد ازدهاراً من سورية وهي تحت الحكم التركي؛ ازدياد عدد سكانه ازدياداً طبيعياً، عن طريق تدفق الهجرة اليه. فأت استقرار الوضع، وانتشار الامن - ولو نسبياً - في ربوعه، اجتذب السنين من البقاع الى ساحل علما والقرى المجاورة، والشيعيين من بعلبك الى جبيل ومواطن اخرى في كسروان. وانتشر الموارنة من منطقة طرابلس في اتجاه جنوبي حتى سفوح التلال القائمة الى الشمال من جونية، وانساح الدروز في اتجاه شمالي نحو برمانا وسواها من قرى المتن^٤.

وقد شغل النزاع على السلطة في النطاق المحلي، وعلى الصعيد الوطني بالوسائل السلمية او الاساليب العنيفة مقداراً غير قليل من الوقت والجهد الذي بذله الامراء والمقدمون والمشايخ. وكان هؤلاء الزعماء الاقطاعيون احياناً يشتبكون في نزاع مسلح مع اسبائهم في القسطنطينية. ففي سنة ١٥٨٤، هوجمت قافلة من الانكشاريين

(١) هي اسرة كردية جاءت من منطقة حلب واسمها في الاصل جانبولاد؛ شدياق ص ١٣٠. وآل جنبلاط اليوم على المذهب الدرزي وهم من الاشراف الملقبون سلاياً بالمشايخ. اما الشهابيون فيلقبون بالامراء ولا يزال بعضهم على الاسلامية لكن اكثرهم على المذهب الماروني.

(٢) رفع اللعيون من «مشايخ» الى «امراء» على يد احدى الحكام الشهابيين سنة ١٧١١ (شدياق، ص ٦٧)؛ وقد كانوا على الدرزية لكنهم اليوم مارونيون جيماً. اما آل تلحوق فقد جاؤا الى لبنان من شمالي افريقيا في موكب الفاطميين (قابل: شدياق ص ١٥٥، وهذا الرقم قد وضع على صفتين من النص الاصيل الذي اعتمدناه؛ وقد ورد هذا الترميم المكرر في مواضع اخرى ايضاً). وهم الآن من مشايخ الدروز. اما آل الخازن فن مشايخ الموارنة، شدياق، ص ٧١ وما بعد.

(٣) للاستزادة عن القدمين راجع شدياق، ص ٢١٧ - ٢٣.

(٤) اللويحي، ص ١٥٣، شدياق، ص ٢١٥.

كانت مارة في لبنان ، وسلبت مبالغ كبيرة من المال هي الضرائب التي جبيت من فلسطين ومصر . وكانت القافلة المذكورة عائدة بها الى خزينة الدولة في العاصمة . فغضب السلطان ، ووجه الى يوسف سيفاً - اذ وقع الاعتداء في منطقته - حملة تأديبية أضرمت النار في كثير من قراه . ثم وجه حملة ثانية الى الدروز في الجنوب ، على اعتبار انهم مدبرو العدوان ؛ واقتص منهم قائد الحملة التركي - وهو آنذاك ابراهيم باشا والي مصر - بقتل خمس مئة الى ست مئة من وفود الدروز الذين جاءوا لمقابلته في عين صوفر^١ ، و ٦٠ ألفاً من الاهالي ، وذلك بعد ان جردهم من السلاح . وكان امير جبل الدروز (وهو الاسم التي عرفت به هذه المنطقة من لبنان) حينذاك قرمماز (او قرقماس) ، وكان قد خلف اياه فخر الدين الاول سنة ١٥٤٤ . فلجأ الى قلعة نيجا (شقيف تيرون) قرب جزين . وهناك ادر كته الوفاة . ويظن ان بعض عملاء الباب العالي قتله بالسـم . وكان ابوه قبله قد قتل غدرأ كذلك ، بايعـاز من والي دمشق . وخلف قرمماز ورائه ابناً كان له من العمر اثنتا عشرة سنة سمي باسم جده : فخر الدين ، وارملته اخفت ابنها هذا عند آل الحازن في كسروان^٢ .

تولى الفتى فخر الدين الحكم مكان ابيه سنة ١٥٩٠ . وفي عهده بلغت سلطة المعنيين اوجها . وكانت بلا ريب اقدر الشخصيات واحباها الى الناس ، في تاريخ لبنان العثماني ان لم يكن في تاريخ سورية بجمليتها . فقد تولى الحكم وقلبه يتقد بثلاثة مطامح : اقامة لبنان على نطاق اوسع ، وقطع آخر صلة له بالباب العالي ، ثم السير بلبنان في طريق التقدم والازدهار . ولا شك ان هذه الاهداف الثلاثة كانت تمثل ميولاً راهنة عند اتباعه ورعاياه وقد عمد الى تحقيق هذه الاغراض بوسائل شتى منها : التزواج ، والرشوة ، والدس ، والاحلاف ، والقتال ؛ وجميعها من الوسائل المسلم بها في ذلك العصر .

تسلم فخر الدين من السلطان سنجق بيروت وسنجق صيدا . فحمل على جاره ، ووالد زوجته ، يوسف سيفاً . وبعد معارك عديدة انتزع من يده السيطرة على لبنان الشمالي . ولم يلبث بنو حروفوش من شيعة بعلبك ، وزعماء البدو في البقاع

(١) الدويهي ، ص ١٧٨ ؛ حيدر ، تاريخ ص ٦١٨ - ١٩ .

(٢) شدياق ، ص ٨١ ؛ الملو ف ، تاريخ الامير فخر الدين الثاني ، ص ٤٨ .

وفي المنطقة الجنوبية حتى الجليل ، ان خضعوا لأمير لبنان التاهض . وقد كان السلطان احمد انذاك متورطاً في قتال الهنغارين والفرس ، فلم يلتفت الى هذا التابع اللبناني . وكان الى ذلك كله نأثر من زعماء الاكراد اسمه علي جانبولادا قد استأثر بالحكم في ولاية حلب سنة ١٦٠٦ . فانتهاز فخر الدين هذه الفرصة وعقد محالفة مع حاكم حلب المطلق . وقد ذكر جورج ساند يز^٢ ، الرحالة الانكليزي الذي زار لبنان سنة ١٦١٠ ، ان ساحل البحر من نهر الكلب الى جبل الكرمل ، ومدن صفد وبانياس وطبرية والناصره ، كانت داخلة في سلطة فخر الدين . وهذا التوسع الى الجنوب وضع في يده حصوناً كانت منذ عهد الصليبيين تسيطر على الطرق والمواقع ذات الخطورة الحربية ؛ كما ان الحاق سهل البقاع الحبيب بمنطقة نفوذه زاد في دخله ، بحيث مكنته هذه الزيادة من ان يعد جيشاً مدرباً منظماً ، انشاءً حول نواة من الجنود المحترفين ، يدعم به الجنود القدامى غير النظاميين الذين كانوا عاجزين تماماً عن الوقوف في وجه الانكشارية^٣ . وكانت ما بقي من الواردات يكفي لتغطية نفقات الجواسيس الذين استخدمهم في قصور منافسيه وخصومه . وبقي برشوة الموظفين الاتراك^٤ . وكانت التجارة التي نشطها مورداً آخر من موارد الثروة ، لاسيما التعامل مع تجار فلورنسا ؛ اذ كانت سفن هؤلاء التجار تؤمن الاسواق الخارجية والصفقات الراجعة لمنتجات لبنان ، من الحرير والصابون وزيت الزيتون والقمح وسواه من الحبوب . وفي سنة ١٦٠٨ عقد امير لبنان معاهدة مع فردناند الاول ، دوق نساكاليا الاكبر من موتشي — وهو صاحب فلورنسا — اشتملت على بنود عسكرية سرية موجهة ضد الباب العالي^٥ . وعلى الاثر قرر السلطان ، بايعاز من حافظ باشا والي دمشق ، ان يتخذ تدابير فعلية بحق مولاه الوقح ، ويضع حداً لحركته الانفصالية

(١) هو احد اسلاف آل جنبلاط اللبنانيين ، راجع ص ٣٢٦ من هذا الجزء ، ح ١ .

(٢) انظر ٢١١-١٢٢ ، (London, 1621), pp. 211-12. *A Relation of a Journey*, 2nd ed.

(٣) المحي ، ج ٣ ، ص ٢٦٧ ؛ قابل : d'Arvieux, vol. i, p. 438.

(٤) قابل : d'Arvieux, vol. i, p. 457.

(٥) راجع بشأن هذه المعاهدة وسواها مما عقد مع حكام المقاطعات الإيطالية : Paolo Carali : *Fakhr ad-Din II e la corte di Toscana* (Rome, 1936-8), vol. i, pp. 146 [Qara 'li] seq., vol. ii, p. 59 ; G. Mariti, *Istoria di Faccardino grand-emir dei Drusi* (Livorno, 1787), pp. 74 seq.

وسياسته التوسعية . فوجه اليه ، سنة ١٦١٣ من دمشق ، جيشاً لم يتمكن من ان يقوم بعظيم امر في ثنايا الجبال . لكن عندما اقبلت عمارة من الاسطول مؤلفة من ستين بارجة لحصار الشاطئ^١ ، اضطر فخر الدين الى ان يأتمر بوحى العقل ، وعمد الى التراجع . ووافق آنذاك وجود ثلاث سفن في مرفأ صيدا حملته مع احدى زوجاته وموكب من اصدقائه ومريديه الى ايطاليا^٢ ، وترك الامارة امانة في يد ابنه علي يساعده اخوه بونس .

مكث فخر الدين في اوربا خمس سنوات (١٦١٣ - ١٨) زار في خلالها ليفهورن ، وفلورنسا ونابلي وبالرمو ومسينا ومالطا ، وسواها من الاماكن الهامة ، وتشرب فيها من الافكار ما قوّى اعتقاده بصحة المبادئ التي عمل سابقاً بوحياها ، بدلاً من ان يضعفه بشأنها ويحوله عنها . الا انه اصيب بخيبة واحدة هي ان مساعيه ليعود مصحوباً بمحملة من الدول الاوربية والبابا ذهبت سدى . وفي اثناء وجوده هنالك اخترعت الاسطورة التي تروي ان الدروز نشأوا اصلاً من مستعمرة الكونت دي دريه الصليبية^٣ .

واتخذ فخر الدين ، فور رجوعه ، جميع التدابير لاسترداد المناطق التي سلخت من امارته في اثناء غيابه ، لاسيما تلك التي استولى عليها بنو سيفا . على ان وفاة زعيمهم الاكبر يوسف ازاحت من طريق فخر الدين حميه والد اعدائه ، وصار الطريق شمالاً وجنوباً مفتوحاً امامه . وبذلك نهضت الدولة اللبنانية القديمة ثانية ودرجت في سبيل التوسع . وفي سنة ١٦٢٢ اكرمه الباب العالي بالحاق سنجق عجلتون وسنجق نابلس بولايته . وبعد ذلك بستين وجد الباب العالي نفسه مضطراً لان يعترف بالامر الواقع ويثبت فخر الدين سيداً على « عربستان » من حلب الى حدود مصر . وهذا القزم الذي قال خصومه في وصفه انه كان من قصر القامة بحيث لو سقطت بيضة من جيبه الى الارض ما انكسرت^٤ ، كان الرجل الوحيد الذي

(١) احمد خالدي الصفدي ، تاريخ الامير فخر الدين ، نشر اسد رستم وفؤاد البستاني (بيروت ، ١٩٣٦) ، ص ١٧ - ١٩ .

(٢) انظر Volney, vol. ii, pp. 40-41 .

(٣) المؤلف ، ص ٢١١ . قال Sandys ص ٢١٠ في وصفه « اسمه فخر الدين ؛ قصير القامة لكنه عظيم الشجاعة كثير المآثر يناهز الاربعين عمراً وشبه الثعلب قطانة . ولا يتحرج كثيراً عن الاستبداد والتحكم . لم يشارك في قتال ولا اقدم على تدبير دون ان يستشير والدته »

استطاع ان يحافظ على الامن . ويحكم بالعدل ، ويؤمن تحصيل الضرائب القانونية^١ له والسultan .

وفي السنة التي تلت تنصيبه حاكماً على سورية ، نشب بين رجاله وجيش مصطفى باشا والي دمشق ، معركة عند عنجر في البقاع وقع فيها الوالي اسيراً ، لكن فخر الدين اطلق سراحه فوراً^٢ . وتفرغ الامير ، في غضون السنين الاحدى عشرة التالية ، للعمل على تحقيق مطمحه الثالث ، وهو رفع المستوى الحضاري في لبنان . فاستقدم من ايطاليا مهندسين مدنيين ومهندسين للرعي وخبراء زراعيين ، استخدمهم في مشاريعه العامة والخاصة . واستدعى ، على ما في الوثائق ، ارساليات من توسكانيا لتوجيه الفلاح اللبناني في تحسين وسائل الحراثة . وارسل في طلب الماشية لتحسين الاصناف المحلية^٣ . وقد جعل بيروت وحصنها ، وبنى لنفسه فيها مسكناً فخماً احاطه بمديقة غناء . وقد زار موندول^٤ هذه الحديقة سنة ١٦٩٦ ، فوجد فيها قواعد للتأثيل « بما قد يدل على ان هذا الامير لم يكن محمدياً غيوراً » . وله في صيدا قصر غير مكتمل البناء ، يقوم تجاه خان بني ليكون تزيلاً للفرنسيين^٥ . وفي هذا العهد وفدت على صيدا ارسالية كبوشية انشأت لها مراكز في بيروت وطرابلس وحلب ودمشق ، وفي بعض قرى لبنان^٦ . وفدت ايضاً حوالي هذا الوقت على هذه البلاد ، المرسلون اليسوعيون والكرمليون^٧ . وقد شجع هجرة النصارى من شمالي لبنان الى جنوبيه ، رغبة منه في تنشيط الزراعة ؛ ورغب بتقديم اصدقائه الجنبلاطين من

(١) عرفت باللغة الدارجة بالميري اي : المال الاميري وهو ما وجب للحكومة .

(٢) الملفوف ، ص ٢٣٢ - ٣٣ ؛ قابل : اللويحي ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٣) انظر Carali, vol, ii, p. 52

(٤) انظر Henri Maundrell, *A Journey from Aleppo to Jerusalem*, 8th ed. (London, 1810), p. 54. وقد نسب فولني في سياق حديثه رحلته ج ٢ ، ص ١٧٢ غرس حرج الصنوبر خارج مدينة بيروت خطأً الى فخر الدين والواقع انه كان قبل الحملات الصليبية . ولعله أعاد غرس المنطقة بالصنوبر .

(٥) راجع ص ٣١٩ من هذا الجزء . كان مقام اسلاف المنين في بعلقين ، والآثار التي خلفوها لا تزال هناك وفي دير القمر .

(٦) راجع Rabbath, vol. ii, pp. 464-72 ; vol. iii, pp. 464, 468, 473, seq.

(٧) راجع ص ٣٢٠ من هذا الجزء .

حلب الى لبنان . وقرب منه الارساليات الاوربية ، والتجار والقناصل ، وكانوا يتمتعون بالامتيازات التي سمح بها سابقاً السلطان سليمان . ويبدو من تقارير القناصل انه كان يحمي التجار الاوربيين في صيدامن القرصان^١ . وكان له طيلة عهده مستشارون من الموارنة ، كان في مقدمتهم ابو نادر الحازن ، وكان في الوقت نفسه قائداً لجيوشه . وقد رفع فخر الدين منزلة هذه الاسرة التي سبق لها ان حمته وربته بيتياً ، من مستوى العاديين من الناس الى مستوى المشايخ ، وذلك بأن وجه الى كبريها رسالة خاطبه فيها بـ « الاخ العزيز » وهو مقتضى العرف السياسي (البروتوكول) لمنح المشيخة في ذلك العهد^٢ . وبفضل الحكم الوراثي الذي تولته هذه الاسرة في كسروان ، غدت هذه المنطقة المسيحية ذات حظ وافر من الازدهار^٣ . وقد كان العالم الكبير الحاقلائي مدة من الزمان عميلاً له في ايطاليا ، وقد اودع عن يده في مصرف فلورنسا اموالاً ؛ حاول بعض افراد ذريته ، بعد مضي قرن من الزمان ، ان يستردوها على يد عالم آخر هو السمعاني ، ولكن بلا جدوى^٤ .

ثم ان العطف الذي ابداه فخر الدين نحو النصارى جعل البعض ينسبونه الى النصرانية . فقد ذكر عنه ساند يز^٥ انه « لم يعرف عنه قط انه كان يصلي . ولا رآه احد في مسجد » . اما دارقيو^٦ فقد اعتقد ان الامير كان على دين قومه « الذين لا دين لهم » ؛ ومن المحتمل انه كان هو وسائر المعنيين قد اعتنقوا الاسلام في الظاهر ، امام اصحاب السلطة من العثمانيين وامام جمهور الناس ، ولكنهم احتفظوا ضمناً بالدرزية ومارسوها مع ابناء قومهم . وفي وثيقة اخرى انه تنصر سنة ١٦٣٣ على يد كاهن كبوشي كان طبيبه الخاص^٧ .

(١) انظر Berchet, p. 163

(٢) الملووف ، ص ٧١ .

(٣) شدياق ، ص ٨٥ .

(٤) راجع ص ٣٢٢ من هذا الجزء . وكذلك Carali, vol. i, pp. 402-3.

(٥) Carali, vol. ii, pp. 315-18, 378-88.

(٦) Sandys, p. 210.

(٧) d'Arvieux, vol. i, p. 367.

(٨) انظر Carali, vol. ii, pp. 340 seq. وقد وجد ، في ما ذكره ، صليب في اثوابه عند موته ؛ الملووف ، ص ٢٧٥ ؛ قابل : F. Wüstenfeld, *Fachr ed-Din der Drusenfürst und seine Zeitgenossen* (Gottingen, 1836), pp. 167-3.

واشتغال الامير بالتدابير الاجتماعية والاقتصادية لم تصرفه عن الاهتمام بمجاهات امارته العسكرية . فقد كان الدخل الحاصل من زيادة الحركة التجارية ، لاسيا في مرافي طرابلس وصيدا ، يني بالغرضين معاً . وكانت غراسة شجر التوت آنذاك في عهد ازدهارها . وقد قدر الدخل السنوي في امارته بتسع مئة الف ذهبية ، كانت حصة الخزينة الامبراطورية منها ثلاثاً واربعين الفاً . فاستقدم من تسكانيا لوازم حديثة جهازها جيشاً تراوح عدده بين الاربعين الفاً والمئة الف رجل ، جلهم من المواردنة والدروز . وعمل على تجديد بعض الحصون القديمة ؛ ولا يزال احد قصوره يعلو رابية في تدرس ويحمل اسمه الى اليوم . على ان هذه الزيادة النسبية في التسليح ، واتصال مفاوضاته مع الاوربيين ، وعطفه على التصارى ، اثارت مرة اخرى ظنون السلطان نحوه ، فأمر السلطان مراد الرابع واليه في دمشق كوتشك احمد باشا سنة ١٦٣٣ ، بالتوجه لقتال فخر الدين على رأس جيش كبير من جنود اناضوليا ومصر . وقام في الوقت نفسه اسطول ، بامرة جعفر باشا ، بهاجمة المرافي والحصون الساحلية . وعندها اخذ اتباع فخر الدين من آل سيفا وحرفوش ومن اليمينيين يتفرقون عنه . وسقط ابنه الباسل علي صاحب صفد شهيداً في معركة جرت قرب وادي التيم ، عند سفح جبل الشيخ^١ . وارسل الامير في طلب العون من احلافه الايطاليين لكنه لم يظفر منهم بطائل . فاخترأ في قلعة نيجا بضعة اشهر ، ثم تحول الى كهف حصين في جبل قرب جزين . لكن مخبأه هذا لم يلبث ان اكتشف واقتيد الامير مكبلاً بالسلاسل مع ثلاثة من بنييه الى القسطنطينية (حوالي ١٠ شباط ١٦٣٥)^٢ . على انه استطاع بدلاقة لسانه ان ينجو من الموت — كما نجت من قبل اماره جده^٣ — ولكن الى حين قصير ، فقد دافع امام السلطان عن نفسه قائلاً .

انني مظلوم فاجمت الرجال الا بامر الوزراء والنواب ، ولم ابنر القلاع الا للدفاع عن حوزة البلاد ، وما قتلت الا الذين مرقوا من طاعة الدولة . فاستوليت على حصونهم لاسهلها الى الحكومة العثمانية ، وامننت طريق الحجاج بمنع العرب من التمدي عليهم ، واديت الاموال الاميرية بلوقاتها ، وايدت الشريعة الشريفة محافظاً على قوانينها وستنها (٤) . . .

(١) المحي ، ج ١ ، ص ٣٨٦ .

(٢) الويسبي ، ص ٢٠٤ - ٥ ؛ شدياق ، ص ٣٣٠ - ٣٥ ؛ الملووف ، ص ٢٧٢ - ٨٦ ؛ Carali, vol. ii, pp, 340-56.

(٣) راجع ص ٣٠٨ و ٣٠٩ من هذا الجزء .

(٤) الملووف ، ص ٢٧٣ ؛ قابل : شدياق ، ص ٣٣٦ .

وبقي مصير الامير المنفي معلقاً حتى بلغ الباب العالي ان اقرباءه واتباعه قد
تردوا على السلطة الجديدة التي اقامها . وفي ١٣ نيسان سنة ١٦٣٥ احتز رأسه
ورؤوس بنيه الثلاثة الذين كانوا قد اعتقلوا معه ، وعرض جسده في احد المساجد
ثلاثة ايام^١ . وهذا الحكم الذي راوده بانشاء « لبنان اكبر مستقل » ونجح في وضع
اسسه ، حاول تحقيقه ثانية احد افراد ذريته . الامير بشير الشهابي^٢ . الا ان هذا
الحلم لم يتحقق كاملاً حتى سنة ١٩٤٣ .

عهد من الفوضى

وعلى اثر ازالة فخر الدين من المسرح السياسي . طرأ على لبنان عهد مشؤوم
من القلق والفوضى ؛ اذ عمد علي علم الدين^٣ وهو الحاكم الذي عينه كوتشك احمد
باسم السلطان على لبنان الجنوبي - الى اتباع سياسة موالية للسلطة ، فاحتجز
بمتلكات المعنيين وعمل على اضطهادهم . وفي مأدبة اقيمت في عييه على شرفه ، انقض
رجاله على مضيفيهم من آل تنوخ وامعنوا فيهم تذيباً . ثم لاحقوا الغائبين منهم
وحملوا عليهم حتى ابادوا الاسرة بجمليتها^٤ . وترغم المعارضة على الاثر ابن اخ لفخر
الدين^٥ هو ملحم بن يونس ، وكان قبل ذلك يحاول الاستيلاء على الحكم في المنطقة .

(١) Carali, vol. ii, pp. 355-6

(٢) انظر ما يلي في هذا الفصل « أحد باشا الجزائر » .

(٣) يتصدر آل علم الدين اصلاً من التنوخيين وعليه ترعّموا حزب البنية وكانوا على ذلك خصوصاً
لانسابهم القيسية ؛ شدياق ، ص ١١٤ .

(٤) حيدر ، تاريخ ص ٧١٩ ؛ شدياق ، ص ١١٤ - ١٥ (وهذا الرقم مكرر في النص
الذي اعتمدنا عليه) .

(٥) شكل شجري للاسرة المعنية .

١ . فخر الدين الاول (ت ١٥٤٤)

٢ . قرقاز (قرقاس ، ١٥٤٤ - ٨٥)

٣ . فخر الدين الثاني (١٥٩٠ - ١٦٣٥)

يونس

٤ . ملحم (١٦٣٥ - ٥٧)

٥ . احمد (ت ١٦٩٧)

وقد ظفر في استعادة سلطة مزرعة الاركان تحت رقابة عثمانية شديدة اليقظة والحذر. وانتقل الحكم من بعده الى ابنه احمد الذي توفي بلا عقب يخلفه، فكان بذلك انقراض الاسرة المعنية .

الشهابيون يخلفون المعنيين

وفي سنة ١٦٩٧ عقد اعيان لبنان مؤتمراً قومياً في السمقانية قرب بعقلين ، وانتخبوا الامير بشير الشهابي من ابناء راشيا حاكماً عليهم ؛ وارسلوا بقرارهم هذا الى والي صيدا ، مؤكدين انهم يؤدون عن يده الرسوم القانونية ، وكان بعضها ، في ما يبدو ، لا يزال ديناً له عليهم^١ . فنزعة اللبنانيين الى الحكم الذاتي ، والحالة هذه ، لم تكن قد ماتت فيهم تماماً . ولما كانت تركيا بالذات مهددة بالزوال من جانب الدول الاوربية ، فقد قنعت بهذا التدبير ، مادام وصول الرسوم اليها مؤمناً .

تسلم الشهابيون تراث المعنيين السياسي ، وقبضوا على زمام الحكم حتى سنة ١٨٤١ ، جارين على الاساليب التقليدية المعروفة : من رشوة الموظفين العثمانيين ، والانتفاض على ضعفاء السلاطين ، واثارة الزعماء والاحزاب كل واحد على الآخر ، مؤمنين بذلك استمرار سيطرتهم على الجبل . على انهم لم يعتنقوا المذهب الدرزي الذي كان عليه اتباعهم ، وان كان جمهور الدروز قد ظن ذلك في بعضهم . وهذه القرون التي قضاها الساسة اللبنانيون في اصطناع سياسة الحذر والتحفظ اكسبتهم براعة فائقة في ممارسة المداينة ، وضروب المجاملة والتعلق .

وبناء على توصيات حسين - وهوابن لفخر الدين ارسل صغيراً الى القسطنطينية « وتعثن » ، ثم عين سفيراً لبلاده في الهند - وقع الاختيار على بشير^٢ ليكون وصياً على الامير حيدر الشهابي الحاصباني ابن بنت احمد معن ، ريثما يبلغ اشده . وقد تميزت اماره حيدر (١٧٠٧ - ١٧٣٣) بقضائها على حزب اليمنية قضاء مبرماً في معركة عين دارة سنة ١٧١١^٣ . على ان بعض فلول العصاة هاجروا الى

(١) حيدر ، لبناني ، ص ٣ - ٤ ؛ شدياق ، ص ٣٥٨ - ٥٩ ؛ الملوغ ، ص ٤٠١ .

(٢) يسمى عادة بشير الاول تمييزاً له عن خلفه الشهير بشير الثاني ؛ انظر الشكل الشجري التالي في هذا الفصل .

(٣) شدياق ، ص ٣٦٤ - ٦٥ .

حوران ، وانشأوا هنالك جالية درزية جديدة^١ . ثم تعقب الحيدريون مناوئهم من آل علم الدين وبادوهم . ونظراً لما ابداه آل ابي الملع من البسالة في القتال رفعوا الى مصاف الامراء^٢ . وتسمى لحيدر ، بعد ان تم له سحق اليمينية ، ان يعيد تنسيق الصلات الاقطاعية مع احلافه - آل جنبلاط وابي الملع والحازن - في ما يتعلق بالادارة العليا . فرتب على آل ارسلان اليمينيين ان يجعلوا آل تلحوق^٣ سهماً في اقليمهم . وعمد ابنه وخليفته ملحم (١٧٣٢ - ٥٤) الى اضافة البقاع وبيروت^٤ الى ممتلكاته ، لكنه ابقى قاعدته في دير القمر . وتأقن عن هذا التوسع اصطدامه بوالي صيدا ووالي دمشق ، وكلاهما من آل العظم^٥ . وادى سحق اليمينيين الى قيام وضع جديد في سياسة الاحزاب اللبنانية ، هو انقسامها الى جبهتين : آل جنبلاط ، وآل يزبك ؛ وكان بنو جنبلاط قد اصبحوا من اقوى الاسر الدرزية واوفرها ثروة . اما آل يزبك فقد تحدر اليهم هذا الاسم من زعيم لهم من آل عماد ، وهم كذلك اسرة درزية جاءت اصلاً من منطقة الموصل^٦ . وقد اتسع هذا الانقسام حتى تخطى الطبقة الارستقراطية وتسرب الى الموارنة . وهذا النزاع الذي نشب بين الاسر في العقود الاخيرة من القرن الثامن عشر ، استمر ناشطاً حتى العقود الاولى من القرن العشرين . وقد تنازل ملحم عن الحكم سنة ١٧٥٤ ، وتنازع اخواه على الامارة من بعده ، فمال احدهما - وهو منصور - نحو آل جنبلاط ، وآثر الآخر - وهو احمد - الانحياز الى آل يزبك . واحدهما هو والد المؤرخ حيدر ، الذي اعتمدناه غير مرة في هذا الفصل . واستمرت فترة الاضطرابات الداخلية حتى بلغ يوسف بن ملحم اشده ، وتولى الامارة بنفسه^٧ . ففي سنة ١٧٧٠ اعلن منصور ، في

(١) راجع ص ٤٥ من الجزء الاول من هذا الكتاب .

(٢) راجع ص ٣٢٦ من هذا الجزء ، ج ٢ .

(٣) راجع ص ٣٢٦ من هذا الجزء ، ج ٢ .

(٤) حيدر ، لبنان ، ص ٣٧ ، ٤٠ .

(٥) راجع ص ٣٠٨ من هذا الجزء .

(٦) شدياق ، ص ١٦٢ وما بعد (وقد تكرّر هذا الرقم في صفحات اخرى من النص) .

(٧) كان الوصي عليه سعد الحوري ، وهو ماروني من رتيا تحدر من اسرة تولى منها اثنان رئاسة الجمهورية اللبنانية ؛ حيدر ، تاريخ ص ٧٨٣ ؛ شدياق ، ص ٣٧٧ . وقد رفع يوسف هذه الاسرة الى مرتبة المشيخة ؛ حيدر ، تاريخ ص ٨٤٩ .

اجتماع قومي عقد في الباروك ، ان العناية قد أقعده عن القيام بأعباء الحكم . وانه يود ان يتنازل عنه لابن اخيه يوسف . وعلى الاثر نودي بيوسف حاكماً على الجبل^١ ؛ وارسل بذلك علم الى والي دمشق . وكانت المنطقة الداخلة في حكمه تمتد من طرابلس الى صيدا .

الشيخ ظاهر العمر

كان قد برز على المسرح السياسي في هذه الاثناء رجلاً آخران شاركهما الامير الشهابي في شيء من مجده ، هما : ظاهر العمر ، واحمد الجزار . وبظهورهما اخذت فلسطين في منافسة لبنان على المقام الامامي في سياق الاحداث التاريخية ، في حين بقيت حلب ودمشق متخلفتين . ويغلب على الظن ان السكان ، الحضريين والريفيين ، في هاتين المدينتين وضواحيهما ، كانوا قليلي العدد ضعاف النفوس .

وحوالي سنة ١٧٣٧ ظهر على المسرح السياسي شاب بدوي اسمه ظاهر العمر (آل عمر) ، كان الامير بشير الاول قد عين اباه شيخاً ، والحقه بمحاكم صفد . ذلك ان ظاهراً هذا ظفر بضم طبرية الى منطقة صفد^٢ ، وعقد العزم على الاستعانة بالشيعة في الجليل الاعلى وهم الذين تحملوا طويلاً ظلم الموظفين الاتراك ، لتحرير المنطقة من حكمها . فكانوا على اتم الاستعداد لتأييد اي زعيم يعمل على تحريرهم . ولم تلبث نابلس والناصرة ان خضعتا له : وكانت الغنيمة الكبيرة التالية ، التي وقعت في يده ، مدينة عكا (١٧٥٠)^٣ ؛ وكانت في حالة من الدمار الجزئي منذ عهد الصليبيين ، فحصنها المغتصب الجديد وجعلها مقره ، واستخدمها لتصدير الحرير والقطن والقمح ، وسواها من منتجات فلسطين ، الى الاسواق الخارجية .

كان ظاهر العمر حاكماً مطلقاً ، لكنه كان محباً للخير . قطع دابر التمرد ، ونشط الزراعة ، ووقف من رعاياه التصاري موقفاً سمحاً . وقد ذكر مدون سيرته^٤ ، نقلاً

(١) حيدر ، تاريخ ص ٨٠٧ ، شدياق ، ص ٣٨٦ - ٨٧ .

(٢) انظر Volney, vol. ii, p. 85 ؛ شدياق ، ص ٣٦٠ ؛ حيدر ، تاريخ ص ٨٠١ ؛ ميخائيل الصباغ (الكاوي) تاريخ الشيخ ظاهر العمري الزبداني نشر قسطنطين الباشا (حريصا) ص ٣٣١ - ٣٣ ؛ لكن التواريخ غير مضبوطة)

(٣) انظر Volney, vol. ii, p. 87 ؛ الصباغ ، ص ٤١ - ٤٤ .

(٤) الصباغ ، ص ٤٨ .

عن شاهد عيان ، انه كان يوماً ماراً على حصانه بالقرب من كنيسة مريم العذراء في الناصرة ، فترجل عن جواده وركع ونذر ان ينير مصباح زيت في الكنيسة ، ويبقيه متقدماً ، ان هو حالقه النصر ؛ « وكانت البلاد براحة واطمئنان والطريق بامان بحيث اذا سافرت المرأة وعلى كفها الذهب لا يعترضها احد في الطريق ، ولا تخاف على نفسها امرأاً^١ وكان يقوم بتأدية ما عليه من المال الى الحكومة العثمانية بكل دقة وانتظام ، اذ كان واثقاً من ان الحكومة قلما اهتست في من يكون عميلها - تركياً ام عربياً - ما دام المال المستحق يؤدي في حينه .

وكانت تركيا في هذه الآونة قد اشتبكت بنزاع مرير مع روسيا ابان ولاية كاترين . وكانت هيبتهما في الشرق اطلاقاً آخذة في الزوال . فبلغت الجرأة من علي بك في مصر ان تحدى السلطان بارسال عامله الي الذهب^٢ لبستولي على دمشق ، وعلى سواها من مدن سورية ، فتم له ذلك سنة ١٧٧١ . وعقد ظاهر محالفة مع علي بك الذي كان عازماً على احياء عهد المماليك البائد . وتمكن ظاهر بمساعدة الروس من احتلال مدينة صيدا^٣ ١٧٧٢ ، بعد ان خربها اسطولهم . ثم تحول الروس الى بيروت وخربوها وانتهبوها . اما يوسف شهاب فانه حالف والي دمشق لائحاد الفتنة الجديدة ، وجاءهما من القسطنطينية عمارة من الاسطول التركي على سبيل النجدة ، تمكنت بمساندة القوى البرية من احتلال صيدا سنة ١٧٧٥ ، ومحاصرة ظاهر في قاعدته الحصينة . ولئن كانت قذائف الاتراك لم تفعل فعلها في اسوار عكا ، فان ذهبهم فعل فعله في حاميتها ، التي اوردت ظاهراً حتفه . وقد كان في الجيش السوري الذي دافع عن صيدا في وجه ظاهر واحلافه الروس رجل قام بمغامرات تضاءلت عندها مغامرات ظاهر ، هو احمد الجزائر .

احمد باشا الجزائر

كان احمد هذا نصرانياً بالولادة من ابناء بوسنيا . اقرّف وهو صبي جرماً اخلاقياً ، فر على اثره الى القسطنطينية ، وباع نفسه الى نخاس يهودي . وانتهى امره

(١) الصباغ ، ص ٥٥ .

(٢) كان مملوكاً لعلي وكان من السخاء في توزيع الهدايا بحيث كسب هذا القبط ؛ الجبرقي ، ج ١ ، ص ٤١٧ .

(٣) الصباغ ، ص ١١٥ ؛ شلياق ، ص ٣٨٩ ؛ حيدر ، لبنان ص ٩٣ .

بعدئذٍ الى علي بك في القاهرة فعينه جلاداً . وقد اظهر احمد من التفنن في انفاذ مهمته ، والرغبة في القيام بها ، ما اكسبه لقب «الجزار» . وكان شديد الافتخار بهذا اللقب ، بالغ الحرص على ان يكون جديراً به ، وقد كان به جديراً . ثم توجه الى سورية ، حيث ادى خدمات عسكرية جلى للدولة ضد الظاهر ، كوفى عليها بتعيينه حاكماً على صيدا^١ . وقد استولى على بيروت حيناً من الزمان ، لكنه رفض الاقرار بسلطة يوسف . وكان سكان بيروت آنذاك ، على ما ذكر قولني^٢ ، اذمر فيها ، نحرًا من ستة آلاف .

وامتد سلطان الجزار جنوباً ، وحل محل الامير ظاهر في عكا . وقد عمد الى تدعيم حصون المدينة ، وسخر من اجل ذلك رجال القرى المجاورة ، وبنى اسطولا صغيراً ، وانشأ من ابناء بوسنيا والبنانيا فرقة من الحيلة عددها ٨٠٠ فارس ، ومن المغاربة جيشاً من المشاة عدده الف جندي . واستطاع ، باحتكار بعض المرافق التجارية في منطقته ، ان يغطي جميع النفقات الضرورية ، وان يعيش برغد ورفاهية . ولا يزال المسجد الكبير الذي بناه في عكا ماثلاً للعيان . ثم ان طموحه حمله الى ما وراء فلسطين والساحل اللبناني ؛ ففي سنة ١٧٨٠ تسلم براءة بتعيينه والياً على دمشق . وظل بعد ذلك نحواً من ربع قرن يمارس النيابة الفعلية عن السلطان ، ويتصرف بشؤون لبنان كما يهوى . وقد انتهى عهده الذي لم تكدره نكسة ذات بال ، بالموت الطبيعي سنة ١٨٠٤ ، وترك لهذه الحقبة سجلاً منقطع النظير في التاريخ . ذلك ان الاتراك كانوا منهمكين في مناضلة عدو جديد قوي ، برز لهم في جزيرة العرب ، هو قائد الحركة الوهابية .

بلغ الجزار اوج مجده سنة ١٧٩٩ ، على اثر فوزه بايقاف زحف نابوليون . وكان الفاتح الفرنسي قد استولى على مصر ، وسار منها ظافراً على ساحل فلسطين ، حتى بلغ ابواب عاصمة الجزار ، على أن الجزار استطاع ، بمساعدة الاسطول الانكليزي ، المعقود اللواء للسردني سميت ، ان يصمد في الدفاع عن المدينة من ٢١ آذار حتى ٢٠ ايار ؛ وعندها اضطر نابوليون الى ان ينسحب ، إذ كان الطاعون

(١) حيدر ، تاريخ ص ٨١١ ، ٨٢٧ .

(٢) Volney, vol. ii, p. 170

قد أخذ يفتك بجيشه . ولا تزال لوحات المدافن على جبل الكرمل تحمل اسماء الضحايا الفرنسيين الى الآن .

وقد عمد امير عكا وحاكمها المغتصب الى القضاء على خصومه ومنافيه بلا رحمة ولا شفقة . ثم تحول إلى انصار سلفه ، من الشيعة وقبائل البدو ، وعمل على سحقهم



احمد باشا الجزائر حاكم عكا يقضي على احد المجرمين

ونشر الرعب في سورية ولبنان بوجه الاجال . ولا يزال اسمه في هذه الاوساط مرادفاً للقسوة البالغة . وقد ذكر مواطن من مؤرخي هذه الحقبة ، هو ميخائيل مشاققة^١ ، ان جده الذي كان موظفاً في الحكومة ، شاهد يوماً اكثر من اربعين رجلاً يصفون خارج اسوار المدينة ، لينفذ فيهم حكم الاعدام باخازوق . وان آخر اربعة منهم نجوا لدى توسط الموظف المذكور . وقد اورد المؤرخ نفسه ان الجزائر ، إذ ارتاب يوماً بتصرف حريمه ، وعددهن ٣٧ امرأة ، أمر خصيانه فجزّوهن واحدة

(١) ميخائيل مشاققة ، مشهد البيان بمجاذب سورية ولبنان ، نشر ملحق عبده وانثراوس شخاشيري (القاهرة : ١٩٠٨) . وهو مرجع هام لكنه منشور نثراً سلباً .

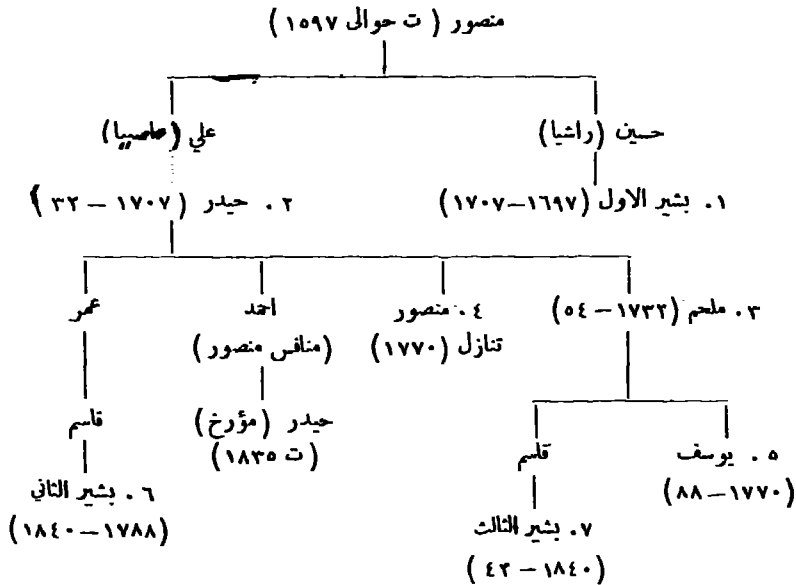
واحدة وألقوا بهن فوق كومة من الحطب ، أضرمت فيها النار فاحترقن جميعهن^١. وقد كان شأنه في لبنان ان يثير فئة على اخرى . فوالى آل جنبلاط على أثر معركة قب الياس التي قهر بها يوسف سنة ١٧٨٨ ، ودعا الناس إلى انتخاب بشير الشهابي^٢ ، وأمر بيوسف فشنق في سجن عكا^٣. وقد ذكر قولني^٤ ان الكثير من الامر المسيحية اخذت في هذه الاثناء بالزواج «يومياً» من سورية الى لبنان ، فراراً من حكم الاتراك .

الامير بشير الثاني

كان حكم الامير بشير على جبل لبنان في اول الامر حكماً مزعزغاً . فقد كان ابنا سلفه يوسف ناشطين في نصب المكابدة له ، وحوك المؤامرات ضده . وكان سيده الجزار قد اخذ في الانقلاب عليه ، لأنه تخلف عن مساعدته في نزاعه مع نابوليون .

(١) مشافة ، ص ٥٤

(٢) شكل شجري للشهابيين :



(٣) راجع حيدر ، تاريخ ص ٨٥٦ ؛ مشافة ، ص ٤٦ ؛ شدياق ، ص ٤١٩ - ٢٠ ، ٤٢٧

(٤) Volney, vol. ii, p. 68.

واذا اضطرّ الى التخلي من منصبه ، فرّ إلى قبرس سنة ١٧٩٩ ، على إحدى بوارج سدني سميث^١ ، وأصبح الانكليز من ثم أصدقاء له .

وبعد غياب بضعة اشهر عاد ليقهر خصومه المحليين ويثبت حكمه في المنطقة . وعهد الى ابني يوسف فسلم منها العيوت قبل ان عاقبها بالموت . ثم ضم البقاع ثانية الى لبنان ، غير عاين بمعارضة والي دمشق . وغدت سياسته نحو الاتراك ، بعد الآن سياسة حزم وصداقة . ففي اوائل سنة ١٨١٠ ، عندما انطلق الوهابيون من نجد ، واجتاحوا الحدود السورية ، وهددوا عجلون وجنوبي حوران ، كان الامير بشير مع ١٥ الف من رجال لبنان على استعداد لردم على اعقابهم^٢ . وبعد ان ظفر بعجمته هذه توجه على رأس جنده في زيارة الى دمشق . ولم يعد بعد ذلك زعيماً اقليمياً ، بل ساهم في معالجة الثوثر السورية ، وفي النزاع الذي نشب بين والي دمشق وبين منافسه والي طرابلس . لكن هذه المساعي أدت إلى إبعاده (١٨٢١ - ٢٢) هذه المرة إلى مصر^٣ . وهناك أنشأ صداقة متينة مع محمد علي نائب السلطان في مصر ، ومؤسس السلالة المالكة فيها .

وبعد ذلك ببضع سنوات جرد محمد علي حملة على تركية عبر الاراضي السورية ، فوقف الامير بشير الى جانبه . وكان حاكم مصر قد توقع الحاق سورية على الأقل بامارته - وذلك في مقابل الخدمات التي أداها للسلطة التركية في ميدان القتال اليوناني ، حيث ثار الشعب مناضلاً من أجل استقلاله ، وفي ميدان الجزيرة العربية حيث قهر الوهابيين - لكن آماله ذهبت هباء منثوراً . وقد انتظم الجنود اللبنانيون الى جانب زملائهم المصريين في حصار عكا سنة ١٨٣١^٤ . وغدت مهة ابراهيم باشا ابن محمد علي ، قائد الحملة المصرية ، بفضل تعاون الامير بشير معه ، مهة سهلة نسبياً . فتمكن ابراهيم باشا من الاستيلاء على دمشق ، وهزم الجيش التركي في حصص ، وعبر جبال طوروس ، واوغل في قلب بلاد الترك ، وكاد ينزل الضربة القاضية «برجل

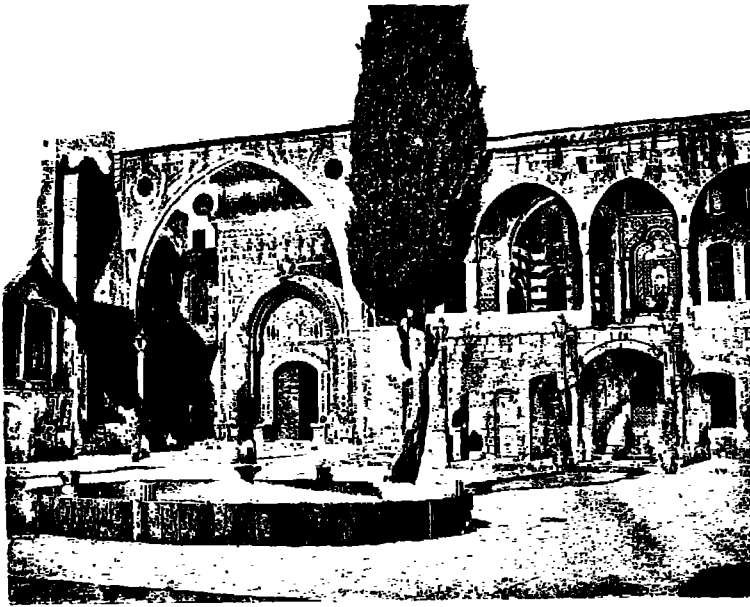
(١) حيدر ، لبنان ، ص ٢٠١ وما بعد .

(٢) حيدر ، لبنان ، ص ٥٥٦ - ٥٧ .

(٣) حيدر ، لبنان ، ص ٧٢٤ - ٢٨ .

(٤) مشاققة ، ص ١٠١ ؛ شلبي ، ص ٥٦٧ - ٦٨ ؛ حيدر ، لبنان ، ص ٨٣٢ وما بعد .

اوربا المريض^١. لكن بريطانيا والنمسا وروسيا اضطرتة الى الانسحاب . وقد انقضى حكمه في سورية سنة ١٨٤٠ ، وغدا مطمح محمد علي في إنشاء امبراطورية تجمع البلدان العربية تحت حكمه حلمًا من الاحلام ؛ إذ لم يكن لمثل هذا الوضع السياسي صورة في خواطر الناس^٢. وبعد ذلك بنحو من خمس وثمانين سنة ، راود هذا الامل عاهلاً آخر هو الشريف حسين صاحب مكة ، لكن حلمه كان ايضاً سابقاً لأوانه . وبعد ما نجح الاتراك باقضاء ابراهيم باشا ارسلوا في طلب الامير بشير



قصر الامير بشير الثاني في بيت الدين

ليناقشوه الحساب . لكن سفينة انكليزية حملته في اوائل خريف سنة ١٨٤٠ الى مالطة^٣. ثم سمح له بالتوجه الى القسطنطينية ، وهناك توفي سنة ١٨٥٠ . وفي تشرين الاول سنة ١٩٤٧ تم نقل رفاتة الى القصر الفخم الذي اقامه في أيام عزه في

١ لقب اطلقه على قصر روسيا نقولا الاول سنة ١٨٥٣ .

٢ قابل : أسد رستم Asad J. Rustum, *The Royal Archives of Egypt and the Origins of the Egyptian Expédition to Syria* (Beirut, 1936), pp. 47, seq., 83 seq.

٣ مشافة ، ص ١٣٢ - ٣٤ ؛ شدياق ، ص ٦٢٠ - ٢١ .

قرية بيت الدين . وليس في لبنان دارة اخرى تضاهيه روعة وفخامة . فقد جرّ الامير اليه المياه بقناة طولها تسعة أميال ، من منابع عين زحلنا التي تغذيها الثلوج والامطار من التلال الحافلة بأشجار الارز . ولم يكن لبنان في عهد الامير بشير أقل ازدهاراً منه في عهد فخر الدين ؛ فقد اهتم الامير بشير ببناء الطرق وترميم الجسور ، ووجه بيروت في الطريق التي اوصلتها الى ماهي عليه اليوم ، إذ غدت الباب المؤدي الى لبنان وسورية . فقد كان المعنويون والشهابيون يتعاشون هذه المدينة لأسباب منها انها كانت معرّضة لغارات القرصان ولحلات سواهم من المناوئين ولم يكن كفاح فخر الدين والامير بشير من اجل لبنان مستقلٍ فحسب ، بل من أجل لبنان كبير ايضاً ، يضم فضلاً عن الجبل نفسه المدن الساحلية والسهل الشرقي وقد عمل كلاهما على تنشيط العلاقات التجارية الخارجية ، ورحبا باللاجئين السياسيين واهتماً بالاقليات الدينية . فقد آوى الامير بشير عدداً من الاسر الدرزية المهاجرة من حلب ، واكرم وفادة جماعة من الروم الكاثوليك . وكان الامير الشهابي ، بخلاف سلفه المعني السمع الصورة ، ذا ملامح مؤثرة واضحة : فعيناه النسريتان ، وبحياه التمري ، ولحيته المموجة ، كانت جميعها توحى الحشية وتقض الهيبة . وكان بلارب مسيحياً ، لكنه رأى من حسن الدراية كتمان ايمانه . وكان ابوه اول شهابي تحول عن الاسلام الى المذهب الماروني . ولئن كان فخر الدين اول لبناني حديث ، فان الامير بشير كان الثاني . وقد جرى الامير الشهابي في تراث زميله المعني ، لكنه جرى فيه الى غاية ابعده ، وفتح فيه مجالاً ارحب للحضارة الاوروبية ، لاسيما المؤثرات التربوية . ويعرف الامير بشير بين قومه ببشير الكبير ! وقد غدا اسمه ذا طابع اسطوري في الحكايات المحلية الريفية . ولا تزال النوادر التي تمتدح عدله وحزمه وحكمته وقدرته تحكى وتعاد في حلقات السمر حول مواقد النار الى اليوم .

وفي سنة ١٨٤٠ عين امير آخر اسمه بشير^١ حاكماً على لبنان . وكان بشير هذا قد ساهم في ثورة اللبنانيين على ابراهيم باشا ، عندما حاول ان يجردهم من السلاح ويفرض عليهم الضرائب الثقيلة^٢ . ثم تعاون مع العثمانيين والانكليز على اخراج

(١) راجع الشكل الشجري لنسب الاسرة الشهابية في ص ٣٤٠ من هذا الجزء .

(٢) راجع بشأن منشور العصاة ، فيليب وفريد الخازن ، مجموعة المحررات السياسية ، ج ١ ، (جولية ، ١٩١٠) ص ٣ - ٥٥ .

الباشا من البلاد. وكان العثمانيون يجرّون في ادارتهم على النظام المركزي الذي وضعه السلطان محمود « المصلح »، وقد اقتنعوا الآن، اكثر منهم في اي وقت مضى، بان الطريقة الوحيدة لتوثيق سيطرتهم على الجبل، ان يبذروا بذور الخلاف بين سكانه النصارى والدروز، ويشيروا النزاع في ما بينهم. وقد كان الانقسام في الجبل حتى هذا الوقت - كما سبق وقلنا^١ - يشطر الملل الى جبهتين متقابلتين هما: القيسية واليمينية، او اليزبكية والجنبلاطية. واذ نشأ الخلاف المدني ما بين النصارى والدروز على هذه الصورة، بدأ النزاع سنة ١٨٤١، وبلغ اقصى العنف في منبجة سنة ١٨٦٠، لينتهي بالتدخل الاوربي^٢. ذلك ان جيشاً فرنسياً احتل لبنان ومكث فيه مدة سنة. وقد قدر عدد النصارى الذين ابعدوا سنة ١٨٦٠ باحد عشر ألفاً، والذين قضا جوعاً بنحو اربعة الاف^٣.

استقلال لبنان بضمانة دولية

وبمقتضى النظام الاساسي الذي وضع سنة ١٨٦١، وعدل سنة ١٨٦٤، منح الجبل حكماً ذاتياً على ان يتولاه حاكم عام مسيحي يعرف بالتصرف، يعينه الباب العالي ويحظى بموافقة الدول الداخلة في الميثاق^٤. وكان هذا الحاكم المنفذ يعين لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد، يساعده مجلس اداري منتخب، مؤلف من اثني عشر عضواً، يمثلون الملل الدينية المختلفة. ويولي الحاكم سبعة مدبرين (قائم مقامين) يتولون ادارة الاقاليم السبعة التي كانت تؤلف متصرفية جبل لبنان، بعد ان سلخت عنه بيروت وصيدا ووادي التيم وشرقي البقاع. وقد مارست الحكومة نظامها القضائي الخاص، وجندت قوى الامن من ابنائها: ولم تنشأ فيه مراكز للجيش

(١) راجع ص ٣٣٤ من هذا الجزء.

(٢) انظر William Miller, *The Ottoman Empire and its Successors, 1801-1927* (Cambridge, 1936), pp. 306-300; J. F. Scheltema, *The Lebanon in Turmoil* (New Haven, 1920) هو ترجمة غير مضبوطة لأصل عربي وثيق.

(٣) انظر Colonel Churchill, *The Druzes and the Maronites under the Turkish Rule from 1840 to 1860* (London, 1862), p. 219. قابل: خازن ج ٢، ص ٩٩.

(٤) اضيف إلى موقعي ميثاق ١٨٦١ الذين مثلوا انكارتا وروسيا وبروسيا واوستراليا، ممثل عن ايطاليا سنة ١٨٦٧. انظر Thomas E. Holland, *The European Concert in the Eastern Question* (Oxford, 1885), pp. 210-18.

التركي، ولا ارسلت شيئاً من الضرائب الى القسطنطينية ، ولا كلفت رعاياها بالخدمة العسكرية .

ومع ان جبل لبنان المستقل هذا قد سلب بعض المناطق الحساسة التي تقع داخل حدوده الطبيعية ، فانه افتتح عهداً من الاستقرار والازدهار النسبي قل ان يراه فيه قطر آخر من اقطار الامبراطورية ؛ فشقت فيه الطرق . ونجولت قراء المرتفعة الى مصايف مقصودة ، وبني فيه خط ضيق ربط بيروت بدمشق . وهكذا فان العقبات التي عاناها اهلها عبر العصور ، وهي صعوبة المواصلات الداخلية ، التي تعذر معها تكوين دولة متحدة ، بدأت الآن في ان تقهر . وكانت هذه المصايف تعتمد في ازدهارها على ما جبتها به الطبيعة من ضروب الجمال الساحر والمشاهد الخلابة . واستعاض لبنان ، ولو جزئياً ، عن قلة موارده الطبيعية بالتسهيلات التي سنحت له عن طريق نشاط التجارة البحرية . وكانت قلة هذه الموارد حافزاً جعل من ابنائها ، كما جعل من اسلافهم من قبل ، اشهر التجار والمستعمرين في الشرق الادنى . وشاع على الاثر قول مأثور مؤداه : هنيئاً لمن كان له مرقعة عترة في جبل لبنان . وتجلى هذا الازدهار في ازدياد عدد السكان . لا سيما النصارى منهم ، حتى انهم التمسوا مخرجاً من ازدهارهم بالمجرة ، اذ كانت خصوبة نسايمهم على العكس من عقم اراضيهم^١ . وما استهل العقد الثامن من القرن الماضي حتى كان المهاجرون اللبنانيون قد انشأوا مواطن جديدة لهم ولعالمهم في مصر واميركا واستراليا ، وانحاء اخرى من العالم المتمدن . وقد قدر المتحدرون من اصل لبناني في الولايات المتحدة وحدها اليوم بما لا يقل عن ربع مليون^٢ .

وقد دشّن عهد المتصرفية بمتصرف قادر من الطبقة الاولى هو داود باشا ، فقد حاول ان يعيد الى لبنان جانباً من الاراضي التي سلخت عنه ، وساعد على فتح مدرسة للدروز في عبيه ، لا تزال الى اليوم تحمل اسمه « الداودية » ، وقاوم الاسراء الاقطاعيين في الجنوب ، والكتلة الاكليريكية في الشمال . وكان يتزعم هذه الكتلة

Miller, p. 300 (١)

(٢) قابل : Cf. *Arabic-Speaking Americans* (Institute of Arab American Affairs) : ٢ (New York, 1946), p. 4 ; Philip K. Hitti, *The Syrians in America* (New York, 1924) pp. 62-5 . ولا يزال اللبنانيون يعرفون في اميركا بالسوريين .

يوسف كرم الذي خاض عدة معارك ، نفي على اثرها الى ايطاليا، وهناك قضى نحبه . وتولى ، بعد داود باشا ، رسم باشا ، وكان قبل ذلك سفيراً في لبنان ؛ فكان نظير سلفه حاكماً حازماً وادارياً مقتصداً^١ . لكن الاتراك عمدوا ، في غضون الحرب العالمية الاولى ، الى الغاء هذا الوضع الممتاز الذي كان لبنان يتمتع به ، غير ان ميثاقه اتخذ نموذجاً للنظام الذي وضع لجزيرة كريت ، وكان بوجه العموم « خير نموذج لنظام استقلالي ، وضع لاقليم تركي »^٢ .

(١) هذا جدول المتصرفين : داود (١٨٦١-٦٨) ، نصري فرنكو (١٨٦٨-٧٣) ، رسم (١٨٧٣-٨٣) ، واصا (١٨٨٣-٩٢) ، نعوم (١٨٩٢-١٩٠٢) ، مظفر (١٩٠٢-٧) ، جوزيف فرنكو (١٩٠٧-١٢) ، اوهانس كيويجيان (١٩١٢-١٥) . وكان من هؤلاء : داود وكيويجيان من أصل ارمني وفرنكو ورسم من اصل ايطالي ، وواصا من اصل الباني ، ومظفر من اصل بونندي .

(٢) Miller, p. 306 .

الفصل الخامس المشهد في العصر الحاضر

يتميز العصر الحاضر في حياة الشرق العربي ، كما يتجلى في سورية ولبنان ، بظواهر منها : نشأة عوامل فعالة ذات صلة بالتغلغل والتوسع الاستعماري الغربي ، وانبعاث الوعي القومي المحلي ، ونضال الشعوب من اجل تحقيق استقلالها ، وقيام حركة الجامعة العربية وانتشار امرها . وقد كانت هذه الظواهر عوامل نامية ومتفاعلة ، تخلفت عنها معظم الاحداث الهامة التي جرت منذ اوائل القرن الماضي .

التغلغل السياسي

استهل القرن التاسع عشر ، وفي الشرق ثلاث دول اوربية كبرى تتبارى في بسط نفوذها على الامبراطورية العثمانية المتقلصة ، والتي كانت طيلة القرن السابق تقف موقف الدفاع عن كيانها . هذه الدول هي فرنسا وروسيا وبريطانيا العظمى . اما النمسا فكانت قد تراجعت نوعاً ، وكانت بروسيا لا تزال من دول المرتبة الثانية ، ولم تكن ايطاليا آنذاك في حكم الموجودة . وكانت سياسة فرنسا تقوم على مصالح اقتصادية واعتبارات معنوية ، وعلى الامتيازات التي رسخت بتقدم الزمن ، والصدقة التقليدية التي كانت تصلها بالاقليات الكاثوليكية والمارونية . وكانت الامتيازات التي ابرمت سنة ١٧٤٠ ذات اهمية خاصة لانها وضعت جميع الحجاج الى الارض المقدسة تحت الحماية الفرنسية^١ .

على ان الهزيمة المنكرة التي منيت بها تركيا في حربها مع روسيا ، كما تشهد معاهدة كوتشك كاينارجي (١٧٧٤) ، احلت عملياً النفوذ الروسي محل الفرنسي في القسطنطينية . فالمطامع الروسية انما تعود الى عهد بطرس الاكبر وكاترين^٢ ، وقد

(١) راجع ص ٣١٣ من هذا الجزء .

(٢) راجع ص ٣٣٧ من هذا الجزء .

نشأت من وضع البلاد الجغرافي المغفل دون البحر ، وبالتالي من الرغبة الملحة في التمس مرفأ على المياه الدافئة ، ثم بما اظهرته من عطف على ملة الروم الارثوذكس . فقد اقرت معاهدة كوتشك كاينارجي المذكورة حماية القيصر لهذه الملة ، وكان ادعاء روسيا بحق حماية الاماكن المقدسة احد الاسباب التي ادت الى حرب القرم (١٨٥٤ - ٥٦)^١ ومع ان انكلترا لم تكن جارة اقليمية لتركيا ، فقد نشأ عندها اهتمام خاص بهذه المنطقة يعود تاريخه الى القرن السادس عشر ، وذلك بحكم علاقاتها التجارية البرية بالهند والشرق الاقصى ، فضلاً عن الشرق الادنى^٢ . فما انت اخذت الامبراطورية العثمانية في الانحلال ، حتى بدأت مصالح انكلترا التجارية تتحول الى مآرب توسعية . اذ كرهت ان ترى تركيا تتلاشى ، وروسيا تثبت اقدامها على البوسفور . وهذه المنافسة بين الدول الكبرى هي التي اطالت بحياة تركيا ومدت باجلها . وما القضية المعروفة بالمسألة الشرقية ، عند التحقيق ، الا قضية التوسع على حساب الامبراطورية التركية ، وملء الفراغ الطارىء بزوال هذه الدولة تدريجياً ، بعد ان كانت يوماً في عداد الدول العظمى^٣ .

وقبل ختام القرن التاسع عشر ، كانت قد اخذت شمس دولة اوربية جديدة تبزغ على الافق العثماني ، هي المانيا . وكان القيصر وايم قد رسم لها سياسة « التوسع نحو الشرق » ، فأتاحت لها هذه السياسة نفوذاً سريعاً في الشؤون التركية . وكانت ذلك في عهد عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) ، وهو من اعنف الحكام الذين اعتلوا العرش العثماني في نزعة الرجعية . وقد آنس السلطان من القيصر صديقاً جديداً يستحق الترحيب ، فقام الامبراطور وزوجته الامبراطورة سنة ١٨٩٨ بزيارة الى القسطنطينية ، واستأنفا السير منها الى القدس فدمشق ، حيث وضعوا اكليلاً من الزهر على قبر صلاح الدين . وفي خطبة مشيرة اكد الامبراطور للسلطان ، ومعه « ثلاث مئة مليون مسلم يجالونه بوصفه خليفة عليهم » ان امبراطور المانيا ، كان وسيظل ابداً ، صديقهم الحميم^٤ . وعلى الاثر منحت شركة المانية امتياز خط بغداد الحديدي عبر شمالي

(١) انظر J. A. R. Marriott, *The Eastern Question*, 2nd ed. (Oxford, 1918), pp. 260-61.

(٢) راجع ص ٣١٩ من هذا الجزء ؛ وايضاً : M. V. Seton-Williams, *Britain and the Arab States*, (London, 1948), pp. 1-5, 101 seq.

(٣) انظر : Miller, p. 1

(٤) انظر : George Antonius, *The Arab Awakening* (Philadelphia, 1939), p. 77

سورية^١. وكان هذا الخط الحديدي احد الاسباب التي ادت الى نشوب الحرب العالمية الاولى. وقد اخذ في الوقت نفسه ضباط المانيون يفدون الى تركيا ليعيدوا تنظيم الجيش التركي.

العهد الحميدي

كانت نقطة الانطلاق في سياسة عبد الحميد رأيه في ان الطابع الاسيوي ينبغي ان يكون اغلب على الدولة من الطابع الاوربي. وتحقيقاً لهذا المبدأ لجأ الى نظام قديم هو نظام الخلافة، وحاول ان يبعث فيه الحيوية من جديد. فعمد الى توثيق سلطة الخلافة الأولى - السياسية ومثلها الأعلى - الجامعة الاسلامية، راجياً ان يحتفظ، عن هذه الطريق، بولاء العناصر الاسلامية غير التركية في داخل الامبراطورية، وان يكسب الى جانبه جميع المسلمين خارج حدودها. وقد ظفر تدريجياً بمسوخ وزرائه الى كتاب مساعدين، وبتركيز ادارة البلاد في قبضة يديه. فوضع الصحافة تحت رقابة شديدة، والقي جميع التدابير التي تؤمن حرية الفكر مها كان نوعها، ونشر شبكة محكمة من الدس والتجسس في جميع انحاء البلاد. ولما كان شديد الخوف على عرشه وحياته، عمد الى الاعتصام بالمزيد من العزلة وراء اسوار قصر يلدز. ثم انه اجري الاعتقالات بالجملة، ونفذ احكام الاعدام على نحو جماعي، وامعن في الارمن فتكاً ونذيباً، فاكسبه ذلك لقب «السلطان الاحمر».

واستثناءً لسياسته بايجاد جامعة اسلامية، اكمل الخليفة السلطان سنة ١٩٠٨ خط الحديد الحجازي الذي وصل القسطنطينية بالمدينة المنورة، مخترقاً سورية من الشمال الى الجنوب؛ فكان ما انفق على هذا المشروع ثلاثة ملايين ليرة، جمع ثلثه من تبرعات المسلمين في العالم بأسره. ان هذا الخط هو الذي عمل لورنس على نسف جسوره ابان الحرب العالمية الاولى^٢. بنى هذا الخط الحديدي مهندسون المانيون، وتولى امره موظف سوري هو احمد عزت باشا، كان كاتب السلطان الخاص. وكان لسوري آخر تأثير غريب على الخليفة هو امامه الخاص ابو الهدى الصيادي.

(١) انظر : Edward Mead Earle, Turkey, The Great Powers and the Bagdad Railway, (New York, 1923), pp. 67-71.

(٢) انظر : T. E. Lawrence, Seven Pillars of Wisdom (New York, 1938), pp. 198-203, 207-11.

وبعد حكم استبدادي استمر ثلاثين سنة ، نهض عبد الحميد يوماً من أيام تموز سنة ١٩٠٨ ، ليجد نفسه قليل الحيلة ، امام ثورة اضربها بعض القواد في جيشه . وكانت هذه الثورة من صنع «جمعية الاتحاد والترقي» ، وهي اللجنة العاملة لمنظمة سرية عرفت «بتركيا الفتاة» ، تخلفت بدورها عن منظمة اسبق هي منظمة «الأتراك العثمانيين» كان مدحت باشا احد اعضائها . كان منشأ «تركيا الفتاة» في جنيف سنة ١٨٩١ ، وكانت ثمة حركة نشيطة قامت بها جماعة من الطلاب والشبان رغبة في تحقيق الإصلاح ؛ ثم نقلت هذه الجماعة مركزها الى باريس . وكان هدفها ان تضع للبلاد دستوراً ذا طابع غربي ينص على انشاء مجلس تمثيلي ، وان تهدم حواجز النظام الملي وتبني دولة ديمقراطية متجانسة . وفي اليوم الرابع والعشرين من تموز سنة ١٩٠٨ اعلن عبد الحميد ، مرغماً ، العودة الى دستور ١٨٧٦^٢ ، وامر في اليوم التالي بابطال شبكة التجسس والقضاء نظام الرقابة ، واخلاء سبيل المعتقلين السياسيين جميعهم . وفي اليوم العاشر من كانون الاول ، افتتح جلسة المجلس التلياني بخطاب من على العرش ، اعلن فيه مباهاً ان المجلس السابق كان قد علق مؤقتاً ، ريثما حقق المواطنون الاستعداد المناسب عن طريق التربية والتهديب . وكانت موجة من التفاؤل والحماسة قد غمرت الامة بكاملها في الوقت نفسه . فاستقبل اعلان الدستور في بيروت ودمشق وحلب والقدس ، وسواهن من مدن الامبراطورية ، بايقاد المشاعل والقاء الحطب واطلاق الالاب النارية فرحاً وابتهاجاً ، وذلك اعتقاداً منهم بان الكلبوس قد زال ، وان يوماً جديداً في حياتهم قد بزغ «حتى لكان تركية قد انقلبت ، بين ليلة وضحاها»^٣ . لكن عبد الحميد لم يكن احرص على دستور سنة ١٩٠٨ منه على دستور سنة ١٨٧٦ . فقد قبض عليه بالجزم المشهود ، وهو يتأمر مع العناصر الرجعية ، وبعد العدة للقيام بثورة معاكسة في نيسان سنة ١٩٠٩ . فخلع للحال ، واقام مكانه اخوه الأبله محمد رشاد ، لكن السلطة الفعلية بقيت في يد الجمعية .

(١) راجع ص ٣١٥ وما بعدها من هذا الجزء .

(٢) راجع ص ٣١٦ من هذا الجزء .

(٣) انظر : Harry Luke, *The Making of Modern Turkey* (London, 1936), p. 144.

جمعية الاتحاد والترقي

على ان رجال العهد الجديد كانوا اوفر حظاً في نطاق الحماية الوطنية منهم في مجال الاختبار والدهاء السياسي . فسياستهم العثمانية التي استهدفت تحويل النزعات العنصرية والنعرات الدينية في الدولة الى صعيد عثماني مشترك آلت الى الفشل التام . اذ فسر العرب هذه « الحرية » الجديدة على انها حرية تحقيق امنيتهم القومية الخاصة ، وتعزيز ذاتيتهم الثقافية ولغتهم الفصحى . فنشأت على الاثر حركات انفصالية تشبثت كل منها بمطالبها الخاصة . واذ اخفقت سياسة الرابطة العثمانية على هذا النحو ، ارتد رجال تركيا الفتاة الى السياسة الحميدية الفاشلة الداعية الى الجامعة الاسلامية ، وازداد الوضع الداخلي سوءاً بالارتباك الدولي التي ادت الى نشوب حرب بين تركيا وايطاليا (١٩١١ - ١٢) ، فقدت فيها تركيا طرابلس الغرب والقيروان - وهما آخر ما كانت تملكه في شمالي افريقيا - والى حروب بينها وبين دول البلقان (١٩١٢ - ١٣) ، جردتها من جميع ما كانت تملك ، تقريباً ، في تلك الناحية وزح المثلث المؤلف من انور وطلعت وجمال تحت هذه الاعباء جميعها . ثم انضمت تركيا في الحرب العالمية التي نشبت على الاثر الى جانب المانيا والدول الوسطى ، وكان دورها في العراق شاهداً على اخفاق الرابطة العثمانية ، وافلاس الجامعة الاسلامية . وتخلف عن ذلك نشوء دولة تركية جديدة تقوم على وطنية تركية ، لا يعوقها الكثير من العراقيل المذهبية والسلالية . اما منظم هذه الدولة فعوض من اعضاء تركيا الفتاة ، وقائد من القواد الذين ساهموا في ثورتها ، هو مصطفى كمال . باصلاحاته كانت الاصلاحات الشاملة الوحيدة التي نفذت الى حياة الجمهور .

لتسلسل الثقافي

كان لبنان اقل المناطق الشرقية في الامبراطورية العثمانية تأثراً من العراقيل التي رخصها العهد الحميدي . فقد ضمن له الحكم الذاتي الذي ظفر به بعد سنة ١٨٦١ ، استمرار تدفق الافكار وسائر المؤثرات الثقافية من المصادر الغربية - ذلك التدفق الذي كان قد بدأ منذ اقدم الازمنة ، وعزز في ما بعد فخر الدين المعني والامير بشير الشهابي^١ . ثم احتل ابراهيم باشا (١٨٣١ - ٤٠)^٢ سورية ، وكانت ابوه

(١) راجع ص ٣٣٠ - ٣٣٣ وص ٣٤٠ - ٣٤٣ من هذا الجزء .

(٢) راجع ص ٣٤١ من هذا الجزء .

تحت الحكم العثماني

اسبق الحكام الى انشاء صلات حيوية بين مصر والغرب ، فاتسع بهذا الاحتلال المجال المفتوح في سورية للمؤثرات الغربية . وقد عمد ابراهيم باشا الى ازالة بعض القيود المتعلقة بالملابس والمطايا ، التي كان النصارى في سورية يعانون منها لاجيال كثيرة خلت^١ . وفي هذه الاثناء بالذات (١٨٣٢) تسنى لارسالية الجزويت ، بعد فترة من خطر^٢ ، ان تعود الى ربوع لبنان ؛ وسنح لمشاريع الارسالية الاميركية ان تجد مستقراً ثابتاً . وقد احتفلت الكنيسة الانجيلية في سورية بعيدها التذكاري المئوي سنة ١٩٤٨ ؛ وتأسست المطبعة الاميركانية في مدينة بيروت سنة ١٨٣٤ ، فجرت في اثرها مطبعة الجزويت الكاثوليك بعد ذلك بتسع عشرة سنة . ولا تزال كلتا المطبعتين تقومان بالهام المنوطة بهما خير قيام ؛ وقد اخرجت كل منهما ترجمة بالعربية الحديثة للكتاب المقدس . وانتهى بالجزويت جهدهم التعليمي ، الذي كلوا قد بدأوه في اوائل القرن السابع عشر^٣ ، الى تأسيس جامعة القديس يوسف سنة ١٨٧٤ في بيروت ، حيث كانت الارسالية الاميركية قد سبقتهم سنة ١٨٦٦ الى تأسيس كلية تعرف الآن بالجامعة الاميركية في بيروت ؛ ولا تزال هاتان الجامعتان في طليعة معاهد التعليم في هذا الجانب من العالم . واخذت ، من ثم ، المدارس الاهلية والمطابع والصحف والمجلات والمجعبات الادبية تنشأ وتزدهر ، وراحت الكتب المترجمة عن الفرنسية والانكليزية تتكاثر وتنشع بين ايدي القراء^٤ . وكان اقوى ما تسرب من الافكار الجديدة واعظمها حيوية دون نزاع اليقظة القومية والديمقراطية السياسية .

القومية والنضال من اجل الاستقلال

بدأت هذه اليقظة القومية العربية حركة فكرية خالصة ، مركزة على درس لغة العرب وتاريخهم وادبهم . وكان روادها في الغالب من المفكرين السوريين ،

(١) راجع ص ١٦٧ و ص ٢٢١ - ٢٢٢ من هذا الجزء .

(٢) راجع ص ٣٢٠ من هذا الجزء .

(٣) راجع ص ٣٢٠ من هذا الجزء .

(٤) انظر : A. H. Hourani, *Syria and Lebanon* (Oxford, 1946), pp. 35-7.

وبنوع اخص ، من نصارى لبنان الذين تشفقوا في الجامعة الاميركية في بيروت^١. فهؤلاء هم الذين شرعوا في تطويع العربية الفصحى لتغدو اداة جديدة صالحة للتعبير عن الفكر الحديث. على ان الفكرة القومية ، وما استتبعته من تشديد على الشؤون المدنية والقيم المادية، جرت في اتجاه معاكس لارفع المثل، واعزّ الثقاليد الاسلامية، التي لا تقر ولو مبدئياً بآية رابطة غير رابطة الدين. ثم ان اختيار الشعوب الناطقة بالعربية لهذا الطراز الجديد من القومية ، وثورة الحسين شريف مكة سنة ١٩١٦ على الاتراك العثمانيين ، صدعا البقية الباقية من الامل بقيام وحدة اسلامية شاملة، واقاما في مكلتها وحدة عربية جامعة. اساسها اللغة والثقافة العلمانية، لا العقيدة الدينية الخاصة. وقد غدا لبنان اسرع استجابة الى المؤثرات المسيحية الغربية ، بعد تزوج الالوف من ابنائه الى العالم الجديد^٢؛ ذلك لانهم استطاعوا، عن طريق المراسلة وتكرار الزيارات، ان يحتفظوا بمشعل الحرية والاستقلال والديمقراطية موقداً مشعاً. وهذا المؤتمر العربي في باريس ، انما النام سنة ١٩١٣ بدعوة من شكري غانم ، وهو شقيق نائب سوري كان عضواً في مجلس ١٨٧٦ النيابي في القسطنطينية ، وكانت الكثرة الساحقة من اعضاء المؤتمر المذكور من السوريين؛ وكانت مطالبه معتدلة نذكر منها تطبيق اللامركزية، وتحقيق الاستقلال الاداري والثقافي .

ولقد وجد المفكرون السوريون ، واركان القومية العربية ، في مصر المجاورة جواً انسب لنشاطهم السياسي . واذ كانت هذه الحركة تستمد حوافزها الاساسية من منهج التفكيك الاميركي ، فقد استلهمت وحياها من الاجداد الماضية التي خلفتها الشعوب الناطقة بالعربية ومن مآثرها الثقافية، واتجهت بانظارها نحو عالم عربي وثيق الاركان . ثم شرعت في عملها على نطاق واسع هو العروبة المطلقة ، دون الالتفات الى اي اعتبار اقليمي . لكن الحركة لم تلبث ان تصدعت . لان الناحية السياسية اخذت ، مع نموها واتساعها ، تتشعب وتتأثر بالسياسة الاقليمية . وعلى ذلك اخذت اغراض القوميين المصريين في الانحراف عن الجامعة العربية ، في اوائل

(١) انظر : Antonius, pp. 43, 51-5; Hans Kohn, *A History of Nationalism in the East* (London, 1929), pp. 268 seq.; Martin Hartmann, *The Arabic Press of Egypt*, (London, 1899), pp. 3-13.

(٢) راجع ص ٣٤٥ من هذا الجزء .

العقد التاسع ؛ وذلك عندما غدت مقاومتهم للاحتلال البريطاني اهم اغراضهم المباشرة . وهكذا اتسمت القومية العربية في مصر بسمة اقليمية ، رجا ان تكون اشد اثاره للرأي العام المحلي في اندفاعه ضد الانكليز ؛ في حين حشدت القومية العربية قواها في سورية ضد السيطرة العثمانية وسياسة التتريك ، وكذلك - بعد اقامة الانتداب الفرنسي سنة ١٩١٩ - ضد الحكم الفرنسي . وقد تجددت عزيمتها باستشهاد الزعماء الوطنيين الذين اعدمهم جمال باشا في غضون الحرب العالمية الاولى^١. اما فلسطين - وهي القسم الجنوبي من سورية ، الذي اقتطع ووضع تحت الانتداب البريطاني - فقد غدّت القومية العربية فيها العداوة للانكليز ، وللحركة الصهيونية التي برزت الى الوجود الواقعي بمولد اسرائيل ، باعتبار انها حركة قومية دخيلة بعثها رجال من يهود اوربة الوسطى والغربية .

وفي سنة ١٩٢١ اقتطعت من فلسطين الانتدابية المنطقة التي عرفت في التوراة بشرقي الاردن ، والتي لم تكن حتى آنذاك واقعا تاريخيا ، وولي عبدالله بن الحسين اميرا عليها ، ثم نصب ملكا سنة ١٩٢٦ ؛ وكان في ذلك الحين يهدد بالانتقام لاختيه فيصل ، اذ ازيل عن عرش سورية بعد ولاية قصيرة قبل ان يتسم عرش العراق^٢. وقد كانت هذه الامارة بمثابة دولة حاضرة ، ما بين منطقة الانتداب البريطاني وربوع القبائل البدوية النائرة . وفي سنة ١٩٤٩ تحولت هذه الامارة الى المملكة الاردنية الهاشمية .

وهكذا فقد تجرأت القومية العربية الناشئة تبعا للتجزئة الاقليمية ، وكانت البلاد العربية ، حتى الحرب العالمية الاولى ، تؤلف وحدة جغرافية تخضع للحكم العثماني . وفي غضون الفترة الفاصلة بين الحربين العالميتين تناثرت البلدان العديدة الناطقة بالعربية من كيان الامبراطورية العثمانية ، وتحولت الى دول متعددة ، وكانت شعوب مختلفة . لكن الاشتراك في اعتبارات اللغة والدين والمصلحة الاقتصادية بقيت تعمل على الجمع بين اشتاتهم . ثم عاد الاتجاه نحو الجامعة العربية فنشط ثانية سنة ١٩٤٠ ؛ وما زال يقوى حتى انتهى الى قيام جامعة الدول العربية

(١) راجع بشأن عدم واسباب اعدامهم : *La Vérité sur la question syrienne* (Com-mandement de la IVème armée) (Constantinople, 1916), pp. 158-68.

(٢) *Hans Kohn, Nationalism and Imperialism in the Hither East* (London, 1932), pp. 162-4, 177-8; *Antonius*, pp. 304-5.

وكان مما حفز الى تحقيق فكرة الجامعة الردة في وجه الصهيونية السياسية باعتبار انها قوة توسعية مفرقة . وقد انتظم كل من لبنان وسورية في عضوية الجامعة العربية منذ نشأتها في سنة ١٩٤٥ .

الديمقراطية

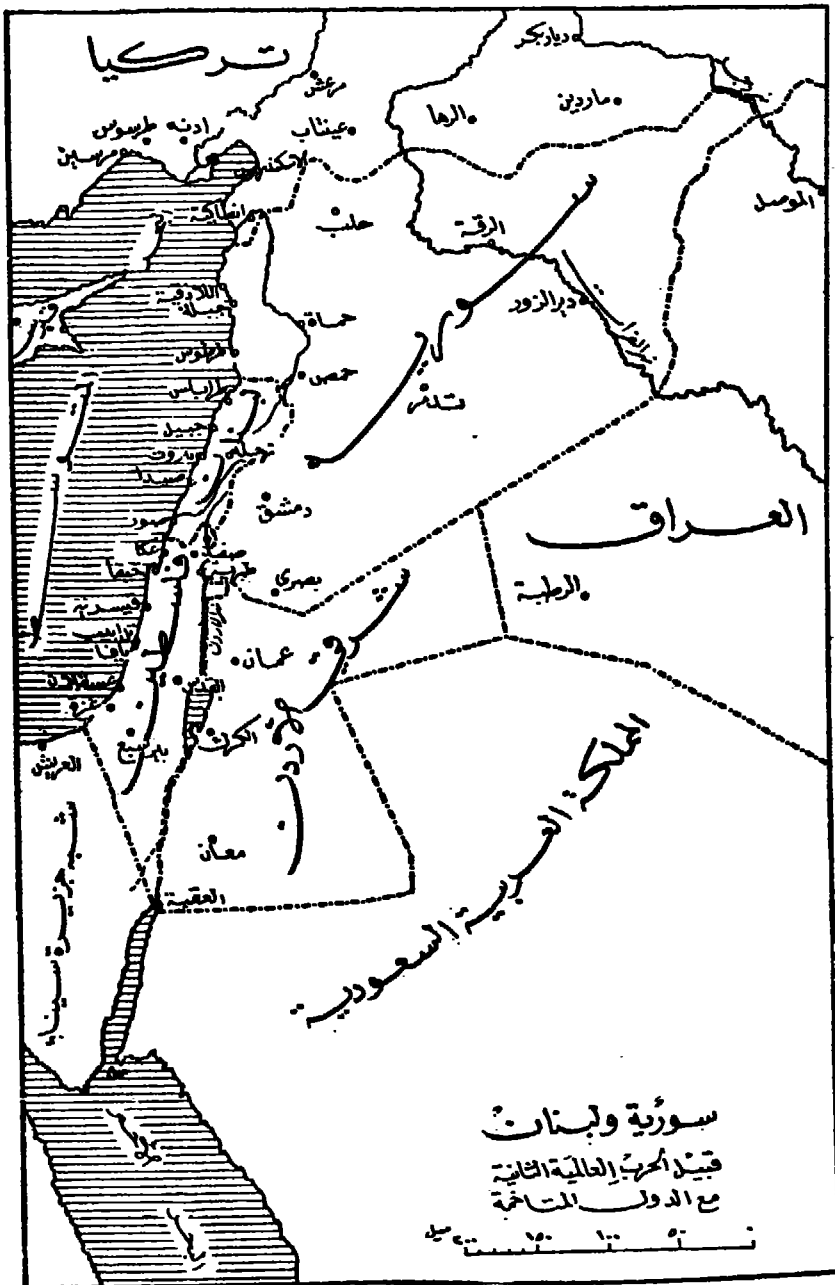
وافق توثيق العاطفة القومية ، وانتشار اسباب التعليم ، رغبة متزايدة في مزاولة المزيد من المناهج الديمقراطية في الحياة الاجتماعية والسياسية . وكانت التمرد في طبقة المزارعين قد هيا جواً صالحاً لاستقبال الافكار الديمقراطية ولتنميتها . حتى اذا توسط القرن التاسع عشر ، اخذت طلائع التفسخ تتجلى في حياة الفئتين الاقطاعيتين الرئيسيتين في المجتمع اللبناني ؛ لكن الاقطاع الدرزي بدا أشد تماسكاً من الماروني ؛ وقد استمر على نحو يتخلله الوهن حتى الوقت الحاضر . وكذلك في سورية ، فان المنظمات الاقطاعية لم تضحل تماماً . وقد ظهرت بين المزارعين في لبنان الشمالي ايضاً حركة عصيان موجهة ضد آل الحازن^١ ، وسواهم من الاسراء الاقطاعيين ، بلغت اوج عنفها في ابان الفتنة التي نشبت بين الموارنة والدروز^٢ . وكان قائدها بيطاراً من ريفون اسمه طانيوس شاهين ، استطاع في سنة ١٨٥٩ ان ينشي مجتمعاً زراعياً اشتراكياً تولى هو رئاسته^٣ . ولما كان جل الرهبان الموارنة مستغفرين من جمهور الناس ، فقد ساندوا هذه القضية الشعبية مساندة تامة . وعندما تولى داود باشا الحكم في الجبل ، عمد الجانب الديمقراطي من المجتمع الماروني الى الامتناع عن اداء الضرائب الى حاكم اجنبي يؤيده الجانب الارستقراطي من المواطنين . وكان الموارنة قد طالبوا بحاكم من المواطنين ، وكان بطل فنتهم هذه يوسف كرم^٤ . واذ ربح السوريون واللبنانيون معركة الاستقلال من الفرنسيين اقبلوا ، اكثر منهم في اي وقت مضى ، على الافكار والنظم الديمقراطية الغربية ، وكيفوها بحسب حاجاتهم الخاصة . وكان لبنان ، بين

(١) راجع ص ٣٣٠ - ٣٣٣ من هذا الجزء .

(٢) راجع ص ٣٤٤ - ٣٤٥ من هذا الجزء .

(٣) انطون المقيي ، ثورة وفتنة في لبنان (بيروت ، ١٩٣٨) ص ٣٨ - ٩٠ .

(٤) راجع ص ٣٤٦ من هذا الجزء .



الشعوب الناطقة بالعربية السابق الى اقامة نظام حكومي جمهوري؛ ثم ثلثة سوربة. وما ان تصرمت سنة ١٩٤٣ حتى حققت كلتا الجمهوريتين الاستقلال التام الناجز ،

وتحملتا جميع مسؤولياتهما في اول كانون الثاني سنة ١٩٤٤ ؛ وسجبت البقية الباقية من الجيش الفرنسي بعد ذلك .

ان انفتاح سورية ولبنان وفلسطين ، في خلال القرن التاسع عشر ، للعديد من الافكار الاقتصادية والعلمية والسياسية ، كان ارسخ اثرأ واكثر استمراراً منه في القرن السابع عشر^١ ؛ فكان اشبه بانفتاح العالم العربي برمته ، قبل ذلك بقرون عديدة على المؤثرات الثقافية الاوربية اليونانية^٢ . وكذلك الامتزاج العنصري في الزمن المعاصر فقد كان ظاهرة عامة شملت الشرق الادنى بكامله ، بل آسيا وافريقيا بوجه الاجمال . وهكذا توجهت شعوب المتوسط الشرقي مرة اخرى نحو الغرب شأنها في عهد الفينيقيين والرومان والبيزنطيين . على ان هذا النضال الناجم عن الفارق ، بين النظرة التقليدية الجامدة الدينية والنظرة الحديثة العلمية المدنية ، كان اظهر اثرأ في الاوساط الاسلامية ، ولم يكن هذا النزاع محصوراً في الطبقات العليا ، بل ان المنطقة برمتها — نظير الكثير من مناطق العالم الاخرى في القرون التاسع عشر — كانت اندرجت في الشبكة الاقتصادية التي انتشرت بتأثير حركة التصنيع في اوربا الغربية وعبئاً حاولت المصنوعات اليدوية المحلية أن تنافس السلع المستوردة المصنوعة آلياً بالجملة ، وقد ادى هذا الى انهيار الاقتصاد المحلي .

ان هذا الاثر الذي كان لاوربا الغربية على الشرق العربي في القرن التاسع عشر ، هو الذي همز الشرق تلك الهزة التي ايقظته من رقدة العصور الوسطى . وبهذه الانتفاضة دنت اوضاع العصور الوسطى في سورية ولبنان من نهايتها ، واخذ فجر العصر الجديد في الانبلاج . وقد كانت هذه الفترة برمتها فترة تطور وانتقال ؛ فنشوء الحركة القومية واستيلائها على حياة الشعب ، واقتباس مبادئ الديمقراطية السياسية ، والسير في الاتجاه العلماني التجديدي جميع هذه ، تؤلف فصلاً جديداً في تاريخ لبنان وسورية ، لكنه فصل لم يدون بعد .



(١) راجع ص ٣٣٠ — ٣٣٣ من هذا الجزء .

(٢) تقدم شرح ذلك في ص ١٧٤ وما بعدها من هذا الجزء .

فهرست عام

صفحة

٦٧ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ،	١٨٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ،
٢٨٠ - ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣١٧ ،	٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٦ ، ٣٧١ ،
٣٧٧ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٣٨ ،	٤٤٣ ؛
الكتابة ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٨٢ ؛	الآداب ٢٨٢ ؛ الحضارة ١٧٧ ؛
الآلهة ١٨٨ ؛ العصر ٢٧٥	
الآرامية - اللغة (٢) ٨٢ ، ١١٦ ، ١٤٦	
الآرامية الشرقية - اللغة (١) ٤٤٤	
الآرامية الغربية - اللغة (١) ٤٤٤	
الآراميون (١) ٤ ، ٦٣ ، ٨٠ ، ١٠١ ،	
١٠٤ ، ١١٨ ، ١٤٥ ، الغزاة ١٥١ ؛	
١٥٦ ، ١٦٥ ؛ انتشارهم ودولهم	
١٧٧ ؛ التجار ١٨١ ، ١٨٢ ؛	
١٨٣ - ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢٠٣ ،	
٢١١ ، ٢٢٨ ، ٢٧١ ، ٣١٧ ،	
٤٤٣	
(٢) ٤٢ ، ٩٦ ، ١٧٩	
آرل (١) ٢٨٤	
آرنون - نهر (١) ١٨٠ وانظر الموجب	
آريوس (١) ٣٨٧ ، ٢٩٥ ، ٣٩٧ ، ٤١١	
الآريوسية (١) ٢٨٧ ، ٤١١	
(٢) ١٤٤	
آسيا (١) ٤ ، ٥ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٥٢ ،	
٥٥ ، ٥٦ ، ٨٢ ، ١٢٦ ، ١٤٩ ،	
١٦٧ ، ٢١٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ،	
٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ،	
٣٠٨ ، ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩ ، ٣٧٠ ،	
٢٨٦ ، ٢٩٨ ، ٢٣٨	
(٢) ٢٩ ، ٤٥ ، ٥١ ،	
٢٠٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ،	
٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣١٨ ، ٣٥٦	
آسية الرومانية (١) ٣٥٢	
آسية الصغرى (١) ٢٩ ، ٦٥ ، ٨٨ ،	

ملاحظات

- ١ - لقد اهتمنا عند وضع هذا الفهرس كلمة « ابن » و « ابو » و « بنو » و « اخو » فمثلا ابن خلكان يقع تحت خلكان
- ٢ - وضعنا حرف « ح » رمزا للحاشية .
- ٣ - ذكرنا اسماء الكتب في الحواشي كاملة مع تاريخ طبعها ومطله وذلك عند ورودها اول مرة ثم اكتفينا فيما بعد بمختصر لاسم الكتاب .

- الالف -

صفحة

٣٧١	الآباء الرسوليون (١)
٣٧١	آباء الكنيسة (١)
٢٦١	آباما (١)
١٦١ ، ١٦٠	آبوفيس (١)
٢٤٦	آتوس - جبل (١)
١٨٧ ، ١٧٢	آتيس - آلهة (١)
٣٥٣ ، ٣٥٢	آثار اليهود - كتاب (١)
١١٤ ، ١١٠	اجينور - ملك فينيقية (١)
١٨١ ، ١٨١	أحاز - ملك يهوذا (١)
٢١٣	اورشليم
١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٥١ ، ٤٠ ،	أخاب (١)
٢٠٩ ، ٢٢٢ ، ١٥٥ ح	
١٧٥	أدد نيراري (١)
٤١٦	أدوم (١)
	أراء اهل المدينة الفاضلة - كتاب
٢٠١	(٢)
٨١	آرال يجر (٢)
١٨٥ ، ١٨١ ، ١٧٩ ، ٦٣	آرام (١)
١٧٢	(٢)
١٧٧	آرام دمشق (١)
١٧٦	آرام النهرين (١)
٦٦ ،	الآرامية - اللغة (١)

صفحة	صفحة
٢٨٣ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٧٧	١٩٦ ، ١٧٢ ، ١٦٦ ، ١١٦ ، ١٠٢
ابراهيم بن احمد الاول (٢) ٣٠٥ ح	٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩
٢٠٦ ح	٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٧٣
ابراهيم باشا (٢) ٣٢٧ ، ٣٤١	٢٧٤ ، ٣٥٥ ، ٣٨٧ ، ٤٠١ ، ٤٣٨
٣٥٢ ، ٣٥١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٢	٤٤٠
ابراهيم الحاقلائي (٢) ٣٢٢	(٢) ١٦ ، ٤٦ ، ٥٠
ابراهيم الحلبي (٢) ٣٠٧	٥٣ ، ٨٧ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧٦
ابراهيم بن صالح العباسي (٢) ١٦٥	٢٠٥ ، ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٩٧ ، ٣٠٣
ابراهيم العلوي (اخو النفس الزكية)	٢٢ ، ٥٣ ، ٥٥
(٢) ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٢ ح	٩٥ ، ١٥١ ، ٢٩١ ، ٢٩٥
ابراهيم بن الوليد (٢) ٦٤ ح	٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٢٥
١٥٠ ، ١٤٨ ، ١٠٢	(٢) ١١٣ ، ٣٠٣
ابشالوم (١) ١٧٣ هـ	آسيا الوسطى (١) ٤٩ ، ٦٥
أبشة (١) ٨٢	٦٩ ، ٢٩٨
أبق بن محمد بن طفتكين (٢) ٢٠٩ ح	(٢) ٦٨ - ٦٩ ، ١٠٢
أبقراط (٢) ١٧٧ ، ١٧٤	١٣٦ ، ٢٤٣ ، ٢٧٠ ، ٣٠٣ ، ٣١٢
أبله (١) ٢٠٦	أكاد (١) ٦٦ ح
أبلستين (٢) ٤٥	الأمر بن المستعلي (الفاطمي) (٢)
الأبلق - قصر (٢) ٢٨٦	٢١٣ ح
أبلو أيلي (١) ١٥٣	أمور - بلاد (١) ٧٠
أبو صير (١) ١٣٧	أمور داريا (٢) ٦٦ ح
أبو الفداء - المؤرخ (١) ٦٣ ، ٤٢	آمون - الآله (١) ٧٨ ، ١٤٣
أبو كريفا (١) ٢٨٢	١٤٥ ، ٢٥٥
أبو كمال (١) ٧٢ هـ	آمون - راع (١) ١٤٢
أبوله - تمثاله (٢) ٢٥	أهورامزدا (١) ٢٤٦
أبولو دورس (١) ٣٩٢	آيا صوفيا (١) ٣٤٨
أبولون (١) ١١٥ ، ٢٣٢ ، ٢٧٩	أباتا - نهر (١) ٤٤
٣٣٦ ، ٣٣٥ ، ٣٢٦ ، ٣٠١	أباض - ابن (٢) ١١٩
أبو لينارس (١) ٤١٢ ، ٤١١	الاباضية (٢) ١١٩
أبو الهول (١) ٢٢٣ ، ١٣٨	أباقا بن هولكو (٢) ٢٧٠
أبهل (١) ٥٤	الابجدية (١) ٢٣ اختراعها ٢٥ ؛ ١١٧
أبيان (١) ٢٩٤	١١٨ ، خطية ١٢٠
أبيدوس (١) ١٤٧ ، ٢٩	الابجدية العربية (١) ٤٢٧
٥١ ، ٥	الابجدية الكتغانية (١) ١٢٠
أبيروس (١) ١٩٦ هـ	ابجدية مسمارية (١) ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٣
أبيفانس (١) ٢٧٠	أبجر (١) ٢٧٠ ، ٣١٠ ، ٣٤١
أبيفانية (١) ٢٨٩ ، ٢٧٧	أبجر الرهاوي (٢) ١٣٥
الابيقورية - الفلسفة (١) ٢٨٠	أبراهيم (١) ٦٥ ، ١٣٤ ، ١٦٩
- ٨٠	

صفحة	صفحة
٢٠٥ ح	٢٣٤ اتابك زنكي (٢)
٢٠٦ ح	٢٠٩-٢٠٧ اتابكة (٢)
٢٠٦ ح	اتار غاتس (الهة سورية) (١)
٢٣٩ - ٢٣٦ ح	١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٣١ ج
٢٤٠ ، ٢٣٥ ح	معبدها ٢٨١ ، ٢٧٠ ، ٤٢٨
٢٢٨	الانراك (١) ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٤
٢٢١	(٢) ٢٠٣ - ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢١٢
١٨٧-١٨٥	٢١٢ ، ٢٢٥ ، ٢٣٥ ، ٢٦٩
٢٤٩	٢٦٩ ، ٢٩٧ - ٣٠١ ، ٣١٤ ، ٣٢٨
١٩٢	٣٢٨ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٢
٢٣٤	الانراك العثمانيون (٢) ٣٥٢ ، ٣٥٠
٢٣٤ ح ، ٢٢٣	اتسيز (٢) ٢٠٥
٢٧١	اتروسكيون (١) ١٣٠
١٦١ ، ١٣٩	اتون - آله (١) ٧٨ ، ٢٣٢
٢٢٤ ، ١٢١	اتيك (١) ٣٠٤
٢٤٨ ، ١٨٢	الانيني - النحت ، الدراخما (١) ٢٤٩
١١٦ ، ١٠٩ ، ٤١ ، ٤٠ ، ١١٦	اتار (١) ٢٤٧
١٩٣	اتال - ابن (٢) ٤٠ ، ١١٣
١٩٧ ، ١٩٤ - ١٩٠	اتيل (١) ٢٠٩
٢٠١	اتيل الثاني (١) ٢٢٠
الاخشيدي - العهد (٢)	اتناسيوس دباس (٢) ٣٢٤
الاخشيدي - السلالة (٢) ١٩٣ ، ١٩٦	الانير - ابن (٢) ٢٤١ - ٢٨١ ، ٢٩٤
الاخشيديون (٢) ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢١١	اتينا (١) معابدها ٢٥٦ ، زينون
الاخلامو (١) ١٧٥ ، ١٧٤	يعلم في رواقها ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢
الاخمينيون (١) ٢٥٦	٢٨٢ ، ٢٨٩ ، ادريانس يدرس
اخناون (١) ٧٨ ، ٨٠ ، ١٤٣ ، ١٧٥ ، ١٧٢ ، ١٦٧	فيها ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٠
اخنوخ (١) ٢٨٢ ، ٢٤٩	٣٦٠ ، ٣٩٣ ، ٤٠٩ ، ٤٤٤
اخيت اتون اتل العمارنة (١) ٧٨ ح	اتيناوس (١) ٣٢٤ ، ٣٢٤
٢٠١	اتينودوروس (١) ٤٢٨
اخيش (١) ٢٠١	الانينية - الدراهم (١) ٢٢٨
ادد (١) ١٨٦ وانظر حدد الراعد	اجنادين (٢) ١٠ ، ١١ ح ، معركة ١٤
٢٠٤	الاجوبة - كتاب (١) ٣٦١
٣٥٥ ، ٣٥٤	احدث التقاسيم في معرفة الاقاليم
٢٤٥	- كتاب للمقدسي (١) ٤٤ ح
١٧٧	احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم
١٢٠	- كتاب للمقدسي (٢) ٢٠١
٢٩٧	احشويرش (١) ٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٥٦
٢٤٠ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٠	
مصدر الحديد الخام ٢٠٠	

صفحة	صفحة
١٥٦ ح ١٢٥ (٢)	٢١٦ ، ٢١٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٣
٢٤٤ ، ٢٣١ ، ٢٢٩ ، ١٦٥	ادميون (١) ٢٠٧ ، ٢٠٢ ، ١٩٢
الاردنية الهاشمية - الملكة (٢) ٣٥٤	٤١٧ ، ٢٦٩
الارض (١) ٥٢ ، ٣٩ ، ٣٥ ، ٢٤	ادونيس (١) ٢٨١ ، ١٧٢ ، ١٢٦ ، ٢٠
ارز الرب ٥٤ ؛ افخم اشجار	اديسا (١) ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٠٧
لبنان ١٣٧ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ؛ ١٤٩	تسميتها ٢٧٧ ؛ ٢٩٨ ، ٣١٠
١٤٢ جباله ١٥٠ ؛ ١٥٣	٢٢٨ ، تحكمها طبقة استقرارية
١٨٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ؛	٣٤٠ ، ٣٨٠ ، ٣٧١ ، ٣٤١
٣٢٤ ، ٣٠٣ ، ٢١٩	٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤٣٧
٣٤٣ (٢)	٤٤٤ ، ٤٤٦
الارسالية الامريكية (٢) ٣٥٢	اديسون (١) ١٤
الارسالية المسيحية (٢) ٢٦٣	اذرح (٢) ٣٣ ، ٥
ارسطو (١) ٢٥٩	اذريجان (٢) ٨٧ ، ٢٨
١٧٤-١٧٧ ، ٢٠١ ، ٢٥٠ (٢)	اذينة (اوديناتوس) (١) ٣١٤
ارسلان آل (٢) ١٧٠ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥	٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩
ارسوف (٢) ٢٣٠	ارادس (١) ٩١ ، ٨٩
ارشاق (١) ٢٦٢	اراس (٢) ٢٥٦
ارصو (١) ٤٤٥	ارباد (١) ١٥١
ارض الميعاد (١) ٢٢٦	اربخا (١) ١٦٢
ارغوس (١) ٢٨٦	اربل (٢) ٢٩٢
ارغونة (٢) ٧٦	اربلا (١) ٢٥٦
ارقة (١) ٧٦	اربونة (٢) ٧٨
ارك (١) ٧٠	ارتخشستا (١) ٣٨٢
اركاديوس (١) ٣٨٨ ، ٢٩٦	ارتخشستا الاول (١) ٢٤٤
اركة (١) ٨٨	ارتخشستا الثالث (١) ٢٤٧ ، ٢٤٨
ارم (١) ١٧٤ ، ٤٢٦	الارتقيون (٢) ٢٢٢ ، ٢٥١
ارمجدون (١) ١٤٠ هـ	الارتوذكسية (١) ٣٩٤
الارمن (١) ٢٨ ، ياوون الى	الارتوذكسية - الكنيسة (٢) ١٤٣
لبنان ٣٨ ؛ ٩٤ ، ١٠٣ ، ١١٨	الارجوان - السوري (١) ١٠١-١٠٣
ملاهم ١٦٦ ؛ ١٨٣ ، ٣٠٨	ارخميدس (٢) ١٧٨
٤١٣	الارخميدي - اللولب (١) ٣٢٣
(٢) ١١ ، ١٢ ، في كيليكيا	ارخيغنس - الافامي (١) ٣٥٤
٢٢٥ ؛ ٢٣٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ؛	ارخيلوس (١) ٣١٢ ، ٣١٣
٣١٣ ، ٣١٧	اردانا (١) ٧٩
الارمنية (١) الملكة ٢٧١	الاردن - وادي (١) ٤١ ، ٤٢
(٢) الكنيسة ١٣٩	الامطار فيه ٤٩ ؛ ٥٠ ، ٣٥٠
الارمنوي - العنصر او النوع (١)	نهر ٩ ؛ ٣٢٧ ، ٣٥١ ، ٤١٦
٨٢ ، ٢٨	٦٤ ، ٢١٣ ، ٢٦٥ ، ٢٧٧
ارميا (١) ٢٣٤ ، سفره ٢٣٥	٤١٨ ، ٤٢٣

صفحة	صفحة
٢١٤	٢٤٣ - ٢٢٦
٧٨	ارمية (٢) ١٣٧
اسبان (٢)	ارمينيا (١) ٤١٣ ، ٣١٠
اسبانيا (١) ٤ ، ٦٩ ، ٩٦ ، ١١٢ ، ١١٠ ، ١٠٨ ، ١٠٥	ارمينيا (٢) ٨٧ ، ٧٠ ، ٢٨ ، ١٢٩ ، ١٦٢ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٩٤
١١٦ : ٢٨٣ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، مورد	ارنست هرتزفلد (١) ٦٢ هـ
السك الجفف ٣٣٠ ، ٣٨٤ ، ٤١٤	ارواد (١) ٧٦ ، مدينة مستقلة ٨٩ ، ٩٠ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، تسك تقودا ٢٧٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨
(٢) ٣٩ ، ٧٣ ، يغزوها	ارواد - جزيرة (٢) ٢٤٩ ، ٤٨
العرب ٧٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٢٣ ، ١٥٦ ، ١٧٩ ، ٢٠١ ، ٢٢٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٧ ، ٢٢٣	ارواد على الخليج الفارسي (١) ١٠٧
الاسبانية - اللغة (٢) ٢٨٤	الارواديون (١) ٩٠ ، ٧٧
الاسبانية - المدن (١) ١١٢	اريتوزة (الرستن) (١) ٣٨٩
الاستارية - الاستاريون (٢)	اريتوسا (١) ٢٧٦ وانظر الرستن واريتوزة
٢٢٧ ح ٢٤٣ - ٢٤٥ - ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣	اريجا (١) اقدم مساكن الانسان ١٨ - ٢٠ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٤٣ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١١٥ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٥٩ ، سقوطها ١٩٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٣٠٤ ، ٣١٢ ، النحاس يستخرج من جوارها ٣٢٧ (٢) ١٢٣
٢٢١	اريسطرخس (١) ٢٨٣
الاستانة (٢) ٢٤٥	اريسطو يولس (١) ٣٠٩ ، ٢٦٩
استراليا (٢) ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٧٧ ، ١٣٤ (١) اسحق	ارين (الامبراطورة) (٢) ٥١
اسحق بن حنين (٢) ١٧٩ ، ١٧٦	الاربوسية (١) ٣٩٤
اسحق التينوي (٢) ١٨٠	الازارقة (٢) ٦٢
اسد الدين شيركوه (٢) ٢٣٥	الازد (٢) ١٥٣
اسد يهوذا (١) ٢٠٧	الازرق (٢) ١٢٥
اسدود (١) ١٤٦ هـ	ازيد (٢) ٢٩٧
الاسراء الى مقام الاسرى - كتاب ٢٩٢ (٢)	الازهر (٢) ٢١١
اسرائيل (١) ٩٥ ، ٨١ ، ٦٦ ، ٥٤ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، بنو ١٦٩ ، ١٧٩ - ١٨١ ، ١٩١ - ١٩٣ ، بدء تاريخ بنيتها ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، مملكة ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ - ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ، انياؤها ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٤ (٢) ٣٥٤	ازيرو (١) ٧٦ - ٨٠ ، ١٦٧
الاسرائيلي - الغزو (١) ٤٣	اسامة بن منقذ (١) ٥٧
الاجتمع ٢٢٣	اسامة (٢) ٢٨٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨
الاسرائيليون (١) ٤٧ ، ٦٢ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ١٠٤ ، ١٥٦ ، ١٧٦ ، ٢١٣	الاسباط العشرة المفقودة (١) ٢١٣

صفحة	صفحة
١٧ ، ٤٤ ، ٣ (٢) ظهوره	٢١٤ ، ٢٠٠
١٦٩ ، ٩٦ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ١٩ -	اسرحدون (١) ١٤٤ ، ١٥٤ ، ٢٤٨
١٧٢ ، ١٨٠ ، تعاليمه ٢٠٠ ؛	اسفينية - حروف (١) ١٢١
٢٤٣ ، ٢٢٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤ ؛	اسطفان (٢) ٢٥٠
٢٦٣ ، ٢٧٠ ، ٣٠٤ ، ٣١٦	اسطفان الدويهي (٢) ٢٢٢
اسماء ابنة ابي بكر (٢) ٥٩	اسعد العظم (٢) ٣٠٩
اسماعيل بن ابراهيم (١) ١٩٢	الاسكندر (١) ٦٥ ، ٦١ ، ٥
اسماعيل باشا العظم (٢) ٣٠٩	٩١ ، ١١٥ ، ١٣٥ ، ١٥٦ ،
اسماعيل (مؤسس الاسماعيلية) (٢) ٢١٠	١٨٢ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ؛
اسماعيل بن جعفر الصادق (٢) ٢٠٩	فستوحاته ٢٥٣ - ٢٦٠ ؛
اسماعيل بن طغتكين (٢) ٢٠٩ ح	٢٦٤ ، المدن التي اسسها ٢٧٥
اسماعيل الناصر (٢) ٢٧١	- ٢٧٧ ؛ ٢٧٩ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ؛
اسماعيل بن نور الدين (٢) ٢٣٦	٢٩٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ؛
الاسماعيلية (٢) ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٢٠ ، ٢٠٦ ، ٢١٧ -	٣٧٤ ، ٤٠٨ ، ٤١٧
٢١٩ ، المذهب ٢٢٠ ؛ ٢٢٥ ،	(٢) ١٤ ، ١٨ ، ٢٢٨
٢٣٥ ، ٢٥٩	اسكندر الاول بالاس (١) ٢٨١ ، ٢٦٤
اسوان (١) ٤٤٢ ، ١٨٤	اسكندر الثاني زابيناس (١) ٢٧٤ ، ٢٨١
ابو الاسود الدولي (٢) ١٠٥	اسكندر جانيوس (١) ٤١٩
انسيس (٢) ١٢٥	اسكندر جنادبوس (١) ٢٦٩
اسيوي ، اسيويون (١) ٥٧ ،	اسكندر سفروس (١) ٣٤١ ،
٨٢ ، ١٣٧ ، الملوك ٢٥٨	٣٦١ ، ٣٨٠ - ٣٨٢ ، ٤٣٦
اشبيلية (٢) ١٥٦ ، ٧٤	اسكندرون (١) ٣٣ ، ٣١
اشدود (١) ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢١٦	(٢) ٣١٨
الاشدوديون (١) ٢٠١	الاسكندرون (١) ٢٥٤
الاشرف (٢) ٢٦٧ ، ٢٤٨	الاسكندرية (١) تأسيسها ٢٥٥ ؛
الاشرف جان بلاط (٢) ٢٧٣ ح	حصارها ٢٦٦ ؛ ٢٧٦ ، ٢٨٠ ،
الاشرف خليل (٢) ٢٧١	مكتبتها ومتحفها ٢٨٣ ؛ ٣٠٥ ؛
الاشرف سيف الدين انيال (٢) ٢٧٣ ح	٣٠٧ ، ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٥٢ ،
الاشرف سيف الدين برسباي (٢) ٢٧٣ ح	٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٧٢ ، ٣٩٨ -
الاشرف سيف الدين قاتباي (٢) ٢٧٣ ح	٤١٤ ، ٤٢٥ ، ٤٣٩ ، ٤٤٤
الاشرف شعبان (٢) ٢٧١	(٢) ٢٤ ، ١١٣ ، ١٧٤ ؛
الاشرف طومان باي (٢) ٢٧٣ ح	٢٤٢ ، ٢٧٦
الاشرف قانصوه الغوري (٢) ٢٧٣ ح	الاسكوريال (٢) ٣٢٣
الاشرف مظفر الدين (٢) ٢٦٦ ح	اسكي شهر (٢) ٥٢
	الاسلام - الاسلامية (١) اصلها
	بسورية ٣ ؛ ٤ ، ٣٢ ، ٢٣٦ ،
	٣٣٨ ، ٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤٥٠ ،
	٤٥٢

صفحة	صفحة
٢٠٣	الاشرف موسى (٢) ٢٦٤ ح ٢٦٦
٨١	اشعيا (١) ١٢٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧
٢١٠	٢٢٤ - ٢٣٦
٤٥١	اشعيا الثاني (١) ٢٣٤ ، ٢٣٥
١٢٢ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٤٧ (٢)	اشمون عزز (١) ١٢٣ ، ١٣٥
٢٠٠	اشور (١) ٦٢ ، ٧٢ ، ٩٩ ، ١١٢
٤٨	١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٧٥ ، ١٨٦
٢٤٢	٢٠٥ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٦ -
٢٤٣	٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٣٠٣ ، ٤٤٢
٢٧١	اشور بنيبال (١) ١٥٥
٤٠١	اشور ناصر بال (١) ١٥١
٢٩٤ ، ٢٩٠ ، ٢٧٦ ، ٢٦٢ (١)	الاشوري - الاشورية (١) امباطورية
٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ،	١٥٥ ، ١٦٣ ، السلطنة
خمرها ٢٢٧ ؛ وصفها ٢٣٩ ؛	١٥٠ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ،
٣٤٠ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ،	٢١٩ ، الآثار ١٠٦ ؛ الكتابات
٢٧٤ ، ٢٨١ ؛ مركز سورية	١٤٤ ؛ الحكم ١٨٢ ؛ التشريع
الثانية ٢٨٩ ؛ ٤١٤	١٨٨ ؛ المقاطعات ٢١٣ ؛ الثور
(٢) ١٤٠ ، ٢٣٢	٢٢٣ ؛ الجيش ٢١٧ ، ٢٢٨
افاريس - عاصمة الهكسوس (١)	الاشوريون (١) ٢٨ ، ٤٥ ، ٦٣ ، ٦٤
١٦٠ ، معركة ١٦١ ؛ ١٩٣	٧٥ ، ٧٧ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ١٢٨ ،
٢١١	١٣٦ ، ١٥٣ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ،
٤٠٤	١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ،
٤٠٩	١٨٩ ، ٢٣٢ - ٢٣٤ ، ٢٤٢
٢٠٨	٣٠٤
الافرنج (٢) ٢٢٤ ، ٢٣٥ - ٢٣٨ ،	(٢) ٢٥٢
٢٤٢ - ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ ،	الاشورية البابلية (١) اللغة ٦٦ ، ٦٧ ؛
٢٥٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٠ ،	الحضارة ١٥٦
٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، وانتظر	الاشوريون البابليون (١) ١٤٩ ، ٢٢٨
الفرنجة .	اشمراه (١) ١٣٠
افروديت (١) ١٢٨ ، ١٤٦ ، ١٨٨ ،	اصبهان (اصفهان) (٢) ٦٠ ، ٢٠٠
٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٤٤٨	الاصبهاني - ابو الفرج (٢) ١٩٧ ، ٢٠٠
افريقيا (١) ٤ ، ٥ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ١٠٥ ،	الاصطخري (١) ٣٣ ، ٦٣
١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ،	(٢) ١٠٣
١١٥ ، ١٨٢ ، ٢٩١ ، ٣١٧ ،	ابن ابي اصيبعة (٢) ٢٨٢ - ٢٨٤
٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣ ، ٣٩٨ ،	الاطلسي - المحيط (٢) ٦٤ ، ٧٢
(٢) ١٦ ، ٣٨٠ ، ٣٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ،	الاعاجم (٢) ١٠٢
٧٠ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٧ ،	الاعتبار - كتاب لاسامة بن منقذ (١)
١٠١ ، ١٣٣ ، ١٥٦ ، ١٦١ ،	٥٧
٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٦٦ ، ٣٠٣ ،	الاطلسي (١) ٣٢٠ ، ٣٢٢ وانتظر المحيط

صفحة	صفحة
٢٨٦	الاكثيل - ديوان شعر (١)
٢٨٤	اكتانيا (١)
٢٧٧	الاكبال (١)
٣٤٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤١ (١)	الاكبالس (١)
٤٤٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٠ ، ٣٦١	
١١٦	الالب - جبال (١)
٢٠٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤ (٢)	الب ارسلان (٢)
٢٢٦	
٩٥	الباستر (١)
٢٢٤	البالونفا (١)
١١٤	البانيا (١)
٢٣٨	(٢)
٢٨	الالبى - العنصر (١)
٢٤٥	البرز - جبل (٢)
١٦٣	الالغ (١)
٢٣٤	الالعاب الاولمبية (١)
١٣٦	الفرد (ملك انجلترا) (٢)
٢٦٢ ، ٢٥١ ، ١٥٩ (٢)	الف ليلة وليلة (٢)
٤٣٥	الكسندروس (١)
٢٢٤	الكسيوس كومنينوس (٢)
٤٤٠	اللمان (١)
٣٤٩ ، ٣١٣	(٢)
٣٢٢ ، ٤	المانيا (١)
٢٥٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢٣٩ (٢)	
٣٥١ ، ٣٤٨	
٢٤٦ ، ١٤٤ ، ٦٥	النبى (١)
٢٦٨ ، ٢٤٥	الموت - قلعة (٢)
ح٤	الوس موزل (٢)
١١٤ ، ١٠٢ ، ٩٦ (١)	الياذة هوميروس (١)
٢٥٩	
١٧٧	(٢)
٢١٨	اليافيم بن يوشيا (١)
٢٧٠	الايخان السابع غازان محمود (٢)
٢١١	اليشع (١)
٣١٩	اليصابات - الملكة (٢)
	٣٥٦ ، ٣٥١ ، ٣٠٥
	افريقيا الشرقية (١)
٢٠٦	الافريقية - الفيلة (١)
٢٩١	افسس - مجمع (١)
٤١١	الافضل بن صلاح الدين (٢) ح ٢٦٤
ح ٢٦٥	الافضل محمد (٢)
٢٠٥ ، ٦٥	افغانستان (٢)
ح ١٢٦	افقا (١)
٣٥٨	اغلاطون (١)
١٧٧	(٢)
٣٧٢	الافلاطونية (١)
	الافلاطونية الحديثة (الجديدة) (١)
	٣٥٧ - ٣٥٩ ، ٣٩٣ ، ٤١٠
	(٢) ١٧٥ ، ٢٠٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩١
٢٨٠	الافلاطونيون (١)
٣٩٨	الافلاطونيون الحديثون (١)
١٧٩ ، ١٧٤	افلوطين (٢)
٣١٧	افونسو البوكركي (٢)
٣٢٢	ايدبوس كاشيوس (١)
٨٠	افينيون (٢)
٤١٣	الاقباط (١)
١٣٧ ، ٩٠	(٢)
ح ٢٤٥	اقبطانا (١)
٤٨	اقريطش (٢)
١٧٩ ، ١٧٤	اقليدس (٢)
٦٦ ، ٦٦	الاكادي - الاكادية اللغة (١)
	١٨٤ ، ١٦٢ ، ١٢٢ ، ٧٦ ، ٧٢
	السلالة ١٥٨ ، ١٧٣ ، كلمات
	١٤٩ ، نصر ١٦٤
١٧٣	(٢)
١٨٦ ، ٦٧	الاكاديون (١)
٢٨٠	الاكاديمية الاثينية (١)
٢٤١	اكاسرة (٢)
٢٥٧	اكتيانا (١)
٣١١	اكتيوم - معركة (١)
٢٩١	الاكراد (١)
	(٢) ٣٢٨ ، ٢٧٣ ، ٢٦٠ ، ١٩٤
١٤٧	اكرستيم (١)

صفحة	صفحة
١٨٢ . ٥٥ : ٣٥	اليوثير بوليس (١) ٢٧٨
٢٤٥ : ٢١٧	امارة امورية (١) ٧٤
٢١٧ : ١٤٢	اماصيا (ملك يهوذا) (١) ٤٣٠
١٤٢	الامساكن المرتفعة (١) ١٣١ : ١٣٤
٢٥٨	٢٠٧ : ٢٢١ : ٤٢٢ : ٤٢٨
٤٤٤	امانوس - جبل اللكام (١) ٣٢ : ٣٣
١٤١	٦٥ : ٧٦ : ٨٨ : ١٤٩ : ١٥٠
١٦٥	٥٣ (٢)
٢٩ : ٢٧ : ٢٠ : ٢٨ : ٢٤	امبي (١) ٧٧
٤٩ : ١٥١ : ١٩٠	امتان (١) ٢٩١
٢٦٤ : ٢٦٢	الامثال - سفر (١) ٢٣٠ : ١٢٣
٢٢٠	امكي (١) ٧٦
٢٣٢	ام البياره (١) ٤١٧
٢٦١	ام قطقة (١) ٩
٢٠٥ : ٥٤ : ٤٦	ام قيس (١) ٢٨٦ : ٢٨٥
٢٠٨ : ٢٧٠ : ١٨٣ : ٦٩	امنحوتب (١) ٨٣ : ٧٨ - ٧٦
٣٠٩ : ٣١٧ : ٣١٨ : تاريخهم	امنحوتب الثالث (١) ١٦٢
٤٤٤ : ٤٣٢ - ٤١٦ : ملوكهم	امنحوتب الثاني (١) ١٦٣ : ١٤٦
٤٤٦ : ٤٤٧ : ٤٥٢	امنحوتب الرابع (١) ١٦٢ : ١٤٤ : ١٤٣
١٧٢ (٢)	امنحوتب (١) ١٤٢ : ١٤١
٣٥٤	امنحت الثالث (١) ١٣٨
٣٥٤ : ٣٠٩	امورو (١) ٧٠ : ٧٢ : ٨٣ : ١٣٨ : ١٥٠
٢٨٠	١٦٨
٣٥٧	الاموري : الامورية (١) اللغة ٦٧ : ٧٢
٢٨٥ : ٢٨١	٨٢ : الحضارة ٧٣ : الديانة ٨٣
٢١١	١٦٤ : الهجرة ١٧٤ : الخزف
٢٥٩	١٢٥
٢٥٥	الاموريون (١) ٦١ : ٦٨ : ٧٠ : ٧٥
٢٤٩	٨٠ - ٨٥ : ١٣٢ : ١٦١
٢٧٩ : ٢٦٠ : ٢٥٩	١٧٥ : ١٧٦ : ١٩٠ : ٢٣٣
٤٢٧ : ٤١٧	١٩٤ (٢)
١٠٩ : ٧١	الاموية - الخلافة (١) ٦١
٢٥٢ : ١١٧ (٢)	الامويون (١) ٤ : ٤٤ : ٣٢٤
١٦٢	٢٤ : ٥١ : ٥٨ : ٦٣ : (٢)
٨١ : ٦٩	الخلفاء وحياتهم ٩٠ - ٩٧ : ٩٤
١٦٢	١١٨ : ١٢٨ : ١٣٤ : ١٤٨
١٣٣ : ٨٧ : ٨٠ : ٧٢	١٥١ : ١٥٤ : ١٥٥ : ١٥٧ -
١٤٩ : جيش سوري فيها ١٥٦	١٥٩
٢٢١ : ٢٩١ : ٢٠٠ : ١٨٤	اميانس مرسليونس (١) ٣٩٥

صفحة	صفحة
انطيوخس التاسع سيزيكينوس (١)	٣١٧
٢٧٤ ح.	١٣
انطيوخس الثالث (الكبير) (١) ٢٦٤ -	٥٩
٢٦٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ،	انطاكية (١) ٢٢ ، ٣٣ ، الزلازل فيها
٢٩٦ ، ٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ١١٦	٤٢ ؛ ٦١ ، ٧٦ ، ١١٥ ، ١٦٣ ،
انطيوخس الثالث عشر (١) ٢٧٤ ، ٢٧٤	١٨٥ ، ٢٦٠ - ٢٦٢ ، ٢٦٦ ،
انطيوخس الثامن غريبوس (١) ٢٧٤ ،	٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، انشاؤها
٢٨٩	واسمها ٢٧٧ ؛ ٢٧٩ ، ٢٨٣ ،
انطيوخس الثاني - تيوس (١) ٢٦٤	٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٢٨٣ ،
انطيوخس الثاني عشر (١) ٢٧٤ ح.	٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ،
انطيوخس الحادي عشر ايفانوس (١)	٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،
٢٧٤ ح.	٣١٧ ؛ ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ،
انطيوخس الخامس يوسيبوس (١)	ذات مقال حجرية ٣٢٧ ؛ ٣٢٨ ،
٢٧٣	٣٢٣ - ٣٢٩ ؛ ٣٤١ ، ٣٤٣ ،
انطيوخس الخامس - يوباتر (١) ٢٦٤	٣٤٥ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٦٨ ،
انطيوخس السابع سيديتس (١)	٣٧٠ - ٣٧٢ ، ٣٨١ ، مركز
٢٨٩ ، ٢٧٣	سورية الاولى ٢٨٩ ؛ ٢٩٣ -
انطيوخس السادس تيوس (١) ٢٧٣ ح	٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٤ ،
انطيوخس الرابع - ايفانوس (١) ٢٦٤	٤٠٩ - ٤١٤ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ ،
٢٩٠ ، ٢٧٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٠ ، ٢٦٦	(٢) ١١ ، ١٢ ، ٢٢ ، ٤٧ ،
انطيوخس العاشر يوسيبوس (١)	٥٣ ، ٥٤ ، ١١٣ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ،
١٧٤ هـ.	١٧٤ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ،
انطيوخس المسقلاني (١) ٢٨٠	٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، في طريق
انطيوخس كاليروهي (١) ٢٧٧	الصليبيين ٢٢٦ ؛ اكتشاف
انطون - القديس (١) ٤٠٤	الحربة المقدسة فيها ٢٢٧ ؛
انطونيوس ييوس (١) ٣٢٠ ، ٣٣٤	٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٤ ،
٣٤٤ ، ٣٧٢ ، ٣٧٩ ،	٢٥٠ ، ٢٦٠ ، ٢٦٨ ، ٢٧٨ ،
الانطونيوني - العصر (١) ٣٥٧ ، ٣٥٥	الانطاكيون (١) ٢٦٧ ، ٢٧٩
الانطونية - الاسرة (١) ٣٧٨	انطوطوس (٢) ٢٢٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ،
الانطونيون (١) ٣٢٠	٢٥٤
٧٧ ح.	انطلياس (١) ٩ ، ١٢ ، ١٣ ،
٤٤٠ ، ١٦٦	انطونيو (١) ٤٣٤
٢٩٧ (٢)	انطيوخس (١) ١١٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ،
الانكشارية (٢) ١٨٥ ، ٢٩٨ ، ٣١١ ،	٢٨٠ ، ٢٦٨
٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٦ ،	انطيوخس ايفانوس (١) ٢١٥ ؛ ٣٠٥ ،
٣٢٨	٣١٢ ، ٣٠٦
انكلترا (١) ٤ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ٢١٤ ،	انطيوخس الاول - سوتر (١) ٢٦٤ ،
٣٢٢	٢٩٠
٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٢٣٩ (٢)	

صفحة	صفحة
٣٢٢ ، ٣٢٣	انكليز (٢) ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣١٩
اورخان (٢) ٣٠٤	٣٥٤ ، ٣٤٣ ، ٣٤١ ، ٣٥٢
اورشليم (١) ١٧٣ ، ١٦٩ ، ١٨٩ ، ٤٠	الانكليزية - اللغة (٢) ٢٨٤ ، ٣٥٢
١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥	الانكليكان (٢) ١٣٧
٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩	انوجور بن اخشيد (٢) ١٩١
٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٤٣	انور بك (٢) ٣٥١
٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩	انيون (١) ٢٢٩
٢٧٨ ، ٢٩٦ ، ٢٩٢ ، ٢٢٦	اهدن (٢) ٢٥٨ ، ٢٢٣
٣٢٨ ، ٣٥٢ ، ٣٧١	اهرون (٢) ١١٣
٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩	اهريمان (١) ٢٤٦
٣٩٨ ، ٤٠٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٣	اهل البيت (٢) ١٦١
٤٣٠	اهل الكتاب (٢) ١٧
اورغناسية (١) ١٢	الاهواز (٢) ٦٠
اورفا (١) ٢٧٧	اوبي (في منطقة دمشق) (١) ٧٦
اورليان (١) ٢٩٢ ، ٢٩٩ ، ٤٤١	اوتيكا (١) ١٠٢ ، ١١٠
اورمية - بحيرة (١) ١٦١	اوديناتوس (١) ٤٣٧
اورنتس (١) ٣٢ ، وانظر نهر العاصي	اور (١) ١٤٩ ، ١٩١
اورهاي (١) ٢٧٧ ح	اوراس جبل (٢) ٧١
اوربانوس (١) ٢٧٢	اوربا (اوروبا) (١) ٣ ، ٥ ، ٨ ، ١٢ ، ٢٩
اوريجين (١) ٢٥٨ ، ٢٧٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣	٣٥ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٧
الاوزاعي (٢) ١٠٧ ، ١١٨ ح	١١٤ ، ١٥٦ ، ٢٤٠ ، ٢٥٨
١٧٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤	٣١٥ ، ٣٨٨ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦
اوزيرس (١) ٢٠	٤٣٨
اوزيريس (١) ١٢٦ ، ١٤٦	١٢٧ ، ١٠١ ، ٧٣ (٢)
اوسترياليا (٢) ١٤٢	٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤
الاوسترياليون (١) ١٤٤ هـ	٢٢٧ ح ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩
اوستيا (١) ٢٨٤	٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٦٢
اوغاريت (١) ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧	٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٣٠٣
٦٢ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٢٠	٣١٦ - ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٥٤
١٢٢ - ١٢٥ ، ادبها ١٢٤ ، ١٢٧	٣٥٦
١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٦٧	اوربا (ابنة الملك الفينيقي) (١) ١١٤
١٧٣ ، ١٩٦ ، كتابات ٢٢٢	اوربان (البابا) (٢) ٢٢٤
٢٢٥	اوربانوس الثاني (٢) ٢٢٣
اوغسطا (١) ٣٧٨ ، ٤٣٩	الاوربية - الامم (١) ٢٣٥
اوغسطس قيصر (١) ٢٠٧ ، ٢٠٩	اوربية (٢) لغة ١٧٨ ، البلاد ٢٨٩
٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠	الدول ٣٣٤ ، الثقافة ٣٥٦
٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧	الاوريون (١) ١٩٧
٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧	(٢) ٢٥٥ - ٢٥٧ ، ٣٢٠
٤٢٠ ، ٤٢٩	٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٠

صفحة	صفحة
١٧٥	الاولغسطي - العصر (١)
١٨٢ ح	اوغسطين (القديس) (١)
٢٥٥ - ٢٥٣ (١)	اوغسطينوس (٢)
٢٣٤	اوكتافيان (اغسطس) (١)
١١٦ ، ١٠٣ ، ٥٣ ، ٤ (١)	اولازا (١)
١٨٨ ، ٢٦٦ ، ٢٨٣ ، ٣٠٣ ،	اولاس (٢)
٢٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ،	اوليان (دوميتيوس اوليانس) (١)
الخزف ٣٣٠ ، ٣٤١ ، ٣٥٥ ،	٣٦٠ - ٣٦٢ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢
٣٧٤ ، ٣٩٢ ، ٣٩٨ ،	اوهانس كيومجيان (٢)
٣٠٩ ، ٢٢٦ - ٢٢٤ ، ١٤٢ (٢)	٣٤٦ ح
٣٢٤ ، ٣٢٩ - ٣٣١ ، ٣٤٦ ،	الاولب - جبل (١)
٣٥١	اولوس غابينيوس (١)
الابطالية (١) اللغة ٥٠ ؛ الجيوش ٣١٦ ؛	اوني (قائد يبي الاول) (١)
البلاد ٣٩٣	اونيس (١)
الاطالي - الاسطول (٢) ٢٢٦ ، ٢٢٨ ،	اياس - ابن (٢)
الاطاليون (١) ٣٠١ ، ٣١٨ ، ٣٥٠ ،	ايبيريا (١)
٣٧٣	ايبيرية (١)
الاطاليون (٢) ٢٤٢ ، ٢٥٦ ، ٣٣٢ ،	ايبك (٢)
١٧٨ ح	ايبيري (١)
١٨٨ ، ١٤٦ ، ١٢٧ (١) ايل (اله) ،	ايبيريا (٢)
٢٠٨	ايسوس (١) ٢٦٠ ، معركة ٢٩١ ؛
ايلات (١) ٢٠٦ وانظر ايلة	٢٩٢
ايل غازي بن ارطق (٢) ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،	ايتبعل - ملك صيدا (١)
١٨٩	ايتوبعل (١)
٤٢٦	الايتوريون (١) ٢٦٩ - ٢٧٠ ، ٣١٧ ،
٦ ، ٥ (٢)	ايجه - بحر (٢) ٤٨
٣٥	الايجي (١) العالم ٩٧ ؛ البلاد ١٩٦ ؛
ايليوس غالوس (١) ٤٢٠	البحر ٢٧٠ ؛ الجزيرة ٣٠١
٣٧٧	ايدومية (١) ٢٩٤ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٤٣٢ ،
٢٢٢ ، ٢١١ ، ٤٠ (١)	الايدومية - المدن (١) ٣٠٢
٣٧٧	الايدوميون (١) ٣١٧ ، ٤٣٠ ،
٢٧٤	ايران (١) ٦٣ ، ٢١٤ ، ٤٣٧ ،
١٠٨	٢٦٦ ، ١٩٠ (٢)
٢٤٠	الامراتية - الهضبة (١) ٢٩٨
ايوب (اصل الاسرة الايوبية) (٢) ٢٦٤ ح	الايروانيون (٢) ٦٨
٤٧	ايرلاندي (١) ١١٢
٢٣٠ ، ١٢٤ (١)	ايرين (٢) ١٦٤
٢٣٦ (٢) ايوب (والد صلاح الدين) (٢)	ايزابل ابنة ايتبعل (١) ٢٠٩ ، ٢٢٢ ،
	ايزايل (١) ٢٢٢
	ايزيس (١) ٢٠ ، ١٦٠ ، ٣٦٩

صفحة	صفحة
٦٢ : ٦٦ : ٦٨ : ٦٩ : ١٠٤	الابوبية - السلالة (٢) ٢٦٤ ح ، ٢٦٥ - ٢٦٦
١٨١	الابوبيون (٢) ٢٢٤ : ٢٤٢ : ٢٤٣ - ٢٦٦ : ٢٥٩ : ٢٦٢ - ٢٦٦
١١٢ : ١١١ : ٩٥ : ١٧ (٢)	٢٧٤ : ٢٧٩ - مباتهم ٢٨٣ - ٢٨٦ : ٢٩٤ : ٢٩٦
٢١٦ : ٢١٣	- الباب -
٤٦	الباب الصغير (٢) ٤٣ ح
بادية الجزيرة (١)	الباب العالي (٢) ٣١٦ : ٣٢٧ - ٣٢٩
بادية الشام (البادية السورية) (١)	٣٢٢ - ٣٤٢
٤٦ ، نباتها ٥٢ : ٦٥ : ٨٣	باسيل (١) ١٧ : ٣٠ : ٦٥ : ٧١ ،
(٢) الوليد الثاني يسكنها	الاموريون فيها ٧٢ : ٨٣ : ٩٢ ،
١٥٠ : ١٧٥ : ١٩٧ : ٢١٤	١١٧ : ١٢٣ : ١٢٥ : ١٢٧ ،
٢٢٨	١٣٦ : ١٤٨ : ١٥٠ : ١٥٥ ،
بادية شرقي الاردن (١) ١٩٤	١٦٠ : ١٦١ : ١٦٦ : ١٧٤ ،
بادية العراق (١) ٤٦	١٧٥ : ٢١٤ ، السبي اليها ٢١٩ : ٢٢٠ : ٢٢٣ - ٢٤٣ ،
باراق (١) ١٩٥	٢٤٧ : ٢٥٦ ، رجوع الاسكندر اليها ٢٥٨ : ٢٦٠ : ٢٦٤ ،
بار حدد (١) ١٨٧	٢٦٨ : ٢٩٨ : ٤٤٥ ،
البارد - نهر (١) ٧٩	١٧٩ : ٢٥٩ (٢)
بارديسانس (ابن ديسان) (١)	البابلي (١) المجتمع ٩٣ ، النظام ٢٢٨
٤١٠ : ٤٠٩	بابلية (١) امبراطورية ٦١ : ٧٢ تأثيرات ٨٥ ، دولة ١٣٦ : ٢١٨ : ٢١٩ ،
بار ركاب (١) ١٨٦	٢٢٨ : ٢٣٩ ، لغة ١٤٩ : ١٦٨ -
بارمينيو (١) ٢٥٥ : ٢٥٤	حكم ١٨٢ : ٢٥٣
الباروك (١) ٥٤	(٢) الهجرة ١٧
(٢) ٢٢٦	البابليون (١) ٦٢ : ٦٤ : ٦٧ : ٧٠ ،
باريس (١) ٥	٧٥ : ١٢٨ : ١٥٧ : ١٨٤ ، ٢٣٢
٢٥٠ : ٢٢٢ : ٨٠ (٢)	(٢) ١٧٩
٢٧٩	بابيروس (١)
باسيل (الامبراطور) (٢) ١٩٦	بابينيان (١) اميلوس بابينيانس (١)
باسيليوس (١) ٢٩٤ : ٤٠٠	٣٦٠ : ٣٦١ : ٣٦٢ : ٣٧٨ ،
باسيليوس الاصغر (١) ٢٥١	٣٧٩
باسيليوس الكبير (١) ٢٩٤	باخوس (١) ٢٨٥
باشان (١) ٤٥ : ٨١ : ١٧٧ : ٣٠٢	البادية (١) ٤٤ : ٤٥ : ٥٠ : ٥٢ : ٥٧ ،
الباطنية (٢) ٢١٨ : ٢١٧	
بالاس (١) ٢٨١	
البالار (١) ١١٦	
باليرمو (١) ١١٢	
(٢) ٢٢٩	
بامبيس - هيرابوليس (١) ٢٨١	
بان - اله اليونان (١) ٢٦٥	
١١ : ١٠	
بانس (٢) ١١٢	
باتوس (١) ٢٨٦	
باتونيا (١) ٢٨٤	

صفحة	صفحة
١١١	٢٦٥
البحر انظلمات (١)	باتياس (١)
البحر المتوسط (١) ٢٧، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٤٨، ٥٢، ٥٣، ٦٢، ٦٥، ٧٠، ١١١، ١١٠، ١٠٥، ١٠٢، ١١٢، ١١٤، ١٣٧، ١٣٦، ١٥٧، ١٦٢، ١٩٠، ٢٠٠، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٥٥، ٢٦٠، ٣٠٨، ٣١٣، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٨٢، ٣٨٩، ٤٣٤، ٤٣٨، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠	
٨٧	٢٦٥
البحرين (٢)	باتياس (١)
بحيرة حمص (١)	٢٢٨، ٢٤٦، ٢٣٥ (٢)
بحيرة طبرية (١)	٢٥٥
بخارى (٢) ٢٨، ٦٦، ٦٨	٢٥٥
٢٠٤، ١٨٥	٢٥٥
بختيشوع بن جورجيس (٢)	٢٥٥
بخعة (٢)	٢٥٥
بدر - معركة (٢)	٢٥٥
بدر (مولي عبد الرحمان) (٢)	٢٥٥
البلدو (١) ٤٧، ٥١، ٦٥، ٦٦	٢٥٥
٨٨، ١٣٨، ١٤٨، ١٧٤	٢٥٥
١٩٨، ٢٠٣، ٢٢٣	٢٥٥
(٢) غزوات ٤، ٧١، ٩٥	٢٥٥
٩٦، ١٥٥، ١٩٨، ٢٩٨	٢٥٥
٢٩٦، ٣٢٧، ٣٣٩	٢٥٥
البرابرة (١)	٢٥٥
(٢) ٩٩، ٢٠٣، ٢٠٩، وانظر	٢٥٥
البربر	٢٥٥
البرامكة (٢)	٢٥٥
بربارة (القديسة) (١)	٢٥٥
البربر (٢) بلاد ٣٨ ح، ٣٩، ٧١ -	٢٥٥
٧٣، ٨٠، ٨٦، ١٠٤، ١٥٦	٢٥٥
البرتغال (٢)	٢٥٥
البرتغاليون (١)	٢٥٥
(٢) ٣١٧، ٣١٩	٢٥٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥
	٢٦٥

صفحة	صفحة
بشر الاول (٢) ٣٣٦ - ٣٤٠ ح	٤٤ بردى (وادي) (١)
بشر بن قاسم الشهابي (٢) ٣٤٠ ح	٩٤ ، ٨١ (٢) نهر
بشر: ثالث (٢) ٣٤٣	١٥٨ بردة النبي (٢)
بشر الثاني (٢) ٣٤٠ ح ، ٣٤١	٢٥٨ برديول (٢)
٣٤٢ ، ٣٥١	١٤٧ البردي - شجر (١)
بصرى (١) ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٥٠	٢٧٤ بربسلي (٢)
٣٩٥ ، ٤٠٧ ، ٤١٨ ، ٤٢٦ - بناء	برسبوليس (١) ٢٤٠ ، ٢٤٩
كاندرايتتها ٤٤٨	٢٥٦ ، وادي ٢٥٧ ، ٤٣٧
(٢) ٤ : ٥ : ٧ : سقوطها بايدي	١١٣ بربسلونة (١)
العرب ١٠ : ٢٣٥	٤١٢ برصوما (١)
البصرة (٢) ٢٩ ، احتدام «يوم الجمل»	٧٠ برغامس (٢)
بظاها ٣١ ، ٣٦ - ٢٨ ، ٦٢	٣٠٥ ، ٢٦٢ برغامم (برغاموم) (١)
٦٦ - ٦٨ ، ٨٧ : قناتها ١٠٣	٥٠ (٢)
١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٥	١١٣ برقة (١)
٣١٨	١٨٨ (٢)
بعل عسقلا (١) ٣٢٥	٢٧٤ ، ٢٧٣ برقوق (٢)
البخاللة - اسرة دولة ، ٢٧٣ - ٢٧٦	٢٧١ بركة بن بيبرس (٢)
٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٧	١١٧ بولام الزاهد (٢)
٢٩٨ ، ٣٠٠ - ٣٠٥ ، ٤١٣	١٦٢ بركم (٢)
٤١٩ ، ٤٢٠	٣٢٦ برمانا (٢)
٢٦٧ ، ٢٧١	٧٩ ، ٧٨ ، ٦٤ البرنيه - جبال (٢)
٢٥٣ (٢)	٣٥٢ بروبوس (١)
٢٤٧ بفرس الاكبر (٢)	٣٠٤ بروسا (٢)
١١٦ بفرس اللومباردي (٢)	٢٩٧ بروسيا (٢)
٢١٤ بطلان - ابن (٢)	٤١٣ ، ٣٩٨ ، ٣٩٧ بروكوبيوس (١)
٢٦٥ ، ٢٦٠ ، ٢٥٩	١٧٩ بريتان (١)
٣١١ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤	٢٢ بريدوود - اوبرت (١)
١٧٨ ، ١٧٤ (٢)	٢١٩ بريسا (وادي) (١)
٢٦٢ بظليموس اورجيتس (١)	٤٤٤ ، ٣٧٨ بربطانيا (١)
٢٨٣ بظليموس الاول (١)	٣٤٧ ، ٣٤٢ (٢)
بظليموس الثاني فيلادلفوس (١)	٢٥ ، ٤٦ ح
٢٧٦ - ٢٧٧	٣٩ بسر بن ارطاة (٢)
٢٢٤ البطم - شجر (١)	٣٩ بسكره (٢)
٧ بطن السر (٢)	٨١ بسكي - خليج (٢)
٢٤ بعثة العهد التوراني البابوي (١)	٣٤١ ببيانوس (١)
٢٣٤ بعقلين (٢)	٥٤ بشري (١)
١٢٨ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠	٣٢٦ (٢)
١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٨	٤٠٩ بشيتا (١)
٢٢٢ ، ٢٣١ ، ٢٦٧ ، ٢٤١	٢٨٠ ، ٣٣٢ - بشير - الامير (٢)
	٣٣٤ ، ٣٤٣

صفحة	صفحة
٣٢٠ - ٣٣٥ - ٢٤١ - ٢٤٤	٣٤٣ ، ٤٢٤ ، ٤٤١ ، ٤٤٥
٣ البقاع المقدسة (١)	١٦٠ بعل آله الهكسوس (١)
٢٧٠ ، ٢٥٨ بكتريا (بلخ)	٣٤٠ بعل الافاعي (١)
٢٩١ بكترية (١)	٢٢٢ بعل ايش (١)
٩٨ بكر (٢)	بعلبك (١) ٤١ ، ٤٣ ، ١٧٩ ،
١٦٠ ، ١٤٠ ، ٧٠ ، ٥٠ بكر - ابو (٢)	١٨٧ ، ٢٧٢ ، جاليات الرومان فيها
٢٨ ، ٢٨ ، ٢٧	٣١٨ ، ٣٤٣ ، ٣٧٠ ، تقودها
٢٧١ بكر - ابو الناصر (٢)	القديمة ٣٨٢ ؛
٣٠ ابي بكر - ابن (٢)	(٢) ١١ ، ٥٤ ، ١٣٤ ، ١٦٧ ،
١٦٠ ح بكر (٢)	١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، استيلاء
١٤١ بكركي (٢)	زنكي عليها ٢٠٧ ؛ ٢٣٢ ،
٢٦ ، ١٦ انبلادري (٢)	٢٣٥ ، ٢٦٦ ، ٢٢٦ ، الشيعة
٨٠ بلاط الشهداء (٢)	فيها ٢٢٧
١٥٩ البلاطة (١)	٣٨٤ بعل بيروت (١)
١٥٦ بلج بن بشر القشيري (٢)	٣٨١ بعل الحمصي (١)
٣١٦ بلجيكي - الدستور (٢)	بعل شمين (١) ١٨٩ ، ٤٥٥ وانظر حدد
٢٢٤ الباج النيقولاوي (١)	٤٤٥ بعلشميه (١)
٢٥٨ بلخ (١)	٢١١ ، ١٥٥ بعل صور (١)
٦٨ ، ٦٦ ، ٣٨ (٢)	٢٨٤ بعل غرة (١)
٤٢٤ بلدوين الاول (١)	١١٠ بعل لبنان (١)
٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ - بلدوين (٢)	٣٨٤ بعل مرقود (١)
٢٥٣ ، ٢٣٢	٢٢٢ بعل يداع (١)
٢٣٩ بلشاحر (١)	١٥١ بعل راسي (١)
٥٠ البلقاريون (٢)	٢٨١ البعلين - الديانة (١)
٤١ بلفورت - قلعة (١)	١٢٩ البعنة (١)
٤٤٨ البلقاء (١)	٢٩٨ ، ٦٥ ، ٤ بغداد (١)
١٢٥ ح (٢)	(٢) ١١٥ ، ١٣٦ ، ١٥٩ ،
٢٥١ البلقان (٢)	١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ،
٢٠٧ بلقيس (١)	١٧٧ ، استقرار أبي تمام فيها
٦٩ ، ٦٥ بلوستان (٢)	١٨١ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،
٣٥٩ ، ٣٥٨ بلوتينوس (١)	١٩٨ ، ٢٠٤ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ،
٣١٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٠ بلوطرخس (١)	٢٢٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
٤٤٧ ، ٤١٣ ، ٣٩٨ بليسناريوس (١)	٢٦٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ،
٢٤٥ ، ١٠٣ ، ٩٩ بليتي (١)	٢٨٩ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، مرور الخط
٣٢٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٠ -	التجاري بها ٣١٨ ، ٣٤٨
٣٥٧ ، ٣٥٠ ، ٢٢٦	البقاع (١) ١٧٨ ، ١٣٨ ، ٤٢ ، ٤١
٣٩٩ بمفيلوس (١)	(٢) ١٦٧ ، ١٦٥ ، لجوء عناصر
٢٥٧ ، ٢٤٠ البنجاب (١)	اسلامية اليه ٢٥٩ ؛ ٣٠٧ ،
٦٩ ، ٦٥ (٢)	٣١١ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ،

صفحة	صفحة
١٥٤ بوسير (٢)	١٨٣ ، ١٧٩ بنحدد الاول (١)
١٧٠ ، ١٦٦ ، ١٧٠ (١) بوغازكي (بوغازكوي)	٣٩٣ ، ١٠٣ البندقية (١)
٢٥١ بوكاتشيو (٢)	٢٤٣ ، ٢٢٩ ، ٢٢٣ (٢)
بولدين - انظر بلدوين	٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٣١٤ ، ٣١٨
بولس (الرسول) (١) ١١٢ : ٢٣٦	٣١٩
٢٣٧ ، ٣٦٧ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠	البندقيون (٢) ٢١٨ ، ٢١٢
٣٧٤ ، ٤٢٢ ، ٤٣٠	بنامو الاول (١) ١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٨٥
بومبي (١) ٦٥ : ١٨٢ ، ٢٤٦	بنامو الثاني (١) ١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٨١
٢٧٤ ، ٢٨٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨ -	بنامو - ابو (١) ١٨٦
٣١١ ، ٣٢٤ ، ٣٧٥	بنيامين (١) ٢٠٨ ، ٢٠٣ ، ١٩٥
٤٢٠	بنيامين التوديلي (١) ٢١٤
البونت (بونتس) (١) ٢٧٤ ، ٣١٠	(٢) ٢٧٩ ، ٢١٩ ، ١٧١
٣١١	البهائية (١) ٦٤
بونية (١) حروف ١١٣ ، اللغة ٢٧٧	(٢) ٢١٩
بوهمند (٢) ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠	بهاء الدين (٢) ٢١٨
البويهيون (٢) ١٩١	بهاء الدين بن شداد (٢) ٢٤١
بيبرس (١) ٥ (٢) ٢٤٣ ، ٢٤٤	بهاء الدين المقتنى (٢) ٢١٨
قضاؤه على الحشاشين ٢٤٧	بهاء (جبال التصرية) (١) ٢٣ ح
٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦٦	البهلوية - اللغة (١) ١٨٢
٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٤	(٢) ٨٢
٢٧٦ ، ٢٧٨ ، تنصيه المستنصر	بواتيه (٢) ٧٩
٢٩٨	بوتريس (١) ٣٨٩
بيبرس الثاني (٢) ٢٧١	بودابست (٢) ٣٠٥
بيلوس (١) ١٨ ، ٢٧ ، ١٠٤	بوذا (٢) ٢٧٠ ، ١١٧
١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٧	البوذية (١) ٤١١ ، ٤١٠
١٢٧ ، ٢٠٢ ، ٢٢٤ وانظر جيل	(٢) ٦٨
١٢٧	البوذون (١) ١٨٣
بيبي الاول (١) ١٢٧	بورديو (١) ٢٨٩
بيت ايل (١) ٢١٢	(٢) ٧٩
بيت بلت (١) ١٩٧	بور فيريوس (١) ٣٦٠ - ٣٥٨
بيت جيرين (١) ٢٩ ، ١٩٧ ، ٢٧٨	٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٤٤٤
٣٠٢	بوركهارت (١) ٤٢٥
١٠ (٢) ح	بوري بن طفتكين (٢) ٢٠٩
بيت الحكمة (٢) ١٧٦ ، ٢٨٤	البوسفور (٢) ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٢٤٨
بيت حمري (١) ٢٠٩	بوسنيا (٢) ٢٣٧ ، ٢٣٨
بيت الدين (٢) ٢٤٣	بوسيدون - الاله (١) ١١٠ -
بيترى (١) ١١٢	٣٤٣ ، ٣٠١
بيت شان (بيسان) (١) ٢٧ ، ٨٧	بوسيدونيوس (١) ٢٨٣ ، ٢٧٦
١٢٨ - ١٣١ ، ١٩٤ ، ١٩٨	٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٣٠٧ ، ٣١٢

صفحة	صفحة
٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢	٢٠٣ ، ٢٧٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ وانظر
٣٥	بيسان
البيروني (١)	بيت شمش (١) ١٢٠ : ١٢١
بيرويا (١) ٢٧٨ ، ٣٨٩ وانظر حلب	١٥٩ : ٢٢٦
بيرة (١) ٢٦١ ح	بيت العاج (١) ٢٠٩
بيروتوس (١) ٢٧٧	بيت عنات (١) ١٢٨
بيزا (٢) ٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٥٠	بيت عنوت (١) ١٢٩
بيزنطة (١) ٣١٣ ، ٣٨٦ ، ٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤٤٠ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠	بيت عينون (١) ١٢٩ ح
(٢) ٣ ، ٤ ، ١٨ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ١٢٩ ، ١٣٩ ، ١٦٤ ، ١٩٥	بيت غابة لبنان (١) ٢٠٥
البيزنطي (١) الجيش ٥٠	بيت لحم (١) ٢٩٨
(٢) الاسطول ٢٥ ، ٨٩ ؛ الجيش ٨٨ ؛ الحكم ٣١٣	(٢) ٢٥٨
البيزنطية - الامبراطورية (١) ٣٢ ، ١٠٣ ، الحصون ٤٥ ، الحضارة ٣٨٦ ، السدولة ٣٩١ ، العصر البيزنطي ٤٠٣	بيت الماء (١) ٢٧٩ ح
(٢) الاحسان ١٢١ ؛ الامبراطورية ٣ ، ١٣ ، ٣٨ ، ١٠٢ ، ٣٠٤ ؛ الحملة ٢٢٨ ؛ الملكة ٢٥١ ؛ النقود ٨٤	بيت المقدس (٢) ٢٠١
البيزنطيون (١) ٢٤٠ ، ٤١٠ ، ٤٤٧ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٤٩ (٢)	بيتين (١) ٢١٣ ح
١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٥ ، ٣٥٦ ، ٣٠٩ ، ٨٧ ، ٢٧٧ (١) بيسان	بيثيا (١) ٣٥٥ ، ٣٨٧
٣١٠ ، ٣٨٩ ، ٤٠٧ وانظر بيت شان	بير السبع (١) ٤٠ ، ١٦١ ، ١٩٣ ، ١٩٧
(٢) ١٠٠ ، ٢٢٩	البيرة (١) ٢٢٧ ح
بيصور (٢) ٢٧٩	بير الكاهنة (٢) ٧١
البيطار - ابن (٢) ٢٨٣	بيروت (١) مدرستها للحقوق الرومانية
بيلاطس البنطي (١) ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٦٣	٣ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٨ ؛ معدل
بيلا (١) ٢٧٦	الامطار فيها ٤٩ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ١٣٥ ، ١٤٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٧ ، ٣١٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٢٧ ، ٣٢٣ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٧٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٢٧
بيلا ديون (١) ٣٥٠	(٢) ١٢ ، ٥٤ ، ٧١ ، ١٠٠
بيلان - مضيق (١) ٢٣	١٤١ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٨٣
بيلوزيون - قلعة (١) ٢٦٦	اقامة الازنعي بها ١٨٤ ، ١٩٥
	٢٠٢ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٧ ح
	٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٤٢
	٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، دفاع
	ال يحتس عنها ٢٦٠ ، ٢٦٢
	٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٣٠٧
	٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧
	تجميل فخر الدين لها ٢٣٠ ؛

صفحة	صفحة
٢٨٩ - ٤١٦ - ٤٢٤ - ٤٢٩ -	١٩٨ : ٢٢٢
٤٣٧ - استسلامها لاورليان	٢٩٣
وبقايا اثارها وحضارتها ٤٤٠ -	٢٩٤
٤٤٤ ؛ ٤٤٦ - ٤٤٨	٣٥٣
تدمر (٢) ٤١ - ٩١ - ١٢٧ - ١٣٢ -	٢٨٣
١٥٠ - ١٦٤ - ٢٧٦ - ٣٠٧ -	٢٩٢
٢٢٣	٣٩٧
التدمرية (١) الدولة ٢٨ - اللغة ١٨٤	٣٥٩
٤٢٩	٣٩٥
التدمريون (١) ٢٨٥ - ٤٢٢ - ٤٢٦ -	٦٩
٤٤٠ - ٤٤٢ - ٤٤٤	٦٩
تراجمان (١) ٢١٨ - ٢٢٠ - ٢٢٢ -	٤٣٢ ، ٤٣٣
توسيع بصرى في زمنه ٢٢٣ ؛	٢٢٢ - ٢٢٩ ، ٢٢٦ - ٢٢٥
٢٢٩ - ٢٢٤ - ٢٢٩ - موته ٢٤٤ ؛	١٦٠ ح -
٢٥٤ - ٢٦٥ - ٢٦٧ - زيارته	١٧٧
لانطاكية ٢٧٢ ؛ ٢٧٣ - ٢٩٢ -	١٣٧
٤٢٤ ؛ ٤٣٥	٢٧٠
١١٤	٢٧٠
٧١	١٣٥ ح
١٧٥	٦٤٤
١٨٤	٢٧٩ - ٢٦٨ ، ٢٤٣
١٥٥	٢٠٨ - ٢٠٥ (٢)
٢٠٩ - ٢٠٨	١٩٦
١١٢	٧٧٠ ، ٧٥٠ ، ٥
١٢٤ - ٦٨ - ٤٧ - ٢٨	١٤٢ : ١٣٩ (١)
١٦٧ - ١٨٥ - ٢٠٤ - ٢١٢ -	١٦٣ ، ١٤٧
٢٦٨ - اصلهم ٣٠٣ ؛ ٣٠٧ -	٩٤ ، ٩٢ ، ٨٩ (١)
٢١٢ ؛ ٢١٦ - ٢٤١	١٣١ ، استيلائه على قسم من
٢٧٠	لبنان ١٤٠ ؛ ١٤١ ؛ ١٤٣ ؛ ١٤٨
١٢٧ - ٧٢ - ٦٥ - ٢٨ (٢)	١٥١ ، تغلبه على الهكوس في
٢٠٠ - ٢٠٤ - ٢٢٠ - ٢٠٢	سورية ١٦١ ؛
١٠١ - ٦٨	١٤٧ ، ١٠٠ (١)
٢٦٠ - ٢٠٤	التختجه - الطريقة (٢) ٢٢٠
التركي ، التركية (١) الحكم ١٤٨ -	تدمر (١) ٢٨ - ٤٢ - ٤٦ ، ٦٥ ،
الجبالي ٢٣	النقوش في معابدها ١٨٨ ؛ ٢٨١
٢١٧ - ٣٠٤ (٢) اللغة	٣١٤ - ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٨ -
الامبراطورية ٣٠٥	٣٢٩ ؛ تطورها الى دولة كبرى
٢٥١ - ٢٤٧ - ٢٣٧ - ٢٣٤ (٢) تركيا	٣٤٠ ؛ ٣٤١ ، ٣٥١ ، ٣٨٥ ،
تركيا الفتاة - جمعية وحزب (٢)	

صفحة	صفحة
١٧٥ : ٥٦٠ ٢٧ ، ٢٢ (١) تل حلف	٢٥١ : ٢٥٠
١٦٢ ، ١٨٣ ، وانظر غوزاته	٢٦٦ (١) ترمو بيلي
٢٠٦ ح تل الخلفي (١)	٢١٧ ترهاقه (طوقا) (١)
١٩٧ ح تل الخويلفة (١)	٢٠١ ، ٢٧٣ ترغون (١)
١٩٤ - ١٣٠ ، ٨٧ (١) تل الدويسر	٢٧٩ ، ٢٧٧ تساليا (١)
وانظر لاكيش	٢٣٢ ، ٢٣٠ ، ٢٢٨ تسكانيا (٢)
١٢٠ (١) بيت شمش (١) ،	٢٥١ تشوسر (٢)
١٥٩	التصوف الاشرافي (٢) ٢٨٩ - ٢٩٠
١٩٧ تل الشريعة (١)	التعريف بالمصطلح الشريف - كتاب (٢)
١٥٨ تل المعجول (١)	٢٩٥
١٩٧ ح تل عرق المنشية (١)	٢٧٦ ، ٢٧٤ (٢) ابن بردي -
١٨٨ ح تل عشترا (١)	٢٩٧
١٢٢ - ١٦٣ تل العطشانة (١)	١٧٥ ، ١٥١ ، ١٥٠ تغلات فلاسر (١)
٧٨ ، ٧٥ (١) تل العمارة	٤٣٢ ، ١٧٤ تغلات فلاسر الاول (١)
٨٠ ، ١٢٨ ، الواح ١٦٢ ؛	١٨٢ ، ١٥١ (١) تغلات فلاسر الثالث
١٦١ ح تل الفرعة (١)	٢١٣
٩٣ تل القول (١)	١٠٩ ، ٩٩ ، ٩٨ (٢) تغلب
٢٠٣ ح تل القول (١)	١٩٣ : ١٧٥
١٩٤ ، ١٥٩ تل القدح (١)	٢٣٣ تقوع (تقوعة) (١)
تل المتسلم - انظر مجدو	٤٢ ح تقويم البلدان - كتاب (١)
١٤١ ح تل النبي مند (١)	٢٩٥ ، ٢٩٤ (٢)
٢٢٧ تل النصبة (١)	٢١٧ التقية (١)
١٩٤ ح تل وقاص (١)	٢٢٥ تكريت (٢)
٢٩ ، ٢٥ : ٢٤ تنيلات القسول (١)	٢٢٣ التكوين - سفر (١)
١٩٨ ، ١٨٢ ، ١٨٠ تمام - أبو (٢)	٢٣١ تل الحجاج (٢)
١٧٢ ، ١٢٨ ، ١٢٦ (١) تموز (الاله)	٣٣٥ ، ٣٢٦ تلحوق - آل (٢)
٢٧٦ تنفيذ (٢)	٢٣٦ التلمود الاورشليمي (١)
تنكرد - انظر تانكرد	١٠٦ (٢)
١٧٠ ، ٩٩ ، ٩٨ (٢) بنو (٢)	٢٣٧ التلمود البابلي (١)
٢٣٣ ، ٢٧٦ ، ٢١٥ ، ١٧٥	٩٦ تل « ابو هوام » (١)
التنوخيون (٢) ٩٥ ، ١٧٠ : ٣١١ ،	١٧١ تل الاحمر (١)
٢٢٥	١٥١ ح تل ارفاد (١)
٧٩ - ٨١ تور - معركة (٢)	١٨٨ ح تل الاشعري (١)
١١٢ ، ٦٦ ، ٥٧ ، ٤٣ (١) التوراة	١١٤ تل الاكربول (١)
١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٢٨ ، ١٢٥	٩٢ (١) بيت مرسيم (مرسيما)
٢١١ ، ١٨٥ ، ١٨٣ ، ١٦٠	٢٢٥ - ٩٢ ح
٢١٤ ، ورود ذكر الالات الموسيقية	٢٩ ، ٢٢ ، ١٨ تل الجديدة (١)
٢٢٣ ، ٢٢٥ : ٢٢٧ ، ٢٢٩ ؛	٢٦ تل الجزر (١)
٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٤ ، ٣١٩ ،	٧٢ تل الحريري (١)

صفحة		صفحة
٢٣٠ ، ٤٢٢ ، ١٧	(١) ثمود	زمن ومكان ترجماتها انشراحية
٢٢٥	ثوم هليوبولس (١)	٢٧١ ؛ ٣٩٨ ، ٠٩
١١٢	تيا ذوق (٢)	(٢) ١٠١ ، ١٧٥ ، ٢٢٢ وانظر
٢٨٤	نيم بن سعد (بوليان) (١)	الكتاب المقدس
١١ : ٧	نيودوروس - أخو هرقل (١)	٢٣٦ توراة شاه (٢)
١٢		توسكانيا - انظر تسكانيا
٥١ ، ٢٦	نيوفانس (٢)	١٦٣ ، ١٦٢ توشراتا (١)
- الجيم -		توطن الدروز في حوران - مقال (١)
١١٤	جابر بن حيان (٢)	٤٥ ح .
٤٤٩	الجابية (١)	٢٢٧ ، ٧٨ تولوز (٢)
١٩ : ١٦ ، ١٥ ، ١٣	(٢) ١٩ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٣	١١٦ توما الاكوييني (٢)
٢١ ، ٢٢ ، مؤتمر ٢٢		٢٦ تومات نيحا (١)
١٥	جارذ (١)	١١. تونس (١)
١٨.	جاسم - قرية (٢)	(٢) ٣٨ ح ، ١٠٣ ، ١٩٢ ، ٢٠٩
٣٥٤ : ٢٧٩	جالينوس (١)	٢٨٦ ، ٣٣٣ التيسر - نهر (١)
١٧٨ ، ١٧٦ ، ١٧٤	(٢) ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٨	٤٤١ تيبور (١)
١٢٩	الجامع الكبير (٢)	٢٥ تيتس (١)
١٧٢	الجامع الاموي (٢)	١٠٧ التيجان - كتاب (٢)
١٢٤	جامع دمشق (٢)	تيشوب - (عشتاروت) الهة (١)
٢٥٣	الجامع العمري (٢)	١٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ٣٧٠
٢٥٣	الجامع الكبير (٢)	٣٧٥ تيطلس (١) ٣٥٣ ، ٣٤٣ ، ٢٧٨
٣٥١ ، ٣٤٩	الجامعة الاسلامية (٢)	٢٢٣ : ٣٧٦
١٣ : ١	الجامعة الاميركية في بيروت (١)	٢٧٣ ، ٢٧١ تيغرانس الارمني (١)
٤٩		٢٧٣ تيگرانورتا (١)
٣٥٣ ، ٣٥٢ (٢)		٣٠٠ تيماء (١) حجرها ١٨٩ ؛ ٢٣٩ ، ٣٠٠
٢٣٠	انجامعة - سفر (١)	٢٦٨ ، ١٣٤ تيمورلنك (٢)
٢٦١	الجامعة السورية (٢)	٢٩٥ - ٢٩٧ ، ٣١١
٣٤٧ (٢)	الجامعة العربية - حركة (٢)	٢٦١ تيمية - ابن (٢)
٣٥٥ - ٣٥٣		٣٢٤ التين - شجر (١)
٣٥٥ ، ٣٥٤ (٢)	جامعة الدول العربية (٢)	٢٤٨ ، ٢٤٧ تينس (الملك) (١)
٣٥٢	جامعة القدس يوسف (٢)	٢٧١ تيوبرو سوبون (١)
٣٠٧	جان بردي الغزالي (٢)	٣٥٩ ، ٣٤٨ ، ٣٣٦ تيودوسيوس (١)
٤٥٠	الجاهلية (١)	٣٨٨ ، ٣٩٨ ، ٤١١
٣٥ ح	جبال الجورا (١)	- الثاء -
٢٣	جبال النصرية (١)	١٧٩ ، ١٧٨ ثابت بن قره (٢)
١١٠ ح	جيرانييل جبور (٢)	٤٥ ، ٤٤ الثغور (٢)
٢٢٢	جيرانييل الصهيوني (٢)	٥٩ ثقيف (٢)

صفحة	صفحة
حكم بني عساف لها ٢٢٥ ؛ ٢٢٦	١١٥ الجبيرة (٢)
١٩٧ جت (١)	١٧٢ جبعادين (٢)
٤٠ جنة - جبل (١)	٢٠٢ ، ٩٢ جبعة (١)
٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٢٨٧ - ٢٨٥ جلدرد (١)	٢٠٢ ح جبل افرايم (١)
٢٨٩ ، ٢٥٩	٢٢ جبل الاقرع (١)
٢٠١ جلدروزيا (١)	٤٦ جبل جلعاد (١)
١٩٥ جلعون (١)	٤١٩ ، ٤٥٠ جبل اللدروز (١)
٦ جدام (٢)	٤٤ ح جبل سيربون (١)
٧٠ ، ٥٤ ، ٥٢ الجراجمة (٢)	٤٤ ح جبل الشيخ (١)
٢١٦ ، ٢٩٧ ، ٢٦٨ الجراكسة (٢)	٢٢٢ ، ٢١٧ ، ٨١ (٢)
٥ الجرياء (٢)	٣٤ جبل صنين (١)
٥٤ ، ٥٣ جرجومة (٢)	٣٩ جبل طابور (١)
٢٠٢ جرزيم - جبل (١)	١١١ ، ١٠٨ جبل طارق (١)
٣٢٨ ، ٢٧٦ (١) جرش (جرأزة)	٨٠ ، ٧٣ (٢)
٣٣٢ ، ٢٢٩ ؛ ٣٣٢ ؛ ٢٥٠ ، ٣٩٥ ؛ ٣٥١ ؛ ٣٥٠ ؛ ٤٠٥	٦ ح جبل عامل (٢)
٢٨٢ الجرمانى: الجرمانية (١) القبائل	٤٦ جبل عجلون (١)
(٢) الفزو ٢٧٠ ؛	٢٠٢ ح جبل الققوعة (١)
٣ القبائل	١٠ ح جبل القفزة (١)
٣١٦ ح جرمانيكوس (١)	٣٣ جبل كاشيوس (١)
٢٨٣ جرمانيكس مكسيموس (١)	٢٤٥ ، ١٠ ، ٩ ، ٢٤٥ ؛ ١٠ ، ٩
٤٢٥ ، ٢٩٩ جرها (العقر) (١)	٣٣٩ (٢)
٢٩ جرمق - جبل (١)	٢٨٩ ، ١٣٧ ، ١٣٦ (١) جبلة (جبلة)
٢١٥ - ٢١٤ ، ٣٩ (١) جريزيم - جبل (١)	٢٢٨ ، ٢٠٣ ، ١٩٥ (٢)
١٠٩ جريز (٢)	٢٢٨ ، ٣٠٩
١١٩ ، ٧١ ، ٣٩ الجزائر (٢)	٤٥١ ، ٤٥٠ جبلة بن الايهم (١)
٩٩ ، ٨٩ ، ٨٤ ، ٢٨ - ٢٦ (١) جزر	٤٧ (٢)
١٢٩ ، ١٢٤ ، ١٩٤ ، ٢٠٧ ؛	٢٨١ ، ٢٧٩ ، ٢٥٩ (٢) جبير - ابن
٢٢٦ ، ٢١٧	٢٨٥
١٨٤ ح جزرك (١)	جبيل (١) ١٥ - ٣٥ ؛ تمثال مصري
٣٥٢ ، ٣٢٠ الجزويت (٢)	قديم بها ٥٦ ؛ ٦٤ ، ٧٤ ، ٧٧ ؛
٧٣ جزيرة طريف (٢)	هروب رب عدي منها ٨٠ ؛ ٨٨ ؛
٥٦ (١) جزيرة العرب (الجزيرة العربية)	٨٩ ، ٩٢ ، ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ؛
١٦٥ ، ١٤٨ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ٦٧	١٤٢ ، ١٤٥ - ١٤٧ ؛ ١٦٧ ؛
خروج الاراميين منها ١٧٤ ؛	١٨١ ، ممارستها الحكم الذاتي
١٨٠ ، ١٩٣ ، ٢٠٣ ؛ غارات	زمن الفنيقيين ٢٤٦ ؛ ٢٥٤ ؛
اسطول سليمان عليها ٢٠٦ ؛	٢٧١ ، ٢٨١ ، انتاجها للخمر
	٣٢٧ ، ٢٨٩
	(٢) ١٢ ، ٥٤ ، ١٩٥ ، ٢٣٢ ؛

صفحة	صفحة
٢٢٦ الجليل الاعلى (٢)	عربها ٢٤٥ : ٢٥٥
٢٢٦ الجمارة (١)	٢٦٤ ، ٢٨٤ : ٢٩٧ - ٢٩٩
٢٥٤ : ٢٥١ جمال باشا (٢)	٣٠٠ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ : مورد
٢١٠ جمال الدين التنوخي (٢)	المر والبخور ٣٣٠ : ٣٩١ ، ٤٢٢
٢٥١ : ٢٥٠ جمعية الاتحاد والترقي (٢)	٤٢٥ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٣٨
٢٠١ جمهورية افلاطون (٢)	٤٤٦ ، الوطن الاصلي للخميين
٢٥٧ جمهورية جنوى (٢)	٤٤٧ : ٤٥٢
٢٥٨ جمهورية زينون (١)	(٢)
٥٤ : ٤٤ الجمهورية اللبنانية (١)	٥ : ١٤ ، ٢٨ : ٥٨ . نقطة تحول
٢١٧ (٢)	في تاريخها ٥٩ : ٦٢ ، ٦٥
٢٣٠ : ٢٥٧ جمهوريات المدن الايطالية (٢)	٨٧ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، ٢١٠ ، ٢٥٤
٢٦٩ : ٢٦٨ جمهورية يهودية (١)	تصديرها للتوابل ٢٧٨ : ٣١٢
١١٠ جميل بن معمر العذري (٢)	٣٣٨ ، ٣٤١
١٠ حنا بتين (٢)	٢٩٨ جزيرة ابن عمرو (١)
٣٢٨ ، ٢٢٦ : ٢٤٠ ح جنبلاط - آل (٢)	٢٢ الجزيرة الفراتية (٢)
٢٤٤ جنبلاطية (٢)	٢٢ الجزيرة الذاتية (٢)
٢٢٠ جنبلاطيون (٢)	٣٦ جزين (١)
٢٢ : ٢١ جند الاردن (٢)	(٢) ٣٢٧ : ٣٣٢
٢١ جند حمص (٢)	جستارومانورم (٢) ٢٥١
٢١ جند دمشق (٢)	جسر بنات يعقوب (١) ٩٠ ، ١٩٤ ح
٢٢ جند فلسطين (٢)	جسيوس مريانس (١) ٢٨٠
١٧٦ : ١٧٤ جند يشابور (٢)	جشمو (١) ٢٤٤ ، ٤٣٠
٢٩٦ : ٢٦٨ ، ٢٤٣ جنكيز خان (٢)	جعفر باشا (٢) ٣٣٢
١٩٧ جني - ابن (٢)	جعفر الصادق (٢) ١١٤
٢٤٣ : ٢٣١ ، ١٣٠ : ٢٢٣ جنوى (٢)	جفنة (١) ٤٤٩ ، آل - ٤٥٠
٣١٩ حنيف (٢)	جفنة ابن عمرو مزيقياء (١) ٤٤٦
٢٥٠ جهوتي (١)	جلبوع - معركة (١) ٢٠٣
١٤٢ جويتر (١)	جلبون (١) ٢٠٣ ح انظر جلبوع
٣٠٢ : ٢٥٥ ، ١٠٢ : ٣٧٠ جويتر (١)	جلعاد (١) ١٣٨ ، ١٨٨ ، ٢١٣ ، ٣١٩
١٢١ جويتر (اله هليو بولس) (١) ١٨٧	٤١٦ جلق (١) ٤٤٩
٣٨٥ جويتر الدمشقي (١) ١٨٧ : ٣٤١	جليات (١) ٢٩ ، ١٩٨
٢٤٢ جويتر دوليكنوس (١) ٣٧٠	الجليل (١) ٣٩ ، ٢١٣ ، عمل
٣٧٧ جويتر كايبتولينس (١)	ارسطوبولس لها ٢٦٩ : ٢٧٠
	٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٢٩٤ ، ٣١٣
	ذكر خمرها في العهد الجديد
	٣٦٣ : ٣٢٧
	(٢) ٢٢ ، ٣٢٨

صفحة	صفحة
٤٢٢ ، ٤٢٠ ، ٤١٣ (١) الحارث الرابع	٣٤٥ جويترهيلو بوليتانس (١)
٤٢٥	٨٥ جودي (١)
٤١٩ الحارث الثالث (١)	جورانو (١) ٤٥ ح
٤١٩ الحارث الثاني (ايروتيروس) (١)	جورج ساند يز (٢) ٣٣١ ، ١٢٨
٢٦٨ حارم (٢)	جورجيس بن بختيشوع (٢) ١٧٥ ، ١٧٦
٢٦٨ حاسيديم (١)	٢٧٠ انجورجيون (٢)
٤٢ حاصبيا (١)	جوزيف فرنكو (٢) ٣٤٦ ح
١٩٤ حاصور (١)	جونسلين الثاني (٢) ٢٢٤
٢٢٨ حافظ باشا (٢)	انجوف (٢) ٧
٢٩٣ الحافظ الذهبي (٢)	جوفنال (١) ٣٥٤ ، ٣٣٣
الحافظ بن محمد (انفاطمي) (٢)	الجولان (١) ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٤
٢١٣ ح. ح	جوليا دومنة (١) ٣٦٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٠
٣٥ حاقل (١)	٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١
٣٣١ الحاقلاني (٢)	جوليا سوميس (١) ٣٨٠
انحالم بامرء (٢) ١٦٩ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٧	جوليا ماميا (١) ٣٨٠
نشوء ملة جديدة على يد	جوليا ميزا (١) ٤٣٥ ، ٣٨٠
٢١٧ ، ٢١٨ ، اضطهاد للنصارى	جوليان (٢) ٧٣
٢٢١ ، ٢٢٢	جونيه (١) ٣٥ ، ٣١
٣١٣ ، ٢٨ ، ١٥ حاميون (١)	٣٢٦ (٢)
١٢٢ ، ٩١ حابة (٢)	جوه (٢) ١٩٢
١٩١ ، ١٦٩ ، ٣٩ حبرون (١)	جوه قائد المعز (٢) ٢١١
١٨٣ الحبشة (١)	جيحون - نهر (١) ٢٦٠ ، ٢٦١
١٣٩ (٢)	٣٨ ، ٦٦ ، ٦٨ (٢)
الحبشية - اللغة (١) ٦٦ ، ٦٧ ، ٢٨٢	جيرازا (١) ٢٧٦
جيش بن الحسن (٢) ١٧٦	جيروم (١) ٣٨٩ ، ٣٩٨
حتو شلش (١) ١٦٨ ، ١٧٥ ، ٢٠٠	جيش بن خمارويه (٢) ١٨٨ ، ١٨٩
الحي - الحثية (١) زخارف ١٢٥ ؛	جيش الطواويس (٢) ٦٥
الدونة (الملكة) ١٥٠ ، ١٦٣ ،	جيان (٢) ١٥٦
١٦٧ ، ١٦٨ ، اللغة ١٦٩ ؛	
الانار : القوانين، الديانة، الاداب	
الوثائق ١٧٠ ؛ اميرات ١٤٧ ؛	
٩٦ سلاح	
الحثيون (١) ٢٨ ، ٥٥ ، ٦٤ ، ٧٥ -	
٧٧ ، ٧٩ - ٨١ ، ٨٣ ، بلادهم	حاجي البحري (٢) ٢٧٣ ح
٩٢ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ،	الحارث (١) ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٤٨
اصلهم وشكلهم ١٦٦ ؛ ١٦٨ ،	الحارث بن جبلة (١) ٤٤٧ ، ٤٤٩ ،
١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،	امه ٥١
٢٠٠ ، ٣٧٠	
٤٦ (٢)	١٢٥ (٢)

— الحاء —

صفحة	صفحة
الحر بن عبد الرحمن الثقفي (٢) ٧٨	الحجاز (١) ٤٦ : ٦٣ : ٢٣٩ ، ٤١٧ :
حرات (الحجاز) (١) ٤٦	٤١٨ : ٤٢٢ : ٥٢
حران (١) ٧٤ ، ٧٥ : ١٦٢ : احتلال	(٢) ٤ : ١٧ ، ٢١ : ٣٥ -
الاراميين لها ١٧٦ : ١٧٧ :	٣٧ - تحسين زراعتها زمن معاوية
١٨٩ : ١٩١ ، ٢٢٨ ، ٣١٠ :	٣٩ : ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ - ٧٧ :
٤٤٨	٨٧ : نشوء المذاهب الفقهية بها
(٢) ٩٩ ، ١١٣ : تقبل مروان	١٠٧ : ١١٠ ، ١٨١ ، ١٩١ :
حكومته اليها ١٥١ : ١٥٤ :	خضوعها للعزير الفاطمي ٢١٢ :
١٧١ : ١٧٤ ، هجرة اساتذة	٢٣١ ، ٢٣٧ - ٢٦١ : ٢٩٩ :
مدرسة الرها اليها ١٧٥ : ١٧٨ :	٣١٦
٢٦١	الحجاج بن يوسف (٢) ٥٩ ، ٦٠ :
خرفوش - ابن ، بنو (٢) ٣١١ : ٣٢٧ ،	مآثره الادارية ٦٢ : ٦٣ ، ٦٥ :
٣٣٢	تعيينه قتيبة على خراسان ٦٦ :
حرمون - جبل (١) ٣٦ : اعلى قم	٨٢ - ٨٦ : ٨٧ ، ١٠٢ : ١٠٣ ، ١٠٨ :
سورية ٤٤ : ١٠٦	١١٣ : ١٠٦
الحرم الشريف (٢) ١٢١	الحجر (١) ٤٢٨ ، ٤٢٢
الحروب اليهودية - كتاب (١) ٣٥٢ ،	الحجر الاسود (١) ٣٨١
٣٥٣	(٢) ١٤٤ ، ٥٧
حزائيل - ملك آرام (١) ١٥١ : ١٨٠ :	حجر مؤاب (١) ٢١٢
حزقيا - سفر (١) ٩٩ : ٢١٦ : ٢١٧ :	الحدث (٢) ٣٢٢
حزقيال (١) ١٠٧ ، ١٦٩ ، ٢١٩ ، ٢٣٦ :	الحدث - درب (٢) ٤٥
حسان بن ثابت (١) ٤٥١	حدد (الاله) (١) ٨٣ ، ١٢٧ ، اله حلب
الحسن بن احمد الاعصم (٢) ٢١١	١٦٦ : اله السوري ١٧٠ :
الحسن البصري (٢) ١٦٠ ، ١٠٨ ، ١١٥ :	٣٤٤ ، الراعد ١٨٥ - ١٨٨
الحسن بن الحسن (٢) ١٦٢ ح	(٢) ١٢٢
الحسن بن الصباح (٢) ٢٤٥	حدد رمان (١) ٣٤١
الحسن العسكري (٢) ٢٢٠	حدد - رمانو (اله) (١) ٣٧٠
الحسن بن علي (٢) ٢٩ ، ٣٦ ، ٤١ ،	حدد عزز (١) ١٧٨ - ١٧٩
١٥٨ ، ١٦١ ح ١٦٢ ح	حدد الملك - الادومي (١) ٢٠٧
الحسن علي - ابو (٢) ١٩١	الحديث (٢) ١٠٥ ، ١٠٦ : ١٠٧ ،
الحسن الناصر (٢) ٢٧١	١١٦ ، ١١٢
الحسن بن النعمان الفساني (٢) ٧١	حرب بن امية (٢) ٤٩ ، ٣٠ ح
حسين بن حمدان الخصيبي (٢) ٢٢٠	الحرب الروسية التركية (٢) ٣١٧
الحسين - شريف مكة (٢) ٣٤٢ ، ٣٥٣ :	حرب السنوات السبع (٢) ٤٨
حسين الشهابي (٢) ٣٤٠ ح	الحرب العالمية الاولى (١) ٦١ ، ٦٢ -
الحسين الشيعي (٢) ٢١٠	١٥٨
الحسين بن علي (٢) ٢٩ ، ٣٦ ، ٤٩ ح	(٢) ٣١٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤
مقتله ٥٥ - ٥٧ : ١٥٨ ح	الحرب العالمية الثانية (١) ٢٣٥
١٦٢ ح ٢٠٩	الحربة المقدسة (٢) ٤٧

صفحة	صفحة
٢٨٩ - ٢٧٧	٢٣٤ حسين بن فخر الدين (٢)
١٨٦ - ١٢٩ - ١١ (٢)	٢٧١ الحسين الناصر (٢)
٢٣٢ - ٢٠٩ - ٢٠٧ - ١٩٠	٦٤ الحشاشون (١)
٢٤٢ - ٢٦٨ - ٢٦٥ - ٢٧٢	الحشاشون (٢) ١٩٠ - موالاة رضوان
٢٧٤ - ٢٨٤ - ٢٩٤ - ٣٠٦	نهم ٢٠٦ - ٢٠٩ - ٢٢٥
٣٠٩	حصونهم وتعاليمهم ٢٤٥ -
٤٦ الحمداد (١)	٢٤٧ - ٢٥٢ - ٢٥٨
١٨٢ - ١٨١ (٢) الحماسة - ديوان (٢)	حصن الاكراد (٢) ٢٢٧ - ٢٤٤ - ٢٤٥
٩٥ حمدان - بنو (٢)	١٥٩ حصن شكيم (١)
١٩٣ حمدان بن حمدون (٢)	٢٣١ حصن الكرك (٢)
١٨٩ حمدان قرط (٢)	٥٩ - ٥٧ الحنين بن نمر (٢)
١٩٦ الحمدانية - السلالة (٢)	٢٤٠ - ٢٣٧ حطين (٢)
١٩٥ - ١٩٣ - ١٩٦ الحمدانيون (٢)	الحكم بن ابي العاص (٢) ٣٠ - ٤٩ ح
٢٢٠ - ٢١٧ حمزة بن علي (٢)	٢٩١ حكمة الاشراف (٢)
٢٦٠ - ١٥٥ - ٧٤ - ٤٣ - ٤٢ حمص (١)	٢١١ الحكومة الثلاثية (١)
٢٧٠ - ٢٧٢ - ٢٩٨ - ٣١٧	حلب (١) ٣٣ - ٤٣ - ٤٦ - ٥٠ - ٧٤
٣٢٢ مرقعها وحكامها زمن	٧٥ - ١٤٩ - ١٥١ - مركز عبادة
الرومان ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٦٠	حدود ومملكة بمخاض ١٦٦
٣٧٧ - ٣٨١ - ٣٨٩	١٦٨ - ١٧٠ - ١٨٣ - ٢٧٦
٤١٤ - ٤٣٥ - ٤٣٨ - سقوطها	٢٧٨ - ٣٨٩ - ٤١٣ - ٤١٥
بيد اورليان ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٤	(٢) ١١ - استسلامها للمسلمين
(٢) ٧ - ١١ - ١٢ - ١٤ - ٢٢	١٢ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ١٢٩
٢٥ - ٤٠ - ٩٤ - ٩٦ - ١٢٩	١٧٠ - ١٨٠ - ١٨٦ - ١٩٣ -
١٣٤ - ١٣٩ - ١٥٣ - ١٥٦	١٩٥ - ١٩٨ - ٢٠٣ - ٢٠٥ -
١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٩ - ١٨٢	٢٠٧ - ٢١٢ - ٢١٤ - ٢١٥ -
١٨٦ - ١٨٩ - استيلاء الحمدانيين	٢٢٠ - ٢٢٢ - ٢٢٦ - ٢٣٢ -
عليها ١٩٣ - ١٩٥ - ١٩٧	٢٢٤ - ٢٢٦ - ٢٦٥ - هجوم
١٩٩ - ٢٠٧ - ٢١٠ - ٢٣٢	المقول عليها ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٤
٢٤٢ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ح - هزيمة	٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٨٢ - ٢٨٤
المقول فيها ٢٧٠ - ٢٧٢ - ٢٧٦	٢٨٧ - ٢٨٩ - ٢٩١ - ٢٩٤
٢٨٤ - ٣٠٦ - ٣٠٩ - ٣٤١	اباحتها ثلاثة ايام لجنود المغول
الحملات الصليبية (٢) ٢٥٩ - نتائجها	٢٩٦ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣١١
٢٦٣	٣١٤ - ٣١٨ - ٣٢١ - ٣٢٤
٢٩٦ الحملات المغولية (٢)	٣٢٨ - ٣٣١ - تخلفها في القرن
٦٩ حملايا (٢)	الثامن عشر ٣٣٦ - ٣٤٣ - ٣٥٠
١١١ حماد الراوية (٢)	حلبا - انظر حلب
٢٢٩ - ٧٢ - قوانينه ٩٣ - ٢٢٩	حمادة (١) ٤٠ - ٧٦ - مركز مملكة
٤٠٨ - ٢٣٠ - ١٦٦	سفيرة ١٦٨ - ١٧٠ - ١٨٠
	١٨٤ - مملكة ٢٠٣ - ٢٧٦

صفحة	صفحة
١٦٢ : ٩٦ : ٣٢	حمير (٢)
٢٢٩	الحميمة (٢)
٢٩٣	حنبل - ابن (٢)
٢٢١	الحنش - ابن (٢)
	حنيفة - ابو (٢)
	حنين بن اسحاق (٢) ١٧٦ - ١٧٩
	حنين الملقني (٢) ١٢٢
	حوران (١) ٤٤ ، ٤٦ - ٥٢ ، ٥٣
	٣٢٣ : ٣١٩ ، ٣١٨ : ١٣٨ ، ٥٣
	انتاجها للخمور ٢٢٧ ؛ ٣٥٠ ، ٣٨٢ ؛ ٤٠٧ ، ٤١٩ ؛ ٤٢٤ ، ٤٢٧ ؛
	اكتشاف نص النمارة بها ٤٢٧ ؛ ٤٤٦ ، ٤٤٩ ، بقايا الاثار فيها ٤٥١ ؛
	حوران (٢) ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٨٠ ، ٢١٩ ، استيلاء نور الدين عليها ٢٣٥ ؛ ٣٣٥
	الحوري ، الحورية (١) اللغة ١٦٢ ؛ ١٦٣ ؛ العناصر ٨٥ ؛ السيوف ١٢٥ ؛ ١٦٤ ؛ ١٦٥ ، ١٦٤ ؛
	الحوريون (١) ٢٨ ، ٧٠ ، ١٢٨ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ملامحهم ١٦٦ ؛ ١٦٧ ، ١٧٥ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ؛
	حور محب (١) ١٤٦
	حورون (١) ١٤٦
	الحوليات السورية (١) ١٥٣
	حوارين (١) ٤٤٩
	الحويون - انظر الحوريين
	حوقل - ابن (١) ٦٢
	الحويطات (١) ٤٢٢
	حيدر آباد (٢) ٦٩
	حيدر الشهابي (٢) ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠
	الحيدرليون (٢) ٣٣٥
	حيرام (١) ٩١ ، ١٠٧ ، ١٣٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦
	حيران (١) ٤٣٧ ؛ ٤٣٦
	الحيرة (١) ٤٥١
	(٢) ٧ ، ٩٥ ، ١٢٢ ، ١٧٦
٢٩٨	خاثر بك (٢)
٩٣	خابشي - طبقة (١)
١٦٢ : ٧٠ : ٢٢	الخابور - نهر (١) ٢٢ ، ٧٠ ، ١٦٢ ؛ ١٧٦ ؛ ٢٤٣
١٥٧ : ١٣٦ ، ٨١ : ٨٠	الخابريو (١) ٨٠ ، ٨١ ، ١٣٦ ، ١٥٧ ؛ ١٧٢ ؛ ١٧٤ ، ٢٠٢
١٢٠	الخارجيون (٢)
٢٣٥ : ٣٢٧ ، ٣٢٦	خازن - آل (٢) ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٥ ؛ ٣٥٥
	خاطي (١) ١٧٢ ؛ ٢٣١ ؛ بلاد الحثيين ١٦٦
١٧٤	الخاطية (١)
١٦٨	الخاطيون الاناضوليون (١)
١٦٨	الخاطيون الهند الاوربيون (١)
٥	خالد بن الوليد (١)
	(٢) ٤ ، ٧ ، ١٠ ، عزله عن القيادة ١٤ ؛ ١٦ ؛ ٧١ ، ١١٤ ، دخله دمشق عنوة ١٣٢ ؛ ٤١٥ ؛ ٢٧٨
٣٨٩	خالكيس (١)
١٩٨ : ١٩٧	خالكيس اد بيلوم (١)
٢٨٨	خالويه - ابن (٢)
٦٦	خان الصايون (٢)
١٤٧	خانات آسيا الوسطى (٢)
١٩٠	الختمي (١)
	الخدوي (٢) ١٩٠
٦٨ : ٦٦ ، ٦٥ ، ٢٨	خراسان (٢) ٢٨ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ؛ ٨٥ ؛ ٨٧ ؛ ١٠٢ ، الدعوة العباسية وثورتها بها ١٥١ - ١٥٣ ؛ ١٦١
١٥٩ : ١٥٢ ، ١٥١	الخراسانيون (٢) ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٩ ؛ ١٦٥ ، ١٦٠
١٩٧	خربة الشاش (١)

صفحة	صفحة
البربر اليهم ٨٠ ؛ ٩٧ ، ١١٨ ، قيامهم بعصيان في العراق ١٥١ ؛ ١٥٣	١٢٤ ، ١٢٣ خربة المفجر (٢) ١٢٥ خربة النية (٢) ٢٠٢ خرداذبه - ابن (٢) ٢٧٦ الخريزورواس (١) ٣١٧ خريسفوروس كولبوس (٢) ٢٦٢ ، ٥٥ الخزر - بحر (١) ٦٩ (٢)
٢٤٢ ، ٢٠٥ ، ٦٨ ، ٦٦ (٢) خوارزم ١٧٩ الخوارزمي (٢) ٣٢٤ الخوخ الدمشقي - شجر (١) ١٦٤ خورو - كنعان (١) ١٣٧ خوفو (١) ١٦٧ خيطا (١) ٦٦ خيوا (٢) ١٦٠ خيان (١)	٤٢١ ، ٤٢٠ الخزنة (١) ٣ خسرو (٢) ٢٩٧ خشقدم (٢) ٢٩٦ ، ٢٩٥ ، ٥٣ خلدون - ابن (٢) ٤٨ خط الاستواء (١) ٢٩٥ الخطط - كتاب (٢) خطوشش (١) ١٦٦ وانظر خطاطي وبوغاز كوي
- الدال -	الخلفاء الراشدون (٢) ٢٨ ، ٢٧ خنفديونية - مجمع (١) ٤٤٠ ، ٤١٢ (٢) ٤٦ خلكان - ابن (٢) ١٠٥ ، ١٠٨ ، ٢٩٢ ٢٩٣
٦ داثن (٢) ٢٠١ داجون - اله الحبوب (١) ٢٩١ دار البريد (٢) ٢٩٢ دار الحديث النورية (٢) ١٥٩ دار السلام (٢) ٣٣١ ، ٣٢٣ دارفيو (٢) ٢٤٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٢ (١) داريوس ٢٥٣ - ٢٥٧ ، ٤٠١ ٢٤٠ داريوس الاول (١) ٢٥٦ ، ٢٥٣ داريوس الثالث (١) ١٨٣ داريوس الكبير (١) ٣٩٢ الداسية الثانية - الحملة (١) ٢٥٢ ، ٢٤٦ داعي الدعاة (٢) ٢١٦ داعي الدعاة الاسماعيلي (٢) ٢١٦ دانتني (٢) ٣٨٤ ، ٣٢٠ (١) الدانوب (الدانيوب) ٣٩٢	خليج اسكندرون (١) ٢٥ ، ٣٢ ، ٧٤ خليج العجم (٢) ٢٧٨ خليج العقبة (١) ١٠٧ ، ٤١ الخليج الفارسي (١) ٦٥ ، ٧٥ ؛ ١٠٧ ، ١٥٣ ، ١٨٢ ، قسم من الاسطول السلوقي يربط فيه ٢٩٣ ؛ ٢٩٨ ، ٢٩٩ ؛ ٣٢٣ ، ٤٢٥ (٢) ٣١٧ ، ١٨٩ خليج مار جرجس (١) ٣٤ (٢) ٢٢٧ ح خليفة بن ابي المحاسن (٢) ٢٨٣ الخليل - مدينة (١) ١٢٩ ، ١٥٩ ؛ ١٦٩ ، ٢٢٥ وانظر حبرون الخليل بن احمد (٢) ١٠٥ خمارويه (٢) ١٨٧ - ١٨٩ الخمسين - ربح (١) ٥٠ الخوابي الخوارج (٢) ٣٣ ، ٣٧ ، ٦٠ ، انضمام
داود (١) ٤٠ ، ١٧٨ ؛ احتلاله دمشق ١٧٩ ؛ ١٩٨ ؛ ٢٠٠ ، ٢٠٣ - ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، قصوره ٢٠٩ ؛	

صفحة

٢٤٦ ، ٢٥٤ ، ٢٧١ ، ٢٩٤ ،
٢٩٨ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ،
٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٤٠ ،
حالتها زمن الرومان ٢٤١ ؛
٢٥٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٨٩ ،
٢٩١ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٢ ،
٤٢٣ ، انتاجها للمنوجات
الحربية ٤٢٥ ؛ ٤٢٥
(٢) ٣ : ٤ ح ٩ : ٦ - ١٢ ،
٣١ - ٣٣ ، ٣٥ ، ٥٦ ، ٥٨ ،
في اوج عزها ٦٤ ؛ ٦٩ ؛ ٧١ ،
٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٨ -
٩٤ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ،
١١٦ ح ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣١ ،
١٣٢ ، ١٤٢ ، ١٥٤ - ١٥٦ ،
١٦٥ - ١٦٧ ، ١٨٦ ، ١٨٨ -
١٩٠ ، ١٩٢ ، فشل سيف
الدولة في فتحها ١٩٤ ؛ ٢٠٠ ،
٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، احتلال
جوهرا لها ٢١١ ؛ ٢١٢ ؛ ٢١٤ ،
٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ،
٢٣١ - ٢٣٥ ، ٢٤٢ ، انتاجها
الروائح العطرية ٢٥٤ ؛ ٢٥٦ ،
٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ،
٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ -
٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ،
٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،
٣١٥ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٧ -
٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ - ٣٣٨ ،
٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ،
دمشونس - انظر دمشق
دمياط (٢) ٢٤٢
دور (١) ١٩٦
دورا (١) ٤٤٥ ، ٣١٠
دورا اورييس (١) ٢٩٥ ، ٢٨١ ، ١٨٨ ، ٢٩٨ ،
٢٩٩ ، ٣٢٩ ، اقدم
كنيس فيها ٤٠٥ ؛ ٤٠٧ ؛ ٤٢٩ ؛
٤٣١ ، تبعيتها لتدمر ٤٣٦ ؛

صفحة

٢٢٢ ؛ ابتداءه بالموسيقى العبرانية
المقدسة ٢٢٣ ؛ ٢٣٢ ، ٤١٦ ،
داود باشا (٢) ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٥ ،
الداوودية - مدرسة (٢) ٣٤٥ ،
دبورة (١) ١٩٥ ،
الدجلة (١) ٦٥ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٧٥ ،
١٤٨ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ٢٥٦ ،
٢٦٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ،
٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٧ ، ٣١٩ ،
٤٣٥
(٢) ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٨٨ ، ٢٣٥ ،
٢٤١ ، ٢٦٤ ، ٣٠٥ ،
دجن - الاله (١) ٨٣
الدرنيل (٢) ٥٠
الدرزية (٢) ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ،
درعا (١) ١٨٨ ح ،
دمشق ، (دمشقا) (١) ١٧٦
الدروز (١) ٣٨ ، ٤٥ ، ٦٤ ، ١٣٠ ،
١٦٤
(٢) ١٢٠ ، منشاهم وحركتهم
٢١٧ - ٢٢١ ؛ ٢٢٥ ، ٢٥٩ ،
٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،
٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،
٣٥٥
دفنة (١) ١١٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ ، ٣٠٦ ،
٣٣٦ ، ٣٣٤ - ٣٣٧ ،
دقاق بن تتش (٢) ٢٠٦ ، ٢٠٨ ،
٢٢٦
دلنا النيل (١) ٦٤ ، ١١٠ ، ١٦٠ ،
٢٥٦ ، ٢٥٦
(٢) ٨٧
دمشق (١) ٤ ، ٢٨ ، ٤٢ ، ٤٤ ،
٤٥ ، معدل مطرها ٤٩ ؛ ٥٠ ،
٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٧٦ ،
١٣٨ ، ١٥٨ ، اول ذكر لها
١٦٦ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨١ ،
١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ٢٠٣ ،
٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٤٥ ،

صفحة	صفحة
٣٧٩ ديوجينس لاثريوس (١)	٤٤٢ وانظر الصالحية
٤٢٩ ، ٤٢٦ ديودورس (١)	دوروتي جارود (١) ١٠ ، ٩
٢٨٠ ديودورس - المشاء السوري (١)	دوريلايوم (اسكي شهر) (١) ٢٢٤
١١٤ ، ١١٢ ديودورس الصقلي (١)	دوسارس (ذوالشرى) (١) ٣٨٥
٣٨٢ ، ٣٧٩ ديو كاشيوس (١)	دول المدن الفينيقيه (١) ٣١٦
٣٣٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٣ ديو-كليتيان (١)	دولة المدينة اليونانية (١) ٣١٦
٤٤١ ، ٤٣٦ ، ٣٦٨ ، ٣٤١	دولن - اضرحة (١) ٢٩ ، ٢٨
٢٢٧ (٢)	دوليكه (١) ٣٧٠
٣٦٩ ، ٣٠٦ ، ١١٨ ديونيسيوس (١)	دومة الجندل (٢) ٧
٤٢٩	دوميتيان (١) ٣٦٥ ، ٣٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦٧
- النال -	الدومينيكان (٢) ٢٦٣
٢٦ ذات الصواري - معركة (٢)	دونان (١) ١٢١ ، ١٢٠ ، ١٨
٢٠ الذمة - أهل (٢)	دويهي (٢) ٢٥٨ ، ١٤١
٣٣٧ الذهب - ابو (٢)	ديانسرون (١) ٤٠٩
ذو الشرى (دوشارا) (دوسارس) (١)	ديار بكر (٢) ١٣٩
٣٨٥ ، ٤٢٨	الدياسبورا (اليهود القيعون) (١) ٢٤٤
٣٤ ذو الفقار (٢)	الدليل (٢) ٦٩
- الراء -	ديون (١) ٢١١
١٩١ رائق - ابن (٢)	دي دريه الصيلبي (٢) ٣٢٩
٤٢٤ رابيل الثاني (١)	دير ديوان (١) ١٩٤ ح
٤٠١٧٧ راجيل (امراة يعقوب) (١)	دير قزخيا (٢) ٣٢٣
١٩٣ ، ١٩٢	دير القلعة (١) ٣٨٤
٢٨٢ الرازي (٢)	دير القمر (٢) ٣٣٥
١٠٨ راس الرجاء الصالح (١)	ديسان - ابن (١) ٤١٠
٣١٧ (٢)	دي فونتونيل (١) ٣٥٦
٢٧١ راس الشقعة (١)	ديفيوس (١) ٣٦٨
٩٥ ، ٩٢ ، ١٨ ، ٩ راس الشمرة (١)	الديكابولس (المدن العشر) (١) ٢٧٦ ، ٤٢٢ ، ٣٥٠ ، ٣٠٩
٩٧ ، اقدم ذكر للارجوان في	ديكا ميرون (٢) ٢٥١
١٢١ ، ١١٩ ، ١٠١ نص فيه	ديك الجن (٢) ١٨٣ ، ١٨٢
١٢٣ ، ١٣٢ ، اكتشاف اختام	ديلوس (١) ٣٨٤ ، ٣٠١
حثة فيه ١٧٠ ؛	ديمو (١) ٢٨٦
١٥١ راس الكرمل (١)	ديميتريوس الاول - سوتر (١) ٢٦٤ ، ٢٩٦ ، ٢٧٣
٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٦ راشد الدين سنان (٢)	ديميتريوس الثالث (١) ٢٧٤ ح
١٥٩ ، ١٤٨ ، الخلفاء (٢)	ديميتريوس الثاني (نيكاتور) (١) ٢٦٩
٣٣٤ راشيا (٢)	٢٧٣ ، ٢٧٤
٤٠٨ ، ٤٠٧ الراعي الصالح (١)	ديو - المورخ (١) ٣٨٠ ، ٣٧٩ ، ٣٧٧

صفحة	صفحة
٢٤١ ، ١٧٦ ، ح ١٦٠ الرشيد (٢)	٣٥٠ رافانا (١)
٤٣٦ رصاية (رزق) (رصافة) (١)	الرافدين (١) ٢٧ ، ٧ ، بلاد ٢٢ ، ٣٠ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٧ ، بلاد ٧٤ ؛
٤٤٨ ، ٤٣٦ رصافة (١)	حضارة ١٠٥ ، ١٢٢ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٥ -
١٥٥ ، ١٢٧ (٢) وانظر رصاية	١٥٨ ، ١٦١ ، بلاد ١٦٢ ، ١٧٣ -
١٨١ ، ١٧٩ (١) رصين ملك دمشق	١٧٦ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٥٦ ، ٢٧١ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٤١٣ ،
٢١٣ ، ٢٠٧	وادي ٥٤
٢٠٧ ، ٢٠٦ (٢) رضوان بن قتش	رافع بن عمير الطائي (٢) ٩
٢٤٦ ، ٢٢٦	رافنا (١) ٣٩٢
١٥٥ رعميس (١)	رافيا (رفح) (١) ٢٩٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٥
١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٧٦ (١) رعميس الثالث	رافيا - معركة (١) ٢٩١ ، ٢٩٠
١٤٦ ، ١٤٤ (١) رعميس الثاني	رام - جبل (١) ٤٢٦
١٥٤ ، ١٦٠ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٩٣	رام الله (٢) ٢٠٥
٢٢٤ رفائيل (١)	رب عدي (١) ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠
٢٩٠ ، ٢٦٥ ، وانظر رافيا	ربة عمون (١) ٢٧٧
١٧٧ رفقة (امراة اسحق) (١)	ربلة (١) ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ١٥٥
١٢ ، ١١ الرقاد - نهر (٢)	رجل اوربا المريض (٢) ٣٤١ - ٣٤٢
٢٥٦ ح الرقة (١)	الرجل الكامل (٢) ١١٢
٢١٠ ، ١٧٩ ، ١٦٥ ، ١٦٤ (٢)	رجينالد الشاتيونى (٢) ٢٣٧ ، ٢٥٧
١٨٩ ، ١٨٨ ركاب ايل (١)	رجيعام (١) ٢٠٨ ، ٢١٥
٢٦ الرملة (١)	رحلات كوليفر - كتاب (١) ٣٥٦
١٠ ح ٢٢ ، سليمان بن عبد الملك يقيم بها ١٢٨ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢١٢ ، الطائيون يضرمون النار بها ٢١٤ ، ٢٢٨ ، ٢١٨	الردة - حروب (٢) ٥
٨٣ رمانو - الاله (١)	رسائل تل العمارة (١) ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥
٢٩٩ ، ٢٧٧ ، ٢٧٠ (١) الرهسا	رسالة الغفران - كتاب (٢) ٢١٦
٣ (٢) - معاوية يرمم إحدى كنائسها ٤٠ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٧٤ ، زينو يقفل مدرستها ١٧٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٦٠ ، ٢٢٢	الرسالة المسيحية - كتاب (٢) ٢١٨
٢٨٤ ، ٢٨٣ (١) الرواقية (١) المدرسة ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٣٧٢ ، ٣٦٤ ، ٢٨٠	رستم باشا (٢) ٢٤٦
٢٨٠ الرواقيون (١)	الرستن (١) ٢٧٦ ، ٣٨٩ ، وانظر اريتوسا
٣٩٢ روان (١)	الرسول (٢) ١٦٩
١٢٣ ، ٧٤ ، ٧٣ رودريك (٢)	رشف - الاله (١) ٨٣ ، ١٢٩ ، ١٣١
٣٠١ ، ٢٨٤ ، ١٠٤ رودس (١)	وانظر رشوف
	رشوف - آله (١) ١٨٨ ، ١٨٩ ، وانظر رشف

صفحة	صفحة
الروماني ، الرومانية (١) العصر ٢٢ ، ٤٢ ، ١٨٧ ، الحصون ٤٥ : الحضارة	٢٥٤ ، ٣٠٤ (٢) ٢٠٥ ، ٤٩ ، ٢٥
٣١٣ ، ٣١٨ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، العهد ، القنصل ، ٢٧٤ : البعثة	٣٣٧ (٢) الروس
٢٩٣ ، الامبراطورية ٣١٩ : العالم	٣٢٩ (١) روسيا
٣٢٩ ، القانون ٣٢٣ ، المستعمرات	(٢) ٢٦٨ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨
٣٣٩	الروستين في اخبار الدولتين — كتاب
(٢) الامبراطورية ٣ :	(٢) ٢٩٤
١٥٩ ، ٦٤	روكسانا (١) ٢٥٨
الرومانية الكاثوليكية — الكنيسة (٢)	٩٥ (٢) الرولى
٢٦٠	الروم (٢) ١٧ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٢ — ٥٤ ، العرب
رومة (١) ١١٦ ، ١١٣ ، ١٠٣ ، ٦٤ ، ١٨٨ ، ٢٥٦ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٣٠٩ — ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ ، النشاط	٢١١ — ٢١٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، تجارهم ينعمون بامتيازات
الفكري السوري فيها ٣٥٢ — ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، حرقها في عهد نيرون ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠ — ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٤١٦ ، ٤١٩ ، احتكاك الحارث	في سورية ومصر ٢٧٨ ؛ كنيسة ١١٧
معها ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ —	الروم الارثوذكس (٢) ١٤٣ ، ٢٥٣ ، ٣١٣ ، ٣٤٨
رومية (١) ٢٣٧ ح	الروم الكاثوليك (٢) ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣
الرومية — اللغة (٢) ٨٣	روما (٢) ١٨ ، ٨١ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ٣٢٣
ريكاردوس قلب الاسد (٢) ٢٣٩ ، ٢٤٠	الرومان (١) ٣ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٤٠ ، ١٨٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، انطيوخس يهزم امامهم
ريمند (٢) ٢٢٧ — ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٧	٢٦٦ ، ٢٧٣ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩ ، ٣٠٥ ، ٣١١ ، ٣١٣ — ٣١٥ ، ٣١٧ ، فضلهم ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٤ ، ٣٦٤ — ٣٧٠ ، ٣٨٧ ، ٣٩٨ ، ٤٢٠ ، استيلائهم على دمشق ٤٢٣ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤
ريمند لال — الكاهن (٢) ٢٦٣ ، ٢٩٢	(٢) ٧٨ ، ١٠٤ ، ٢٢٨ ، ٣٥٦
الرين (١) ١٠ ، ٣٢٠	
(٢) ٢٢٥	
الرينه (٢) ٢٥٨	
الري (٢) ٦٠	

صفحة

- ١١٩ زنجيبار (٢)
زنكي (عماد الدين) (٢) ٢٠٧ ، ٢٣٥ ، ٢٥١
٢٨١ الزنكيون (٢)
زنوبيا (ملكة تدمر) (١) ٢٥٨ - ٤٢٨ - ٤٤٤ ، ٤٤١
٢٦٧ (٢)
١٧٢ الزهرة (١)
زياد بن ابيه (٢) ٢٧ ، ٢٨ ، ٥٥ ، ١٠٨ ، ١٦٤
١٢٧ الزيتون (٢)
١٧٩ الزيج الصابئي (٢)
٤ زيد بن حارثة (٢)
١٧٥ زينو (٢)
٤٠٩ ، ٢٥٩ زينون (١)
٢٨٠ ، ٢٧٩ زينون الصيداي (١)
٢٧٩ زينون القبرصي (١)

السين -

- ١٣٨ : ٨٢ (١) ساحوراع - الفرعون (١)
٢٩٧ ساردس (١)
٧٠ ، ٥٠ (٢)
٤١٣ : ٢٨٢ (١) السالاة - السلالة (١)
٤٣٧
٢٩٩ الساسانيون (١)
٨٠ السافاز (١)
٢٨ ، ٢٢ ساكجي غوزي (١)
٦٦ سام بن نوح (١)
٤٣٥ ، ٣٤٠ سامسيجرامس (١)
السامرة (١) ٣٩ ، ١٥٣ ، يربعام الثاني
يصبح ملكا فيها ١٨٠ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٣٤ ، ٢٤٤ ، غابينيوس يعيد
بناءها ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٤٣٠
١٨١ ، ١٦٦ ، ١٢٨ سامرا (٢)
السامري ، السامرية (١) المعبد ٣٠٢ ، ٢٩٤ ، ٦٤

صفحة

- الزاي -

- ١٦٠ ، ١٥٧ ، ١٥٦ الزاب (٢)
١٥٤ الزاب الاعلى (٢)
٢٨١ زابيناس (١)
١٦١ زاغروس - جبال (١)
١٨٩ ، ١٨٤ زاهر - ملك حماة (١)
١١٦ زاما - معركة (١)
١٤٣ : ١٤١ : ١٣٨ زاهي - بلاد (١)
٤٣٨ الزباء (١)
٤٣٩ زباي (١)
٦٥ : ٤٤ الزبداني (١)
٤٤٠ ، ٤٣٩ ، ٤٣٨ زبدة (١)
٤٤٣ زبديبول بن مقيم (١)
٣١ : ٢٩ ح - زبير بن العوام (٢)
٦٠ الزبيرون (٢)
١٨٧ ، ١٦٥ زحلة (١)
٢٨٢ ، ٢٤٦ (١) زردشت (زرادشت)
٤٠١ (٢)
٩٩ الزردشيتة (١) ٢٣٦ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٢٩٠ (٢)
٢٤٥ ، ٢٤٤ زرو بابل (١)
١٢٧ ح - زريباب (٢)
٩ الزطية (١)
٧٩ ، ٧٧ زغرنا (١)
زفس (١) ١١٤ ، ٢١٥ ، انطيوخس
يشجع اعتبار يهوه مساويا افزس
٢٦٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٧٠ ، بعل يعتبر معادلا
له ٤٤٥ ؛
٢٦٧ زفس اوليمبوس (١)
١٥٠ ، ١٤٥ زكر بعل (١)
١٨٩ زكرويه - ابن (٢)
٤٠٠ زكريا الغزي (١)
٧٤ - ٧٢ زمري ليم (١)
٦٥ الزنبيل (٢)
١٨٤ ، ١٨١ ، ١٥٥ زنجولي (١)
١٨٦ وانظر شمال

صفحة	صفحة
٣١٢	السامريون (١) ٢١٥ ، ٢١٤ ، ٢٩
١٤٤	٢١٦ ، ٢٦٩ ، ٢٥٦
٢٠١ ، ٨٧ ، ٦٥	ساموس (جزيرة) (١) ١١٣ - ٢٨٣ ،
٢١٠	٢٨٦
٤٤٦	السامية (١) اللغة ١٧ ، ١٩ ، القزوة ٢٥
٥	٦٦ ، ٦٩ ، اللغات ١١٥ ، ١٨٢ ،
٢٤١ ، ٣٣٨	٢٢١ ، الديانات ١٢٥ ، الشعوب
٤٣	١٢٨ ، الجماعة ٨٥ ، ١٧٥ ، المناطق
١١٨	١٨٣ ، الغريبة ٧٢ ، الحضارة
٢٥٠	٢٨٣ ، العبادات ٣٠٠
٣٢٢	(٢) الحضارة ١٨ ، اللغات
٢١٤ ، ٧٠ ، ٦٦ ، ٦٥	٣٢٢
٢٥٤ ، ٢٣٤ ، ٢١٦	الساميون (١) ١٥ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٢٨ ،
٣٩ آل	٦٦ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٨١ ،
١٥٠	٨٢ ، ٨٤ ، ٨٧ ، اشكالهم ١٠١ ،
٢١٣ ، ١٦٨ ، ١٥٣	١٠٤ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٣٤ ،
٤٣٦	١٥٧ ، الامراء ١٦١ ، ١٦٥ ،
٤٣٦	١٦٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٢٣ ،
١٣ ، ٧ ، ٦	٢٢٨ ، ٢١٣
٢٥٧	سان باولو (١) ٥
٦٦ ح	سانخونياتن (البيروتني) (١) ١٢٢ ،
١١٦ ، ١١٣ ، ١١٠	١٢٣
٢٨٣	سايس (١) ١٤٨
٧٦	سبارطة (١) ١٠٢
١٤٠	سبستبوليس (٢) ٧٠
١٧٧ ، ١٧٤ ، ١٧٢	السيانيون (١) ١١٥
١٨٢ ، ١٨٠ ، ١٧٩	سبته (٢) ٧٣
١٣٩	سبتموس سفروس (١) ٣٢٤ ،
٣٢٠ ، ١٣٩	٣٢٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ،
١٨٤ ، ٦٣ ، ٤	٣٦٠ ، مولده واعتلاءه العرش
٤٤٤ ، ٤٠٩ ، ٤٠٨	٣٧٧ ، ٣٨٠ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ،
٣٧١	سبسطية (١) ٢٠٩ ، ٣١٢ ، ٣٤٩ ،
١٣٦ ، ١١٣ ، ٨٦	سبع يبار (٢) ٩ ح
١٤٠ ، ١٢٨	السبعينية - الترجمة (١) ٦٣
١٧٦ ، ١٧٤ ، ١٧٣	سترايو (١) ١١١ - ١١٣ ، ٢٨٠ ،
٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦	٢٨٣ ، ٣٠٧ ، سنة وفاته ٣٢٤ ،
١٤٤ ، ١٤٢ ، ١٣٧	٢٢٦ ، ٢٤١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٧ ،
٣٠٤ ، ١٤٥	٤٢٦ ، ٤٢٩ ، ٤٢٠

صفحة	صفحة
١٥٩ - ١٤٨	١٢١ ابن سريج (٢)
٢١٥ السلالة الثانية والعشرون (١)	١٩٥ - ١٩٦ سعد الدولة (٢)
١٢٧ السلالة الخامسة (١)	٥٥ سعد بن أبي وقاص (٢)
١٦٠ السلالة الخامسة عشرة (١)	١٤١ - ١٣٥ ح سعيد بن البطريق (٢)
١٢٧ السلالة السادسة (١)	١٩٦ سعيد الدولة (٢)
١٦٠ السلالة السادسة عشرة (١)	١٢١ سعيد بن مسجع (٢)
١٠٨ السلالة السادسة والعشرون (١)	٤١٧ - ١٩٢ - ٤٤ سمير (جبل) (١)
٢٩٧ السلالة الصفوية (٢)	٧٥ السفح (١)
١٤٥ - ١٠٧ السلالة العشرون (١)	٢٢٥ - ٩٢ سفر (قرية) (١)
٧٠ السلالات السومرية (١)	٢٨٢ سفر الجامعة (١)
٢٧١ سلامش بن بيبرس (٢)	٢٨٢ سفر دانيال (١)
٢٤٦ سلاميس - معركة (١)	٨٩ سفر يشوع (١)
٢٩٦ سلبوس - جبل (١)	١٦٠ - ١٥٩ - ١٥٨ ح انسفاج (٢)
٤٦ - ٤٣ السلسلة الشرقية (١)	وانظر العباس السفاح - ابو
٢٠٧ سلطان شاه (٢)	سفيان بن حرب - ابو (٢)
٢٢٩ السلفيوم - شجرة (١)	٣٠ - ٣٧ - ٤٩ ح ٥٥
١٢٢ - ٩١ سلامة (٢)	٨٩ - ٥٤ السنيانيون (٢)
١٨٩ سلم (الله) (١)	٤٠١ - ٤٠٠ - ٣٥٥ سفروس (١)
١٩٠ - ١٦٤ سلمية (٢)	٤١٢ سفروس بطريرك انطاكية (١)
٣٠٩ - ٢١٠ - ٢٠٩	٤٤٤ سقراط (١)
٢١٦ سلوام (١)	٢٢٤ السكستين (١)
٩١ سلوق (٢)	٥١ سكوتاري (٢)
٢٦٠ - ٢٥٩ سلوقس (١)	٢٥١ سكويرز (٢)
٢٣٦ - ٢٨٨ - ٢٨٥ - ٢٨٣	٢٦٢ ح سكتي - اصل (١)
٢٥٦ - ٢٦٢ سلوقس الاول (نيكتور) (١)	٢٧٧ ح السكيتيون (١)
٢٩٠ - ٢٨١ - ٢٦٤ - ٢٩١	٣٠٩ - ٢٧٧ (١) سكيثوبوليس
٢٦٤ - ٢٩١ سلوقس الثالث - كرونوس (١)	٢٤٩ - ٢٨٩ - ٤٠٧ وانظر بيسان
٢٦٤ - ٢٦٢ سلوقس الثاني - كالينيكوس (١)	٢٠٣ - ٢٠٦ السلاجقة (٢)
١٦٤ ح (٢)	٢١٢ - ٢١٤ - ٢٢٤ - ٢٢٦ - ٢٢٤
٢٦٤ سلوقس الرابع - فيلو باثر (١)	٢٤١ - ٢٨٤ - ٣٠٣
٢٧٤ ح سلوقس الخامس (١)	١٤٧ السلالة الاولى (١)
٢٧٤ ح سلوقس السادس - ايفانوس (١)	١٦٦ سلالة بابل الاولى (١)
٢٨٥ ح سلوقس الكلداني (١)	١٤٤ السلالة التاسعة عشرة (١)
٢٧٦ - ٢٦٤ - ٢٦١ سلوقية (١)	١٤٦ - ١٦٧
٢٨٣ - ٢٩٤ - ٣٠٦ - ٣٠٧	١٣٩ - ١٤٨ - ١٦١ - ١٦٧ السلالة الثامنة عشرة (١)
٤٤٠ - ٣٨٩ - ٣١٧ - ٣١٠ - ٣٠٩	١٣٨ السلالة الثانية عشرة (١)

صفحة

صفحة

٦٢ ح ٧٠ : حادثته مع موسى
بن نصير ٧٦؛ ٧٧، ٩٢، ٩١.٩
اقامته في الرملة ١٢٨؛ ١٤٨
سليمان (العثماني) (٢) ح ٣٠٤
سليمان ابو عز الدين (١) ح ٤٥
سليمان الاول القانوني (٢) ح ٣٠٥
السمح بن مالك الخولاني (٢) ٧٨،
٧٩
سمرقند (٢) ٦٦، ٦٨، ٦٩،
١٣٦، ٢٩٦
سمعان الطيوتة (٢) ١٨٠
سمعان العمودي (١) ٤٠٤، ٤١٢
سمعان ماتانياس (١) ٢٦٨، ٢٦٩
السمعاني-يوسف سماعيل (٢) ٣٢٢،
٢٢١
السمقانية (٢) ٣٣٤
سمار جيل (٢) ١٤٠
السماق (١) ٣٢٤
السموم (ريخ) (١) ٥٠
سميرا (١) ٨٨، ٨٩، ١٤١، ١٥٠
سميراميس (١) ٣٨٠
سميساط (١) ١٨٧، ٣٥٥،
٤٠١
سنان بن ثابت (٢) ٤٥
سنتيوس ساتورنينوس (١) ١٧٩
سنجيل (٢) ٣١٦
سنحاريب (١) ٦٥، اشارته الى
الاوزان التي صنعها ٩٥
٩٩، ١٠٦، ١٥٣، ٢١٦،
تقلبه على حزقيا ٢١٧؛ ٢٣٤،
٤٣٦
السند (١) ٢٦٠، ٢٧١، ٣٢٢
سنداي (جورج) (٢) ٣٣١
سند حنه (١) ح ٣٠٢
السنسكريتية - اللغة، الابجدية
(١) ١٨٣

السلوقي - السلوقية (١) الاسرة
٢٦٧ : السلطة : الملكة ٦١،
٢٧٠؛ ٢٧٥ : النظم : الدولة
٢٨٨، الملك ٢٨٩؛ الجيش ٢٩٠،
٢٩١، الاسطسول ٢٩٣،
الامبراطورية ٢٨٣؛ ٢٩٣،
٢٩٧، ٣٠٠ : السياسة ٢٩٧،
المدنية ٢٩٧، ٢٩٨؛ العرش
٣٠١، المستعمرات ٣١٧
السلوقيون (١) ٢٥٣، ٢٦٠،
٢٧١، اخر ملوكهم ٢٧٣؛ ٢٧٦،
٢٨٠، ٢٨١، ٢٩٠، استعمالهم
اثقلية في الحرب ٢٩٥،
٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٠ - ٣٠٢،
٣٠٤، ٣٢٤ - ٣٢٩، ٣٤٣،
تحالف المكابيين والفساسنة
ضدهم ٤١٩؛ ٤٢٥
سليح - بنو (٢) ح ٦
سليم (١) ٤٤٦
سليم الاول (٢) ٢٩٢،
٢٩٧ - ٢٩٩، ٣٠٥، ٣٠٦
سليم الثالث (٢) ح ٣٠٦، ٣١٤
سليم الثاني (٢) ح ٣٠٥
سليم (السلطان) (٢) ٣٠٩-٣١١،
٣١٤، ٣١٥، ٣٢٥
سليم شاه (الاول) (٢) ٢٩٩
سليمان (ابن عم الب لوسلان) (٢) ٢٠٥
سليمان الاول (٢) ح ٣٠٥
سليمان الثاني (٢) ح ٣٠٦
سليمان بن داود (١) ٩١، ١٠٧،
١٦٩، ١٧٣، ١٧٩، ٢٠٥ -
٢٠٩، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٧،
٣٤٦، ٤٣٢، ٤٣٣
(٢) ١٣١، ٥٠
سليمان السلطان (٢) ٣١١، ٣١٣،
٣١٨، ٣٣١
سليمان بن عبد الملك (٢) ٤٩-٥١،

صفحة

٣٣ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٠ ، احسن
اراضيها ٤٢ ، الزلازل فيها ٤٢ ،
٤٣ ، اكبر سهل فيها ٤٥ ، ٤٦ ،
٤٧ ، اقليمها ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ،
٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ،
٥٧ ، اصل اسمها ٦٢ ، ٦٣ ،
سورية (ولاية) ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ،
٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، اصل تسميتها
٧٩ ح ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ،
٨٥ ، ٩٣ ، صناعتها ٩٤ ، ٩٥ ،
١١٤ ، تنتج البلسم والمر ١١٥ ،
١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٣٠ ،
١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،
١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
مصدر الرصاص ١٤٨ ، الادب
اليهودي المسيحي فيها ١٤٩ ،
١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،
الحصان يدخل اليها ١٥٨ ،
١٥٩ ، توحيدها مع مصر ١٦٠ ،
١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ،
١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، الاموريون
فيها ٧٠ ، ١٠٧ ،
١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ،
١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ،
١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ،
٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ،
٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ،
٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٤ ،
٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ،
٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ،
٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ،
٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣١٠ ،
٣١١ ، ولاية ٣٠٩ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ،
هدف الرومان فيها ٣١٨ ، ٣٢٢ ،
(٢) هرقل يسترجعها ٦٢ ،
٧ ، ١٢ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٢ ،
يحكمها معاوية ٢٣ ، ٢٥ ، ٢١ ،
٣٢ ، ٤٠ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٧٠ ،

صفحة

سنفرو (فرعون) (١) ١٣٧
السنة (٢) ١١٩ ، ١٦٦ ،
٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٩ ، ٢٤٠ ،
٢٨٤ ، ٢٥٩
سنهلدين (١) ٣١٠
سنوحي (١) ١٣٨ ، ١٣٩
سنوسرت (١) ١٣٨ ، ١٣٩
سنير (جبل) (١) ٤٣ ح
سهر (١) ١٨٩
سوى (٢) ٩
سوبارتو - سوباريون (١) ١٦٢
سوري - بلاد (١) ٧٩
السوري - السورية (١) الساحل
٩٥ ؛ البحر ١٤٥ ؛ التأثير ١٤٦ ؛
التجارة ٣٠١ ؛ الحضارة ٦٥ ،
٣٧٣ ؛ الخمور ٣٢٧ ؛ الدول
١٣٦ ؛ الساحل ١١٤ ؛ الممر
٧٥ ؛
(٢) الاسطول ٢٥
سورية (١) ٣٢٢ ، الكبرى ٣٢٣ ؛
٣٢٤ ، ٣٢٥ ، مصدر البضائع
الكتانية ٣٢٦ ؛ ٣٢٧ - ٣٣١ ،
٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ،
٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،
٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٩ ،
٣٨٦ ، تصبح مسيحية ٣٨٨ ؛
الثانية ٣٨٩ ؛ ٣٩١ ، ٤٠٣ ،
٤٠٧ ، ٤١٣ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ،
٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ ،
٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣ -
٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ ،
مكانتها في التاريخ ٣ ،
٤ ، موقعها الاستراتيجي ٥ ،
مكان تدجين القمح ٦ ، ٧ ، ١٢ ،
موطن الحيوانات النبيلة ١٧ ،
١٩ ، ٢١ ، اقدم الخزف فيها
٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ،
٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ،

صفحة	صفحة
سورية الرومانية (١) ٣٣٢ - ٣٣٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٢	٧١ ، ٧٦ ، امبراطورية ٧٧ ؛ ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٥ - ٩٨ ؛ ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١١٤ - ١١٧ ؛ ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٧ ؛ ١٢٨ ، اول مسجد بني فيها ١٢٩ ؛ ١٢٣ - ١٢٩ ، ١٤٣ ؛ ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ؛ ثغورها ١٦٢ ؛ ١٦٤ - ١٦٦ ؛ ١٧٠ - ١٧٢ ، ١٨٣ - ١٨٧ ؛ ١٨٩ ، ١٩١ - ١٩٥ ، ١٩٨ ؛ ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ؛ ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ؛ ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ؛ ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، دولة لاتينية ثالثة ٢٢٩ ؛ توحيدها مع مصر ٢٣٦ ؛ ٢٣٩ ، ٢٤١ ، بين ابني صلاح الدين ٢٤٢ ؛ ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ؛ ٢٥٣ ، الحملات الصليبية عليها ٢٥٩ ؛ ٢٦٠ - ٢٦٣ ، ٢٦٧ - ٢٧٠ ، الادارة فيها ٢٧٤ ؛ ٢٧٦ - ٢٧٨ ، الوحوش فيها ٢٨٠ ؛ في ازهى عصورها ٢٨١ ؛ ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ؛ ٣٠٥ ، دوائرها الادارية ٣٠٦ ؛ ٣٠٧ ، ٣١٦ ، حياتها الاقتصادية ٣١٧ ؛ ٣١٨ - ٣٢٠ ، ٣٢٦ ؛ ٣٢٧ ، ٣٢٩ - ٣٣٧ ، ٣٣٠ ، الحاقها بمصر ٣٤١ ؛ ٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ - ٣٥٦
سورية الوسطى (١) ٧٥ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٦٨ ، ١٧٥	سورية الاولى (١) ٣٨٩
(٢) ١٩٣ ، ٢٢١	سورية البيزنطية (١) ٣٩٩
السوريون (١) اخلاقهم ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٦٣ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، يسبقون اليونان في التمثيل المسرحي ١٢٤ ، ١٢٥ ، الفلاحون ١٣١ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ؛ ١٥٦ ، ١٥٧ ، الملوك ١٦٠ ؛ ١٧٢ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ٢٢٣ ؛ الهتهم ٢٦٧ ؛ ٢٧٣ - ٢٨٢ ، اليونان ٢٨٤ ؛ ٣٠٤ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ؛ ٣٥٦ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤ ، ٣٨٣ ، التجار ٣٨٤ ؛ ٣٨٩ ، ٣٩١ - ٣٩٣ ، ٤٠٨ - ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤٢٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٧ ، ٤٥١	سورية الجنوبية (١) ٨٩ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٤٥ ، ١٦٨ ، ٢٩٤ - ٣٠٠ ؛ ٣٠٢ ، ٣٢٩ ، ٣٦٨ ، ٤٢٢ (٢) ٥
(٣) ١٤ ، ٢٤ ، ٤٠ ، ٧٤ ، ٨٩ ، ١٠٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ؛ ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ؛ ٢٦٩ ، ٢٧٨ ، ٢٩٨ ، ٣١١ ؛ ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣	سورية الداخلية (١) ١٧٧
سوزا (١) ٢٥٨ ، ٢٥٦ ، ٢٤٠	
سوزانا (١) ١٢٤	
سوزو مينوس (١) ٣٩٨	
السوسن (١) ١٤٧	
سومر (١) ١٤٨ ، ٣٠	

صفحة	صفحة
- الشين -	السومري - السومرية (١) الحضارة ٦٤ ؛ ٧١ العناصر ٨٥ ؛ ٩٧ ٠ اللغة ١٢٩ ، كلمات ١٤٩
٤٣٧ ، ٣٣٩ (١) شابور الاول	السومريون (١) ١٤٩ ، ٦٧ ، ٢٥
٧٩ شارل مارتل (٢)	السويس (برزخ) (١) ١٠٧ ، ٣٢
١٨ شارلمان (٢)	سويسرا (١) ٣٥ ح .
١٦١ ، ١٥٩ (١) شاروحن - معقل	السياسة المدنية - كتاب (٢) ٢٠١
٤٠٨ شاروكين (١)	سيان فو (٢) ١٣٦ ، ١٣٨
٦٩ الشاش (٢)	سيبيل - الهة (١) ١٧٢
٦٣ الشام (١)	سيت - الاله المصري (١) ١٦٠
١٧٢ ، ٥٩ - ٥٧ ، ٤٨ ، ٧ (٢)	سيجر (٢) ١١ ح .
١٩٨ ، ١٨٣	سيحون (١) ٢٥٧ ، ٨١
الشامانية (٢) ٢٦٩	سيحون (٢) ٦٨ ، ٦٦
شامة - ابو (٢) ٢٩٤	سيحون ملك الاموريين (١) ١٩٤
شاه الصفوية (٢) ٢٩٧	سيديتس (١) ٢٧٤ ح .
شاول (١) ١٧٨ ، ١٤٦ ، ٩٣ ، وفاته	سيدي عتبة (٢) ٣٩
١٩٨ ؛ ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٢٢	سيروس (١) ٢٧٦
شبه جزيرة العرب - انظر جزيرة العرب	سيزيكس - (ارواد) (٢) ٤٨
شجر اللر (٢) ٢٧١ ، ٢٦٦	سيس (٢) ١٢٥
شذونة (٢) ١٥٦	سيح - بلدة (١) ٣٨٥
شرح تشريح القانون - كتاب (٢) ٢٨٣	سيف بن اخشيد (٢) ١٩١
شرح جيل بن حسنة (٢) ١٢ ، ٦	سيف الدولة (٢) ١٩١ - ٢٠٠ ، ٢١٥
الشرق - بلاد (١) ١٣١	سيفا - بنو - آل (٢) ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢
الشرق الادنى (١) ١٧ ، ١٦ ، ١٠ ، ٥	سيلان (٢) ١٣٦ ، ١٠٣
٢٤ ، قمحه ٢٧ ؛ ٣٠ ، ٣٥	سيليس (١) ٤٢٠
٥٢ ، ٦٥ ، ١٥٦ ؛ ١٦١ ، ٣٠٤	سيلي (جزر) (١) ١١١
٣١٩ ، مناجمه ٣٢٧ ؛ ٣٢٨	سيمون باركوخبا (١) ٣٧٧
٣٦٥ ، ١٧٠ ، ٤١٩ ، ٤٣٣	سيمون الساحر (١) ٣٧٠
١٥٩ ، ١٠١ ، ١٨ (٢)	سيميرا (١) ٧٩ ، ٧٧
٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٧	سين (اله) (١) ١٨٩ انظر شغللا
٣١٢ ، اتساع النفوذ الفرنسي	سيناء (١) ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٦٢ ، ٦٤
فيه في القرن السادس عشر	٦٩ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٩٣
٣١٨ ؛ ٣١٩ ، ٣٤٨ ، ٣٥٦	(٢) ١٧١
الشرق الاقصى (١) ٢٩٩	سينا - ابن (٢) ٢٠١
٣٤٨ ، ١٣٦ (٢)	السينائية - الحروف (١) ١١٩
شرقي الاردن (١) ٧ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٤٠	السينائية - الكتابة (١) ١١٨
٤٤ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٦	السينودس الماروني (٢) ٣٢٣
الاموريون فيه ٨١ ؛ ١٨٠	سيده جيل (١) ١٣٧

صفحة		
٣٢٢ ، ٢٧٩	شملان (٢)	٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٩ ،
٩٥	شمر (٢)	اقامة مستعمرات رومانية فيه
١٨٩	شنغالا (١)	٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٤١٦ ، ٤٢٢ ،
١٠٦	شهاب الزهري - ابن (٢)	٤٣٥
٢٩٠ ،	شهاب الدين السهروردي (٢)	(٢) ح ٤ ، ٩ ، ١١ ، ١٢٢ ،
٢٩١		٢١٧ : سرب الجراكسة اليه
٣٣٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٢ (٢)	الشهابيون (٢)	٣١٦ ، ٣٥٤
٣٤٠ ح		الشرقية - الكنيسة (٢) ١٣٦
١٥٩	شهرزاد (٢)	الشرقية - نهر (١) ح ٤٢
٢٣٨	الشوبك (٢)	شريف بن سعيد الدولة (٢) ١٩٦
١٦٣ ، ٧٩ (١)	شوبيلولوما الحثي (١)	«الشعر» كتاب لارسطو (٢) ١٧٧
١٦٧ ، ١٧٢		الشعبوية (٢) ١٨٣
٣١٠ ، ٢٧٨ ، ٢١٩ (٢)	الشوف (٢)	شقائيق النعمان (١) ح ١٢٦
٣٢٦		الشقيف - قلعة (١) ٤١
١٤٧	شوكة اليهود (١)	شقيف ارنون (٢) ٢٤٤ ، ٢٣٨
٤٩	الشوير (١)	شقيف تيرون (٢) ٣٢٧
٣٢٤	(٢)	شكري غانم (٢) ٣٥٣
١٩٠ (٢)	شيبان بن احمد بن طولون (٢)	شكبير (٢) ٣١٩
١٨٩ (٢) ح	شيبان بن محمد بن طولون (٢)	شكا (١) ح ٧٧
٢٥٢ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ (٢)	شيخ الجبل (٢)	شكيم (١) ١٧٣ ، ٨٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،
٢٤٠ ح	شيراز (١)	٢١٥ ، ٢٧٨ ، ٣٠٢
٢٦٦ ح	شيركوه (٢)	شلال النيل الاول (٢) ٣٠٥
٢٨٩ ، ٢٧٧	شيرز (١)	شلانصر (١) ٢٥٤ ، ١٥١
٢٥٨ ، ٢٢٥ ، ١١ (٢)		شلانصر الاول (١) ١٦٣
١٢٦ ، ٣٨ (١)	الشيعة (١)	شلانصر الثالث (١) ١٧٩ ، ١٨٠ ،
٥٥ ، ٤٢ ، ٣٧ ، ٣٤ (٢)!		٢١١
٥٦ ، ٦٠ ، ٩٧ ، ١١٤ ،		شلانصر الخامس (١) ١٥٣ ، ١٥١ ،
الفرق بينهم وبين السنة ١١٩ ؛		٢١٣
١٢٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٩ ،		شمال (زنجري) (١) ١٥٥ ، ١٨١ ،
١٦١ ، ١٦٢ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ،		١٨٤ ، ١٨٥ ، ٤٠٨ ، وانظر
١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٨ -		زنجري
٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٩ ،		(٢) ١٨٤
٢٦٠ ، ٢٩٧ ، ٣٢٦ ، تأييدهم		شمال افريقية (١) ٣١٣
٣٣٦ ، ٣٣٩	ظاهر العمر	شمس الدين الدمشقي (٢) ٢٩٤
٤٤٦	شيع القوم (١)	شمس (اله) (١) ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٢٩ ،
٧٦	شيفاتا (١)	٤٤٥
٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٠ (١)	شيرشون (١)	الشمشقيق - ابن (٢) ١٩٥
٢١٥	شيشنق (١)	شمشون (١) ١٩٥
٣٠	شيكاغو - جامعة (١)	

صفحة	صفحة
٢٩٣ - لصعدي - خليل بن ابيك (٢)	٢٣١ الشبول (١)
١٥ - صفرونيوس - البطريك (٢)	
٢٩٧ - الصفويون (٢)	- الصاد -
١١٨ : ٣٢ - صفين (٢)	
١١٣ : ١١٠ ، ١٠٥ (١) - صقلية	١٧٧ ، ٩٩ ، ٩٨ (٢) الصابئة
١٢٧ : ٢٨٤ ، ٢٨٤ ، ٤٤٩	صارونة (١) سهل ؛ ٣٩ ، ٢١٣
٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ٢١١ ، ٤٨ (٢)	الصالح اسماعيل (٢) ٢٦٤ ح
٢٥٤ : ٢٣٩	الصالح حاجي (٢) ٢٧٣ ، ٢٧١
١٩٧ - صقلى (١)	صالح - السلطان (٢) ٢٦١
١٨٢ - الصلاة الربانية (١)	صالح بن علي (٢) ١٦٧
١٤٥ (٢)	صالح بن مرداس (٢) ٢١٥ ، ٢١٤
٢٤٦ ، ٥ (١) - صلاح الدين الايوبي (١)	الصالح ناصر الدين محمد (٢) ٢٧١ ، ٢٧٣ ح
٤٢٥	الصالح نجم الدين (٢) ٢٦٤ ح ، ٢٦٦
٢٤٢ - ٢٣٤ (٢)	٢٦٨
الخشاشون يحاولون اغتياله	صالح ابن يحيى (٢) ٢٦٠
٢٤٦ ؛ ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ،	الصالحية (١) ٢٩٩ ، ٢٩٨
٢٦٤ - ٢٦٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ،	(٢) ٢٧٢
٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ،	سان الحجر (١) ١٦٠ ح
٣٤٨	صحراء الحماد (١) ٤٦
٢٠٨ - صلاح الدين زنكي (٢)	الصحراء السورية (١) ٣٨٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٨
٢٨١ - الصلاحيون (٢)	الصحراء الشرقية (١) ٨٢
٤٢٦ - صلخد (صرخد) (١)	الصحراء العربية (١) ٣٥ ، ٣٢
٢٣٥ (٢)	الصحراء الكبرى (١) ٣٢٠ ، ٤٨
١٤٤ ، ٣ - الصليب (٢)	الصحراء النبطية (١) ٤٣٠
الصليبي - الجيش (٢) ٢٢٦ ، العصر	صدقيا (١) ٢٢٠ ، ٢١٩
١٤٢	الصدوقيون (١) ٣٧٥
الصليبية - الحروب (١) ٦٢ ، ٥	الصعيد (٢) ٨٧
٩١ ؛ القلاع ٣٣ ، ٤٣	الصفد (٢) ٦٦
الصليبية - الحروب ، الحملات (٢)	الصفاء (١) ٤٤٨ ، ٣٣١ ، ٤٥٠
٢٤٢ ، ٢٢٩ ، ٢٢٥ ، ٢٠٥ ، ٥	صفة العمور - كتاب (١) ٣٥ ح
الاولى ٢٢٤ ، ٢٤٢ ؛ الثانية	صفة المغرب للادريسي (١) ١١١ ح
٢٣٤ ؛ السادسة ٢٤٣	صفد (١) ٤٣ ، ٣٩
الصليبيون (١) ٤ ، ٣٥ ، ٥٧ ، ٦٤ ،	(٢) ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، بيبرس
٤٢٥	يدخلها ويبيد حاميتها ٢٤٤ ؛
١٧٠ ، ١٣١ ، ٤٧ (٢)	٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٩٣ ، ٣٠٦ ،
٢٠٣ ، ١٩٤ ، ١٨٧ ، ١٧١	٣٣٦ ، ٣٣٢ ، ٣٢٨ ، ٣٠٧
٢٠٦ - ٢١٩ ، ٢٠٨ - ٢٢٤	
٢٣٠ - ٢٣٦ ؛ زنكي يزعرع	

صفحة	صفحة
١٦٠ ح	ملكهم ٢٢٤ ؛ ٢٢٨ ؛ ٢٤٢ ،
٢٠٠ صوعن (١)	٢٤٣ ؛ ٢٤٦ ، تأثيرهم في
صيدا (١) ٩ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٣ ، ٦٤ ،	القرب ٢٥٠ ؛ ٢٥٣ - ٢٥٥ ،
٨٠ ، ٨٨ - ٩٢ ، ١٠١ ، ١٠٤ ،	٢٥٧ ؛ ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
١٠٦ ، ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٣٥ ،	٢٦٣ ؛ ٢٦٨ ، انتصار بيرس
١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ٢٠٢ ،	عليهم ٢٦٩ ؛ ٢٧٢ ، ٢٧٩ ،
٢٠٧ ؛ ٢٠٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٦ -	٢٢٨
٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ؛ ٢٧١ ،	صموئيل (١) ٥٤ ، ٢٠٢
٢٧٩ ، ٢٩٤ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ،	صنلاط (١) ٢٤٤
٣٢٦ - ٣٢٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ،	صهيون (١) ٢٤٣ ، ٢١٤
اثنان من ابنائها يذكرهم	(٢) ١٩٥ ، ٢٠٨ ، ٢٢٨
سترايو ٣٥٧ ؛ ٣٨٩ ، ٤٠٢ ،	الصهيونية - الحركة (٢) ٣٥٤ ، ٣٥٥
٤٢٥	صوايا (٢) ٢٥٨
(٢) ١٢ ، ٥٤ ، ١٦٥ ، ٢٢٥ ،	صوبة (١) ١٧٧ ، ١٧٨
٢٣ ، ٢٤٣ ، سقوطها بيد	صور (١) ٩ ، ٣٣ ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٦٤ ،
الاشرف ٢٤٩ ؛ ٢٥٣ ، ٢٧٩ ،	٨٠ ، ٨٨ - ٩٢ ، ٩٩ ، ١٠٢ ،
٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٨ ،	١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ،
٣١٩ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ - ٣٣٢ ،	١١٢ ، ١١٦ ، ١٢٨ ، ١٥١ ،
٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤٤	١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٨١ ،
صيدا (١) على الخليج الفارسي ١٠٧	٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ،
٣٠١ الصيداويون (١)	٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ،
٧٠ سيدون (١)	ممارستها الحكم الذاتي في
٩٦ السيدونبون (١)	فينيقية ٢٤٦ ؛ ٢٤٧ ، ٢٥٤ ،
الصين (١) ٤ ، ٦ ، قمحها ٢٧ ؛ ٦٥ ،	٢٥٥ ؛ ٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ،
١٨٣ ، مورد الحرير ٣٣٠ ؛	٢٨٧ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٣١١ ،
٣٧٠ ، ٣٩١ ، ٤١٢ ، ٤٢٥ ،	٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٣ ، ٣٤٢ ،
٤٣٤	٣٥٤ ، محافظتها على شهرتها
(٢) ٦٤ ، ٨١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،	في الفلسفة زمن الرومان ٣٥٧ ؛
٢٧٨ ، ٣٠٣	٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ،
الصينية (٢) اللغة ١٣٦ ؛ الامبراطورية	مركز فينيقية الاولى ٣٨٩ ؛
٢٧٠	٣٩١ ، ٤٢٥
الصينيون (٢) ٢٥٦	(٢) ١٢ ، ٢٤ ، ١٠٣ ، ٢٠٢ ،
- الضاد -	٢٠٨ ، احد ابنائها يثور زمن
الضجاعم (١) ٤٤٦	الفاطمين ٢١٣ ؛ ٢٣١ ، ٢٣٨ ،
الضحك بن قيس (٢) ٥٨	٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ،
الضحك بن مزاحم (٢) ١١٢	مزارع قصب السكر فيها ٢٥٥ ؛
	٢٥٩ ، ٢٧٨
	صور (١) على الخليج الفارسي ١٠٧

صفحة	صفحة
١٠٢	طروادة (٢)
٧٣	طريف (٢)
٣١٩	طريق ماريش (١)
٤٢٣ ، ٣١٩	طريق الملك (١)
٤١٤ ، ٣١٠	طسيفون (المدائن) (١)
٢٣٤ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨	طفكتين (٢)
١٩٠	طفج (٢)
٢٢٦ ، ٢٠٤	طغرل بك (٢)
٣١ ، ح ٢٩	طلحة بن عبيد الله (٢)
٣٥١	طلعت باشا (٢)
٧٧ ، ٧٤	طليطلة (٢)
٧١	طنجة (٢)
٣٢٢	طنوس الشدياق (٢)
٦٦	طوران (٢)
٢٦٦ ، ٢٦٤ ، ٢٣٦	طوران شاه (٢)
٧٥ ، ٦٢ ، ٢٢ (١)	طورس - جبال (١)
١٠٤ ، ١٥٠ ، ١٦٦ ، ١٦٧	
٢٢٥	٢٦٦ ، ٣٠٥ ، ٣٢٢ (٢)
١٢٥	الطوبة (٢)
٤٤ ، ١٢ (٢)	طورس (طوروس) (٢)
٢٤١ ، ٢٢٥ ، ٥٣ ، ٤٦	
١٨٥	الطولونية - الدولة (٢)
١٩٦ ، ١٩٣ (٢)	الطولونية - السلالة (٢)
١٩٠	الطولونيون (٢)
٢٩٩	طومان باي (٢)
٧٠	الطوارة (٢)
١٤٢ ، ١٠١ ، ١٠٠	طيبة (١)
٤٠١ ، ١٩٣	
٢٣٥ ، ٢١٤ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ٩ (٢)	طي (٢)
٣٢٤ ، ٣١٦ ، ٢٦٥ (١)	طبيروس (١)
٤٣٥ ، ٣٦٣ ، ٣٤١	
٤٤٩	طبيروس الثاني (١)
٣١٣	طبيروس قيصر (١)
١٧٧	طيعاوس «كتاب» (٢)
- الظاء -	
الظافر بن الحافظ (الفاطمي) (٢)	٢١٣ ح
- الظاء -	
الطائف (٢) ١٧ ، ٢٦ ، ٣٧ ، ٥٩ ، ٣١٦	
طارق بن زياد (٢) ٧٢ - ٧٤ ، ٧٧	
طالب - ابو (٢) ٣٠ ، ١٥١ ح ، ١٥٨	
ح ، ١٦١ ح	
طاليس (١) ١٢٣	
طانيوس شاهين (٢) ٣٥٥	
الطبري - محمد بن جرير (٢) ٢٦	
طبرية (١) ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٣١٣ ، ٣٤٩	
٣٥١ ، مدينة رئيسية فسي	
فلسطين الثانية ٣٨٩	
(٢) ٢٢ ، ٧٦ ، ١٢٥ ، تنكرد	
يستقر فيها ٢٢٩ ؛ ٢٣٧ ، ٣٣٦ ، ٣٢٨ ، ٢٤٢	
٣٧١	طبيعة المسيح (١)
٤١٣ ، ٤١٢	الطبيعة الواحدة (١)
١٣٩ ، ١٣٧ ، ٥٣ (٢)	
١٤٢ ، ١٤١	
٥٧	الطبيق - جبل (١)
٦٦	طخارستان (٢)
٧٧ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٧٦ ، ٧٧	طرابلس (١)
٢٤٦ ، ١٦٢ ، ٩٢ ، ٨٦ ، ٧٩	
٢٤٧ ، ٢٧٨ ، انتاجها للخمور	
٢٢٧ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٣٨٩	
(٢) ٢٢٥ ، ٢٠٢ ، ٥٤ ، ١٢	
٢٢٨ ، بناء قلعتها ٢٣١ ؛	
٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ؛	
٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨	
٣٠٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦	
٣٣٢ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦	
٣٤١	
٣٥١	طرابلس الغرب (٢)
٢٩٠ ، ١١٢	طرسوس (١)
٢٢٥ ، ١٩٢ ، ٤٥	(٢)
٩٠ ، ٧٧	طرطوس (٢)
(٢) ١٩٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٥	
٢٩٧ ، ٢٤٨	

صفحة

٢١٣ ح ٢٣٦
عاملة - بنو (٢) ح ٦ ، ٩٥
عاموس (١) ، ٢١٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥
عاي (١) ١٩٤
العبارة (كتاب) (٢) ١٧٥
العباس السفاح - ابو (٢) ١٥٢ ،
مبايعته بالخلافة ١٥٤ ، ١٥٥ ،
١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٤
العباس بن عبد المطلب - بنو (٢)
١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٥١ ح ، ١٥٢ ،
١٥٨ - ١٦١
العباسية - الخلافة (١) ٤ (٢) ٢٠٤
٢٠٩ ، ٢٦٨ ، ٣٠٤
العباسيون (٢) ٣٩ ، اتشائهم الجنائن
حول القصور ١٢٨ ، ١٥١ ، ١٥٤ ،
١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ،
١٦٦ ، ١٧٠ ، الترجمة عن
اليونانية فني عهدهم ١٧٤ ؛
١٨٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ،
٢٤١ ، ٢٧٤
العباسيون - الخلفاء (٢) ٣٠ ، ٢٦٢
عبدالله البطل (٢) ٥٢
عبدالله بن الحسن (٢) ١٦٢ ح
عبدالله بن الحسين (٢) ٣٥٤
عبدالله زاهر (٢) ٣٢٤
عبدالله بن الزبير (٢) ٥٦ - ٥٩ ، ٧٠
عبدالله السفاح - انظر العباس
السفاح - ابو
عبدالله بن العباس (٢) ١٥٨ ح
عبدالله بن عبد المطلب (٢) ٣٠ ، ١٥١
ح ، ١٥٨ ح ، ١٦١ ح
عبدالله بن علي (٢) ١٥٤
عبدالله بن ميمون القداح (٢) ٢١٠
عبد الحميد الاول (٢) ٣٠٦ ح
عبد الحميد الثاني (٢) ٣٠٦ ح ، ٣١٦ ،
٣٤٨ - ٣٥٠
عبد الحميد الكاتب (٢) ١٠٨
عبد خبا (١) ١٧٣

صفحة

الظاهر (بيبرس) (٢) ٢٦٢
ظاهر العمر (٢) ٣٣٦ - ٣٣٨
الظاهر تميمي (٢) ٢٧٣ ح
الظاهر (الفاطمي) (٢) ٢١٣ ح
الظاهر بن الحاكم (٢) ٢٢٢
الظاهر غياث الدين (ابن صلاح الدين)
(٢) ٢٦٥ ، ٢٩٠
الظاهر سيف الدين خثقدم (٢)
٢٧٣ ح
الظاهر سيف الدين جقمق (٢) ٢٧٣ ح
الظاهر سيف الدين ططر (٢) ٢٧٣ ح
الظاهر سيف الدين يلباي (٢) ٢٧٣ ح
الظاهر قانصوه (٢) ٢٧٣ ح
انظاري (٢) ٢٨٢
الظاهرة (٢) ٢٧٠

- العين -

عائشة (٢) ٣١ ، ٥٩
العائلة المقدسة (١) ٦٥
عائكة ابنة معاوية (٢) ٩٢
عائكة بنت يزيد (٢) ٩٢
العالل سيف الدين (٢) ٢٦٤ ح ، ٢٦٥
العالل - اخو صلاح الدين (٢) ٢٥٢ ،
٢٥٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥
العالل المستعين (٢) ٢٧٣ ح
العالل سيف الدين (٢) ٢٦٤ ح ، ٢٦٥
٢٧٧
الغازيون (٢) ٣٢٠
عاشوراء (٢) ٥٦
ابو العاص بن امية (٢) ٣٠ ، ٤٩ ح
العاصي - نهر (١) ٣٢ ، مصبه ٣٣ ؛
٤٠ - ٤٢ ، ٦٥ ، ٧٦ ، ١٢٢ ،
١٤٠ ، ١٥١ ، ١٦٧ ، ١٧٥ ،
١٨٠ ، ١٨٤ ، ٢٦٠ - ٢٦٢ ،
٢٧٦ ، ٢٩٨ ، ٣١٠ ، ٣٢٣ ،
العاقد بن يوسف (الفاطمي) (٢)

صفحة	صفحة
مؤلفات ٢٤٨ ، ٢٨٢ ؛ الحضارة ٢٢١ ؛ الديانة ٢٢٢ ، ٢٣١ ؛ التعاليم النبوية ٢٢٢ ؛ الكنائس ٢٢٤	عبد الرحمن (الداخل) (٢) ١٣٣ ، ١٥٦ ، ١٥٥
العبران (العبرانيون) (١) انبيأؤهم ٤٣ ؛ ٤٥ ، ٦٩ ، ١٢٢ ، المؤلفون ١٢٥ ؛ ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ؛ ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ؛ سيطرتهم على فلسطين ١٩٥ ؛ القصاصون ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، الملوك ٢٠٥ ؛ ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١١ - ٢٢٣ ، غذاؤهم وطقوسهم ٢٢٧ ؛ ٢٢٩ - ٢٣٠ ، مقرر الاموات عندهم وانبيأؤهم ٢٣١ - ٢٣٢ ؛ الرسالة اليهم ٢٣٥ ؛ ٤١٦ ، ٤٣٠	عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث (٢) ٦٥ ، ٦٦ عبد الرحمن بن عبدالله الغافقي (٢) ٧٩ عبد السلام بن رغبان (ديك الجن) (٢) ١٨٢ وانظر ديك الجن عبد شمس (٢) ٣٠ عبد العزيز - السلطان (٢) ٣٠٦ ح عبد العزيز بن مروان (٢) ٦٤ ح ، ١٤٨ ، ١٥٠ عبد العزيز بن موسى بن نصير (٢) ٧٦ عبد عشترا (١) ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٦٧ عبد الغني النابلسي (٢) ٣٢١ عبد اللطيف حمزة (٢) ٢٩٥ ح عبد المجيد (٢) ٣٠٦ ح ، ٣١٤ ، ٣١٥ عبد المطلب (٢) ٣٠ ، ١٥١ ح ١٦١ ح عبد ملقارت (١) ١٥٣ عبد الملك بن مروان (٢) ٢٢ ، ٣٠ ، ٤٥ ، ٤٩ ح ، ٥٤ ، ٥٨ ؛ تعيينه الحجاج على الحجاز ٥٩ ؛ ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، اصلاحاته الادارية ٨٣ ؛ ٨٤ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١١ - ١١٣ ، ١٢١ ، ١٢٩ - ١٣١ ، ١٤٨ ، ١٥٠ عبد المناف (٢) ٣٠ العبري - ابن (٢) ١٨٠ العبري (العبرية) (١) ادب ٢٠٤ ؛ نقد ٢٢٨ ؛ شعر ١٢٤ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ؛ نثر ٢٠٥ ؛ حروف ٢١٤ ؛ قبائل ١٩٣ ؛ ملك ٢٠٣ ؛ مملكة ١٧٧ - ١٧٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٢ ؛ وتالق ٦٢ ؛ لغة ٨٥ ، ٨٩ ، ١٨٢ ، ١٩١ ، ٢١١ ، ٢٣٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٨٢ ، ٣١٧ ، ٣٦٦ ،

صفحة	صفحة
بلاد ٥٥ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٨٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢٢٨ ، ٣٠٥ ، ٣٢٤ ، ٣٩٥ ؛ الأراميون ٣١٨ ؛ الملوك ٣٠٩ ؛ الجغرافيون ٦٣ ؛ الجنوب ٨٢ ، ١١٨ ؛ الشمال ١٨٣ ؛ (٢) ١١ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٩ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ؛ ٥٢ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧١ — ٧٤ ، ٨٠ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ؛ ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٥٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٩ ، ٢٦٢ ، ٢٨٣ ، ٣٠٣ ، ٣١٧ ، ٣٥١ العربان (١) ٢١٦ العربية (١) ٢٠٦ عربستان (٢) ٣٢٩ العربي — العربية (١) ٢٠٩ ، الدور ٦١ ؛ العصر ٢٧٥ ؛ الحروف ١١٩ ؛ اللغة ٤ ، ١٩ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٨٥ ، ١٤٨ ، ١٤٧ ، العربي — الاسطول (٢) ٥٠ ، ٥١ ، ٨٩ العربية (١) بلاد ٣٤١ ؛ بلدان ٣٤٢ ؛ ٤٢٠ ، ٤٣٠ (٢) الامبراطورية ٦٤ ؛ القبائل ٣ ؛ اللغة ٨٣ ، ٩٦ ، ١٠٥ ؛ ١١٦ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ٢٥٠ ، ٣١٧ ، ٣٢٢ — ٣٢٤ عرقه (١) ٧٦ ، ٨٩ ، ٣٨٩ (٢) ٥٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٣٢٢ — ٣٢٤ العرعر — شجر (١) ٣٢٠ عزرا (١) ٢١٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ العزى (١) ٤٢٩ ، ٤٤٨ عز الدين ايبك (٢) ٢٦٧ العزير (الفاطمي) (٢) ٢١٢ ، ٢١٣ ح العزير جمال الدين يوسف (٢) ٢٧٣ ح العزير غيات الدين (٢) ٢٦٤ ، ٢٦٥ ح	العثماني — الدور (١) ٦١ ، ٦٣ ؛ الاسطول ٩١ (٢) الجيش ٢٩٧ العثمانية — الامبراطورية ، الدولة (٢) ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣١٣ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ العثمانيون (١) ٣٨٨ العثمانيون — الاتراك (٢) ٤٧ ، ٢٠٦ ، مناضلتهم الممالك والصفوية ٢٩٧ ؛ ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣١٢ — ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٣١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٣ انعجل الذهبي (١) ٢٢١ عجلتون (٢) ٣٢٩ عجلون (١) ٤٥ ح عجلي بول (١) ٤٤٥ عدلون (١) ٩ عدن (١) ٣٢٦ العدراء (١) ٣٩ ، ٣٧ عنراء (٢) ٩ انعراق (١) ٤٦ ، ٦٣ ، ١٤٨ (٢) ٧ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٥٤ ، ٥٥ : مصعب يتولاه لابن الزبير ٥٨ ؛ ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، عصيان الخوارج فيه ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، خضوعه لصلاح الدين ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٢٩٧ ، ٣٥٤ المراقبون (٢) ١٠٤ ، ٢٨٦ العرب (١) ٤٠٤ ، ٤٦٤ ، ٥٢ — ٦٤ ، ١١٨ ، ٢٥٥ ، ٢٩٠ ، ٣١٧ ، ٤١٣ ، ٤٣٠ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٥١ ، ٥٢ ،

صفحة		صفحة	
٩٩	العصر الهلنستي (١)	٤٤٥ ، ٤٤٦	عزير (١)
١١٤	العصر الهومييري (١)	٢١٥	عزريا (عزريا) - الملك (١)
٦١	العصر اليوناني (١)	٢٩٢ ، ٢٦١ ح ، ٤٣	عساكر - ابن (٢) ٤٣ ح ، ٢٦١ ، ٢٩٢
١٠٢	العصور الهلنستية (١)	٢٩٦	
١٠٢	العصور الهومييرية (١)	٢٢٥	عساف - بنو (٢)
٦٤	العصور الوسطى (١)	٣١٠	عساف التركماني (٢)
٦٢	العصور اليونانية (١)	١٥٥ ، ٨٩ ، ٧٠ ، ٣١	عسقلان (١) ١٥٥ ، ٨٩ ، ٧٠ ، ٣١
٢٠٦ ، ١٠٧	عصيون جابر (١)		مركز لعبادة اتارغاس ١٨٨ ؛
١٩٨ ح	العطفة (١)	١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢١٦ ، ٢٧١	١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢١٦ ، ٢٧١ ؛
٢٣٥	العظم - آل (٢)	٢٨٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٤٩	٢٨٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٤٩ ؛
٢٠	عفان بن ابي العاص (٢)	٣٨٩	٣٨٩ ، تصديرها الخمور زمن
٢٧	العفولة (١)	٤٢٥	الرومان ٣٩١ ؛ ٤٢٥
٤٣١ ، ٢٠٦ ، ٤٦	انعقة - خليج (١) ٤٦ ، ٢٠٦ ، ٤٣١	٢٣١ ، ٢٢٩ ، ٢٠٥	(٢) ٢٣١ ، ٢٢٩ ، ٢٠٥ ؛
٢٣١ ، ٥	(٢)		سقوطها بيد صلاح الدين ٢٣٨ ؛
٧٠ ، ٢٨	عقبة بن نافع (٢)	٢٥٩ ، ٢٥٤	٢٥٩ ، ٢٥٤
٩٠	العقد - كتاب (٢)		عشتار (١) ٢٠ ، ٧٤ ، ٨٣ ، ١٢٥ -
٢١٧ ، ١٩٧	عقرون (١)	١٢٧	
٣٠٠ ، ٢٩٨ ، ٢١٧	العقير (جرها) (١) ٢١٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠		عشتارت (١) ١٢٨
٤٢٥			عشتاروت (١) ١٤٦ ، ١٦٠ ، ١٧٢ ،
٢٢٦	عقيل - بنو (٢)	١٨٨ ، ٢٠١ ، معبد ٢٠٣	١٨٨ ، ٢٠١ ، معبد ٢٠٣
٨٨ ، ٣٢	عكا (١) ٨٨ ، ٣٢ ، اكتشاف الزجاج	٨ ح	العصر الاشولي (١) ٨ ح
١٥٣ ، ١٢٩ ، ٩٩	عند شاطئها ٩٩ ، ١٢٩ ، ١٥٣	١٣	العصر البابليوتي (١) ١٣
٢٧٢ ، ٢٧٧ ، مركز	٢٧٢ ، ٢٧٧ ، مركز	٢٦ ، ٢٤ ، ١٥	العصر البرونزي (١) ٢٦ ، ٢٤ ، ١٥
٢٤٩ ، ٢٣٠	تجارة السمك ٢٣٠ ، ٢٤٩	٩٥	
١٨٧ ، ١٠٣ ، ٢٤	(٢) ١٨٧ ، ١٠٣ ، ٢٤	٣٥	العصر الجليدي (١) ٣٥
٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٨ - ٢٤٠	٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٨ - ٢٤٠	٢٥	العصر الجوراسي (١) ٢٥
٢٤٣ ؛	القديس لويس يحصنها ٢٤٣ ؛	١٦ - ٩ ، ٧	العصر الحجري (١) ١٦ - ٩ ، ٧
٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٧٨	٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٧٨	١٨ - ٢١ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٥٦	١٨ - ٢١ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٥٦
٢٧٩	الجاليات الفرنسية فيها	١٥٨	
٢٤١ ، ٢٣٩ - ٢٣٦	٢٤١ ، ٢٣٩ - ٢٣٦	١٨٨	العصر السلوقي (١) ١٨٨
٨٨	عكو (١)		العصر الكريتاسي (الطبشوري) (١)
٢٧١	علاء الدين علي (٢)	٣٦ ، ٣٥	٣٦ ، ٣٥
٢١٢	علاقة (اللاح) (٢)	٢٠	العصر الميزوليتي (١) ٢٠
٢٣٥	علم الدين - آل (٢)	٩٧	العصر الميكاني (١) ٩٧
٣٥	علماء (١) ساحل	٢٩	العصر المينوسي (١) ٢٩
٢٢٦	(٢) قرية	٢٠ - ٢٤	العصر النحاسي (١) ٢٠ - ٢٤
٣٩ ، ٣٧ ، ٢٩	العلويون (٢) ٢٩ ، ٣٧ ، ٣٩	٢٠	العصر النطوني (١) ٢٠
١٥١ ، ٦٠ ، ٥٥	ضد يزيد ٥٥ ، ٦٠ ، ١٥١	٢٦ ، ٢١	العصر النبليوتي (١) ٢٦ ، ٢١
٢٢٠ ، ١٩٩ ، ١٩٢ ، ١٦١	٢٢٠ ، ١٩٩ ، ١٩٢ ، ١٦١	١٤٥	عصر الهكسوس (١) ١٤٥

صفحة	صفحة
٧٠٦ (٢)	٣٣٧ ، ٣٣٨ علي بك (٢)
١٣ ، ١٥ ، ٢٥ ، حيلته في	٣٣٨ علي جانبولاد (٢)
٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٨	١٩٣ النعلي حسن - أبو (٢)
١٠٠ العمري - ابن فضل الله (٢)	١٩٦ علي بن سعيد الدولة (٢)
٢٠٩ ، ١٧٩ (١) عمري (ملك آرام)	٢٤٠ علي الشهابي (٢)
٢١١	علي بن ابي طالب (٢) ٢٧ ، خلافته
٤٣٠ عمري (ملك اسرائيل) (١)	وصراعه مع معاوية ٢٩ - ٣٧ ؛
٩٠ ، ٧٠ عمريت (١)	٤١ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ١٠٥ ؛
٧٦ ، ٤٠ انعمق - سهل (١)	١١٨ ، ١٢٠ ، ١٥١ ، ١٥٨ ح ؛
٢٢٨ عمار - ابن (٢)	١٦١ ، ١٦٢ ح ٢٠٩ ، ٢٢٠
٢٣٢ ، ٢٢٥ (٢) بنو	علي بن عبدالله بن العباس (٢) ١٥٨ ح
٢٩٥ ، ٢٧٧ ، ٢٥ عمان (١)	٢٣٣ علي علم الدين (٢)
٢٠٢ ، ١٢٥ (٢)	٣٣٢ ، ٣٢٩ علي بن فخر الدين (٢)
٣٥٠ ، ٣٤٩ عمواس (١)	١٦٥ علي (السفياني) (٢)
٢٣ ، طاعون (٢)	٢٢٠ العلي الهية (٢)
٨٤ العمود المقدس (١)	عليان بعل (اله النبات) (١) ١٢٤ ، ١٢٧
٤٣ عمورة (١)	١٣٢
١٨١ ، ٥٠ عمورية (٢)	٣٣٥ عماد - آل (٢)
٢٠٧ ، ٢٠٣ ، ١٩٤ ، ١٥٦ (١) عمون	٢٤١ عماد الدين الاصفهاني (٢)
٢١٣ ، ٢١٦ ، ٤١٦	٢٠٧ عماد الدين زنكي (٢)
٢١٦ ، ٢٠٢ عمونيون (١)	٣١٧ ، ١٩٠ ، ١٧٢ العمارة (١)
٢٨ عناق - بنو (١)	٢٨ انعمالقة (١)
١٦٠ عنات (١)	١١٩ ، ٨٧ ، ٦٢ عمان (٢)
١٢٨ عنات - شقيقة عليان بعل (١)	عمر بن حيدر انشهابي (٢) ٣٤٠ ح
١٢٩ عنات - عشتار (الالهة) (١)	عمر بن الخطاب (٢) ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ،
١٦٠ عنات هار (١)	١٩ - ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ،
١٢٩ ح عناتا (١)	والهجرة ٢٨ : ٣٨ ، ٦٥ ، ١٠٠ ،
١٢٩ عناتوت (١)	١١٢
٢٦٢ عنتره بن شداد (٢)	٢١٦ عمر الخيام (٢)
٢٧٠ ، ١٧٨ (١) عنجر (خالكيس)	١١٠ عمر بن ابي ربيعة (٢)
٢٧٨ ، ٣١٧ ، ٤١٩ (٢)	عمر بن عبد العزيز (٢) ٥١ ، ٦٤ ح ؛
٣٣٠ عنزة - عرب (٢)	٧٨ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٧ ، ٩٩ وضعه
٩٥ العناب - شجر (١)	القيود على المسيحيين ١٠٠ ؛
٣٢٤ العهد الجديد (١) ٤٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٨ ،	١٠١ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ؛
٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٧٢	١٢٢ ، ١٤٤ ، تعبد ١٤٨ ؛
٢١٨ (٢)	١٥٥ ، ١٦٨ ، ١٧٤ ، ٢٢١
١٤٧ عهد السلاات (١)	عمر بن سعد بن ابي وقاص (٢) ٥٥
٢١ ، ٢٠ ، ١٩ عهد عمر (٢)	عمر بن شراحيل الشعبي (٢) ١٠٦
	٦٥ عمرو بن العاص (١)

صفحة	صفحة
الغال - بلاد (١) ١١٢ ، ١١٦ ، ٢٨٣ ، ٢١٥ ، ٣١٨ ، ٣٥٥ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٣٩٢ ، ٣٩٥	العهد القديم (١) ٨٧ ، ١٣١ ، ١٤٩ ، ١٦٩ ، ١٧٧ ، ١٩١ ، المابد المذكورة فيه ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، اعتماد كتاب «آثار اليهود» عليه ٣٥٣ ، ٣٥٨
٣٩٩ غالريوس (١)	عوج ملك باثان (١) ٨١ ، ١٩٤
٧٦ غالينسيا (٢)	العوجا (٢) ١٥٥
٤٣٧ غالينوس (١)	عياض بن غنم (٢) ١٥
٧٩ الغاليون (٢)	عيبال (جبال) (١) ٣٩
٣١٦ غايوس (١)	عيد القيامة (٢) ٢٢١
٣٢٦ الغرب الادنى (٢)	عيد الميلاد (٢) ٢٢١
٣٢٦ الغرب الاعلى (٢)	عيسى بن مريم (٢) ١٥٨
٢٢٦ غرناطة (١)	عيسى بن نسطوريوس (٢) ٢١٢
١٢٨ (٢)	عيسو (١) ١٦٩ ، ١٩١ ، ١٩٢
٢٧٤ غريوس (١)	عيلام (١) ٢١٤
٢٩٩ غريغوريوس توماترجس (١)	العيلاميون (٢) ٢٥٢
٣٢٢ غريغوريوس الثالث عشر (٢)	العين - كتاب (٢) ١٠٥
٢٩٩ غريغوريوس النازينزي (١)	عين التمر (٢) ٧١
٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٤ الغز (٢)	عين جالوت (٢) ٢٦٩
غزة (١) ٨٣ ، ٨٩ ، ١١٢ ، ممثل	عين ذارة - معركة (٢) ٣٣٤
فرعون في جنوبي سورية يقيم	عين زحلتا (٢) ٣٤٣
بها ١٤٦ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٩٦ ،	عين شمس (١) ١٥٩ ح .
١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢١٥ ، ٢٥٥ ،	عين صوفر (٢) ٣٢٧
٢٦٠ ، ٢٧٨ ، ٢٠٩ ، ٣١٠ ،	عين طورا (٢) ٣٢٠
٢٢٧ ، ٢٣٣ ، ٣٤٩ ، ٣٨٩ ،	عين قديس (١) ١٩٣ ح .
٣٩٨ ، تصديرها الخمور ٣٩١ ،	عينتاب (٢) ٢٧٩
٤٠٤ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٥ ،	عينتاب (١) ١٥٥
(٢) ٦ ، ١٠ ح ، ٢٧٢ ، الوياء	عيون الابناء في طبقات الاطباء -
يجتاحها في العصور الوسطى	كتاب (٢) ٢٨٣ ، ٢٩٣
٢٧٧ ، ٢٠٦ ، ٣٠٧	
الغزالي (٢) ١٣٣ ، ٢٩١ ، ٢٩٢	
الغزالي (جان بردي) (٢) ٣١١	
غزير (٢) ٣٢٥	
القياسنة (١) ٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤١٩ ،	
٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢	
٢٣ ، ٤ (٢)	
١٩٩ ، ٩٨ غسان (٢)	
٤٤٦ غسان - بنو (١)	
١٢٨ القسائيون (٢)	
٢٢٧ ح . غلاطية (١)	
	الغابة المقدسة (١) ٣٣٥
	غابينيوس (١) ٣١٠
	غارستانغ (١) ٢١
	غارون - نهر (٢) ٧٩
	غازان محمود (٢) ٢٧٢
	الغازي (٢) ٥٢

- الفين -

صفحة	صفحة
الفراسى ، الفراسىة (١) اللغة ٢٤٠ ؛	غنوسطىة — طائفة (١) ١٨٤ ، ٣٧٠
الامبراطورىة ١٨٣ ، ٢٤٥ ،	الغنوسطىون (١) ٣٧٢
٢٥٣ ؛ البحرىة ٢٤٦ ؛ الاسطول	غودفرى دى بوىون (٢) ٢٢٨ — ٢٣٠
٢٥٥ ؛ الاشجار ٣٠٣ ؛ الحكم	غودىا (١) ١٤٩
٢٣٨	غورالاردن (١) ٤٢ حـ
(٢) الالحن ١٢١ ؛	غورو (١) ١٤٤
الامبراطورىة ٣ ؛ اللغة ١٧٤	الغورى (٢) ٣٠٧
٣٨٠ فاروس افيتوس (١)	غوزان (١) انظر تل حلف
١٦٢ الهة	غوزانه (١) ١٨٣ وانظر تل حلف
٣١٧ فاسكو داغاما (٢)	غوثن (١) ١٩٣
فاطمة (٢) ٢٩ ، ٣٦ ، ٥٥ ، ٦٠ ،	الغوطة (١) ٤٤
١٢٠ ، ١٥١ حـ ، ١٦١ ، ١٦٢ حـ	(٢) ٩٤ ، ٨١
٢٠٩	غونتراند (١) ٣٩٢
الفاطمى ، الفاطمىة — الامبراطورىة (٢)	غيتا (١) ٣٥٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠
١٩٣ ؛ الاسطول ٢١٣ ، ٢٣٠ ؛	غى ده لوسينيان (٢) ٢٣٧ — ٢٣٩
الخلافة ٢٠٩ ؛ ٢١٢ ، ٢٢٥ ،	غيطشة (٢) ٧٤
٢٣٦ ، ٢٤١ ؛ السلالة ٢١٠	
الفاطميون (٢) ١٥٢ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ،	
٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ — ٢٠٦ ،	
٢٠٨ ؛ قيام خلافتهم ٢٠٩ ؛	
٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٩ ،	
٢٣٥ ، ٢٦٢ ، ٢٧٩ ، ٣٢٦ حـ	
فالريان (١) ٣٤٠ ، ٣٦٨ ، ٤٣٧	
٢٠٥ فان — بحىرة (٢)	
٣٢٤ فانو (٢)	
٢٩٢ الفتوحات الملكىة — كتاب (٢)	
٢٥٢ الفتوة — حركة (٢)	
١٠ ، ١٢ حـ	
١٦٢ الفخارىة (بلدة) (١)	
٩١ فخر الدين (١)	
(٢) ٢٨٠ ، ٣٢٨ — ٣٣١ ،	
٣٣٣ : ٣٤٣	
فخر الدين الاول (٢) ٣٢٧ ، ٣٣٣ حـ	
فخر الدين الثانى (٢) ٣١٩ ، ٣٢٠ ،	
٣٣٣ حـ	
فخر الدين المعنى (٢) ٣٠٩ ، ٣١٠ ،	
٣٥١	
	— الفاء —
	الفائز بن الظافر (الفاطمى) (٢) ٢١٣ حـ
	الفاثىكان (١) ٢٢٤
	(٢) ٣٢٢
	فاراب (٢) ٢٠٠
	الفارابى (٢) ١٩٧ ، ٢٠٠
	فارس (١) ٦٩ ، ٩٢ ، ١٦١ ، ٢٤٠ ،
	٢٥٣ ، ٢٦٠ ، ٣٢٦ ، ٣٨٣ ،
	٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٦ ، ٤٣٠ ،
	٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥ ،
	٤٤٩
	(٢) ٣ ، ٢٨ ، ٣٦ ، ٣٧ ،
	٤٣ : ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٠ ، ٦٢ ،
	الازارقة
	بىسطون نفوذهم عليها ٦٣ ؛
	٨٧ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،
	١٣٥ ، ١٣٨ ، النعمة تشد فيها
	على الامويين ١٥٢ ؛ ١٥٧ ،
	١٨١ ، ١٨٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ،
	٢٠٤ ، ٢٢٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦٨ ،
	٢٧٢ ، ٢٩٠ ، ٢٩٧ ، ٣٠٩

صفحة	صفحة
٢٨٢ : ٢١٤ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ ، ٤٥٠	الفناء — ابو (المؤرخ) (٢) ٢٤٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٥ : ٢٧٢ ، ٢٩٤
(٢) ٣ ، ١٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٨٢ ، ٨٦ ، اعتناهم	فدان آرام (١) دولة ١٧٦ ، ١٩١
بكلاب الصيد ٩٢ ، ١٠٤ ، ١٣٣ : ١٢٦ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ح	الفرات (١) ٢٥ ، ٤١ ، ٦١ — ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥
١٥٣ : ١٥٩ ، ١٧٥ ، ١٨٥ ، ٢٠٤ : ٢١٨ ، ٢٤٦ ، ٢٧٠ ، ٢٩٧ ، ٣٢٨	١٤٢ ، ١٤١ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٧١ ، ١٧٤ — ١٧٧ ، ١٨٤ ، ٢١٨ ، ٢٥٦ ، ٢٧١ ، ٢٩٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٤١٥ ، ٤٢٥ ، ٤٣٣ ، ٤٤٠ ، ٤٣٧ ، ٤٣٥
فرعون (١) ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٥ : ١٤٦ ، ١٦٧ ، ١٩٣ ، ٢١٧ ، ٢٠٥	(٢) ١٨٨ ، ١٥٥ ، ٩٨ ، ٤٥
الفرعونية (١) السيطرة ١٣٦	فراش الحمداني — ابو (٢) ١٩٧ ، ١٩٩
فرغانة (٢) ٦٦ ، ٦٨ ح ، ١٠١ ، ١٩٠ ، ١٧٥	الفراعنة (١) ٢٩ ، ٩٦ ، ١٧٣ ، ٢٩٠ ، ٣٠٣ ، ٣٢٩
فرغوريوس (٢) ١٧٥	(٢) ١٨٦
الفرحاح — ابن (٢) ٢٦١	فرتيا (١) ٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٢١٠ ، ٤٣٣
الفرنج ، الفرنجة (٢) ٧٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢	الفرتية (١) السلالة ٢٦٢ ، ٢٨٢ ، ٤٣٧ ، الفوزة ٢١١ ، الدولة ٣١٥ ، ٤٣٦ ، البلاد ٣٣٤ ، الحملات ٣٣٩
فرنجة (٢) ٢٥٨	الفرتيون (١) ٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٤٢٤ ، ٤٣٣ ، ٤٤٢
فرنسا (١) ٤ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ٢٥ ، ٢٩٣ ، ٣٤٠	فرجيل (١) ٣٥٢
(٢) ٧٨ ، ١٤٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٣٤٧	فردناند الاول (٢) ٢٢٨
فرنسيس الاول (٢) ٣١٨	فرديناند (٢) ٢٩٧
فرنسيس الاليسي (٢) ٢٦٣	فرديناند مفلان (٢) ٣١٧
الفرنسيكان (٢) ٢٦٣	فردريك بارباروسا (٢) ٢٣٩
الفرنسي — الدستور (٢) ٣١٦	فردريك ملك صقلية (٢) ٢٤٢
الفرنسية — اللغة (٢) ٢٥٧ ، ٢٨٤ ، ٣٥٢	الفرزدق (٢) ١٠٩
الفرنسيون (١) ١٤٤ ، ٤٤١	الفرزل (١) ١٦٥
(٢) ٢٢٠ ، ٢٥٢ ، ٣١٣ ، ٣١٨ — ٣٢٠ ، ٣٢٠ ، ٣٢٩ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦	الفرزيون (١) ١٥٧
فريجيا (١) ٢٦٠	الفرس (١) ٤ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٧٥ ، ١٠٣ ، ١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٨٣ ، ٢٢٩
(٢) ٥٠	٢٤٠ : ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، قضاء الاسكندر على دولتهم ٢٥٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ : ٢٩٣ ، ٣٠٤ ، ٣٦٩
الفريجية (١) الالهة ١٨٧ ح	

صفحة	صفحة
٢٦٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨١ ،	١٧٢ ، ١٦٨ (١) الفريجيون
٢٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣١١ ،	٣٧٥ (١) الفريسيون
٣١٢ ، ٣١٧ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،	٣٢٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ،
٣٨٩ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ،	٣٥٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥
٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤ ،	٣٢٤ (١) الفستق - شجر
(٢) ٧٠٧ ، ٨٧٠ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ح	٢٤٠ (١) فسر جادي
١٢٨ ، ١٤٣ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،	١٩٣ ، ١٩٠ ، ١٨٦ (٢) القسطاط
١٥٦ ، ١٦٤ ، ١٩٣ ، ٢٠١ ،	٢١٦ (٢) كتاب -
٢٠٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٠ ، ٢٥٨ ،	فصوص الحكم - كتاب (٢) ٢٠١
٢٧٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٧ ، ٣٣٦ ،	فضل الله العمري - ابن (٢) ٢٩٥
٣٥٤ ، ٣٣٨	فضل - بنو (٢) ٢٣٥
٢٨٩ فلسطين الاولى (١)	فضالة بن عبيد الانصاري (٢) ٤٦
٢٨٩ فلسطين الثالثة (١)	فطر اورشليم (١) ٣٢٥
٢٨٩ فلسطين الثانية (١)	فطرس - ابو (٢) ١٥٥
٩٣ فلسطين الوسطى (١)	القطير - عيد (١) ٢١٥
٢٥٥ ، ٢١٦ (١) المدن -	فجح (ملك اسرائيل) (١) ١٨١ ، ٢١٣
الفلسطينيون (١) دجنوا الخنزير ٢٦	فلافيوس انسياسيان - انظر
٣٩ ، ٦٢ ، ٨٣ ، ١٠٤ ،	فسياسيان
١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٧٦ ، ١٩٦ -	فلافيانيا بولس (نابلس) (١) ٣٤٩
٢١٦ ، ٢٠٣	فلانسيا (٢) ٣٢٤
٢٥٨ (٢)	فلسطين (١) سهل ٣٢ ، ٣٩ ، ٦٢ ،
٢٠٠ الفلسفة المشائية (٢)	١٩٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٣
٢٩٨ الفلكاته (١)	فلسطين (١) جزء من سورية ٣ ، ٤ ،
٣٣١ ، ٣٢٩ ، ٣٢٨ (٢) فلورنسا	٧ ، ٩ ، ١٢ ، ١٥ ،
٣١٧ الفلبين (٢)	١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٤ ،
٢٧٧ الفناء الكبير (٢)	٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ،
١٨٤ الفنين (١)	٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، حوران تمونها
١١٤ الفهرس - كتاب (٢)	بالقمح ٤٥ ، ساحلها ٤٩ ،
٢٩٣ فوات الوفيات - كتاب (٢)	٥٠ ، ٥٣ ، نباتاتها ٥٤ ، ٥٥ ،
١٩٣ افوارس - ابو (٢)	٥٦ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٨٠ -
٣٤٨ فورتونا (١)	٨٢ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ،
٣٣٨ ، ٣٢٣ (٢) فولتي	٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٢٠ ،
٢٥ فونكس (٢)	١٣٠ ، ١٣٧ - ١٤٠ ، ١٤٤ ،
٣٢٤ ، ٣١٦ فيتيليوس (١)	١٥١ ، ١٥٧ - ١٥٩ ، تحت
٣٥٩ الفيثاغوريون (١)	الحكم المصري ١٦٨ ، ١٦٩ ،
٣٣٤ فيروس (١)	١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ،
٣٤٠ فيزون (١)	١٩٢ - ١٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢٢١ ،
٣٥٤ فيصل بن الحسين (٢)	٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ -
٣٩٥ ، ٣٥٠ ، ٢٧٧ (١) فيلادلفيا	٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،

صفحة	صفحة
٣٥٠	فيلبو بولس (١)
٢٧٦	فيلوتيرا - اخت بطليموس (١)
٢٧٦	فيلوتيريا (١)
٢٨٥	فيلوديمس (١)
٢٨٦	فيلوديمي (١)
٢٧٩	فيلوستراتس (١)
٢٦٦	فيلو متر (١)
٢٧٧	فيلون الاسكندري (١)
١٢٢ ، ١٢٣	فيلون الجبيلي (١)
٢٥٣ ، ١٢٥	
٢٦٥	فيليب (١)
٢٣٩	فيليب اوغسطس (٢)
٢٧١ ، ٢٧٤	فيليب (الاول) فيلادلفوس (١)
٢٧٤ ، ٢٧٣	فيليب الثاني (١)
٣٨٢ ، ٣٥٠ ، ٣٤٤	فيليب العربي (١)
٢٥٣	فيليب المكدوني (١)
٣٠٥	فيثا (٢)
١٧٢ ، ٣٤٨ ، وانظر الزهرة	فينوس (١)
٨٠ ، ٦٩ ، اشتقاق	فينيقية (١)
١٢٣ ، ٨٧ ، أسمها	
١٥٦ ، ١٣٨ ، ١٣٥	
١٦٧ ، ٢١٦ ، بعض مدنها	
٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٧١ ، ٢٨٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣١١ ، ٣٣٤ ، ٣٥٤ ، ٣٨٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٤٢	
٢٨٩	فينيقية الاولى (١)
٢٨٩	فينيقية الثانية (١)
٢٣٧	فينيقية السورية (١)
٣٤١ ، ١٤	فينيقية اللبنانية (١)
٤٣ ، ١٢١ ، اللغة ٦٦ ، ٨٣ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ٣٦٦ ، المدن ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٨٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٧٩ ، ٣٠٤	
٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٧٣	قائباي (٢)
٢١٣	القائم - الفاطمي (٢)
٣١١	قايون (٢)
١١٢ ، ١١٠	قادس (١)
١٥٩ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ٦٥	قادش (١)
١٩٢	قادش برنيا (١)
١٤٠	قاديشا (٢)
٢٩	قاديشا - نهر (١)
٢٢٩	قارون (١)
٢٤٠ ح	قاسم بن عمر الشهابي (٢)
٢٤٠ ح	قاسم بن ملحم الشهابي (٢)
٢٣ ، ٢٩ ، ٤١	القاسمية - نهر (١)
٢٩٨ ، ٢٩٧	قانسود الغوري (٢)
٢٩٩	قانسود الغوري
٢٨٣	قانون ابن سينا - كتاب (٢)

صفحة

- ٢٢٥ ، الصليبيون يحتلونها
٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ - ٢٣٣ ،
٢٣٥ ، ٢٣٧ - ٢٤٢ ، ٢٤٧ ،
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٧٦ ،
٢٨٦ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٤٨ ،
٣٥٠ .
- قدس الاقداس (١) ١٣٠ .
قدموس (١) ١١٤ ، ١١٧ ، ٢٨٠ .
(٢) ٢٤٦ ، ٢٤٥
القدّيس افرام (٢) ١٤٤
القدّيس بطرس (٢) ١١٩
القدّيس توما (٢) ١٣٦
القدّيس جاورجيوس (٢) ٢٢٧
القدّيس سابا (٢) ١١٦ ، ١٧١
القدّيس سرجيوس (٢) ٢٢٧ ح ، ٢٢٧ ح
القدّيس سيسيتوس (٢) ٩٧ ح
القدّيس قسطنطين (٢) ٩٧ ح .
القدّيس لوقا (٢) ٢٥٣
القدّيس لويس (٢) ٢٤٣
القدّيس لويس ملك فرنسا (٢) ٢٤٢
القدّيس لويس (في عكا) (٢) ٢٤٧
القدّيس مارتن (٢) ٧٩
القدّيس مارون (٢) ١٤٠
القدّيس يوحنا الخامس (٢) ٩٧ ح ،
٩٨
القدّيس يوحنا اندمشقي (٢) ٣٩
٤١ ، ١١٥ - ١١٧ ، ١٧١
القدّيس يوسف (٢) ٢١٩
القدّيسة صوفيا (٢) ٥٢
القدّيسة مريم (٢) ١٣١
القرآن (١) ١٨٣ ، ٤٢٦ ، ٤٢٩ ، ٤٥٢
(٢) ١٧ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٦٢ ،
٨٨ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٢ ،
١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٥ ،
١١٦ ، ١١٩ ، ١٤٥ ، ١٦٦ ،
١٩٧ ، ٢١٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩١
قراقر (٢) ٧
القرامطة (٢) ١٢٠ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،

صفحة

- القاهر ناصر الدين (٢) ٢٦٦ ح
القاهرة (١) ٤٢٧ ، ٢١٥ ، ٥
(٢) ١٩٦ ، ٢١١ - ٢١٣ ،
معهد للعلوم العاليه ينشأه
الحاكم فيها ٢٢٢ ، ٢٥٦ ،
٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ ،
٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩ ،
٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣١٨
قب الياس (٢) ٣٤٠
قبة السلسلة (٢) ١٣٠
قبة الصخرة (١) ٢٠٥
(٢) ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ،
٢٦٩ ، ٢٧٠
قبر شمون (١) ١٣٥ ح
قبرس (قبرص) (١) ١٠٤ ، ١١٠ ،
١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٥٣ ،
١٩٦ ، ٢٤٢ ، ٢٧٩ ، ٣٢٩
(٢) ٢٤ ، ٤٨ ، ١٧٠ ،
٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٣٤١
قبرصي (١) خزف ١٢٥ ؛ سلاح ٩٦
القبرصية - الاواني (١) ٩٥
القبرصيون (٢) ٢٧٠
قبريانوس (٢) ٧١
القبط (٢) ٩٩ ، ١٠٤ ، ٢٦١
القبطية - اللغة (١) ١٤٨
(٢) ١١٤
القبطية الحبشية - الكنيسة (٢) ١٣٩
فتية بن مسلم (٢) ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩
القدرية (٢) ١١٥ ، ١١٨
القدس (١) ١٥ ، ٤٩ ، ١٢٠ ، ١٢٩ ،
١٥٩ ، ٢١٣ ، ٢٢٧ ، ٤٠٦ ،
٤٣١
(٢) ٣ ، ٧ ، ١٠ ح ، ١١ - ١٣ ؛
١٥ ، ٣٥ ، ٦٥ ، ١٢٦ ،
١٢٨ ، بناء قبة الصخرة فيها
١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٧١ ،
١٨٧ ، ١٩٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،
٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢٢٢ ،

صفحة	صفحة
٤٥٠ ، ٤٢٠ ، ١٣٠ ، ٣ (٢)	٢١٤ ، ٢١٢ ، ٢١١ ، ٢٠٣ ، ١٩٢
٤٦ ، الهجوم الاموي الاخير	٢١٧ ح
عليها ٤٩ - ٥٢ ، ٧٠ ، ١٠٦	١٧١ قرة - ابو (٢)
١١٧ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٩٩	قرطاجة (١) ١٠٢ ، ١١٠ ، ١١٢ ،
٢٠٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٧٨	١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٧ ، ٢٥٤ ،
٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥	٢٨٩
٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٨	٣٩ (٢)
٣٢٦ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧	قرطاجنة (٢) ٧١
٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ - ٣٤٩	القرطاجنية - اللغة (٢) ٧٢
٣٥٣	القرطاجي - الاسطول (١) ١١٦
قصر الحر (٢) ١٢٧ ، ١٢٨	القرطاجيون (١) تجارتهم ١١٥
قصر الحر الغربي (٢) ١٢٧	قرطاجية (١) ١١٢
قصر - الخضراء (٢) ٨١	قرطبة (١) ١١٣
قصر الرصافة (٢) ١٢٧	٢٤ (٢) ٧٤ ، ١٢٨ ، مسجدها
قصر القسطل (٢) ١٢٥	١٣٤ ، ١٥٦
قصر المشتى (٢) ١٢٥ ، ١٢٦	قرقر (معركة) (١) ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢٠٩
قصة صحيحة (كتاب) (١) ٣٥٦	قرقماز (قرقماس) (٢) ٣٢٧ ، ٣٣٣ ح
قصص السندباد البحري (١) ٣٥٦	القرم (٢) ٣٠٥
قصير عمرة (٢) ١٢٢ - ١٢٤	انقرم - حرب (٢) ٣٤٨
اقضاة - سفر (١) ٨٩ ، ١٩٤ ، ٢٠٢	القرمز (١) ١٠٣
قضاة (٢) ٦	القرن الذهبي (٢) ٥٠
القطائع (٢) ١٨٧ ، ١٩٠	القرنة السوداء (قمة) (١) ٣٤
قطامة - قبيلة (٢) ٢٠٩	قره تبه (١) ١٢٠
قطر الندى (٢) ١٨٨	القرتين (٢) ١٢٧ ، ٩١
قطري بن الفجاءة (٢) ٦٣	قريش (٢) ٢٤ ، ٢٨ - ٣٠ ، ١١٨
قطر (٢) ٢٦٩ ، ٢٧١	القرلباشية (٢) ٢٢٠
القطن (١) ٩٩	قزوين (٢) ٦٩
قطنة (١) ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٣ ، ١٣٨	قسطن بن لوقا (٢) ١٧٧
١٨٤ ، ١٥٩	القسطل (٢) ١٢٥
القنطري (٢) ٢٨٣ ، ٢٩٤	قسطنطين (١) ٣٨٣ ، ٣٦٨ ، ٢٤٨ ،
القنقاس (١) ٣٩٦	٣٨٦ - ٣٨٨ ، ٣٩٣ ، ٣٩٧ ،
قلاوون (٢) ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٦١	٤٠٥
٢٨٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٠	قسطنطين الثاني (٢) ٣ ح ٢٥ ، ٢٦
قلج ارسلان (٢) ٢٢٤ ، ٢٠٥	قسطنطين الرابع (٢) ٤٧
قلعة بعلبك (١) ٣٤٦	قسطنطين الكبير (١) ٣١٣
قلعة حلب (٢) ٢٧٠ ، ٢٩٩	القسطنطينية (١) ٢٧٦ ، ٣٦٢ ،
قلعة دمشق (٢) ٣١١	٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ،
قلعة سمعان (١) ٤٠٤	٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤١١ ،
١٩٥ (٢)	٤١٤ ، ٤٤٧ - ٤٥٠

صفحة	صفحة
- الكاف -	
٢٦٤ ، ٢٥٧	قلعة الشوبك (٢) ٢٣١
٦٥	قلعة طرابلس (٢) ٢٣١
٣٤٧ ، ٣٣٧ (٢) ملكة روسيا	قلعة القاهرة (٢) ٢٦٧
١٢٩	قلعة كوكب (٢) ٢٣٨
٢٥٣	قلعة المرقب (٢) ٢٤٨ ، ٢٤٥
كاتدرائية القديس يوحنا المعمدان (٢)	قلعة المضيق (١) ٢٦٢
٢٥٣ ، ١٣١	قلعة نوحا (٢) ٣٢٢ ، ٣٢٧
١١٦	قمباز (١) ٢٤٥
٣٩٨	قناة السويس (٢) ٣١٧
١٤٣ ، ١٤١ ، ١٣٥ (٢)	قنشرين (١) ٤٤٨
١٥٥	قنشرين (٢) ١٥٥ ، ١٣٩ ، ٩٩ ، ١٢ ، ١٥٦
٣٥٥	القنوات (١) ٣٨٤
١٨٥ ح	قنوبين (٢) ١٤١
٢٥١	قوانين تيودوسيوس - كتاب (١) ٣٦٢
كاستيريدس (جزر القصدير) (١)	قوانين يستنيان (١) ٣٦٠
١١١	قوجوق (٢) ٢٧١
كاشان (٢) ١٣٠ ح	قورس (قورش) (٢) ١٤٠
كاشغر (٢) ٦٨	القوط (١) ٤٤٠
كاشيوس - جبل (١) ٢٨١ ، ٨٨ ، ٣٣٩ ، ٣١٠	كاشغر (٢) ١٢٣ ، ٧٨
الكاشيون (١) ١٥٨ ، ١٥٧ ، ٥٥ ، ١٦١	القوqاس (٢) ٢٦٨
الكافي في الكحل - كتاب (٢) ٢٨٣	القومية العربية (٢) ٣٥٤
كافور (أبو المسك) (٢) ١٩٢ ، ١٩١	قونيا (٢) ٢٠٥
١٩٨	القيروان (٢) ٨٠ ، ٧١ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٨٧ ، ٣٥١
كالسس (١) ١٧٨	قيس - أبو (قرد) (٢) ٩٠
كاليغولا (١) ٣٦٩ ، ٣٣٤ ، ٣٢٨	قيس بن الملوح (٢) ١١٠
كاليغورنيا (١) ٤٩	قيسارية (٢) ١١ ، ٦ ، ١٣ ، ٢٢٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٣٠
كالينيكوس (٢) ٤٨	القيسية (٢) ١٦٥ ، ١٥٠ ، ٥٨ ، ٣٤٤ ، ٢١٩
الكامل (الملك) (٢) ٢٤٠	قيشون - حوض (١) ٢٠٣ ح
الكامل شعبان (٢) ٢٧١	قيصر (١) ٣٧٤ ، ٣١١ ، ٣١٠
الكامل بن أنعادل (٢) ٢٦٣ ، ٢٤٢	قيصرية (١) ٣٤٩ ، ٣٣٣ ، ٣١٢ ، ٣٧٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٧
الكامل محمد (٢) ٢٦٤ ح	٣٩٧ - ٣٩٩ ، ٤١٣
كامل الصناعة الطبية - كتاب (٢) ٢٥٠	قيصرية فيلبي (١) ٣٤٩ ، ٢٦٥
كانوبس (١) ١٤٧	القينيون (١) ٢٠٧ ، ١٩٣
كاورد داغ (جبل) - انظر اللكام	

صفحة	صفحة
٣٩ ، ٤٠ ، ٦٤ ، ٨٨ ، ١٩٦ ، ١٩٧	٣٩٩ ، ٣٩٤ (١) ٧٠ (٢)
٣٢٨ جبل (٢)	٣٣٠ كبوشية (٢)
٢٦٣ الكرملية — الاخوية (٢)	٣٢٠ الكبوشيون (٢)
٢٣٠ الكرمليون (٢)	٢٣١ كتاب الاموات (١)
١٨٨ كرنبون (١)	١٧٨ كتاب الصناعة الصغير (٢)
كرت (١) ٢٩ ، ٦٤ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٣١ ، ١٤٧ ، ١٦٠ ، ١٩٧ ، ٢٨٥	كتاب العبر وديوان المتسدا والخبر لابن خلدون (١) ١١١ الكتاب المقدس (١) ١٣٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٤ ، (٢) ١٦٩ ، ١٧٢ ، ٢١٨ ، ٢٥٢
٣٤٦ (٢)	٢٥٠ الكتاب الملكي (٢)
٩٤ الكرتي — الخزف (١)	كتاب الملوك واخبار الماضين (٢) ١٠٧
٢٨ ، ٢٦ كسروان (١)	كتاب الموسيقى الكبير (٢) ٢٠١
٢٢٧ — ٢٢٥ ، ٣١٠ ، ٢٦٠ (٢)	كتنفا (٢) ٢٧١ ، ٢٦٩
٢٣١ كسرى انو شروان (الاول) (١) ٤١٣ ، ٤١٥	الكتبي (٢) ٢٩٣
١٧٦ (٢)	الكتان (١) ١٠٨ ، ٩٩
٤٩ كسارة (١)	الكتلكة (٢) ١١٩
١٢ كسار عقيل (١)	كراسوس (١) ٣١٠
١٩٩ كشاجم (٢)	كرالا (١) ٣٤٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨ — ٣٨٠ ، ٤٣٥
٥٥ كشمير (١)	كربلاء (٢) ٥٥ — ٥٧
كمب بن جعيل التغلبي (٢) ١٠٨ ، ١٠٩	كربوقا السلجوقي (٢) ٢٢٦
١٧٢ ، ٥٧ ، ٢٨ الكعبة (٢)	كرديستان الوسطى (٢) ١٣٧
١٩٧ كفتور (١)	الكرديوس ، الكراديس (٢) ١٥٣ ، ٨٩
١٣٥ كفر تبنيث (١)	الكرشوني (٢) ١٧٢
١٤٠ كفر جي (٢)	الكرك (١) ٢٧٦ ، ٤٦
٢١٤ كلاب — بنو (٢)	(٢) ٢٣٧ ، ح ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٤٤ ، ٢٦٦ ، ح ٢٧٤ ، ٢٧٦
٢١٤ ، ١٦٥ ، ٣١ ، ٢٣ ، (٢) كلب — بنو	كر كلا (١) ١٤٤
٢٨٦ ح — الكلية — المدرسة (١)	كر كيميش (١) ١٤٢ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ١٥٩ ، مركز مملكة صغيرة ١٦٨ ؛ ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ٢١٩ ، ٢٣٨
٥٨ الكلبون (٢)	١٦٢ كركوك (١)
٢١٨ ، ١٨٤ ، ٦١ الكلدانية (١)	٨٧ ، ٦٣ ، ٦٠ كرماني (٢)
١٧١ اللغة (٢)	الكرمة — شجر (١) ٣٢٤
الكلدانيون (١) ٧٥ ، ١٣٦ ، ١٥٥ ، ١٧٥ ، ١٨٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٤٢	الكرمل (١) ١٣ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٣١ ،
١٣٩ ، ١٣٥ (٢)	
٥٦ كلوة (١)	
٣١٦ ح كلوديوس (١)	
٣٥٨ كليمنت (الاسكندري) (١)	

صفحة	صفحة
٨٧ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١٢٧ ، ١٩٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٥	كليوبطرة - كليوباتره (١) ١٠٢ ، ١١٥ ، ٣١١ ، ٤٣٨
الكنعاني ، الكنعانية (١) اللغة ١٧ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٧٧ ، ١٩١ ، الصف ٩٩ ، المنزل ٩٠ ، المجتمع ٩٤ ، المدن ٨١ ، ١٣٦ ، ١٧٦ ، ١٩٧ ، الادب ١٢٤ ، الديانة ١٢٥ ، الهياكل ١٢٩ ، الحصن ١٥٨ ، الهجرة ١٧٤ ، الرقصة ٢٢٢ ، الصباح ٢٢٦ ، ٢٢٣	٢٦٧ (٢) كنية فرنسا (٢) الكنائس الاتحادية (٢) كندا (٢) كندة (٢) الكنيس اليهودي (١) الكنيسة الارثوذكسية (٢) الكنيسة الارمنية (٢) الكنيسة الانجيلية (٢) كنيسة البلنند (٢) كنيسة الروم (٢) الكنيسة الرومانية الكاثوليكية (٢) ٢٦٠
الكنعانيون (١) ٦٩ ، ٨١ ، ٨٤ ، اصلهم ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، الاراميون يقتبسون حضارتهم ١٧٦ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢٢٥ ، ٢٣٣	الكنيسة السريانية (٢) ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٣٠٤ ح كنيسة السيدة (٢) ٢٢٢ الكنيسة الشرقية (٢) ١٣٦ كنيسة اقبير المقدس (القيامة) (١) ٤٠٦
الكهرمان (١) ٦٥ الكهف (٢) ٢٤٥ كهف الشقية (١) ١٥ كوتشك احمد باشا (٢) ٣٣٢ ، ٣٣٣ كوتشك كانيارجي - معاهدة (٢) ٣٤٧ ، ٣٤٨	الكنيسة القبطية الحبشية (٢) ١٣٩ كنيسة اقيامة (١) ٣٨٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠٥
كورس (١) ٢٧٦ ، ٣٢٢ كورسيرا (١) ١٠٥ كورسيكا (١) ١١٣ كورنثوس (١) ١١٣ ، ٣٠١ كورش (١) ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ كورنوال (١) ١١١ كورنيليوس (١) ٤٢٤ كوريا (١) ١٨٣ كوس (١) ٢٨٧ ، ٢٨٦ كوسيرا (قوصره) بنتلاريا الحديثة (١) ١٠٥ كوشار (١) ١٦٦ الكوشيون (١) الاسرى ٢٣٤	(٢) ٣ ، ١٢٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ الكنيسة الكاثوليكية (١) ٣٩٨ (٢) ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٣ الكنيسة اللاتينية (٢) ١١٦ ، ١١٧ كنيسة مريم العذراء (٢) ٣٣٧ الكنيسة المسيحية (١) ٤٠٨ كنيسة المهد (١) ٤٠٥ كنيسة الناصرة (٢) ٢٤٤ الكنيسة النسطورية (٢) ١٣٥ ، ١٣٨ الكنيسة اليعقوبية (١) ٤١٢ (٢) ١٣٨ الكنيسة اليونانية (٢) ١١٦ ، ١١٧ كنانا (١) ٣٥٠ كنعان (ارض) (١) ٢٩ ، ٧٩ ، ٨٥ ،

صفحة	صفحة
	الكوفة (١) ٤٢٧
	(٢) ٢٩ ، ٣١ - ٣٣ ، ٣٥ - ٣٧ ، خروج الحسين
	اليها ٥٥ ؛ ٦٠ - ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٥٤ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٦٢ ؛ ١٨٩
	يحملونها عاصمتهم ١٥٧ ؛ ١٦٢ ، ١٨٩
	كولونيا (١) ٣٢٩
	كولونيا جوليا اوغستا فيلكس (١) ٣٤٢
	كولونيا جوليا اغسطا هليوبوليس (١) ٣٤٣
	كوماجين (١) ٣٥٥
	كومودس (١) ٣٢٠ ، ٣٣٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٥
	كوميدية دانتي الالهة - كتاب (٢) ٢٩٢ ، ٢١٦
	كوثراد مونفترات (٢) ٢٤٦
	الكويت - خليج (١) ٤٦
	كويتيلوس فاروس (١) ٣١٦ ح
	كي اخسار (الميدي) (١) ٢٣٨
	كيتاني (٢) ١٦ ح
	كيتيوم (١) ٢٧٩
	كيرينيوس (١) ٣٢٣ ، ٣١٦
	كيزينيوس (١) ١٢٢
	كيليكيا (كيليكية) (١) ٢٢ ، ٢٢ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٤٩ ، ٢٠٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٧١ ، ٢٩٠ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٤٤ ، ٤١١
	(٢) ٤٥ ، ٤٥ ، ٧٠ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٤٣ ، ٢٣٩
	كيليكى - الكيليكية (١) الابواب ٦٥ ؛ ٣٠٦
	كيوبيد (١) ٣٤٨
- اللام -	
٤٤٦	الثلاث (١)
٢٩٣	الثلاثين (١)
٢٣٥ ، ٢٢٩	(٢)
٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠	
٣٦٥ ، ٣٢٤	اللاتين (١) الكتاب
٢٥٢ ، ٣١٨	اللاتيني (١) الادب
١١٩ ؛ اللغة	اللاتينية (١) الحروف
٢١٣ ، ٢٤٤ ، ٣١٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٧٧ ، ٣٩٣ - ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٩ ، ٤٢٧ ، ٤٣٨ ؛ الثقافة ٣٧٣	
٢٣٠ ، ٢٢٩	(٢) الدولة
٢٣٧ ، ٢٣٨ ؛ الدول ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٤ ؛ الحملات ٢٢٨ ؛ اللغة ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٨٤ ؛ الولايات ٢٢٥ ، الكنيسة ١١٧ ، ١١٦	
٢٧١	لاجين (٢)
٢٤٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢١٧ (١)	لاخيش
٣٣ ، تبغها ٥٢ ؛ ٢٦٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧	اللاذقية (١)
١٩٧ ، ١٩٥ ، ٥٠	(٢)
الزلازل ينزل بها اضرارا ٢٠٣ ؛ ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٥ ، ٢٣٨	
٧٢	لارسا (١)
٢٧٧	لاريسا (١)
٣٨٩	لاريسة (شيزر) (١)
١٤٩	لاغاش (١)
٩	لاكش (١)
١٥٩ ، ١٢٠ ، ٢٧	لاكش (١)
١٦ ح	لامنس (٢)
٢٧٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦١	لاوديسا (١)
٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٣١٧ ، ٢٧٧	

صفحة	صفحة
٣٥٥ ، ٣٤٠ ، ٣٣٤ ، ٣٢٦ ، ٣١٠	٤١١ ، ٣٨٩ ، ٣٢٩
٣٤١ ، ٤٥ (١) اللجا - منطقة (١)	٢٧٩ لاوديسة بيريتوس (١)
١٤٠ ح اللجون (١)	١٩٥ لاوي (١)
٤١٧ لحيان (١)	٣٧٧ لبدّة (لبتيس) (١)
٤٥٠ ، ٤٤٩ ، ٤٤٧ (١) اللخميون (١)	لبنان (١) جزء من سورية ٣ ، ٧ ، ٩ ، ٣٠ - ٣٣ ، اعلى قمة فيه
١٩٤ لخينش (١)	٣٤ ، ٣٦ ، ٣٨ - ٤١ ، حوران
١٩٧ اللد (١)	تمونه بالقمح ٤٥ ؛ جباله ٤٨ ؛
٢٢٧ ، ٢٢ (٢)	٤٩ ، ٥٣ - ٥٥ ، ٦٢ ، ٧٠ ،
٢١٦ لزوميات المعري (٢)	٧٥ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ١٠٤ ،
١٨٩ ، ١٨٤ لعش (١)	١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٤٠ ، جباله
٣٣ ، ٣٢ (١) اللكام (جبل) (١)	١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ،
٥٣ (٢)	١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،
٣٣٥ ، ٣٢٦ (٢) ابو اللمع - آل (٢)	١٨٤ ، ١٨٦ ، الحديد فيه ٢٠٠ ؛
٨٠ لندن (٢)	٢٠٤ - ٢٠٦ ، ٢٢٦ ، ٢٩٤ ؛
١٤٧ اللوتس (عرانس النيل) (١)	٢٩٦ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ،
٢٢٥ اللوتر نجيون (٢)	٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ،
٢٧٨ لودوف فون سوخم (٢)	٣٤٧ ، ٣٨٤ ، ٣٨٩ ، ٤٤٥ ،
٣٤٩ لورنس (٢)	(٢) احراجه ٢٤ ، ٥٣ ، ٥٨ ،
٢٢٨ اللورين (٢)	٨١ ، ٩٥ - ٩٧ ، ١٠٠ ، ١١٥ ح،
٢٤٩ اللوسيني - الشعار (٢)	١١٦ ح ، ١٢٠ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،
٣٢٠ لوشيوس فيروس (١)	١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ،
٢١٢ ، ٢١١ (١) اللوفر - متحف (١)	١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٧ ،
٢٦٥	٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤٤ ،
٧٠ لوكال (فاتح سومري) (١)	٢٥٥ ، ٢٥٨ - ٢٦٠ ، ٢٧٦ ،
٣٥٥ ، ١٨٧ (١) لوكيانس (١)	٢٧٨ - ٢٧٩ ، جباله ٢٨٠ ؛
٣٥٧ ، ٣٥٦	٣٠٩ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ،
١٢٥ لوكيانوس السمساطي (١)	٣٢٢ ، ٣٤٧ - ٣٥١ ، ٣٥٣ ،
لونجينوس - ديونيسوس كاشيوس	٣٥٦ ، ٣٥٥
٤٤٤ ، ٤٤١ ، ٤٣٨ ، ٣٥٨ (١)	لبنان الشرقي (١) ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٣ ،
١٢٤ لوياتان (١)	اقسامه ٤٤ ؛ ٥٠ ، ٥٢ ، ٦٢ ،
٣٢٣ النوبزة (٢)	٦٥ ، ٧٥ ، ١٣٨ ، ٣١٨ ،
٢٦٨ ، ٢٦٧ (٢) لويس التاسع (٢)	(٢)
٣١٨ لويس الخامس عشر (٢)	٣٢٤ ، ٨١
١٢٦ ح لويكاتوس (١)	٥٢ ، ٤٣ لبنان الغربي (١)
٤٢٦ لويكي كومة (١)	٩٣ اللبناني - الريف (١)
١٧٧ ليثة - امرأة يعقوب (١)	اللبنانيون (١) اختراعهم للابجدية ٣ ؛
٣٩٤ ليبانوس (١)	٥ ، القدمات ١٠٣ ، احفاد الفينيقيين
٣٩٥ - ٣٩٣ ، ٣٣٥ (١) ليبانيوس (١)	١٨١ ؛ ١٠٨
	(٢) ٢٥٨ ، ٢٧٨ ، الامراء

صفحة	صفحة
٣٥٢ وانظر برويوس	١١٦ ، ١١٠ ، ١٠٨ (١) ليبيا
٣٧٢ (١) ماركيون	١١٩ (٢)
٧٠ - ماري (عاصمة آمور) (١)	٣٥٦ ليتلون (١)
١٦٣ ، ٧٥ ، الواحها ٨٣ ، ١٦٣	٢٢٩ ليديا - مملكة قارون (١)
١٧٣	٥٥ الليديون (١)
٣٥٤ ، ٣٥٣ (١) مارينوس	١١٤ الليريا (البانيا) (١)
١١٣ ماسرجويه (٢)	١١٤ الليريوس (١)
٢٢ ح ماكس فون أوبنهايم (١)	١٩٦ ح الليرية (١)
٢٨٧ ماكسنتيوس (١)	٢٦٠ ليسسيماخوس (١)
١٢٢ ، ١١٦ ، ١١٤ (١) مالطة	٤١ الليطاني - نهر (١)
٣٤٢ ، ٣٢٩ (٢)	٣٢٩ ليفيرون (٢)
١٨٢ ، ١٦١ (٢) مالك بن انس	٢٨٣ ليفي الورخ (١)
٤٢٤ مالكو (١)	١٠٤ ليكيا (١) -
٤٢٠ مالكو (مالكوس) الاول (١)	٢٥ (٢)
٤٢٣ ، ٤١٣ (١) مالكو الثاني	١٤٤ ، ١١٧ ، ٥٠ (٢) ليو الايصوري
١٥٦ ، ٧٤ (٢) مالقة	٣٧٨ ليون (١)
١١٥ ، ٩٩ ، ترميمه المامون (٢)	٨١ ، ٧٦ ليونة (٢)
١٦٠ ح ، ١٦٤ ح ، ١٦٥ ،	٤٠١ ، ٤٠٠ ليونيتوس (١)
٢٨٤ ، ١٨٥ ، ١٧٦	
٢٠٥ مانزكرت (٢)	- الميم -
٤١٠ المالوية (١)	١٧٢ ما - الهة (١)
٢٩٠ (٢)	ما بين النهرين (١) ٣٢ ، ٧١ ، ١٤٨ ،
٦٦٠ ، ٦٥ ما وراء النهر (٢)	١٤٩ ، ١٧٦ ، ٣٨٢ ، ٣٩٥ ،
٦٩ ، ٦٨	٤١٣ ، ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٤٧
٤١٠ ماني (١)	٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ٨٧ ، ١٥ (٢)
١٥٧ مانيتو (١)	١٧٥ مات آريمي (١)
١١٣ ماهون (١)	١٥٩ ماتيتو (١)
١٦٦ المبرقع (٢)	١٧٢ ، ١٦٣ ماتيوازا (١)
٣٨ المتالة (١)	١١٣ ماجو (١)
١٢٠ (٢)	٢٩٨ ، ٢٥٤ ماراتوس (١)
١٧٠ متحف استانبول (١)	٨٣ ، ٧١ ، ٧٠ (١) مارتو (بلاد الغرب)
١٤٤ ح متحف برلين (١)	٢٠٧ ، ١٩٣ ، ١٣٩ (٢) ماردين
١٢٥ (٢)	٣١١ مارك انطونيو (١)
١٧٠ المتحف البريطاني (١)	١٤٤ ماركوس اوريليوس (١)
١٧١ (٢)	٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٧ ، ٣٥١ ،
١٧١ متحف حلب (١)	٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٨
١٣٣ متحف اللوفر (١)	ماركوس فاليريوس برويوس (١)
١٤٤ ح المتحف الوطني (١)	

صفحة	صفحة
محمد الاول (العثماني) (٢) ٣٠٤ ح	متراديس (ملك البونت) (١) ٢٧١ ،
محمد الثالث (٢) ٣٠٥ ح	٢٧٣ ، ٢٧٤
محمد الثاني (٢) ٢٩٧ ،	متصرفية جبل لبنان (٢) ٣٤٤
٣٠٤ ح ، ٣٠٥ ح	الطن (١) ٣٨
محمد بن جابر بن سنان البتاني (٢) ١٧٩	(٢) ٣٢٦
محمد الحبيب (٢) ٢٠٩	النبني (٢) ١٩٢ ، ١٨٢ ،
محمد بن الحنفية (٢) ٦٠	١٩٧ ، ١٩٩
محمد الرابع (٢) ٣٠٦ ح	التوسط - البحر (٢) ٤٥ ، ١٨ ،
محمد رشاد الخامس ٣٠٦ ح ، ٣٥٠ ،	٤٨ ، ٨٧ ، ١٠٣ ، ١٥٦ ،
محمد بن طغتكين (٢) ٢٠٩ ح	٢٥٣ ، ٣١٧ ، ٣٥٦ وانظر البحر
محمد بن طفيج (٢) ١٩٠	التوسط
محمد بن طولون (٢) ١٨٩ ح	التوكل (٢) ١٦٠ ، ١٠٣ ، ح
محمد علي (٢) ١٥٥ ح ،	١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ،
٣٤٢ ، ٣٤١	١٨٢
محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (٢) ١٥٨ ح	التوكل سليل المستنصر (٢) ٢٩٨
محمد العلوي (النفيس الزكية) (٢) ١٦٢ ، ١٦١ ح	متراديس (١) ٣١١
محمد بن القاسم الثقفي (٢) ٦٩	المجد بن أي الحكم - ابو (٢) ٢٨٢
محمد بن مروان (٢) ٦٤ ح ، ١٤٨	مجدو (١) ٨٧ ، ٦٤ ، ٢٩ ، ٢٧ ،
محمد بن المستنصر (الفاطمي) (٢) ٢١٣ ح	٨٩ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ،
محمد بن المظفر الحاجي (٢) ٢٧١	١٤٣ ، ١٩٤ ، ٢٢٣ ، ٢٩٨
محمد بن نصر الكوفي (٢) ٢٢٠	مجمع خلدون (٢) ١٤٢
محمد وحيد الدين (٢) ٣٠٦ ح	المجمع العلمي العربي في الشام (٢) ٢٨٥ ، ٢١٧
محمود الاول (٢) ٣٠٦ ح ، ٣١٨	مجمع نيقية (١) ٣٧٢
محمود الثاني ٣٠٦ ، ٣١٤	مجنون ليلي (٢) ١١٠
محمود - السلطان (٢) ٣١٥ ، ٣٤٤	الجوس (٢) ٩٩
محمود بن طغتكين (٢) ٢٠٩ ح	الجوسي (٢) ٢٥٠
المحيط الاطلسي (١) ١١١ ، ٤٨ ، ٢٠٠ ،	المجداريس - شجرة (١) ٣٢٩
٢١٢ (٢)	المحاورات - كتاب (١) ٣٥٦
وانظر الاطلسي	المحبي - محمد (٢) ٣٢١
المحيط الجنوبي (١) ١٠٨	المحمل (١) ١٩٨ ح
المحيط الهندي (١) ٢٧١	محمد النبي (١) ٢٣٢ ، ٢٣٣ ،
(٢) ٢٤٢ ، ٢٣٠	٤٤٩ ، ٤٤٨ ، ٤٣٠
محيي الدين بن عربي (٢) ٢٩١	(٢) قيادته الحملة على تبوك ٤ ؛
مختار الحكم ومحاسن الكلم - كتاب	٤٥ ، ٢٩ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٩ ،
	١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥١ ح ، ١٥٨
	ح ، ١٦١ ح ، ٢٣٧ وانظر
	« النبي » و « الرسول »
	محمد بن اسماعيل الدرزي (٢) ٢١٧

صفحة	صفحة
٣٥٠ : ٣٩ ، ٣٢ (١) مرج ابن عامر	٢٨٤ (٢)
٢٢ (٢)	٤١٤ ، ٣١٠ ، ٦٥ (١) المدائن
١١٨ (٢) المرجئة	٤٢٨ ، ٤٢٢ (١) مدائن صالح
٩٥ مرداس - بنو - المرداسيون (٢)	وانظر الحجر
٢٢٢ ، ٢١٤	مدائن كسرى (٢) ١٥٩ ، ١٣٦
٢١٤ الرداسية (٢) الدولة ٢٠٥ ؛ السلالة	١٦١
١٤٠ ، ٥٤ - ٥٢ (٢) الردة	مدحت باشا (٢) ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٥٠
٤٤٥ ، ٢٣٢ (١) مردوخ	المدرسة العادلية (٢) ٢٨٥
٢٨٩ ، ١١٢ (١) مرسيليا	مدرسة الحقوق الرومانية (١) ٣٦٠ ، ٣٩٩
٢٢ (١) مرسين	المدرسة النورية (٢) ٢٨٥
١٧٣ ، ١٦٦ (١) مرثلس الاول	مديا (٢) ١٣٠ ح
١٨٥ ح - مرعش (١)	مدين (١) ١٩٣
٥٠ ، ٤٥ (٢)	المدانيون (١) ١٩٥ ، ٥٦ ، ٢٠٧
٩١ (١) المرقا المصري	المدينة (١) ٤٥١
٢٣١ (٢) المرقب	المدينة (٢) ٤ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٣ ، اعتزال
٥٠ ، ٤٨ (٢) مرمرة - بحر	الحسين فيها ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ١٢١ ، ١٣١ ، النفس
١٩٦ ، ١٩٣ (١) مرفتاح بن رعمسيس	الزكية يصلب فيها ، ١٦١ ؛ ١٩١ ، ٢٢٧ ، ٢٦١ ، ٣٤٩
١٥٣ ، ١٣٦ ، ٦٨ ، ٦٦ ، ٣٨ (٢) مرو	المدينيون (١) ١٩٣
٣٠ ، ٢٩ ح ، ٣٠ ، ٤٩ ح ، ٥٨ ، ٦٤ ح ، ٩٦ ، ١١٣ ، ١٤٨	مراثوس (١) ٢٧٩
٨٨ ، ٦٤ ح ، ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٤٨ ، حالة الدولة عند	مراثون - معركة (١) ٢٤٦
١٥٣ ، ١٥١ ؛ ١٥٣ ، ١٥٤	مراد الاول (٢) ٣٠٤ ح
١٤٨ ، ٥٤ (٢) المروانيون	مراد الثالث (٢) ٣٠٥ ح
٢٢٢ (١) مربب بعل	مراد الثاني (٢) ٣٠٤ ح
١٥٦ (٢) المرية	مراد الخامس (٢) ٣٠٦ ح ، ٣١٦
٣٠٢ (١) مريسة	مراد الرابع (٢) ٣٠٥ ح ، ٣٠٦ ح ، ٣٣٢
١٢٦ ح مريم العذراء (١)	مراسلات تل العمارة (١) ١٤٤
١٣٧ ، ١٣٥ (٢) وانظر العذراء	مراكش (١) ٤٤٤
١٢٣ (١) الزامير - سفر	٣٢١ ، ٣٠٥ (٢)
٢٣٠ ، ٢٢٥ ، ٢٠٥ ، ١٢٤ ، ٣٩٣	المرتفعات (١) ٢١٨ ، وانظر الاماكن العالية
٣٩٣ مسائل الامام احمد بن حنبل - كتاب	مرج دابق (٢) ٢٩٨ ، ٣٠٦ ، ٣١٠
٢٧ (٢)	مرج راهط (٢) ٥٨ ، ٩
	مرج الصفر (٢) ٢٧٢ ، ١٠

صفحة	صفحة
٢٣٢ ، ٢٣٤ - ٢٣٧ ، ٢٥٩ ،	مسالك الابصار في ممالك الامصار
٢٧٠ ، ٣١٢ ، ٣١٦ ، ٣٥١ ،	كتاب (٢) ٢٩٥
مولده ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٧ ،	المسالك والممالك - كتاب (١) ٦٣ ح
٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ،	المستضيء (العباسي) (٢) ٢٣٦
٣٩٤ ، ٤٠٧ ، ٤١٠ - ٤١٢ ،	المستعصم (٢) ٢٦٦ ، ١٦٠
٤٤٤	المستعلي (الفاطمي) (٢) ٢١٣ ح
(٢) ٤ ، ١٣ ، ١١٦ ، ١٣٣ ،	المستنصر (الفاطمي) ٢١٣ ح ، ٢١٥
١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٥٧ ،	المسجد الابيض (٢) ١٢٨
٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧	المسجد الاقصى (٢) ١٣١ ، ١٢٨
السيحية (١) سورية مهدها ٣ : الامم	المسجد الاكبر (٢) ١٢٩
٢٣٦ ، ٢٨٣ ، ٣٠٠ ، ٣٦٣ ،	المسجد الاموي (٢) ١٢٨ ، ١٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٦١
٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ،	مسجد خالد بن الوليد (٢) ١٣٤ ، ١٦٩
٣٧٣ ، ٣٨٣ - ٣٨٨ ، ٣٩٣ ،	مسجد حلب (٢) ١٢٩
٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ،	مسجد الصخرة (٢) ٦٥
الكنيسة ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٤٤٤ ،	مسجد بن طولون (٢) ١٨٧
٤٤٨	المسجد الكبير بمكا (٢) ٣٣٨
(٢) ٣ ، ٢٢٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩	مسجد المدينة (٢) ١٣٤
المسيحيون (١) ٣ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ،	مسجد مكة (٢) ١٣٤
١٨٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ،	المسجد النوري (٢) ٢٨٥
٣٦٦ - ٣٦٨ ، ٣٧٥ ، ٣٨٧ ،	المسعودي (٢) ١٠٧ ، ١٤١
٣٩٣ ، ٣٩٨ ، ٤٠٧ ، ٤١٠ ،	مسكين الدارمي (٢) ١١٠
(٢) ٥٣ ، ١٠١ ، ٢٠٥ ، ٢١٨ ،	مسلم الخراساني - ابو (٢) ١٥٣ ،
٣١٨	١٦١ ، ١٦٠
مسينا (٢) ٣٢٩	مسلم بن عقبة (٢) ٥٧
المشتي - قصر (٢) ١٢٤	مسلمة بن عبد الملك (٢) ٥٠ - ٥٢ ،
المشرفة (١) ٧٤	٧٠
المشرفية - السيوف (٢) ٤	المسلمون (١) ٣ ، ١٣٠ ، ١٤٤ ،
مشكاة الانوار - كتاب (٢) ٢٩١	٤٢٤ ، ٤٣٣
المشكينو - طبقة (١) ٩٣	(٢) ٨٠ ، عدم بنائهم المساجد
المشنة (١) ٢٣٦	في اول عهدهم ١٢٨ ، ١٢٩ ،
مشهد علي (٢) ٣٤	١٥٢ ح ، ١٦٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ،
المشيئة الواحدة (٢) ١٣	٢٣٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٥٠ ،
مصر (١) ٧ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٢٩ - ٣٣ ،	٢٥٨ - ٢٦٣ ، ٢٨٠ ، ٢٩٧ ،
٣٦ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٣ ،	٣٠٥ ، ٣١٢ ، ٣١٧ ، ٣٤٩
٦٩ ، حضارتها ٧٤ ، ٧٥ ،	المسمارية - الكتابة (١) ١٢١ ، ١٤٩ ،
٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٩٢ ،	١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٩٢
٩٥ ، قبورها ١٠٠ ، ١٠٢ ،	المسيح (١) ٤ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ١٨٢ ،
١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،	١٨٤ ، ٢١٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ،
١١١ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،	

صفحة

- ١٤٦ ، ١٦٣ ؛ الجيوش ١٤٣ ،
٢١٨ ؛ مغنية ١٤٥ ؛ الحضارة
١٤٦ ؛ اللسة ١٤٨ ، ١٦١ ؛
الوثائق ١٦٣ ؛ المدونات ١٧٢ ؛
الدولة ١٩٢ ؛ الادب ٢٣١ ؛
الجيش ٢٧٠ ، ٢٧٢
المصريون (١) ٦٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٢ ،
٩٩ ، ١٠١ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ،
١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ،
١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ،
٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٢ ،
(٢) ٢٠٣ ، ٢١٧ ، ٢٦٧ ،
٢٧٨ ، ٢٤١
مصطفى الاول (٢) ٢٠٥ ح
مصطفى باشا (٢) ٢٢٠
مصطفى الثالث (٢) ٢٠٦ ح
مصطفى الثاني (٢) ٢٠٦ ح
مصطفى الرابع (٢) ٢٠٦ ح
مصطفى كمال (٢) ٢٠٤ ، ٢٥١
مصطفى كيرولو (٢) ٢١٤
مصعب بن الزبير (٢) ٥٨
المصفاة (١) ٢٢٧ ح
مصياف (٢) ٢٤٥ ، ٢٤٦
المصريون (٢) ٨٠
الطبعة الاميركانية (٢) ٢٥٢
مطبعة الجزويت (٢) ٢٥٢
الظفر احمد (٢) ٢٧٣ ح
الظفر الاول تقي الدين (٢) ٢٦٥ ح
الظفر الثاني تقي الدين (٢) ٢٦٥ ح
الظفر اثنالث تقي الدين (٢) ٢٦٥ ح
الظفر حاجي (٢) ٢٧١
مظفر - حاكم لبنان (٢) ٢٤٦ ح
الظفر علي (٢) ٢٦٥ ح
معان (٢) ٦ ، ٥
معاوية (١) ٢٤٦
معاوية بن ابي سفيان (٢) ٦ ، ١٢ ،
١٣ ، ٢٣ - ٢٦ ، ٣٠ ، مطالبته
بثار عثمان ٢١ ؛ ٣٣ ، ٣٥ -
٤٠ ، حزمه وعلاقته مع الروم
٤٢ - ٤٦ ؛ ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٣ -

صفحة

- ١٢٥ ، ١٣٦ - ١٣٩ ، ١٤٣ -
١٤٩ ، تفوقها الحضاري ١٤٥ ؛
١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، الحصان
يدخل اليها ١٥٨ ؛ ١٥٩ ،
الهكسوس يدخلون اليها ١٦٠ ؛
١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ،
١٨٠ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، الخروج
منها ١٩٣ ؛ ١٩٥ ، ٢٠٥ ،
٢٠٦ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٨ -
٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ،
٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ - ٢٥٩ ،
٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ،
٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٧ ،
٣٠٣ ، موطن البايروس ٣٠٥ ؛
٣٠٧ ، ٣١١ ، مصدر الكتن
٣٢٦ ؛ ٣٢٩ ، مورد البردي
٣٣٠ ؛ ٣٣٤ ، ٣٤٨ ، ٣٥٢ ،
٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٤١٣ ، ٤٢٠ ،
٤٣٨ ، ٤٣٩
(٢) ٦ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٨ ،
٣٠ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٦٥ ، ٧١ ،
٨٧ ، ٩٠ ، ٩٩ ، ١٠٦ ، ١٣٥ ،
١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ح
١٨١ ، ١٨٥ - ١٨٧ ، ١٩٠ ،
١٩٢ ، ١٩٨ ، ٢١١ ، ٢١٤ ،
٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ،
٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ - ٢٤٥ ،
٢٥٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،
٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
٢٨٦ ، ٢٩٥ - ٢٩٩ ، ٣٠٥ ،
٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣٢٧ ،
٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ -
٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٥٢ - ٣٥٤
مصر (العليا) (١) ١٨٤ ، ٤٢٥
(٢) ١٥٤
مصر القديمة (١) ١٣١ ، ١٤٠
مصر الوسطى (١) ١٦٠
المصري - المصرية (١) الخزف ٩٤ ؛
الامبراطورية ١٣٨ - ١٤٠ ،

صفحة	صفحة
١٢	مفارة الاميرة (١) ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٨٤
١٠	مفارة انزطية (١) ٨٨ ، ٩٠ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٩
١٠	مفارة السخول (١) ١١١ ، ١١٨ ، ١٥٠ ، ١٥٥
١٣ ، ١٠	مفارة الطابون (١) ١٥٧ ، ١٦٤
١٦ ، ح ١٣	مفارة الوادي (١) ٤٩
١٨٤ ، ١٢٨ ، ح ٣٨	مفارة الغرب (٢) ١٤٩
٢٦٦ ، ١٠٢	مفانيزيا (١) ١٢٣
٣٦٤ ، ٦٤	المغول (١) ١٢١
٢٦٨ ، ٢٤٣ ، ١٨٥ ، ١٦٠ (٢)	معبد ابولون وديانا (١) ٣٣٦
٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٩٥	معبد اثار غالشي (١) ٣٤٦ ، ٣٤٨
١٣٧	معبد جوبيتر - حلد (١) ٣٤٦ ، ٣٤٧
٥٩ ، ٣٧ ، ٣٦ (٢)	العتز (٢) ١٨٢
مقامات الحريري (١) ٢٨٦ ح	العتزلة (٢) ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٦٦
٦٢	القدس - الجغرافي (١) ٢١٨ ، ٢١٥ ، ١٦٦
١٨٧ ، ١٣٣ ، ٥٢ (٢)	العتصم (٢) ١٦٠ ح ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٨١
٢٠٢ ، ٢٠١	العتصم (٢) ١٨٦ ، ١٨٨
مقدمة بن خلدون - كتاب (٢) ٢٩٥	معجم الادباء - كتاب (٢) ٢٩٤
٢٩٥ ، ٢٧٦	معجم البلدان - كتاب (١) ٤٤
٣٢١	٢٩٤ (٢)
٥	معرة النعمان (٢) ٢١٥ ، ٢١٧ - ٢٢٧
٢١٧	معري - ابو العلاء (٢) ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٧
١٧٥	معركة حليلة (١) ٤٤٨
٢٦ ح	معركة قادش (١) ١٦٧
الكابي - الكايبية (١) ٢٦٨ ؛ العصر	معركة قرقر (١) ١٥١
٣٧٥ ؛ الثورة ٢٦٧ ، ٣٠٢	معركة مجلدو (١) ١٤٠ ، ١٤٣
الكابيون (١) ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٢٩٢	معركة مفانيزيا (١) ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٠٨
٢٩٢ ، ٣١٠ ، ٣٥٣ ، ٤١٩	معركة اليرموك (١) ٤٥٠
مكدونيا (١) ٩٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩ - ٢٦١	المعز - الفاطمي (٢) ١٩٣ ، ٢١١ ، ٢١٣ ح
٢٧٩ ، ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٣٥٥	المعظم شرف الدين (٢) ٢٦٤ ح
المكدوني - المكدونية (١) الامبراطورية	المعظم طوران شاه (٢) ٣٦٤ ح
٢٥٩ ؛ الجيش ٢٦٤ ؛ الجاليات	معلولا (٢) ١٧١
٢٧٨ ؛ المستعمرات ٢٩٤ ، ٣١٦ ؛ النصر ٣١٧ ؛ ٣٠٦	المنبيون (٢) ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٣
المكدونيون (١) ٦٤ ، ٧٥ ، ٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٩ -	المفاربة (٢) ٣٣٨
٣١٨ ، ٢٩١	
٦٩	مكران (٢)
٣٨١ ، ٣٨٠	مكزينوس (١)
٣٥٧	مكسيموس (١)

صفحة	صفحة
٢٩٩ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١١	٤٥١ مكة (١)
٣٢٧ ، ٣١٢	٤٥٧ ، ٣٥٤ ، ٢٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٢ (٢)
٢٦٨ ، ٢٦٧ (٢) الممالك البحرية	١٣١ ، ١٢٩ ، ١٢١ ، ٦٥ ، ٥٩
٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٨٦	١٩١ ، ٢٠٩ ، ٢٦١ ، ٢٩٢
٢٦٨ (٢) الممالك البرجية	٣٤٢ ، ٣٢١
٢٧٢ ، ٢٧٣	١٨٦ ملاطية (١)
٣٢٠ معر كيليكية (١)	٤٤٥ ملك بعل (١)
١٥٥ ، ١٣٧ ، ١٠٧ مقيس (١)	٤١٤ ملالاس (١)
٥٦ الملكة القديمة (١)	١٣٦ ملبار (٢)
٢٥٦ الملوك الاشرف (٢)	٧٠ ، ٦٩ ملتان (٢)
٤٢٩ مناة (١)	٣٠٧ ملحق الابحر - كتاب (٢)
٢٧٠ ، ٢٨١ ، ١٨٦ ، ١٠٢ منيج (١)	٣٣٥ ملحم بن حيدر الشهابي (٢)
١٩٩ ، ١٨١ ، ٢٢ (٢)	٣٤٠ ح
١٨٤ المنعية - اللغة (١)	٣٣٣ ملحم بن يونس (٢)
٤٤٩ المنذر (١)	١٢١ ، ١٢٧ ملخ (١)
٤٤٧ المنذر الثالث (١)	٢٢٣ ملرمونت (٢)
٢١٨ منسى بن حزقيال (١)	١٨٣ ، ١٤٧ ، ١٢٨ ، ١٨٣ ، ٢٥٤ ملقاروت (اله) (١) وانظر ميكرتس
٢١٢ منشا (منسة) بن ابراهيم (٢)	١١٣ ملقة (١)
١٣٧ المنشوكية - اللغة (٢)	٢٦٤ الملك الافضل (٢)
١٣١ المنصور - الخليفة العباسي (٢)	١٤٣ ، ١٤٢ الملكانيون (٢)
١٥٨ ح ، ١٥٩ - ١٦٢	١٧١ الملكانية (٢)
١٨٣ ، ١٧٦ ، ١٦٤	٢٠٤ ، ٢٠٧ ملكشاه بن ابي ارسلان (٢)
٢١٣ ح المنصور (الفاطمي) (٢)	٢٢٦ ، ٢٠٧
٢٢٥ المنصور - الامير اللبناني (٢)	١٥٧ الملوك الرعاة (١) وانظر الهكوس
٢٣٥ المنصور بن حيدر الشهابي (٢)	٣٤٠ الملوك الكهنة (١)
٣٤٠ ح	٤٢٥ مليتوس (١)
٢٣ ، ١٠ المنصور بن سرجون (٢)	٢٨٧ ، ٢٨٦ مليقر بن يوكرايتس (١)
٢٦٥ ح المنصور سيف الدين (٢)	١١٣ ميكرتس (ملقارات) (١)
٢٧٣ ح المنصور عز الدين عبد العزيز (٢)	٢٠٢ ، ٨٨ ممالك المدن (١)
٢٧٣ ح المنصور فخر الدين عثمان (٢)	٦١ ، ٥ الممالك (١)
٢٢٦ ، ٣٦٥ ح المنصور ناصر الدين (٢)	١٥٥ ، ١٢٨ (٢) ح
٢٠٤ ، ٢٩٨ منغوليا (١)	٢٤٣ ، ٢٣٤ ، ٢٠٣ ، ١٧٢
٢٠٣ ، ٢٤٧ (٢)	٢٥٢ ، ٢٥٩ - ٢٦٤ ، ٢٦٢
٩٠ منهاتن (١)	٢٦٦ ، ٢٦٨ فضلهم وآثارهم ؛
٢٢٥ منقذ - بنو (٢)	٢٧٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧
٣٥٦ منيبوس ايكارو (١)	٢٧٩ ، الهندسة المعمارية
٢٥٨ ، ١٦٧ النيطرة (٢)	٢٨٦ وفن الزخرفة عندهم ؛
	٢٨٨ - ٢٩٠ ، ٢٩٥ - ٢٩٧

صفحة	صفحة
١٣	مؤاب (١) ١٥٦ ، ١٣٤ ، ٤٤
المونوفيزية (١) ٤١٣ ، ٤١٢ ،	١٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ،
الكنيسة ٤٤٨ ؛ ٤٤٩	٢١٦ ، ٣١٩ ، ٤١٦
المؤيد شهاب الدين أحمد (٢) ٢٧٣ ح	٢٠٢
المؤيد شيخ (٢) ٢٧٣ ح	٣٢٧
المؤيد أبو الفداء (٢) ٢٦٥ خ	المواد المعدنية (١)
المهدي (٢) ١٦٠ ، ١٢٠ ، ٩٩	الموازنة (١) ١٦٥ ، ٦٤ ، ٣٨
١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٩٠ ، ٢١٠	(٢) ٤٠ ، ٥٣ ، ١٤٠ - ١٤٢ ،
المهدي (الفاطمي) (٢) ٢١٣ ح	١٧٠ - ١٧٢ ، تكلمهم
المهدية (٢) ٢١١	السريانية ٢٢٦ ؛ ٢٢٨ ، ٢٣٥ ،
مذهب الدين ابن الدخوار (٢) ٢٨٢ ،	٢٦٠ ، ٣٠٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ،
٢٨٣	٣٢٣ ، ٣٢٦ ، فخر الدين يتخذ
المهلب بن أبي صفرة (٢) ٦٢ ، ٦١	منهم مستشارين ٣٣١ ؛ ٣٣٢ ،
ميفارقين (١) ٢٧٣ ح	٣٣٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥
المياه المقلوبة (١) ١٣٩	الموالي (٢) ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٥٢ ،
ميتاني (١) بلاد ١٤٢ ؛ مملكة ١٦٢ ؛	الموت الاسود (٢) ٢٧٧
ملك ١٦٣ ؛ ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،	مؤنة (٢) ٤ ، ١٨٢ ،
عرش ١٧٢ ؛ ١٧٤	موتشي (٢) ٣٢٨
ميتانيات (١) ١٤٧	موتش (١) ١٦٧
الميتانيون (١) ١٦٧ ، ١٧٠ ،	الموجب - نهر (١) ١٨٠ وانظر آرنون
الميثانيون (١) ١٥٧ ، ١٧٠ ،	موجز يوستنيان - كتاب (١) ٣٦١
ميشرا - آلهة (١) ٣٦٩ ، ١٦٢	موسى (١) ٦٥ ، ٨٩ ، قيادته
ميخا (١) ٢٣٥	الهجرة الثالثة للبرانيين ١٩٠ ؛
ميخائيل الغزيري (٢) ٣٢٣	١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٧ ، ٢٢٩ ،
ميخائيل مشاققة (٢) ٣٣٩	٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٣٥٨ ، ٤٠٧ ،
ميديا (١) ٢١٣ ، ١٦٢ ، ٢٥٧	٤١٨
الميدون (١) ٢١٩ ، ٢٣٩	موسى الاشعري - ابو (٢) ٣٢ ، ٣٣
ميدوي - فارس (١) ٢٩١	موسى العثماني (٢) ٣٠٤ ح
ميري استروت (١) ١٤٦	موسى بن نصير (٢) ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ،
المرويس (١) ٢٨٧	٧٦ - ٧٨
ميروفنجي - بلاط (٢) ٧٩	موسيرية - حضارة (١) ١٩
الميروفنجيم (١) ٣٩٢	الموسوعة الشرقية (٢) ٣٢٣
ميزوبوتاميا (١) ١٤٨ ح	موسوية - شريعة (١) ٢٢٩
الميزوليتي - حضارة (١) ٢١	الموسيقى العربية (٢) ١٢١
ميسون ابنة بحدل (٢) ٢٣ ، ٤٠	الموصل (٢) ١٣٥ ، ١٣٧ ، قبر ابي
ميشا (ملك نواب) (١) ١٣٤ ، ٢١١	تمام فيها ١٨١ ؛ ١٩٣ ، ٢٠٧ ،
٢١٢	٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ -
الميعة - شجرة (١) ٣٢٩	٢٣٦ ، ٢٨٦ ، ٣٣٥
ميكال سيد بيت شان (١) ١٣١	الموقر (٢) ١٢٥
	موندرل (٢) ٣٣٠

صفحة		صفحة	
٣٩ ، ١٠	(١) الناصرة	١٢٥ ، ٩٤	ميكاني - خرف (١)
٢٢٨ ، ٢٦٩	(٢)	٩٦	سلاح
٣٣٧ ، ٣٣٦		١٢٣	ميلتوس (١)
٢١٤	ناصرى خسرو (٢)	١٦٢	ميموريا (١)
٣٩	نافع - ابن (٢)	١٢٣	الينا البيضاء (١)
٦٢	نافع بن الأزرق (٢)	٣٥٣	ميناء ندر (اللاذقي) (١)
٢٨٦	ناكوس (١)	٢٨٦	مينبوس (١)
١٩٧	نباته - ابن (٢)	٩٧	مينة البيضاء (١)
اللغة	النبطي - النبطية (١) ٢٠٩ ، اللغة	١١٣	مينورقة (١)
١٨٤ ؛ الكتابة ٤١٧		٢٨٥ ، ١١٤	مينوس (١)
١٤٦	(٢) اللغة	١٠٢	المينوسيون (١)
بوخذ نصر (١) ١٤٤ ، ٦٥ ، ٥			
فوحاته في سوريا ١٥٥ ؛ ٢١٩ ،			
تدميره مملكة يهوذا ٢٢٠ ؛			
٢٤٢ ، ٢٣٩ ، ٢٣٨ ، ٢٤٤			
٢٥٨ ، ٢٥٤ ، ٢٤٤			
النبي (محمد) (١) ٥١			
١١ ، ١٠ ، ٧	(٢)		
٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٩			
٤٦ ، ٤٧ ، ٨١ ، ٩٨ ، ٩٩			
١٠٧ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٥١			
١٥٣ ، ١٦٨ ، ٢٢٢ ، ٢٦١			
وانظر محمد			
نجد (٢) ١٧ ، ٨٧ ، ٩٥			
١١ ، ٢٦١			
النخف (٢) ٣٤			
نجم الدين الغزي (٢) ٣٢١			
نجم الدين (الملك الصالح) (٢) ٢٤٢			
النجمة القطبية (١) ١٠٥			
نحميا (١) ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٨			
٢٤٣ - ٢٤٥			
نخاو - الفرعون (١) ١٠٨			
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر -			
كتاب (٢) ٢٩٥			
النخيل - شجر (١) ٣٢٤			
نرفا - الامبراطور (١) ٣٢٠			
نرويحي - اسطول (٢) ٢٣٠			
النساطرة (١) ٣٩١			
(٢) ١٧١			

صفحة	صفحة
٣٢١	نسطوريوس (١) ٤١٢ ، ٣٩٥
١٤٤	(٢) ١٣٥
٢٨٣	النسطورية (١) ٤١٢ ، ٤١١
١٠٧ ، ٤٠	(٢) الكنيسة ١٣٨ ، ١٣٥
١٩٥ ، ١٩٤	ننيد الانشاد - سفر (١) ١٢٣
١٢٣	النصارى (٢) ٣ ح ، ٥ ، ٨٠ ، ٩٨ ،
٤٢٧	ممارستهم اعمالهم العادية في
١٤١	ظل الاسلام ١٠٠ ؛ ١١٦ ، ١٢٢ ،
٣٤٧ ، ٣٤٢	١٢٨ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،
١٤٣ ، ١٤١ ، ١٣٩	١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٦ -
١٧٦ ، ١٦٣ ، ١٦٢	١٧٨ ، ٢٠٣ ، ٢١٤ ، ٢٢١ ،
١٥٣	اضطهادهم زمن الحاكم ٢٢٢ ؛
١٣٠ ، ١٢٦ ، ١٢ ، ٩	٢٢٥ - ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ ،
١٢	٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ،
نهر العاصي - انظر العاصي	٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ،
٦٥ ، ٣٣ ، ٣٢	٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٩١ ، ٣١٢ ،
١٤٤ ، ٣١ ، ١٢ ، ٩	٣١٥ ، ٣٣٠ - ٣٣٢ ، ٣٣٦ ،
٢١٩ ، ١٥٦ - ١٥٣ ، ١٥١	٣٤٥ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣
٣٢٨	نصب مؤاب (١) ٢١٦
نهر النيل - انظر النيل	نصر بن سيار (٢) ١٥٣ ، ٦٩ ، ٦٨
١٦٦	النصرانية (١) ٤٥٢
١٤٩ ، ٢٣	(٢) ١١٦ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٩٣
١٧٧	نصري فرنكو (٢) ٣٤٦ ح .
٢٤٥	نصيبين (١) ٢٧٧
٢٣٦	نصيبين (١) ١٠٧ ، ٢٧٧ ، ٢٩٨ ،
٢٥٢	٢٩٩ ، ٤٠٩ ، ٤١٢
٦٦ ، ٥٤	(٢) ١٧٤ ، ١٦٠
٢٨١ ، ٢٤١	النصرية (١) ٣٢ ؛ يلجأون الى جبال
٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧	النصرية ٣٣ ؛ جبالها ٣٥ ؛ ٦٤
٢٩٤	(٢) ١٢٠ ، ٢١٩ ، ٢٢١
٢٧١	٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤٥ ، ٢٥٩
٢٠٨	النطوفي ، النطوفية (١) الدور ١٥ ،
٢٣٤ - ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢	٥٥ ؛ الحضارة ١٥ ، ١٦
٢٦٥ ح	النطوفيون (١) ١٧
٢٥٥	نظام الملك (٢) ٢٨٤
٢٢٦	النظامية (٢) ٢٨٤
٢٢٥ ، ٢٢٤	نعمان السوري (١) ١٨٦
٢٢٧ ح	النعمان بن المنذر (١) ٤٤٩
٢٩٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤	نعم - حاكم لبنان (٢) ٤٣٦ ح .

صفحة	صفحة
١٩٢ هاجر - الجارية (١)	١٧٣ نوزي (١) ١٦٢ ، وثائق ١٧٢ ؛
٣٣٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٠ (١) هادريان	٣٢٣ نونفا تراجانا بصرى (١)
٣٢٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٢	١٤٦ نوكراتس (١)
٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٤٣٥	٣٧٤ نوميديا (١)
٤٣٥ هادريانا بالميرا (١)	٣٥٨ ، ٣٥٧ نوميديوس (١)
١٦٠ ح. الهادي (٢)	٣٧٨ نيبولس (نايلس) (شكيم) (١)
٢٣٠ اسرته هارون (١)	٣٤٩ نياندرتالي - الانسان (١)
١٩٠ ، ١٨٩ هارون بن خمارويه (٢)	٣٨٠ نيتوكريس (١)
٩٩ ، ٥١ ، ٣٤ (٢) هارون الرشيد	٣٤٢ نيجر (١)
١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥	٣١٩ ، ٢١٨ نيجو (فرعون مصر) (١)
١٦٨ هازور (١)	٢٣٨ نيرون (١) ٣١٦ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧
١٥٩ ، ٨٩ الهاسمونية (١)	٤٢٣ ، ٣٦٧ ، ٣٦٦
٢٦٨ الاسرة الهاسيديم (١)	٦٩ النرون (٢)
٣٧٥ هاشم (٢) ٣٠ ، ١٥١ ح. ، ١٥٨ ح.	٦٨ نيسابور (٢)
٣٩ الهاشميون (٢)	٢١٤ نيسابور - جبال (١)
٢٦٦ ، ١١٦ ، ١١٣ هانيبال (١)	٢٥٦ نيقتوريوم (١)
٣٧٩ هبل (١)	٣١٢ نيقتولاوس اللمشقي (١)
٤٢٩ الهدي الصيادي - ابو (٢)	٣٢٤ نيقة (١) ٣٩٣ ، مجمع ٣٩٧ ، ٤٠٣ ؛
٢٤٦ هرة (٢) ٢٨ ، ١٢٦	العقيدة ٣٨٧ ؛ ٤١١
٤٥٠ هرقل (١)	٢٢٤ ، ٢٠٥ نيقتا (ازنيق) (٢)
٢٥ ، ١٣ - ١١ ، ٧ ، ٦ ، ٣ (٢)	٢٧٨ ، ٢٥٩ نيكتاتور (١)
١٤١ هرمس (١)	٣٩٣ نيكوميديا (١)
٤٤٥ الهرمل (١)	١٠٨ ، ١٠٧ ، ٦١ ، ٣٢ ، النيل
٢٧٢ هرمياس (١)	٣٢٩ (٢) ١٨٦ ، ٢٥٥ ، ٢٦٤
٣٠٦ الهسموني (١)	٢٦٨ نينوى (١) ٢٥ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ١٥٥
٣٥٦ هسيود (١)	٢٣٨ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٨
٦٨ ، ٦٤ (٢) هشام بن عبد الملك	٤٠٨ ، ٢٥٦
اعتناؤه بسباق الخيل ٩٢ ؛	١٥٩ (٢)
١١٦ ، ١٢٢ ، قصره شمال	٩٠ ، ٣٥ ، ٥ نيويرك (١)
١٥٠ - ١٤٨ ، ١٢٧ ، ١٢٣ اريحا	
١٥٥ ، ١٥٦	
١٠١ ، ٩٠ ، ٥٥ (١) الهكسوس	
١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠	
١٥٧ - ١٦١ ، فن العمارة	
عندهم ١٥٩ ؛ ١٦٤ ، ١٦٧	
٢٠٣ ، ١٩٣ ، ١٩٠ ، ١٦٩	
	- الهاء -
	١٣٧ هاتور (الاهة مصرية) (١)

صفحة	صفحة
الجواهر ٣٣٠ ، ٤١٢ ، ٤٣٤	الهلل الخصب (١) ٦٣ ، ٤٦ ، ٦
(٢) ٦٩ ، ٧٠ ، ١٣٦ ، ٢٠١ ،	١٨١ ، ١٦١ ، ٦٩ ، ٦٧
٢١٨ ، ٢٥٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ،	(٢) ١٧٤ ، ٩٥ ، ١٧
٣٣٤ ، ٣٤٨	الهلبونت (١) ٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٢٦٠ ،
هندكوش - جبال (١) ٢٦٤	٤٤١
الهندي الايراني - الفرع (١) ٢٤٠	(٢) ٢٠٥
الهندية الاوربية - الشعوب (٢) ٣٠٣	هلل (١) ٢٣٧
الهندية - الفيلة (١) ٢٩١ ، سائق	الهلبستي - العصر (١) ٢٧٥ ، ٩٠ ،
٢٩٢	٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥
هنغاريا (١) ٤٤٤	الهلبستي ، الهلبستية (١) الثقافة
(٢) ٣٠٥	٢٥٦ ، الحضارة ٢٧٥ ، المدن
الهنغاريون (٢) ٣٢٨	٢٧٧ ، المملكة والثقافة والبقايا
الهنود (١) ٤ ، ١١٨ ، ١٨٣	٢٧٨ ، المجتمع ٢٩٠ ، العالم
(٢) ٩٢ ، ١٠٣ ، ١٣٣ ، ٢١٥	٣٠٠ ، الدول ٣٠١ ، الشرق
الهنود الاوربيون (١) ٢٨ ، ٥٥ ، ٦٢ ،	والممالك ٣٠٦ ، مملكة ٣١٢ ،
١٥٧ ، ١٦٢ ، القزاة ١٦٦ ،	الهلبستيون (١) ٢٩١ ، ٢٩٧ ، الملوك
٣١٣ ، ٣٣٣	٣١٥
الهنود - الايرانيون (١) ١٥٧ ، ١٦١	الهلبستية (١) الحضارة ٢٧١ ، ٢٨٤ ،
هنوك (١) عيد ٢٦٨	٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٧٤ ، ٢٧٥ ،
هوداس (١) ٣٥٢	٢٧٦ ، انتشارها ٢٧٨ ، ٢٧٩ ،
هوراس (١) ٣٥٢	٢٩٤ ، ٣٠٢ ، ٣١٧ ، ٣٩٤ ،
هوشنك ملك اسرائيل (١) ٢١٣ ، ٢٣٥	٤٢٠
هوفرع (١) ٢٢٠	(٢) الحضارة ١٤ ، ١٨
هولاكو (٢) ١٨٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩	الهلبستية الرومانية (١) ٣١٣
هوميروس (١) ٩٦ ، ١١١ ، ٣٥٦ ،	الهلبستي التبطي - الفن (٢) ١٢٣
٣٥٨	الهلبستية الوثنية (١) ٣٨٦
هونوريوس (١) ٣٨٨ ، ٣٩٢	الهلبستيون (١) ٢٩١
هيبو (١) ١١٠	هلبولس (١) ٣٢٧ ، اشتهاها
هيبوس (١) ٣٥٠	بعازفي الناي ٣٣٣ ، ٣٣٤ ،
هيرابولس (١) ١٨٦ - ١٨٨ ، ٣٥٥ ،	٣٤٣ - ٣٤٥ ، ٣٥١ ، ٣٧٠ ،
٣٧٠ ، ٤١٣ ، ٤٢٩ ، ٤٤٦ ،	٣٧٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٩ ، ٤٠١ ،
وانظر منبج	٤٢٩
هيراكلس (١) ١٤٧	همذان (١) ٢٥٧
هيراكانوس (١) ٢٧٠ ، ٣٠٩ ، ٣١١	(٢) ١٨١
هيراكانوس الثاني (١) ٣١١	هملقار (١) ١١٣
هيراكوليس اي مضيق جبل طارق (١)	الهند (١) ٤ ، ٣٥ ، ٥٥ ، ٩٩ ، ١٦١ ،
١٠٨ ، اعمدة ١١١ ، ١١٦ ؛	١٨٣ ، ٢٠٦ ، ٢٤٠ ، ٢٥٨ ،
١١٣ ، ١٢٤ ، ٢٥٤	٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٩٧ ،
هيرودتس (هيرودوتس) (١) ٦٢ ،	٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، منها

صفحة	صفحة
٧	١٠٨ ، ١١٥ ، ٢٤٥ ، ٣٥٦
وادي العاصي (١) ١٥٥ ، ٢٥٤	هيرودس انتيباس (١) ٣١٢ ، ٣١٣
٢٥٦ ، وانظر نهر العاصي	هيرودس الكبير (١) ٢٠٩ ، ٣٢٤
وادي العربية (١) ٤١ ، ١٩٣ ، ٤٢٢	٣٤٢ ، ٣٣٩
٤٢٣	هيرودس الملك (١) ٣١١ ، ٣١٢
٦ وانظر العربية	٣١٤ ، ٣١٨ ، ٣٧٦ ، ٤٢٢
(٢) وادي غزة (١) ١٦١	هيروديه (١) ٣٩٦
وادي الفرات (١) حضارته ١٤٩	الهيرودية - الاسرة (١) ٢٧٨ ، ٣٤٩
وانظر الفرات	هيروغليفية (١) رموز ومصادر ١١٨ ،
وادي موسى (١) ٤١٨	الكتابة ١٢١ ، ١٧٠ ؛ اللغة
وادي النطوف (١) ١٥	١٦٨
وادي نهر الكبير (١) ١٣٨ وانظر النهر	الهيروماكس مضيق (١) ٢٨٥
الكبير	هيسود (١) ١١١
وادي النيل (١) ٥٤ ، ٨٨ ، ١٣٧	هيكل اورشليم (١) ٢١٤
١٤٨ وانظر النيل	هيكل سليمان (١) ٢٠٥ ، ٢٠٦
واسط (٢) ٦٣ ، ٦٢	٢٢٢
واشوكاني (١) ١٦٢	(٢) ١٢٩
واصا - حاكم لبنان (٢) ٢٤٦ ح	هيكل الشمس (٢) ١٣٢
واصل بن عطاء (٢) ١١٤ ، ١١٥	الهيكليون (٢) ٢٣٧ ح ، ٢٤٣ -
الوافي بالوفيات - كتاب (٢) ٢٩٣	٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢
الواقصة (٢) ١١	هيلاريون (١) ٤٠٤
الواواء (٢) ١٩٩	هيلانة (٢) ٣ ح
وثائق نوزي (١) ٩٩	هيلانة (ام قسطنطين) (١) ٢٨٨
الوجه (١) ٤٢٦	هيلين (الملكة) (١) ١٠٢
وضاح اليمن (٢) ٩٣	
الوفاء - ابو - مبشر بن فاتك (٢) ٢٨٤	
وقبات الاعيان - كتاب (٢) ٢٩٣ ، ٢٩٤	
ولاخيا. (٢) ٣٢٤	
الولايات المتحدة (١) ٢١٤	
(٢) ٢٥٢ ، ٣٤٥	
الولاية العربية (١) ٣١٩ ، ٤٠٣	
الوليد (٢) ٦٤ ، ١٣٣	
الوليد بن عبد الملك (٢) ٤٩ ح ، ٥٠	
٥٤ ، ٦٦ ، حملابه على	
البيزنطيين ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٧	
٨٣ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ،	
عدد الجيش في زمنه ٩٦ ؛	
٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٩ ، ١٢١	

صفحة	صفحة
٢١٥ ، ٢٠٨	١٢٢ ، بناؤه قصر عمرة ١٢٤ ؛
٢٣٣ ، ٢١١ ، ١٨٠ (١)	١٣١ ، ١٢٤ ، ١٤٨
٤٤٥	الوليد بن يزيد (٢) ٦٤ ح. ٦٨ ،
١١ ح	اغتياله ٦٩ ؛ ٩١ ، ٩٣ ، ١٠٠ ،
٢٨٥ ، ١٧٧ ، ٥٠	١١١ ؛ انشاؤه اول مؤسسة
٢٦ ، ١٤ ، ١١ (٢)	صحبة في الاسلام ١١٣ ؛
١٦٦ ، ٧٤ (١)	١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٤٨ ، ١٥٠
٢٤٤ ، ٣٣٥ (٢)	وليم الصوري (١) ٦٢
يزيد بن أبي سفيان (٢) ٦ ، ٧ ، ١٢ ، ٢٣	(٢) ١٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ،
يزيد بن عبد الملك (٢) ٥٤ ، ٦٤ ح.	٢٥٧ ، ٢٦٣
٩١ ، ١٠٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤٨ ، ١٢٥	وليم الطرابلسي (٢) ٢٦٣
يزيد بن معاوية (٢) ٢٣ ، ٤١ ، تعيينه	وليم القيصر (٢) ٢٤٨
وليا للعهد ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٧ ،	وليم كاكستون (٢) ٢٨٤
عهده يحفل بالفتن الاهلية ٤٩ ؛	ون آمون (١) ١٩٦ ، ١٤٥
٥٥ - ٥٨ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ،	وهب اللات (١) ٤٣٨ ، ٤٣٩
١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١٢١ ،	وهب بن منبه (٢) ١٠٧
يزيد بن الوليد (٢) ٦٤ ح. ٨٩ ، ١٤٨ ، ١٥٠	الوهاية (٢) ٣٣٨
يستنيانوس الثاني (٢) ١٤١	الوهايون (٢) ٢٦١ ، ٣٤١
يسوع - انظر المسيح	دولي (١) ١٢٢
اليسوعيون (٢) ٣٣٠	
يشوع (١) ٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤	
اليعاقبة (١) ٤١٣	
(٢) ٤٠ ، ١٣٧ - ١٤٠ ، ١٧١	
يعقوب (١) ٨١ ، ١٧٧ ، ١٩١ ، ١٩٢	
يعقوب البرادعي (١) ٤١٣ ، ٤٤٨	
(٢) ١٣٨	
يعقوب هار (١) ١٦٠	
اليعقوبي (٢) ١٢٨	
اليعقوبية - الكنيسة (١) ٤١٢	
(٢) ١٣٨	
يلدز - قصر (٢) ٣٤٩	
يمبليخوس (١) ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩	
٣٩٣	
بمخاض (١) ٧٤ ، مملكة ١٦٦	
اليمن (١) ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٤١	
٤٤٦	
	١٢٢ ، بناؤه قصر عمرة ١٢٤ ؛
	١٣١ ، ١٢٤ ، ١٤٨
	الوليد بن يزيد (٢) ٦٤ ح. ٦٨ ،
	اغتياله ٦٩ ؛ ٩١ ، ٩٣ ، ١٠٠ ،
	١١١ ؛ انشاؤه اول مؤسسة
	صحبة في الاسلام ١١٣ ؛
	١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٤٨ ، ١٥٠
	وليم الصوري (١) ٦٢
	(٢) ١٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ،
	٢٥٧ ، ٢٦٣
	وليم الطرابلسي (٢) ٢٦٣
	وليم القيصر (٢) ٢٤٨
	وليم كاكستون (٢) ٢٨٤
	ون آمون (١) ١٩٦ ، ١٤٥
	وهب اللات (١) ٤٣٨ ، ٤٣٩
	وهب بن منبه (٢) ١٠٧
	الوهاية (٢) ٣٣٨
	الوهايون (٢) ٢٦١ ، ٣٤١
	دولي (١) ١٢٢
	- الياء -
	ياغي سيان (٢) ٢٢٦
	يانا (١) ٣٩ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ، ٢٠٦ ،
	٢١٦ ، ٣٢٦ ، ٣٤٩ ، ٣٧٥ ،
	٣٨٩
	(٢) ١٥٥ ، ٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
	٢٧٨
	ياقوت (١) ٦٣ ، ٤٣
	الياقوصة (٢) ١١
	ياكين ايل (١) ١٥٥
	ياهو بن عمري (١) ١٥١ ، ١٨٠ ،
	٢١١
	يينة (١) ١٤٦٠
	اليوسيون (١) ١٥٧ ، ٢٠٤
	يتيمة الدهر - كتاب (٢) ١٩٧
	يحيى بن غدي (٢) ١٧٧
	يحيى بن ماموه (٢) ١٧٦

صفحة	صفحة
٢١٢ ، مملكة ٢١٥ - ٢١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٢٢	(٢) ١٧ ، ٥٩ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١٥٣ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢
٢٦٨ يهوذا بن ماتتاياس (١) ، ١٩٤ ، ١٩٣ ، ٤٣ ، ٢١٤ ، ٢١١ ، ٢٠٨ ، ٢٠٤	اليمنية (٢) ١٦٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٤
يهوه (١) ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ - ٢٣٥ ، ٢٦٧ ، ٤٣٠	اليمينون (٢) ، ٨٠ ، ٢٢٢
يهويا قيم (١) ، ٢١٩ ، ٢١٨	ينبوع الحكمة - كتاب (٢) ، ١١٦
يهويافين (١) ، ٢١٩ ، ٢٤٤	ينتن عمو (١) ، ٧٤
يوحنا (٢) ، ١٣٣	يهودنليم (١) ، ٧٣
يوحنا اللمشقي (٢) ، ١٠ ، ٩٧ ، ١٤٤	يهواجازر (١) ، ١٨٠
يوحنا زمسيس (ابن الشمشقيق) (٢) ، ١٩٥	اليهود (١) ، ٣ ، ٢٨ ، ١٣٠ ، ١٦٥ ، ٢١٤ ، ٢٣٦ ، عودهم
يوحنا فم الذهب (١) ، ٣٧١ ، ٣٩٤ - ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠٩ - ٤١١ ، ٤١٤	من السبي ٢٤٢ ، ٢٤٣ - ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٩٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٨ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٤٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٧٥ - ٣٧٧ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥
يوحنا كريستم (٢) ، ١٤٠	(٢) ، ٥ ، ٦٨ ، ١٠٠ ، ١٠١
يوحنا مارون (٢) ، ١٤٠ ، ١٤١	١٢٢ ، ١٤٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٢٠٣ ، ٢٢١ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥
يوحنا الممعدان (١) ، ٤٢٢	اليهودي (١) ، ٢٩٢ ، الجيش ٣٥٣ ، الكاهن ١٠٢
يوحنا هيركانوس (١) ، ٢٦٩ ، ٢٠٢	اليهودية (١) سورية مهدها ٢ ، ٢٥ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ١٩٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٣١٤ ، ٤٠٥ ، ٤٤٤ ، ٤٥٢ ، ٤٤٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٨١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٨ ، ٣١٣ ، ٣١٢ ، ١٥٦ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٢٧٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١

صفحة	صفحة
١٣٣ ، ١١٣ ، ١٠٤ ، ٨٣ (٢)	يوسف بن ملح (٢) ٢٣٥ - ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٠
٢٢٥ ، ١٧٤ ، ١٣٩ ، ١٣٨	يوسف بن يعقوب (١) ١٦٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣
٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٧٣	يوسيبوس (١) ٣٥٣ ، ٣٦٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٩ ، ٣٩٧
اليوناني ، اليونانية (١) اللغة والفلسفة	يوسفوس (١) ١٥٣ ، ٢٤٥ ، ٢٦٩ ، ٢٠٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٣ ، ٣٥٢ ، ٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٣٥٣ ، ٣٥٢
والافكار ، الفن ٩٦ ، اللغة	يوشيا (١) ٢١٨ ، ٢١٩
٨٩ ، ١٠٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٤٨ ، ١٨٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٣١٣ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٦٢ ، ٣٧١ ، ٣٩٩ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤٢٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٣ ، ٤٤٣ ، الحروف ١١٩ ، المستعمرات ١٥٦ ، ٢٨١ ، الخزف ٢٤٩ ، المدن ٢٥٣ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨١ ، ٣١٨ ، الجانيات ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٣١٨ ، اللباس ، الجمنازيوم ٢٦٧ ، الموترات الالهة ٢٧٨ ، الكتابات ٢٧٩ ، الحضارة ٢٧٥ ، ٢٨٢ ، ٣١٣ ، الثقافة ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، الدول ٢٥٣ ، المعابد ٢٥٦ ، العبادة ٣٠٠	يوصافات الهندي (٢) ١١٧
اليونانية - اللغة (٢) ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، الفلسفة ٢٠٠ ، الكنيسة ١١٧ ، ١١٦	يوكرائس (١) ٢٨٦ ح
اليونانية الرومانية (١) المستعمرات ٣٣٢	يوليان (١) ٣٨٨ ، ٣٩٤
اليونانية اللاتينية (الحضارة) ٢٨٦	يوليانس (١) ٣٣٧
يونس بن فخر الدين (٢) ٣٢٩	يوليوس افيتوس (١) ٣٨٠
يونس بن قرقماز (٢) ٣٣٣ ح	يوليوس باسيانس (١) ٣٨٠
	يوليوس قيصر (١) ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٣٤ ، ٤٢٠
	يوم الجمل (٢) ٣١
	يونان (١) ٢٢٢
	يونان - الكاهن الاعظم (١) ٢٩٦
	اليونان (١) ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٦ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٦٥ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ٣١٨ ، ٣١٨ ، مورد الخزف ٣٣٠ ، ٣٣٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٨ ، ٤٢٥

